
NR ™
نورا
روبرٹس
منتظر
انتظار

منتصف الظهر

نورا روبرتس

منتصف الظهر

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... ليست مجرد مكتبة
... not just a Bookstore

HIGH NOON

NORA ROBERTS

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

للتعرّف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية ، قطر ، الكويت والإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

المملكة العربية السعودية ص.ب: ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١
تليفون: ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس: ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

إلى إيمى بيركور،
المفاوضة

مرحلة البداية

"لا تهجرينى يا عزيزتى"

ـ من فيلم "منتصف الظهر"

١

كانت طريقة سيئة أن يقضى أحدهم يوم العيد فى محاولة الانتحار قفزًا من مكان مرتفع. لم تكن فكرتها عن الاحتفال هى أن تُستدعى فى يوم عطلتها للتفاوض مع شخص يحاول الانتحار قفزًا من مكان مرتفع.

تحركت فيبى بصعوبة فى طريق متعرج عبر الجماهير والزحام من أهل مدينة "سافانا"، والسائحين المتجمهرين فى الشوارع والأرصفة للاحتفال بالعيد. لاحظت فيبى أن الكابتن ديفيد ماكفر كان على حق عندما قال لها ألا تستقل السيارة؛ كانت ستضيع وقتها الثمين وجهدها من دون جدوى وبلا طائل لكى تمر عبر الحواجز وأعداد الجماهير الغفيرة التى تملأ الشوارع، حتى لو كانت تحمل

الشارة الخاصة بها. لكن بعد بنايتين شرق منطقة "جونز"، قل عدد المحتفلين ومظاهر الاحتفال، وبدت موسيقى الاحتفال الصاخبة مجرد صوت قادم من مسافة بعيدة.

وجدت فيبى بانتظارها ضابطاً بزيه الرسمى ينتظرها حسب الأوامر، ونظرته موجهة لوجهها ويتفرس فيها وفى الشارة المثبتة بدبوس على جيب زيها الكاكى. كانت ترتدى بنطالاً مجعداً قصيراً، وصندلاً وتى شيرت أخضر فاتحاً تحت الجاكيت الكتان. شعرت فيبى بأن مظهرها غير رسمى، رغم سعيها الدءوب للمحافظة على الرسميات فى عملها.

لكن ماذا تفعل؟ كان من المفترض أن تقف على الشرفة الكبيرة فى منزلها، "منزل ماكنامارا"، مع عائلتها وتحتسى عصير الليمون وتشاهد موكب الاحتفال.

قال الضابط: "هل أنت الملازم ماكنامارا؟".

"هذا صحيح، لنتحركَ الآن". دخلت السيارة بسرعة وأخرجت هاتفها الجوال من جيبها بيد واحدة وربطت حزام الأمان باليد الأخرى، ثم قالت فى الهاتف: "أنا فى طريقى أيها الكابتن، وافنى بملابسات الحادث".

قاد الضابط السيارة بسرعة وسرت السارينة الخاصة بسيارة الشرطة بصوت مدو. أخرجت فيبى مفكرتها وأخذت تدون ملاحظات سريعة:

جوزيف (جو) رايدر، ذو ميول انتحارية، مسلح ويريد الانتحار قفزًا من مكان مرتفع، عمره ٢٧ عاماً، أبيض، متزوج / منفصل، نادل فى حانة / مفصول، ملحد، أسرته لا تتواجد فى موقع الحادث. ولكن لماذا يقدم على الانتحار؟ تركته زوجته، وفصل من عمله (حانة رياضية)، وغارق فى الديون. ليس له سجل جنائى، ولم يسبق له أن حاول الانتحار من قبل. المذكور كثير البكاء أحياناً، ويميل للعنف فى أحيان أخرى. لم يطلق أى رصاص حتى الآن.

سحبت نفسًا عميقًا وأطلقته وقالت: "حسنًا". سرعان ما سوف تزداد معرفة به عندما تواجهه، ثم تابعت: "من يتحدث معه الآن؟".

"معه هاتفه الجوال. لم يتمكن أول من شهد الواقعة من التحدث معه عبر الهاتف؛ حيث ظل يغلق هاتفه. معنا هنا صاحب عمله - السابق - وهو أيضاً صاحب مسكنه. لقد تحدث إليه كثيراً، لكن بلا تقدم ومن دون جدوى".

"وأنت؟".

"ما إن وصلت إلى هنا حتى اتصلت بك لتأتى إلينا. لم أشأ أن أقحم العديد من الناس معه".

قالت: "حسنًا، سأصل بعد ٥ دقائق"، ثم نظرت نحو السائق الذى أومأ لها مؤكدًا ذلك ثم قالت: "حافظ على حياته حتى أحضر إليك".

داخل شقة جو رايدر فى الدور الرابع، كان العرق يتصبب من ظهر دانكان سويفت. إنه صديقه الذى طالما تناول معه كئوس الشراب ومازحه. وكان جو يجلس على حافة سور السطح أمامه وفى يده مسدس.

أخذ دانكان يفكر فى نفسه: إنه السبب؛ لأنه فصله من العمل، وأمهله ٣٠ يوماً ليدبر أموره ويغادر المنزل، ولأنه لم يكترث لحاله.

كان الاحتمال كبيراً الآن بأن يطلق جو الرصاص على رأسه أو يقفز من السطح. أو ربما يفعل كلا الأمرين معًا .

ليس هذا بالضبط نوع المتعة والترفيه الذى تتوقعه الجماهير فى يوم العيد، حيث كانوا يريدون الاقتراب أكثر من موقع الحادث، وكانت الشرطة قد وضعت والحواجز حول البناية، لكن كان بإمكان دانكان أن يرى الناس من خلال النافذة وهم يحتشدون خلف الحواجز ووجوههم متجهة إلى أعلى.

تساءل ما إذا كان جو يرتدى زياً لونه أخضر يتناسب مع الاحتفال أم لا قال: "هيا يا جو، سنحل المشكلة". سأل دانكان نفسه، كم مرة سيضطر لتكرار نفس العبارة التى وضع الضابط دائرة حولها فى مفكرته،"دع المسدس وادخل".

"لقد فصلتنى عليك اللعنة!".

"نعم أعرف ذلك، أنا آسف يا جو، كنت متضايقاً حينها". ثم قال فى نفسه: "لقد سرقتنى يا أحمق، لقد زورت وأحدثت فوضى وسرقتنى، لقد استغللتنى جيدًا". ثم استطرد قائلاً: "لم أدرك كم أنت حزين ومضطرب حينها، أو حتى ماذا كان يحدث لك فى حياتك، ادخل فقط وسنسوى هذا الأمر".

"هل تعلم أن زوجتى لورى هجرتنى؟".

"أنا ....". ثم تذكر ألا يستخدم الضمير"أنا". كان مصابًا بصداع رهيب، لكنه سعى جاهدًا لكى يتذكر تعليمات الكابتن ماكفر له، وقال: "لابد أنك كنت مضطرباً وحزيناً جدًا".

كان رد فعل جو أنه انخرط مجددًا فى البكاء.

همس ديف له: "اجعله يواصل التحدث فحسب".

أنصت دانكان لشكاوى جو، الممزوجة بالعبرات وحاول تكرار العبارات المهمة التى أخبره الكابتن بها.

دخلت فيبى ذات الشعر الأحمر بسرعة شديدة كالرصاصة داخل الحجرة، وخلعت بسرعة الجاكيت الخفيف وهى تتحدث نحو الكابتن، ثم ارتدت سترة واقية من الرصاص. كانت كل خطواتها تتم بسرعة البرق.

لم يتمكن دانكان من سماع ما كانت تقوله للكابتن، ولم يتمكن من إبعاد ناظريه عنها.

جاء فى ذهنه تجاه فيبى كلمة"التصميم"أولاً، ثم كلمة"طاقة"، ثم كلمة"جذابة"، لكن الكلمة الأخيرة امتزجت بالكلمتين السابقتين بنسب متجانسة ومتساوية. هزت رأسها ونظرت إلى دانكان نظرة باردة طويلة بعينيها الخضراوين كعيون القطط.

"يجب أن تتم المواجهة يا كابتن، تعلم هذا منذ أن طلبت استدعائى فى هذه القضية".

"لنحاول أن نجعله يتراجع عبر الهاتف أولاً".

"لقد جربتم هذا بالفعل". ثم فحصت الرجل الذى يحاول تهدئة الضحية الذى يبكى واستنتجت أنه صاحب عمله ومسكنه سابقًا.

قالت لنفسها: "إنه صغير على امتلاك مكان عمل وبناية سكنية، وهو وسيم جدًا ويبدو أنه يكافح بكل قوة حتى يؤمن مركزه المالى".

قالت فيبى: "إنه بحاجة إلى رد اعتبار واتصال مباشر، هل هذا صاحب العمل؟".

"اسمه دانكان سويفت، وهو صاحب الحانة فى الطابق الأرضى من هذه البناية. اتصل بالنجدة بعد أن اتصل به جو وأطلعه على أنه سينتحر قفزًا من السطح. وظل السيد سويفت فى مكان الحادث منذ ذلك الحين".

"حسنًا، أنت الرئيس فى هذه القضية لكنى من يقوم بالتفاوض. أريد أن أصعد عنده، لنرى شعوره حيال ذلك".

سارت نحو دانكان وأشارت له أن يعطيها الهاتف الجوال ثم قالت: "جو، أنا فيبى، أنا مع الشرطة، كيف حالك بالخارج يا جو؟".

"لماذا؟"

"أردت التأكد من أنك بخير، لابد أنك تشعر بالحر، فالشمس قوية اليوم، أليس كذلك يا جو؟سأطلب من دانكان أن يحضر لنا زجاجتى مياه مثلجة، وأريد إحضارهما لك وأتحدث إليك قليلاً".

"معى مسدس !".

"سمعت ذلك، هل ستطلق الرصاص علىَّ إذا أتيت لك بالماء المثلج يا جو؟".

بعد لحظة صمت طويلة قال: "كلا، كلا، اللعنة، لماذا أفعل ذلك؟ أنا حتى لا أعرفك".

"سأحضر لك زجاجة من الماء. سآتى بمفردى يا جو. أريدك أن تعدنى بألاَّ تقفز أو تطلق النيران الآن. هلا وعدت بأنك ستتركنى أحضر إليك، ومعى زجاجة الماء؟".

"أحضرى لى بعض العصائر أفضل".

حمستها قليلاً نبرات الحزن والاستسلام فى صوته فقالت: "ما نوع العصائر التى تريدها؟".

"لدىَّ فى الثلاجة عصائر ماركة هارب".

"سآتى لك بزجاجة عصير مثلجة". ثم سارت نحو الثلاجة ووجدت أنها تخلو من أى طعام أو شراب سوى العصائر تقريبًا. وبينما هى تخرج إحدى الزجاجات من الثلاجة، تحرك دانكان بجوارها ليفتحها لها.

أومأت له وأخرجت زجاجة العصير الوحيدة، وفتحتها. قالت عبر الهاتف: "أنا آتية بالعصير، هل هذا يروق لك؟"

"نعم، هذا جيد".

قالت بصوت بارد مثل الزجاجة التى تحملها فى يدها بينما كان أحد رجال الشرطة يثبت الحبل حولها ويأخذ سلاحها: "جو! هل ستنتحر؟".

"هذه هى خطتى".

"حسنًا، إن كانت تلك هى خطتك، فأنا لا أعلم إن كانت خطة جيدة أم لا".

تبعت أحد رجال الشرطة إلى خارج الشقة ثم على السلم المؤدى للسطح.

"ليس لدىَّ شىء أفضل أقوم به".

"شىء أفضل؟ تبدو مكتئباً جدًا. أنا عند باب السطح الآن يا جو، لا بأس فى أن آتى إليك أليس كذلك؟".

"نعم، نعم، لقد قلت لك ذلك أليس كذلك؟".

كانت محقة بشأن الشمس، فقد كانت قوية جدًا، وكان الجو حاراً وخانقاً يجعل المرء يريد أن يقفز من السطح كالكرة الحمراء الملتهبة من الحرارة. نظرت فيبى إلى اليسار مباشرةً ورأته.

كان عارياً تمامًا عدا أنه يرتدى شورتاً أسود، وكان ذا شعر أشقر ولكن جلده تحول إلى اللون الأحمر الوردى الفاتح بتأثير الشمس. أخذ يحدق إليها بعينيه اللتين ضاقتا من التورم بسبب كثرة البكاء.

رفعت الزجاجة لأعلى لكى يراها ثم قالت: "كان يجب أن أحضر معى دهاناً مضاداً للشمس مع العصير؛ لقد تحمص جسدك من الشمس هنا يا جو".

"لا يهمنى".

"سأكون ممتنة إن تركت المسدس يا جو لكى أتمكن من إحضار العصير لك".

هز رأسه بالنفى وقال: "ربما تحاولين القيام بخدعة ما".

"أعدك بألا أحاول القيام بأى شىء إن تركت المسدس بينما أحضر لك العصير. كل ما أريده هو التحدث إليك يا جو؛ أنا وأنت فقط، والكلام هنا فى الشمس يجعلنا عطشى".

أخفض المسدس ووضعه على حجره وقدماه لا تزالان على حافة السطح، ثم قال: "ضعى الزجاجة هنا ثم تراجعى إلى الخلف".

"حسنًا". كانت تنظر فى عينيه بينما تسير نحوه، واشتمت رائحة جسده، رائحة العرق واليأس، ورأت البؤس واليأس فى عينيه البنيتين اللتين بهما إحمرار وتورم. وضعت الزجاجة بحرص على حافة سور السطح ثم تراجعت للخلف وقالت: "هل كل شىء على ما يرام؟".

"إن حاولت القيام بأى خدعة فسأقفز على الفور".

"أتفهم ذلك، ماذا حدث لكى تكتئب إلى تلك الدرجة؟".

أخذ الزجاجة وأمسك المسدس بقوة مرة أخرى وشرب جرعة كبيرة وقال: "لماذا أرسلوك إلى هنا؟".

"لم يرسلونى، لقد أتيت بنفسى؛ هذا عملى".

أصدر صوتًا ينم عن الاستياء وشرب جرعة أخرى."ماذا؟ هل أنت طبيبة نفسية؟".

"ليس بالضبط، أنا أتحدث للناس، وخاصة من يعانون من المشاكل أو يظنون أنهم كذلك. ما الذى حدث وجعلك تظن أنك فى مشكلة يا جو؟".

"أنا فاشل ويائس، هذا كل شىء".

"ما الذى جعلك تظن أنك فاشل ويائس؟".

"هجرتنى زوجتى، ولم يدم زواجنا أكثر من ٦ شهور. كررت عدة مرات أنها ستهجرنى إن عدت للقمار مرة أخرى. لم أنصت إليها وعدت للمقامرة ولم أصدق أنها ستنفذ تهديدها".

"لابد أن هذا أحزنك بشدة".

"كان زواجى أفضل شىء فى حياتى، ولقد أفسدته. ظننت أننى

سأفوز أفوز مرتين ثم أقلع عن القمار، وهذا كل شيء. لكنى لم أفلح فى ذلك"، ثم هز كتفيه بلا اكتراث قبل أن يضيف: "لم أفلح فى القمار أبداً".

"هذا لا يكفى للموت من أجله يا جو؟ الأمر صعب ومؤلم عندما تهجرك حبيبتك، لكن الموت يعنى أنك لن تصلح الأمر أبدًا. ما اسم زوجتك؟".

همس والدموع تترقرق فى عينيه: "لورى".

"لا أظنك تريد أن تؤذى لورى، برأيك، كيف سيكون حالها إن أنت فعلت هذا؟".

"ولماذا ستهتم بشأنى؟".

"لقد اهتمت بك لدرجة أنها تزوجتك. هل ستمانع إن جلست هنا؟"، ثم ضربت بيدها حافة السطح على بعد بضع أقدام منه. عندما هز كتفيه بلا اكتراث، قفزت وجلست على السور واحتست من زجاجتها رشفة وقالت: "أعتقد أننا سنتناقش لحل المشكلة يا جو، سنتوصل لطريقة لمساعدتك، وحل مشكلتك مع لورى. يبدو أنك تريد حلاً ينظم الأمور فى حياتك".

"لقد فقدت وظيفتى".

"هذا أمر صعب، ماذا كان عملك؟".

"كنت نادلاً فى الحانة أسفل هذا المبنى. لم تكن لورى تريدنى أن أعمل فى الحانة، لكنى قلت لها إننى سأتمكن من التعامل مع الأمر، لكنى لم أتمكن من ذلك ولم أفعل. بدأت أقامر، وبدأت أخسر، وسرقت من خزانة الحانة حتى لا تعلم لورى بالأمر ونقصت الأموال الخاصة بى. وكنت كلما قامرت أكثر، خسرت أكثر، وسرقت أكثر. ضبطت متلبسًا وطردت من عملى، وتراكمت ديون إيجار السكن أيضًا".

التقط المسدس وأخذ يقلبه بين يديه. شعرت فيبى بالذعر داخليًا، وقاومت الرغبة الغريزية للانسحاب والاحتماء وراء ساتر. قال: "ماذا تريدين؟ لا أفهم شيئًا".

قالت: "أتفهم شعورك الآن، لكن الحقيقة يا جو، أنه تبقت لك فرص كثيرة، الكل يستحق أكثر من فرصة. إن قتلت نفسك،

فسينتهى كل شىء؛ فلا عودة ولا إصلاح الحال مع لورى أو إصلاح أحوالك مع نفسك. كيف ستصلح الأحوال معها إن جاءتك الفرصة؟".

نظر عبر المدينة وقال: "لا أعلم. ربما أسمع موسيقى الموكب الاحتفالى".

"هناك أمور تستحق الحياة من أجلها. ما نوع الموسيقى التى تحبها؟".

اتجه دانكان إلى ديف داخل الشقة وقال: "موسيقى؟ ما نوع الموسيقى التى يحبها؟ ماذا تفعل بحق الجحيم؟".

أومأ ديف إليه برأسه وقال: "تجعله يواصل الكلام، إنها تهدئه بالكلام وهو يتجاوب معها، لن يقفز من السطح مادام يتحدث عن أى شىء معها".

أنصت دانكان لهما وهما يتحدثان عن الموسيقى فى الدقائق العشر التالية. كان الحوار كأى حوار عادى تسمعه فى الحانات والمطاعم فى المدينة. عندما تخيل جو على السطح يتحدث عن الموسيقى، بدا الأمر سيرياليًا؛ وعندما تخيل الفتاة ذات الشعر الأحمر وعينيها الخضراوين كالقطط، وجسدها النحيل، وهى تتحدث باهتمام مع نادل الحانة شبه العارى المسلح الانتحارى، بدا الأمر مستحيلاً".

قال جو بأسى وحزن: "هل تظنين أنه يجب أن أتصل بـ"لورى"؟".

كانت تعلم أنهم حاولوا الاتصال بزوجة جو الهاربة عدة مرات بلا جدوى، لكنها قالت: "هل هذا ما تريد أن تفعله؟".

"أردت أن أخبرها أننى آسف".

"من الجيد أن تخبرها أنك آسف. لكنك تعلم ما ينجح أكثر مع النساء وأنا أيضاً أعلم ذلك بحكم كونى امرأة. أظهر لها أنك آسف بالأفعال لا الأقوال. النساء يصدقن ما يرينه بأعينهن فقط. يمكنك أن تظهر ذلك لى فى الحال إذا أعطيتنى المسدس".

"فكرت فى إطلاق الرصاص على نفسى قبل القفز أو ربما أثناء

القفز".

عندما أدار رأسه نحوها ظلت تنظر بثبات إلى عينيه ثم الت: "انظر إلىَّ جو، هل هذه طريقتك لتظهر لها أنك آسف لكل ما حدث؟ بأن تموت لكى تدفنك، وتحزن عليك؟ هل تعاقبها بهذا؟".

ظهر فى نبرة صوته ووجهه علامات الصدمة لهذه الفكرة وقال: "كلا !الأمر كله خطئى أنا".

"خطؤك أنت؟ لا أعتقد أبدًا أن كل شىء خطأ شخص واحد، لكن دعنا نسو الأمر، لنجد طريقة لمصالحتها".

"يا فيبى، إن ديونى فى القمار حوالى ٥ آلاف دولار".

"المبلغ ضخم، وبالتالى يفزعك أن تكون مدينًا به. أتفهم شعور أن تكون مثقلاً بالديون. هل تريد أن تدفع لورى ديونك عنك؟".

"كلا، إن مُت لن يدفع أحد".

"لا أحد؟ لكنها زوجتك شرعًا وقانونًا". كانت فيبى تشك فى المسئولية القانونية للزوجة لأداء ديون زوجها بعد وفاته، لكنها رأت الفكرة ستقنع جو بالعدول عن الانتحار .

"ستكون مسئولة عن سداد ديونك".

"يا إلهى!".

"أظننى أعلم كيف أساعدك فى هذا يا جو. تعلم يا جو أن رئيسك فى العمل بالداخل لأنه قلق بشأنك".

"إنه رجل طيب، وأنا سرقته واحتلت عليه وخنت الصداقة، ولا ألومه لأنه فصلنى".

"أسمعك تقول ذلك، وأعرف أنك تفهم أنك مسئول عن أخطائك، أنت شخص مسئول وتريد إصلاح الأخطاء. تقول إن دانكان شخص طيب، أنا سأصدق أنه يتفهم ذلك أيضًا. سأتحدث إليه إن أردت ذلك، فأنا ماهرة فى التحاور، وسيمد لك مهلة تسديد المال الذى سرقته منه، وهذا سيساعد على حل المشكلة، أليس كذلك؟".

"أنا ... لا أعلم".

"سأتحدث معه من أجلك".

"إنه رجل طيب وكريم وأنا سرقته".

"كنت تشعر بالخوف واليأس، ولقد أخطأت، وأنت نادم على هذا،

أشعر بذلك جيدًا".

"أنا آسف فعلاً".

كررت قولها وقالت: "سأتحدث معه من أجلك. لابد أن تعطينى المسدس، وتنزل من فوق حافة السور. لا تريد بالطبع أن تؤذى لورى".

"لا أريد، لكن ...".

"إن تمكنت من التحدث مع لورى الآن، ماذا ستقول؟".

"أنا... لا أعلم كيف وصلت الأمور لهذا الحد، وأنا آسف، أنا أحبها ولا أريد أن أفقدها".

"إن أردت ألا تفقدها، وإن كنت تحبها، فأعطنى المسدس وانزل من فوق السور، وإلا ستتركها مع الحزن واللوم".

"إنه ليس خطأها".

نزلت فيبى من فوق السور ومدت له يدها قائلة: "أنت محق يا جو، أنت على حق تمامًا. أظهر لها ذلك الآن".

حدق فى مسدسه بينما فيبى تمد يدها ببطء لتأخذه. كان المسدس زلقاً بسبب يده المتعرقة وهى تضعه حول حزامها بأمان فى الجراب. قالت: "هلا نزلت من حافة السور يا جو؟".

"ماذا سيحدث؟".

"انزل من فوق السور وسأشرح لك، ولن أكذب عليك". ثم مدت له يدها مرة أخرى. كانت تعلم أنها لا يجب أن تفعل هذا. قد يتعرض المفاوض لأن يجذبه المنتحر معه لأسفل. لكنها ركزت نظرها فى عينيه ثم أمسكت يده بقوة بأصابعها.

عندما لمست قدماه أرضية السطح، استلقى ببساطة على الأرضية يبكى وينتحب مرة أخرى. سارت نحوه وأحاطته بذراعيها وهزت رأسها بعنف فى إشارة إلى رجال الشرطة الذين اندفعوا من وراء الباب.

"سيكون كل شىء على ما يرام يا جو، ستضطر للذهاب مع رجال الشرطة، وسيقيمون حالتك، لكن كل شىء سيكون على ما يرام".

"أنا آسف".

"أعلم أنك آسف، الآن تعال معى. تعال معى الآن".

ساعدته على النهوض، وجعلته يستند عليها وهما يسيران باتجاه الباب."لترتدى ملابسك الآن، ولن ترتدى كلابشات". قالت العبارة الأخيرة بسرعة وحدة نسبيًا ثم قالت: "سيحضر لك أحد رجال الشرطة حذاء وبنطالاً وقميصاً. هل هذا جيد؟"أومأ لها ثم أشارت لأحد رجال الشرطة نحو حجرة النوم.

"هل سأذهب للسجن؟".

"الفترة قصيرة، لكننا سنبدأ مساعدتك على الفور".

"هل ستتصلين بلورى؟ إن جاءت سأظهر لها... كم أنا آسف".

"سأتصل بها بالتأكيد، يجب علاج حروق الشمس فى جسدك وأن تشرب الكثير من الماء".

ظل جو مطرقًا بنظره لأسفل وهو يرتدى البنطال وقال هامسًا لدانكان: "أنا آسف يا صديقى".

"لا تقلق بشأن هذا، انصت لى جيدًا، سأحضر محاميًا لك". ثم نظر إلى فيبى بحيرة وقال: "ألا يجب ذلك؟".

"هذا أمر يخصك أنت وجو، وأنت يا جو، أطع صديقك وحافظ على هدوء أعصابك"، ثم ضغطت على ذراع جو بخفة على سبيل المزاح.

قاده شرطيان من جانبيه إلى خارج السطح.

"عمل رائع أيتها الملازم".

أخرجت فيبى المسدس وفتحته وقالت: "رصاصة واحدة، لم يكن ليطلقها على أحد سوى نفسه، وهذا كان مجرد احتمال وارد بنسبة ٥٠٪". ثم أعطت المسدس للكابتن وتابعت: "لقد خمنت أنه بحاجة للتحدث إلى امرأة".

قال ديف: "فطنت إلى ذلك فعلاً".

"على أية حال، كنت على حق. يجب أن نبحث عن زوجته ونعرف أين هى، وسأتحدث إليها إن رفضت مقابلته". مسحت جبهتها التى تتفصد عرقًا وقالت: "ألا يوجد ماء فى هذا المكان؟".

أعطاها دانكان زجاجة ماء وقال: "جعلتهم يحضرون زجاجات مياه معدنية".

"أقدر لك ذلك"، ثم احتست جرعة كبيرة وهى تتفرس فى وجهه. كان له شعر بنى كثيف ومنعكس على وجهه المستطيل، وله فم قوى وجميل وعينان زرقاوان حالمتان يشوبهما حاليًا القلق."هل ستتهمه؟".

"بماذا؟".

"لأنه اختلس من خزانة أموالك فى الحانة؟".

"كلا بحق السماء"، ثم جلس دانكان على مسند أحد المقاعد وأغلق عينيه.

"ما مقدار المبلغ المسروق؟"

"حوالى ألفى دولار أو أكثر قليلاً. لا يهم الآن".

"بل مهم، يجب أن يرده حتى يستعيد احترامه لذاته، إن أردت مساعدته يمكننا ترتيب الأمر".

"بالتأكيد، رائع".

"أنت صاحب مسكنه أيضًا؟".

"نعم، نوعاً ما".

رفعت فيبى حاجبيها وقالت: "ألست مشغولاً؟ ألا يمكنك تأجيل الإيجار لشهر آخر ؟".

"نعم، بكل تأكيد".

"رائع".

"مهلاً ... لا أعرف سوى اسمك الأول".

"ماكنامارا. اسمى الملازم ماكنامارا".

"أنا أحب جو، ولا أريده أن يسجن".

قال جو إن دانكان رجل طيب، وكان على حق فعلاً. قالت: "أنا مقدرة هذا، لكن هناك إجراءات يجب أن تتبع، وعواقب لما فعله. أعتقد أن تسديد ديونه سيساعده كثيراً. كان يستجدى المساعدة، والآن سيحصل عليها. إذا كنت تعرف لمن هو مدين بـ ٥ آلاف دولار، فإنه بحاجة إلى إصلاح الأمور".

"لم أكن أعلم أنه يقامر".

هذه المرة ضحكت ضحكة خفيفة قصيرة وقالت: "أنت صاحب حانة ولكنك لا تعلم أنه يتم بها ممارسة لعب القمار؟".

تراجع للخلف بظهره واضطرب داخليًا وشعر بألم خفيف لاضطراب بطنه وقال: "اصغى لى جيدًا، حانتى"سلام دانك"مكان محترم وليس جحرًا للرعاع. لم أكن أعلم أن لديه مشكلة، وإلا لما تركته يقف هنا ويخاطر بنفسه، جزء مما حدث خطئى أنا، لكن...".

رفعت يدها ومررت الزجاجة المثلجة على جبهتها المتصببة عرقًا وقالت: "كلا، كلا، أنا أشعر بالحر والضيق، لكن كل ما حدث ليس خطأك، أعتذر لذلك، الظروف هى التى دفعته ليحاول الانتحار بالقفز من سور السطح، وهو مسئول عن هذه الظروف وعن اختياراته التى قام بها. هل تعرف أين نجد زوجته؟".

"ربما فى الموكب مثل كل أهل سافانا، عدا نحن".

"هل تعرف أين تسكن؟".

"ليس بالضبط، لكنى أعطيت الكابتن رقمى هاتف لاثنتين من صديقاتها".

"سنجدها، هل ستكون على ما يرام الآن؟".

"حسنًا، لن أصعد للسطح وأقفز"، ثم تنهد طويلاً وهز رأسه وقال: "هل أشترى لك مشروباً يا فيبى؟".

رفعت زجاجة الماء وقالت: "لقد فعلت هذا بالفعل".

"يمكننى إحضار ما هو أفضل".

لاحظت الآن أنه يحاول أن يبدو جذابًا بسرعة وقالت له: "يكفى هذا، يمكنك الذهاب لمنزلك يا سيد سويفت".

"دانكان".

ابتسمت له ابتسامة صغيرة ثم التقطت الجاكيت الخاص بها الذى ألقته على الأرض من قبل، وقالت: "نعم".

أسرع نحو الباب عندما همت بالخروج منه وقال: "يا فيبى، هل يمكننى الاتصال بك إن شعرت برغبة فى الانتحار؟".

قالت دون أن تستدر لتواجهه: "جرب الخط الساخن، وغالبًا سيقنعونك بالعدول عن فكرة الانتحار".

ثم سار نحو سور السلم لينظر إليها وهى تهبط. فكر مرة أخرى فى إحساسها بالعزيمة والإصرار. إنه يحب جدًا السيدة ذات

العزيمة فهى تناسب ذوقه جدًا.

ثم جلس على درجة السلم وأخرج هاتفه من جيبه واتصل بأقرب أصدقائه وهو محاميه أيضاً ليقنعه بتمثيل الدفاع عن نادل الحانة المتهم بالشروع فى الانتحار ومدمن القمار.

شاهدت فيبى من الشرفة فى الطابق الثانى كلب الراى المدهون باللون الأخضر وهو يرقص فى موكب الاحتفال، وقد بدا فخورًا جدًا بنفسه وهو يوازى حركاته مع نغمات الناى وإيقاع الطبل الذى يعزف عليه ثلاثى ممن يرتدون زى الجنى من الأساطير الأيرلندية.

كان جو على قيد الحياة، وبينما فاتها افتتاح المسرحية، فقد وصلت فى الوقت المناسب للحاق ببداية الفصل الثانى من هذه الدراما.

لم تكن طريقة سيئة جداً لقضاء العيد رغم كل شيء.

كانت بجوار فيبى ابنتها ذات السبعة أعوام. تقفز فى حذائها الأخضر اللامع، وكان اسمها كارلى، تذكرت فيبى كم جاهدت كارلى وثابرت طويلاً من أجل الحصول على هذا الحذاء، وكيف أنها بسهولة فندت كل المقاومة والاعتراض على سعر الحذاء أو عدم وجود فائدة عملية له.

ارتدته مع بنطال أخضر قصير ومجعد وبه نقاط وردية داكنة صغيرة، وقميص أخضر به خطوط وردية والذى تطلب أيضاً مثابرة طويلة من جانب الفتاة الصغيرة العاشقة للموضة. لكن فيبى اعترفت أنها تبدو رائعة جدًا بهذا الزى.

كانت كارلى قد ورثت شعرها الأحمر بلون الغروب من جدتها ومن أمها أيضًا، وكان شعرها مجعداً ووراثيًا من الجدة أيضًا ولم يكن شعر الأم هكذا؛ لأن شعر فيبى كان انسيابياً وناعماً تمامًا. كانت عينا الحفيدة زرقاوين ولامعتين مثل جدتها أيضًا، فى حين كانت عينا فيبى أو الجيل الأوسط كما كانت تعتبر نفسها خضراوين.

كان للثلاثة بشرة شاحبة وشعر أحمر، لكن كارلى ورثت

الغمازتين من جدتها واللتين طالما تمنتهما فيبى لنفسها وهى طفلة، ولكن ابنتها كان لها فم جميل وغمازتان عميقتان على جانبى الشفة العلوية.

أحياناً كانت فيبى تنظر إلى أمها وابنتها، وتتساءل عبر موجات الحب المذهل بينهما كيف أنها الجسر الموصول لهاتين الشخصيتين المتماثلتين فى كل شىء تمامًا.

ربتت فيبى على كتف كارلى ثم انحنت لتطبع قبلة على الخصلات الحمراء المتجعدة والمبعثرة. وكرد فعل لهذه الحركة، ابتسمت كارلى ابتسامة واسعة أظهرت سنتيها الأماميتين المفقودتين فى صف أسنانها العلوى.

وقفت الجدة إيسى خارج باب الشرفة بقليل وقالت وهى تبتسم من خلفهما: "هذا أفضل مكان فى المنزل".

"هل رأيت الكلب يا جدتى؟".

"بالتأكيد".

اتجه أخو فيبى إلى الأم وقال: "هل تريدين مقعدًا يا أمى؟".

قالت إيسى وهى تشير بالرفض إلى ابنها كارتر: "كلا يا عزيزى، أنا على ما يرام".

قالت كارلى: "يمكنك السير حتى سور الشرفة يا جدتى، سأمسك يدك طوال الوقت، المكان هنا مثل الحديقة".

اتسعت ابتسامة إيسى وهى تجتاز المسافة القصيرة حتى السور، ثم قالت: "نعم، هذا جيد".

قالت كارلى: "سترين أفضل من هنا، ها هو موكب تالٍ قادم من الفرقة الموسيقية! أليس رائعًا يا جدتى؟ انظرى إلى أىِّ مدى يرفعون أقدامهم وهم يمشون".

تأملت فيبى كم تحاول ابنتها تهدئة الجدة وتمسكها بيدها الصغيرة بقوة لتساندها، وها هو كارتر يسير إلى جوار الأم من الناحية الأخرى ويضع يده على ظهرها وهو يشير إلى زحام الموكب.

فهمت فيبى ما رأته أمها عندما نظرت إلى كارتر؛ فهى أم وتفهم بالضبط هذا الحب المذهل. لكن هذا الحب متضاعف بالنسبة لها

كما فكرت فيبى؛ فالأم تنظر إلى كارتر وشعره البنى الكثيف وعيونه البنية الدافئة، وشكل ذقنه وأنفه وفمه، وتتذكر زوجها الذى فقدته عندما مات شابًا، وكل ما مات معه من آمال وأحلام، وكل ما كان سيحدث لو عاش.

دفعت إيفا عربة الطعام عبر مدخل الشرفة وقالت بحماس: "عصير ليمون طازج! وبه الكثير من النعناع لإضفاء اللون الأخضر المناسب للاحتفال".

قالت فيبى: "إيفا، لم يكن عليك تكبد كل هذا العناء".

"ضحكت إيفا ودفعت خصلات شعرها الناعم المتناثر الأصفر للخلف قبل أن تقول: "لا شك أنى تعبت بالفعل". كانت إيفا فيسترى دوفر فى الثالثة والأربعين من العمر، وظلت أجمل النساء من أقارب فيبى وأكثرهم لطفًا وطيبة.

عندما رفعت إيفا الإبريق، أسرعت فيبى نحوها وقالت: "كلا، سأصب العصير وأقدمه بنفسى، اذهبى وشاهدى الموكب قليلاً"، ثم أضافت بهدوء: "ستشعر أمى بتحسن عندما تقفين بجوارها".

أومأت لها إيفا وسارت للأمام ولمست كتف إيسى، ثم وقفت بجوارها فى الجهة المقابلة لكارلى.

فكرت فيبى فى أن هذه هى عائلتها الصغيرة. وصحيح أن ابن إيفا فى نيويورك ليدرس فى الجامعة، وزوجة كارتر الجميلة فى العمل، لكن هذا هو أساس عائلتها المتين، الجذور الأصلية، وهى على يقين من أنها ستفقد جذورها بدونهم وتطير فى مهب الريح كذرة من التراب.

صبت العصير ومررت الأكواب للجميع ثم وقفت بجوار كارتر وأمالت برأسها على كتفه وقالت: "يؤسفنى أن زوجتك جوزى لم تتمكن من الحضور إلى هنا".

"وأنا أيضًا، لكنها قالت إنها ستحضر على العشاء إن تمكنت من ذلك".

كانت تعتقد دومًا أن أخاها مازال كالطفل الصغير حتى بعد زواجه. قالت له: "يجب أن تبيتا الليلة هنا، وتتجنبا الزحام المرورى وقت الإجازة وجنون الاحتفال".

"نحن نحب جنون الاحتفال، لكنى سأرى هل تفضل زوجتى المبيت أم لا. هل تتذكرين أول مرة وقفنا هنا وشاهدنا الموكب أول ربيع بعد وفاة روبين".

"أتذكر ذلك".

"كان كل شىء مبهراً ومبهجاً ومدوياً وأحمق، كان الجميع سعداء، وحتى ابنة عمنا بيسى ابتسمت مرة أو مرتين".

فكرت فيبى أن هذا ربما لدواعى العسر الهضمى، وفكرت فى هذا بمرارة دامت طويلاً.

قالت: "شعرت حقًا بأن كل شىء قد يصبح على ما يرام وأن الموت لن يأتى إلينا ويسلبنا الحياة أثناء نومنا. لم يفعل ذلك فى العيد ولا فى العام الأول، ولا فى عيد ميلادى. لكن مجرد الوقوف هنا كل هذه السنوات، جعلنى أفكر فى أن كل شىء سيكون على ما يرام رغم كل شىء".

"وقد كان".

أمسكت يد أخيها ليشعرا بالترابط بينهما هنا على سور الشرفة.

٢

بعد أن استحم دانكان، جلس على مائدة المطبخ وانحنى متفحصاً الحاسوب النقال ومعه كوب من القهوة. قرر أن يتناول كوباً من العصير ويقضى بعض الوقت مع زبائنه المستديمين فى حانة"سلام دانك"قبل الذهاب للحاق بالعرض الموسيقى فى حانة"سويفتى"الأيرلندية الطراز، وهناك قد يتناول كوباً آخر أو كوبين من الشراب.

لقد تعلم أنه مادام يمتلك حانات، فلابد أن يظل منتبهاً ولا يفرط فى الشراب أبداً، لكنه قد يتناسى قليلاً هذه القاعدة المهمة فى حياته فى أحد الأعياد أو ليلة العام الجديد. لكنه كان يعلم كيف يقضى ليله طويلة بكوبين فقط من الشراب.

لم تكن الرغبة فى الاحتفال هي فقط ما تجعله يحتسى الكثير

من الشراب، بل الراحة التامة أيضاً بنجاة جو، فهو ليس مجرد بقعة على قارعة الطريق خارج الحانة.

سيشرب نخب نجاة جو.

كان من الأفضل بالنسبة له أن يصاب بصداع الإفراط فى تناول الشراب لسبب جيد أفضل من الصداع الناتج عن احتساء كم كبير نتيجة خبر سيئ. اعترف دانكان بشعوره بأنه ليس على ما يرام وفى حالة سيئة، بينما دوى الموسيقى الخاصة بالاحتفال من نفير وطبل يكاد يحطم رأسه، لكنه كان يعلم أنه شعور مؤقت سرعان ما يزول.

كل ما كان يحتاج إليه هو الخروج من المنزل، والتمشية قليلاً أو القيلولة على الفراش المعلق، ثم يفكر لاحقاً ما الذى سيفعله بعد ذلك. وكان التفكير فى الخطوة التالية هو كل ما كان يفعله طيلة الأعوام السبعة أعوام الماضية، وبدا أنه كان يحب ذلك.

ظل ينظر عابساً إلى الحاسوب النقال للحظة أخرى ثم هز رأسه. لقد فكر أنه إذا حاول أن يعمل الآن أو حتى يتظاهر بالعمل، فربما ينفجر رأسه.

بدلاً من ذلك، حمل قهوته للشرفة الخلفية، وكان الحمام يغرد، ويهز رأسه ويلتقط الحبوب من الأرضية أسفل إناء الطعام. فكر دانكان أن الحمام سمين وكسول ولا يكترث للطيران حتى إناء الطعام، ويكتفى بتناول الحبوب المتساقطة منه.

الكثير من الناس يفعلون هذا.

كانت حدائقه مزدهرة وكان يجب أن يبذل جهده لرعايتها بأعمال البستنة، وكان يفكر فى السير عبر الحدائق الآن ويمشى فى الطريق المتعرج تحت أشجار البلوط والشبكات السميكة العنكبوتية من الطحالب حتى حوض السفن؛ ربما سيقضى وقته فى ركوب القارب الشراعى عبر النهر.

يا له من صباح جميل مناسب لمثل هذا النشاط، إذا انتبه له جيداً. إنه صباح رائق وهادئ ولامع وبه نسمات مدهشة ومنعشة، ويجعلك تريد أن تغتنم الفرصة فى تلك الأيام الصيفية البديعة.

أو ربما يكتفى بالذهاب والجلوس على حوض، ويرى الأمواج

ويراقب انعكاس أشعه الشمس عليها. هل يأخذ كوب القهوة ويجلس فقط ولا يفعل شيئاً فى هذا الجو الربيعى البديع هذا الصباح؟ إنه جو بديع للغاية.

لكن ماذا سيفعل جو فى هذا الصباح الرائع، يجلس فى زنزانة؟ حجرة مبطنة؟ ما الذى ستفعله ذات شعر الأحمر؟

لم تكن هناك فائدة من أن يتظاهر بأنه يوم عادى فى حياته، بينما لم يستطع إخراج أحداث الأمس من رأسه. لم يكن هناك داع أو جدوى من التفكير فى أنه يريد الجلوس على رصيف القوارب ليهدئ من صداعه، والتظاهر بأن كل شىء رائع وبديع وعلى ما يرام.

وبالتالى، عاد أدراجه لحجرة نومه وبحث عن بنطال جينز نظيف وقميص لا تبدو عليه آثار أنه نام وهو يرتديه، ثم أخرج محفظته ومفاتيحه وغيرها من محتويات جيوبه من البنطال الذى نام وهو يرتديه بعد أن سار متثاقلاً وهو ثمل نحو الفراش.

كان ذكياً على الأقل بما يكفى ليستقل تاكسياً وذكر نفسه بهذا وهو يمرر أصابعه عبر شعره البنى الأشعث.

ربما يجب أن يرتدى بدلة. أيجب أن يرتدى بدلة حقاً؟

اللعنة.

قرر أن البدلة ستكون نوعاً من التظاهر والفخر عند ارتدائها لزيارة موظف سابق لديه كما فى موقف جو الحالى. كما أنه لا يرغب فى ارتداء البدلة اللعينة.

لكن على أية حال، قد تحب ذات الشعر الأحمر البدل، وبما أنه ينوى بكل عزمه أن يتعقبها ويسعى وراءها، فقد تفيده البدلة عندما يرتديها ليجذب انتباهها.

اللعنة.

هم بالخروج وهبط السلم المنحنى الرئيسى بخطى سريعة ثم عبر الرخام الأبيض اللامع المصقول فى ردهة المنزل الكبيرة. عندما فتح إحدى ضفتى الباب المزدوج الكبير، رأى سيارة جاكوار حمراء صغيرة تقف عند آخر الطريق الخاص بمنزله.

كان الرجل الذى خرج منها يرتدى بدلة، وبالتأكيد كانت

إيطالية مثل حذائه. كان فينياس تى. هيكتور، يبدو فى قمة الأناقة حتى بعد المصارعة فى الطين وسط العاصفة.

وضع دانكان يديه فى جيوبه الأمامية وشاهد فين وهو يسير على مهل، لم يبد أنه متعجل أبداً لأى أمر، كما فكر دانكان، لكن كان عقله يعمل بسرعة شديدة دوماً.

كان دانكان يرى أن مظهره مناسب جداً لعمله كمحام، وليس محامياً عادياً وإنما من أولئك الذين يتقاضون أجوراً عالية، وهذه كانت الحقيقة بالفعل. عندما تقابلا لأول مرة هل مرت ١٠ سنوات على هذا؟ كان فين بالكاد يجد أجرة التاكسى الذى كان يستقله للمحكمة، ولم يكن معه ثمن بدلة باهظة كهذه.

الآن يرتدى البدلة وكأنه ولد ثرياً ومعتادًا على ذلك، وكان اللون الرمادى الفاتح اختياراً موفقاً لجلده الأسمر، وجسمه الرياضى. لمعت أشعة الشمس على نظارته الشمسية عندما توقف أسفل درجات السلم البيضاء ليتفرس فى وجه دانكان.

"تبدو متعباً قليلاً يا صديقى".

"بالتأكيد".

"من السهل تخمين ذلك بعد كمية الشراب الذى احتسيته بالأمس".

"كنت على ما يرام بالأمس، وماذا تفعل أنت هنا؟".

"نحن على موعد معاً".

"أنحن على موعد حقاً؟".

هز فين رأسه وهو يصعد السلم وقال: "كان يجب أن أعرف أنك ستنسى، كنت منهمكاً فى احتساء الشراب والغناء الصاخب".

"يا إلهى! لم أنهمك فى الغناء الصاخب".

"لا يمكنك التأكد من هذا، وكل غنائك الصاخب كان من الألحان الأيرلندية التى تبدو متشابهة لى. هل كنت تنوى الخروج؟".

"كنت أنوى الخروج فعلاً، لكن يجدر بنا الدخول الآن".

جلس فين على الدرابزين الأبيض الطويل ووضع ذراعيه خلفه وقال: "بل الأفضل أن نظل بالخارج. أمازلت تفكر فى بيع هذا المنزل؟".

نظر دانكان حوله: حدائق، أشجار، مناطق منخفضة ظليلة، وحشائش خضراء ثم قال: "لا أعلم، ربما". لم يتمكن أبداً من تحديد شعوره تجاه المكان من يوم لآخر، ثم تابع: "ربما أبيعه فى النهاية".

"بالتأكيد مكان رائع، لكن بعيد عن الصخب".

"نلت كفايتى من الضجيج، هل طلبت منك الحضور إلى هنا يا فين؟ أنا أشعر بالدوار والحيرة".

"سألتنى ما إذا كنت أوافق على الدفاع عن جو فى قضية الشروع فى الانتحار هذا الصباح. وبعد أن وافقتُ، عانقتنى وقبلتنى".

"هل تريد أن تعرف ما حل بـ"جو"؟".

هز دانكان المفاتيح فى جيبه وقال: "كنت على وشك قيادة سيارتى نحو المدينة لأزوره".

"يمكننى أن أوفر عليك الذهاب إلى هناك؛ فحاله أفضل مما كنت أتوقع مقارنة بمنظره البائس الذى رأيته بالأمس".

"هل كانت زوجته...؟".

قاطعه فين وقال: "كانت هناك وكانت متضايقة جداً، لكنها كانت حاضرة. تعرض جو لحروق شمس بشعة ويتعالج منها، وطلبت كمحامى عنه أن يزوره طبيب نفسى من جانب المحكمة، وبما أنك لن توجه له أى اتهام، فلن يقضى وقتاً طويلاً فى السجن، وسيحصل على المساعدة، وهذا ما تريده".

"نعم". إذن لماذا يشعر بالذنب؟".

"إن وظفته عندك مرة أخرى يا دانك سأركلك".

ابتسم له دانكان ببطء من أحد جانبى فمه، وقال: "لا يمكنك ركلى. أنت لا تقاوم بالقدر الكافى أيها الفتى الأسمر".

"سأقوم باستثناء، وسأساعده وستعود له زوجته، أو ربما لا تعود، لكنك بالفعل بذلت كل ما فى وسعك، ووكلت له أفضل محام فى سافانا".

همس دانكان: "يجدر بك أن تكون أفضل محامى؛ فأتعابك باهظة".

ابتسم فين ابتسامه واسعة وقال: "ألق اللوم على نفسك فى

ذلك، حسناً سأعود وأحصّل أتعابى من زبائن آخرين".

"ماذا عن ذات الشعر الأحمر؟".

قال: "من تقصد؟"ثم طرق على نظارته الشمسية وعبس نحو دانكان من فوقها ثم استطرد: "كانت هناك شقراوان وسمراء فاتنة يحاولن الوصول إليك وجذب انتباهك ليلة أمس، لكنك كنت مشغولاً ولم تتابع محاولتهن معك".

"كلا ليس ليلة أمس، بل ذات الشعر الأحمر الملازم فيبى ماكنامارا. يا إلهى..". بعد أن تنهد تنهيدة طويلة مبالغًا فيها، دق دانكان على قلبه بيده وتابع: "إن مجرد ذكر اسمها يجعلنى أشعر بالإثارة، ولذلك سأكرره، الملازم فيبى ماكنامارا".

نظر فين للسقف الأبيض للشرفة المغطاة وقال: "أنت قضية محيرة يا سويفت لا يعلم حقيقتها إلا الله، ماذا تريد من هذه الشرطية؟"

"أشياء كثيرة. عيونها خضراء، وجسدها ذو قوام ممشوق، وذهبت إلى السطح للرجل الجالس على حافة السور ومعه مسدس، ولم تكن قابلته أبدًا، ومع ذلك تعاملت معه جيداً".

"وأنت تجد ذلك أمراً جذاباً ومثيراً؟".

"أجده مدهشاً ومثيراً للغاية. لقد قابلتها، أليس كذلك؟ ما رأيك فيها؟".

"أجدها نشيطة وعملية وخبيرة وذات أخلاق عالية، ومثيرة جداً".

"صورتها لا تفارق خيالى منذ أن رأيتها، أعتقد أننى يجب أن أراها، وأحاول معرفة سبب ذلك. أريدك أن توصلنى حتى سيارتى على أية حال".

بعد جلسة تدريبية دامت ساعتين جلست فيبى على مكتبها، وكان شعرها مجدولاً للخلف على رقبتها، حتى لا يضايقها، علاوة على ذلك، فكرت وتمنت أن تعطيها تسريحة شعرها شكلاً جدياً إلى حد ما؛ فقد كان الكثير من أفراد الشرطة الذين تشرف على تدريبهم

وخاصة الذكور منهم لا يتعاملون معها كامرأة بجدية.

لكنهم بلا استثناء كانوا يتعاملون معها بكل جدية واحترام فى النهاية؛ لأن غير المقتنعين بها يرحلون. ربما كانت لها حظوة لدى ديف جعلته يمهد لها الطريق فى قسم الشرطة، لكنها فتحت الباب بقوة على مصراعيه وحصلت بجهد وتعب وعمل على وظيفتها ورتبتها.

والآن بسبب العمل والرتبة، لديها كومة من أوراق العمل لتنتهى منها، وستقضى عصر هذا اليوم فى المحكمة لتشهد على ظروف وملابسات النزاع العائلى الذى أدى لموقف احتجاز رهائن.

بعد ذلك تحتاج للعودة وإنهاء أكبر كم ممكن من الأوراق وبعدها ستذهب للتسوق.

وبعد أن تستقر فى المنزل، تحتاج للاستذكار فى الكتب لتحضير ما سوف تلقيه فى محاضراتها عن التفاوض وقت الأزمات.

تحتاج وسط جدول أعمالها المزدحم إلى أن تخصص وقتاً بأى طريقة لتوازن حسابها فى البنك لقد سحبت كثيرًا من رصيدها منذ فترة طويلة وهل يمكنها شراء سيارة جديدة بدون أن تضطر لسرقة البنك.

فتحت الملف الأول وجلست للتعامل مع الأوراق فى ركنها بقسم مدينة سافانا.

"أيتها الملازم؟"

"نعم". علمت أنه صوت سايكس بدون أن تنظر، فهو أحد مفاوضى وحدتها.

"هناك رجل يريد مقابلتك اسمه دانكان سويفت".

"من؟"نظرت هذه المرة لأعلى وعبس وجهها، وطلت من نافذة مكتبها لترى دانكان يفحص حجرة فريق الشرطة وكأنها من كوكب آخر غريب.

فكرت فى أعباء عملها، وضيق الوقت، وكادت تصرفه ولا توافق على مقابلته، لكن عينيه التقتا بعينيها وابتسم.

قامت من مكتبها وسارت نحو باب المكتب وقالت: "حسناً. السيد سويفت".

فكرت فى أن لديه ابتسامه ساحرة وفعالة وتبدو سهلة وجاهزة دوماً للظهور ويستخدمها كثيراً. وكانت عيناه زرقاوين بلون سماوى وجذابتين وتحدقان فيها مباشرة. من واقع خبرتها، تعلم أن الكثيرين لا يرتاحون للنظرة المباشرة فى العين، لكن هذا الرجل لا يجعلها تعرف فحسب أنه ينظر إليها، بل يفكر فيها أيضاً أثناء النظر إليها.

عندما وصل إليها قال: "تبدين مشغولة، هل تريدين منى العودة لاحقاً عندما لا تكونين مشغولة؟".

"إن كان ما جئت من أجله يمكن أن ينتظر عقدًا من الزمن، فلا بأس".

"كلا بالتأكيد".

"إذن تفضل بالدخول".

"رائع، الأمر يشبه ما نراه فى التلفاز، لكن ليس بالضبط. ألا ينتابك شعور غريب عندما تجلسين هنا كل يوم والجميع يرى ما تفعلينه طوال اليوم؟".

"إن كان ذلك يضايقنى، يمكننى أن أغلق النافذة".

وضع إصبعى الإبهام فى جيبيه الأماميين لبنطاله الجينز البالى، ولاحظت بالنظر إلى بنطاله أن ساقيه طويلتان.

"أراهن أنك بالكاد تفعلين ذلك".

"تحدثت مع المحامى الذى أحضرته لترافع عن جو، ويبدو أنه كفء".

"ثم... أردت السؤال هل يمكننى زيارة جو الانتحارى.....".

"أرجو المعذرة، هل قلت جو الانتحارى؟".

"آسف، كنا نطلق عليه هذا الاسم البارحه وعلق فى ذهنى، هل يمكننى زيارته أم من الأفضل لمصلحته ألا يرانى؟".

"ما الذى تريد أن تقوم به؟".

"لا أعلم، بخلاف صداقتنا، أحداث الأمس مازالت عالقة فى ذهنى حتى الآن".

"الأهم من ذلك، ما الذى يعلق فى ذهنه هو".

"نعم، نعم، لكنى رأيت كابوساً".

"حقاً؟".

"حلمت أنني جالس على حافة سور السطح بملابسي الداخلية".

"أكنت ترتدي بنطالاً قصيرًا أم سروالاً؟".

جعله السؤال يضحك، وقال: "بنطالاً قصيرًا، على أية حال، كنت جالساً على حافة السور وأنت جالسة بجواري".

"هل تشعر بالميل للانتحار؟".

"أبداً، كلا البتة".

"هذا يسمى"حالة نقل"، فأنت تضع نفسك في مكان جو، بعد الصدمة لك وله، حتى بعد انتهاء الأمر على خير".

"هل حدثت لك صدمة لم تنته على خير؟".

"نعم".

أومأ لها متفهماً ولم يطلب معرفة التفاصيل.

"وماذا تسمى حقيقة أنك عالقة في ذهني حتى الآن؟ نوعًا من التمني؟".

"هذا يعتمد على ما تتمناه".

"بحثت عن معلومات عنك في محرك البحث جوجل عبر الإنترنت".

تراجعت للوراء في جلستها ورفعت حاجبيها.

قال: "ظننت أن هذا حل سريع ليشبع فضولي، لكن أحياناً يحب المرء أن يسلك الطريق الأطول والأصعب، ويستعلم عن شخص ما من المصدر، وربما معرفة ما يحب أن يأكله ويشربه، وإن كنت تتساءلين، نعم أنا مهتم بالتعرف بك".

"أنا مدربة على الملاحظة، ولا أحتاج للتساؤل عندما أعرف، وأنا أقدر صراحتك واهتمامك لكن...".

"لا تقولي كلمة"لكن"، ليس في بداية الأمر على الفور"، ثم انحنى ومال نحوها والتقط دبوس شعر ربما وقع من شعرها سابقاً وأعطاه لها.

ثم قال: "اعتبري الأمر خدمة عامة، وأنا ممثل العامة. لماذا لا أدعوك للغداء ونتبادل رواية قصص حياتنا. حددي المكان والزمان،

نحن لا نحب ما نسمعه، ما الضرر فى ذلك"؟.

وضعت دبوس الشعر فى إناء دبابيس الورق وقالت: "أنت الآن تتفاوض".

"أنا ماهر جداً فى التفاوض. يمكننى فقط إحضار مشروب لك، وكم سيستغرق تناولنا للشراب معاً ثلاثين دقيقة؟ البعض يحتاج لوقت أطول لشراء حذاء. سنقضى معًا نصف ساعة بعد انتهائك من العمل، أو فى وقت الراحة، مهما تطلقين عليه".

"لا يمكننى الليلة، لدىَّ خطط أخرى".

"أليست لديك أية ليلة فى المستقبل القريب بلا خطط؟".

قالت: "بل هناك الكثير"ثم تأرجحت بلطف للأمام وللخلف على مقعدها وهى تتفرس وجهه. قالت لنفسها لماذا هو بهذه الوسامة والإغراء؟ ليس لديها الوقت حقاً لهذا! ثم أردفت: "ليلة الغد من التاسعة إلى التاسعة والنصف فى حانتك".

"رائع، أيهما؟".

"عذرًا؟".

"لا داعى لحانة"دانك"فهى ستبدو غريبة بعد أحداث البارحة، ومليئة بالرجال المزعجين الصاخبين ممن يتحدثون بصوت عال عن الرياضة. ماذا عن حانتى الأخرى"سويفتير"؟".

"هل أنت صاحب حانة سويفتير أيضاً؟".

"نعم، هل ذهبت إليها من قبل؟".

"مرة واحدة".

اقترب حاجباه وقال: "ألم ترق لك؟".

"بل أعجبتنى، لكن لم يعجبنى رفيقى".

"إن أردت اختيار مكان آخر...".

"بل سويفتير مناسبة لى، الموعد فى تمام الساعة التاسعة وستشرح لى فى جزء من الثلاثين دقيقة كيف تملك حانتين وبناية".

ابتسم بنفس الطريقة مرة أخرى عندما قامت لتشير إلى أن وقته قد انتهى.

قال لها: "لا تغيرى رأيك".

"نادراً ما أفعل ذلك".

"من الجيد معرفة ذلك، أراك غداً يا فيبى".

عندما رأته يرحل قالت لنفسها إنها أخطأت، أخطأت غالباً عندما سمحت لنفسها بموعد مع رجل طويل وساحر ومثير له عينان زرقاوان جذابتان، وخاصة أنه عندما يبتسم لها يجعلها مضطربة داخلياً.

لكن على أية حال، إنها مجرد نصف ساعة لاحتساء الشراب فقط.

ولكم تمنت منذ فترة طويلة أن تلتقى ولو لنصف ساعة مع الرجل المناسب.

دخلت فيبى منزلها بخطى متثاقلة بعد السابعة مساء ومعها حقيبة المشتريات من البقالة، وكانت معها حقيبة أوراق ممتلئة عن آخرها، وكانت حادة المزاج وعصبية إلى حد كبير؛ فالسيارة التى كانت ترفض تمامًا استبدالها بأخرى تعطلت وتوقفت عن السير على مسافة مبنى من محطة البنزين.

سيبتلع قطر السيارة جزءًا كبيرًا من الميزانية الشهرية الخاصة بها، وثمن إصلاحها قد يجعلها تفكر فى سرقة بنك عن اقتناع ويجعل الفكرة معقولة.

تركت الحقيبة بمجرد دخولها من الباب؛ ثم وقفت تتأمل المدخل الأنيق فى الرهبة. هذا المنزل، رغم جماله وبهائه وأبهته، لا يكلفها شيئاً،"وشيئاً"كلمة نسبية. كانت تعلم أنه حتى إن كان من الممكن الانتقال لمنزل آخر، فلن تتحمل نفقات ذلك على أية حال. كان متناقضًا أن تعيش فى منزل كبير كالقصر ولا تعرف كيف تدبر أمورها المادية لتصلح سيارة فورد عمرها ثمانى سنوات.

كان منزلها يزدحم بالأنتيكات والتحف والأعمال الفنية وأعمال النحت من الكريستال والفضة، وكان كل ما حولها جميلاً وأنيقًا ولم تكن لتبيع أى شىء من مقتنياتها أو حتى تتاجر فيه أو ترهنه. شىء غريب أن تعيش فى منزل فخم كهذا بشهادة الجميع، ثم

تصاب بصداع وتوتر رهيب إزاء مسألة سيارة لعينة.

أسندت ظهرها إلى الباب، وأغمضت عينيها لفترة تكفى لأن تذكر نفسها بأنها يجب أن تكون ممتنة للظروف، فعلى الأقل هناك سقف يؤويها هى وأسرتها، وهو ملكهم للأبد.

انتصبت قامتها وكتمت قلقها وتوترها بعمق يكفى بحيث لا يظهر على وجهها، ثم حملت حقيبة البقالة عبر المنزل إلى المطبخ.

كان الجميع فى المطبخ، وكانت تعتبر كل النساء هنا بمثابة بناتها. كانت كارلى على مائدة المطبخ وهى تخرج لسانها وهى منهمكة فى أداء فروض المدرسة، بينما الأم وإيفا عند الموقد تضعان اللمسات الأخيرة على طعام العشاء. كانت فيبى تعلم القاعدة المؤكدة بأنه لا يمكن أن تتشارك امرأتان فى مطبخ واحد، لكن هاتين السيدتين كانتا تتعاملان بشكل ممتاز مع هذا الأمر.

كانت كل أرجاء المطبخ مفعمة بروائح الأعشاب والتوابل والخضراوات والنساء.

"قلت لكن جميعاً ألا تؤخرن العشاء علىّ".

وما إن دخلت فيبى للمطبخ حتى استدارت نحوها ثلاثة رءوس.

هتفت كارلى قائلة: "أمى! لقد كدت أنتهى من فروض التهجئة".

وضعت الحقيبة على المائدة، ثم سارت نحو كارلى وقبلتها قبلة كبيرة قبل أن تقول: "هذه ابنتى التى أفخر بها. أراهن أنك جائعة".

"أردنا أن ننتظر مجيئك".

اقتربت إيسى وأمسكت بذراع فيبى وقالت: "بالطبع كنا فى انتظارك، هل أنت بخير يا صغيرتى؟ لابد أنك متعبة جداً، بعد تعطل السيارة إلى هذا الحد".

لكم أردت إطلاق الرصاص على هذه السيارة، لكنى الآن تغلبت على مشاعرى السلبية نحوها".

"كيف وصلت للمنزل إذن؟".

"استقللت الحافلة، وهذا ما سأفعله حتى إصلاح السيارة".

قالت إيفا: "يمكنك قيادة سيارتى". لكن فيبى هزت رأسها بالنفى وقالت:

"سيكون من الأفضل أن تكون هناك سيارة متاحة بالمنزل، لا تقلقى بشأنى. ماذا أعددتم للعشاء؟ أنا أتضور جوعاً".

أشارت لها إيسى بالانصراف قائلة: "اذهبى للاغتسال، ثم اجلسى معنا على المائدة مباشرة. كل شىء معد، هيا اذهبى للاغتسال الآن".

"لن أمانع فى ذلك". ثم غمزت بعينيها نحو كارلى قبل الذهاب إلى الحمام عبر الردهة.

ذكرت نفسها بأن هناك المزيد من الأمور التى يجب أن تشعر بالامتنان إزاءها؛ حيث هناك عشرات المهام والأعباء المنزلية التى لا تضطر للقيام بها بسبب وجود أمها وإيفا، اللتين يحملان نيابة عنها مئات المهام، وبالتالى لن تتضايق أكثر مما ينبغى بشأن شىء مزعج مثل المواصلات.

تفحصت وجهها فى المرآة وهى تجفف يدها واعترفت بأنها يبدو عليها التعب والتوتر، وغالباً ستعانى من تجاعيد الوجه فى الصباح، والتى لم تكن موجودة بالأمس، إن لم تسترخ قليلاً.

لكنها عاجلاً أو آجلاً ستصاب بالتجاعيد، وخاصة أنها فى سن الثالثة والثلاثين، وتلك إحدى حقائق الحياة.

شعرت بالاسترخاء بعد الشراب والطعام اللذيذ الذى أعده غيرها، وبالإضاءة الخافتة والموسيقى الصادرة عن أصوات نسائية.

استمعت إلى كارلى وهى تتحدث عن يومها فى المدرسة، وإلى والدتها وهى تتحدث عن الكتاب الذى تقرؤه.

"أنت هادئة أكثر من اللازم يا فيبى، هل أنت منهكة القوى؟".

قالت لإيفا: "قليلاً، لكنى لا أكاد أفعل شيئًا سوى الإنصات لكم".

"لأننا لا نصمت ولو لبرهة قصيرة، أخبرينا عن أى شىء جيد حدث لك أثناء يومك".

إنها لعبة قديمة كانت أمها تلعبها معها منذ نعومة أظافرها. فكلما حدث شىء مزعج أو حزين أو صعب، كانت إيسى تطلب منهم أن يخبروها بشىء جيد.

"حسناً، دعونى أر، كانت جلسة التدريب جيدة".

"هذا لا يحتسب".

"إذن الإدلاء بشهادتى فى المحكمة عصر هذا اليوم لا يحتسب أيضاً".

ذكرتها إيسى قائلة: "بل القاعدة أن تطلعينا على شىء جيد حدث لك اليوم".

قالت فيبى لترسم ابتسامة عريضة على وجه كارلى: "حسناً، إنها ملتزمة جدًا بالقواعد"، ثم أضافت: "لا أعلم هل هذا شىء جيد أم لا، لكنه شىء مختلف، جاء إلى مكتبى رجل وسيم".

قالت إيفا: "سنحسب هذا إن كان قد دعاك إلى موعد على العشاء..."، ثم حدقت فى تعابير وجه فيبى ثم قبل أن تتابع: "هل واعدك؟".

"نعم، ولا تقوليها وكأنك اكتشفت شيئاً غريباً".

"إنه أمر نادر الحدوث لك؟ من هو...".

"لم يكن موعدًا غراميًا. ليس هكذا بالفعل. هل تذكرون حادث محاولة الانتحار الذى قصصته عليكم بالأمس؟ كان هذا هو الرجل الذى يعمل عنده، ويريد تناول الشراب معى".

قالت كارلى لتذكرها: "إيفا قالت إنه يجب أن يكون عشاء حتى نعده حدثاً سعيداً".

"لقد ذكر أمر العشاء لكنى تفاوضت معه وأقنعته بأن يكتفى بتناول الشراب لمدة نصف ساعة غداً". ثم طرقت بإصبعها على أنف كارلى وقالت: "بعد موعد نومك".

قالت إيفا: "هل هو وسيم؟".

كان للصحبة والشراب مفعول السحر على فيبى؛ إذ جعلاها تسترخى وتتحدث، وتبتسم وهى تقول: "إنه وسيم حقاً، لكنى سأقابله ونتناول شراباً واحداً ثم ينتهى الأمر تماماً".

"المواعدة ليست مرضاً مهلكاً".

تناولت فيبى قطعة دجاج بالشوكة ونظرت لوالدتها، ثم قالت: "هل أنصت لمن يتحدث ومن لا يتحدث يا أمى؟"

"كنت أفكر فى مدى روعة أن يدخل رجل ما حياتك ويدعوك على العشاء، وتذهبا للسينما وتتمشيا معاً". ثم وضعت يدها على

يد فيبى وأردفت قائلة: "لا يدخل رجل هذا المنزل إلا فى وجود كارتر، ماذا يعمل هذا الرجل الوسيم؟".

تناولت المزيد من الشراب وقالت: "لست متأكدة تماماً، سأعرف غداً".

كانت فيبى - مادامت متواجدة فى المنزل - تحب أن تضع ابنتها كارلى فى الفراش بنفسها. كارلى صارت فى السابعة من العمر، أو أكبر بقليل، وكانت فيبى تعرف أن مرحلة أن تضعها بنفسها فى الفراش لن تدوم طويلاً، فحرصت على أدائها كطقس جميل سيختفى بعد حين".

انحنت لتقبل كارلى فى طرف أنفها قبل أن تقول: "لقد مر وقت نومك يا عزيزتى".

"لم يمر عليه سوى القليل من الوقت. هل يمكننى السهر حتى أى وقت يعجبنى ليلة الجمعة؟".

حركت فيبى يدها فى خصلات شعر كارلى ثم قالت: "همم، يمكننا ترتيب ذلك لاحقاً، بعد معرفة نتيجة اختبار التهجئة".

لمعت عينا كارلى من الفكرة واعتدلت فى جلستها وقالت: "إن حصلت على مائة درجة، هل سنؤجر مشغل دى فى دى ونحضر فيشارًا ونسهر كما نحب؟".

قالت بحزم ولكن بلطف: "هذه مكافأة كبيرة"، ثم وضعت فيبى يدها على جبهة كارلى لتدفعها برفق حتى تستلقى وتنام، وأردفت: "لديك أيضاً اختبار الرياضيات، أليس كذلك؟".

نظرت كارلى نحو ملاءات الفراش وعليها صور للدمية"باربى"وقالت: "ربما هى مادة أصعب من التهجئة".

"كنت أظن ذلك وأنا طفلة أيضاً، ولكن إن كان أداؤك جيدًا فى كلا الاختبارين، فسأوافق على الفيلم والفيشار والسهر. نامى الآن حتى يستعد مخك للمذاكرة غداً".

عندما أطفأت فيبى المصباح الصغير قالت كارلى: "أمى؟".

"نعم، يا صغيرتى؟".

"هل تفتقدين روى؟".

تساءلت لماذا لم تقل كارلى"أبى"؟، وكان تعليقًا يدعو للشفقة. وجلست فيبى على طرف الفراش ومررت أصابعها على خد كارلى وقالت: "هل تفتقدينه أنت؟".

"أنا التى أوجه لك هذا السؤال؟".

"أنت من يسأل فعلاً"، وكانت الأمانة والصراحة أهم شيء فى علاقتها بابنتها، فقالت: "كلا يا حبيبتى، لا أفتقده".

"جيد".

"كارلى....".

"لا بأس، فأنا لا أفتقده أيضاً، لا بأس فى ذلك، وكنت أتساءل لأن الجدة تحدثت أثناء العشاء عن دخول رجل ما إلى حياتك لتتمشى معه، وأمور أخرى من هذا القبيل".

"يمكننى أن أتمشى معك".

حركت كارلى فمها الجميل وقالت: "لنتمشى يوم السبت القادم لفترة طويلة حتى شارع ريفر".

فهمت فيبى الخطة وقالت وهى تضيق عينيها: "لن نذهب للتسوق".

"النظر إلى نوافذ المحلات ليس تسوقاً، سنتأمل المعروضات ولن نبتاع أى شيء".

"هذا ما تقولينه دوماً، كما أن شارع ريفر سيمتلئ بالسائحين يوم السبت".

"إذن نذهب إلى المركز التجارى".

"أنت فتاة مشاغبة، لكنك لن تفوزى هذه المرة، لن نتسوق فى عطلة نهاية الأسبوع، ولن تتحدثى مع جدتك لكى تشترى لك شيئاً ما عبر الإنترنت أيضاً".

حركت كارلى عينيها وقالت باستسلام: "حسناً".

ضحكت فيبى واحتضنت ابنتها بحب حضنًا كبيرًا وقالت: "كم أحبك كثيرًا يا صغيرتى".

"وأنا أيضاً أحبك يا أمى. إن حصلت على الدرجات النهائية ثلاث مرات متتالية فى اختبار التهجئة، هل يمكننى...".

"كفى عن المفاوضات الليلة، نامى الآن يا كارلى آن ماكناراما".

وضعت أصبعها على شفتيها وهى تهم بالقيام من الغرفة، وعندما خرجت فتحت الباب قليلاً بحيث يدخل بصيص من الضوء من الصالة عبر الباب الموارب كما تحب طفلتها.

كانت تريد البدء فى عملها، أمامها ساعتان فقط لإتمامه. لكن بدلاً من التوجه لمكتبها فى المنزل، ذهبت لحجرة المعيشة، إلى والدتها.

كانت إيسى تجلس كالعادة كل ليلة فى نفس المكان لتؤدى أعمال الحياكة.

قالت إيسى: "جاءنى طلب لزى حفل استقبال المولود"، ونظرت لابنتها مبتسمة بينما استمرت أناملها فى العمل بالخيوط.

اقتربت فيبى منها وجلست على المقعد الجميل الصغير المغطى بالسجاد اليدوى الذى يشبه المقعد الذى تجلس عليه الأم وقالت: "أنت تؤدين عملاً رائعاً".

"أنا أستمتع به وهو مشبع لى، أعلم أنه لا يجلب الكثير من المال يا فيبى لكن...".

قاطعتها فيبى وقالت: "الأهم هو الإشباع والرضا. ما يبتاعه منك الزبائن يصلح كأعمال فنية تتوارثها الأجيال، وهم محظوظون. لقد سألتنى كارلى يا أمى عن روى".

توقفت يد إيسى الآن وقالت: "حقًا؟ هل هي مستاءة؟".

"كلا البتة، أرادت أن تعرف هل أفتقده أم لا. أخبرتها بالحقيقة، بأننى لا أفتقده، وأتمنى أن أكون قد فعلت الصواب بإخبارها بهذا".

بدا الاهتمام فى عينى إيسى وهى تقول: "إن أردت رأيى، فأرى أنك فعلت الصواب". حظنا سيئ مع الرجال يا عزيزتى، أنا وأنت، أليس كذلك؟".

تراجعت فيبى للخلف وأخذت تجول بنظرها حتى السقف، وحدقت فى الزينة الجميلة المصنوعة من الرخام والجبس للمنزل القديم الفخم، ثم قالت: "أوه، نعم. كنت أفكر فى عدم الذهاب غدًا".

"ولماذا تفعلين هذا؟".

"نحن نحيا حياة سعيدة، أليس كذلك؟ كارلى سعيدة، ولديك عمل تحبينه وكذلك أنا أحب عملى، وإيفا راضية لكنى أتمنى أن تكف هى وديف عن التظاهر بالسعادة؛ كلاهما منفصل الآن، ومع ذلك يتظاهران بأنهما لا ينجذبان لبعضهما البعض. لماذا أفسد نمط حياتى الجميلة باحتساء الشراب فى حانة مع رجل لا أعرفه؟".

"لأنك شابه جميلة، والحياة أمامك طويلة. يجب أن تخرجى من المنزل قليلاً وألا تحبسى نفسك فيه، تبدو هذه النصيحة سخيفة لأنها صادرة منى أنا، لكنها حقيقية". بدأت يداها تعملان مرة أخرى ثم أردفت قائلة: "آخر ما أريده لك حياة مملة ما بين العمل والحبس فى المنزل. أنا آمرك بالخروج ومقابلة الرجل الوسيم والتحدث إليه وتناول الشراب معه".

مالت فيبى برأسها وهى مستمتعة بحديث الأم وقالت: "إذن هذا رأيك وليس فعلك؟".

"بالضبط وهذه ميزة الأم".

"حسناً سأذهب لهذا الموعد". ثم قامت وسارت عبر الباب قبل أن تستدير قائلة:

"أمى، لا تشترى شيئاً لكارلى عبر الإنترنت فى عطلة نهاية الأسبوع".

قالت الأم بنبرة تنم عن خيبة الأمل: "أوه! حسناً".

قالت فيبى مقلدة إياها: "وهذه ميزة الأم"، ثم ذهبت لتؤدى عملها.

٣

اتخذت فيبى مكانها فى مقدمة القاعة، وكان بالقاعة خمسة وعشرون شرطيًا فى هذه الجلسة التدريبية، وكان بعضهم يرتدى الزى الرسمى من رتب مختلفة، وآخرون بالزى المدنى.

كانت تعلم أن عددًا كبيرًا منهم جاء مزعماً على التدريب.

"اليوم سأتحدث لكم عن الدور التكتيكى للمفاوض فى موقف الأزمـات واحتجاز الرهائن. أولاً هل هناك أيـة أسئلة بخصوص جلسة الأمس؟".

رفع أحدهم يده. كتمت فيبى ضيقها الغريزى لأن من رفع يده هو الضابط أرنولد ميكس، شرطى من الجيل الثالث، وكانت فيبى ترى أنه عنيد وعنيف ومتعصب، علاوة على أن لديه سمة سخيفة

وثقيلة هي التعصب للجنس الذكورى.

"الضابط ميكس؟".

"نعم يا سيدتى". ابتسم ابتسامته المألوفة التى توحى بالتهكم والسخرية ثم قال: "لقد أقنعت فى يوم العيد أحد محاولى الانتحار بالعدول عن قراره؟".

"هذا صحيح".

"حسناً يا سيدتى، كنت مهتمًا بالتفاصيل، بما أننا فى جلسة تدريبية معك. يبدو لى أنك خرقت بعض قواعد التفاوض أثناء هذا الحادث. ربما الأمر يختلف معك لأنك متدربة فيدرالية، هل هذه هي حقيقة الأمر؟".

كان تدريبها الفيدرالى المبكر يثير حفيظة بعض أصحاب الرتب هنا، وعليهم الاستسلام والتسليم به كأمر واقع.

قالت فيبى: "ما هي القواعد التى خرقتها أيها الضابط ميكس؟".

"حسناً يا سيدتى...".

"يمكنك أن تنادينى برتبتى كما أناديك برتبتك".

رأت علامات الضيق تظهر على وجهه، لكنه قال: "كان الشخص الذى يحاول الانتحار مسلحًا، لكنك مع ذلك بادرت بالتفاوض معه وجهاً لوجه بدون حماية".

"هذا صحيح، ومن الصواب أيضاً أن المفاوض يجب أن يتجنب، إن أمكن، أية مواجهة مع من يتفاوض معه إذا كان مسلحًا، ولكن قد تتطلب الظروف عكس ذلك، وسنغطى الأمر فى مواقف الكوارث فى محاضرات لعب الأدوار بالنصف الثانى من هذه الدورة التدريبية".

"لماذا...".

"سأشرح لك. فى رأيى أن الحادث فى يوم العيد كان يستدعى المواجهة. وفى الواقع، يتجاوب معظم المقدمين على الانتحار قفزاً من أعلى بشكل كبير مع هذه الطريقة. كما أن المقدم على الانتحار فى هذه الحالة لم يكن لديه سابقة للسلوك العنيف، ولم يستخدم السلاح الذى كان بحوزته. وفى موقف كهذا، أنا كمفاوضة يجب أن أقوم بتقييم مزايا وعيوب المواجهة. فى رأيى أيضًا أنه فى هذه

الحالة كانت المزايا أكثر من المخاطر، وكما غطينا مراعاة ظروف أخرى إزاء المواجهة فى محاضرة ماضية..."

ناداها: "سيدتى"، ثم بادر بالتصحيح: "أعنى أيتها الملازم"، لكنه فعل ذلك مع تردد كاف لتعرف أنه متعمد ليغيظها، ثم أردف قائلاً: "لكن هل من الصحيح أيضاً أنك أعطيت لذلك الشخص شرابًا؟".

قالت فيبى فى نفسها إنه شخص أحمق للغاية، لكنها أومأت له وقالت: "نعم بناءً على طلبه أعطيته شرابًا، وبالطبع إعطاء مثل ذلك الشخص مشروبًا لا يجب تشجيعه كسلوك، لكنه غير ممنوع أيضاً، هذه الحركة يجب أن يقوم بها المفاوض حسب مقتضيات ظروف كل حالة وتقييمه للموقف".

قال آرنى: "قد يسكر ويصبح ثملاً ويسقط من فوق السطح". وتعليقه جعل البعض يضحكون استهجاناً، وأمالت فيبى رأسها حتى صمتت الضحكات ثم قالت:

"عندما تحاول الانتحار قفزاً من فوق السطح أيها الضابط، سأتذكر أنك تسكر من زجاجة شراب، وسأعطيك بدلاً منها زجاجة كوكاكولا".

استدعى تعليقها المزيد من الضحكات الاستهجانية، واحمر وجه آرنى من الغضب، وعندما لاحظت ذلك قاطعتهم فيبى قائلة: "كما ذكرت من قبل عدة مرات، إذا كانت هناك إرشادات للتفاوض، فيجب أن يتحلى المفاوض بالمرونة الكافية ويتمكن من تقييم الوضع والتفكير السريع".

"لكنك موافقة على أن تقديم الشراب مجازفة؟".

"بالتأكيد. كان تقييمى للحالة وقتها أن المجازفة قليلة، فهو لم يطلب شرابًا بالأمر والترهيب؛ بل طلب بأدب أن يحتسى شرابًا بدلاً من الماء، وإعطاؤه الشراب جعله يعدنى بعدم استخدام السلاح معى عندما أحضرت له الشراب، ويسمح لى بالخروج إليه فى السطح لأتحدث معه". أمرت أرنولد بالصمت عندما فتح فمه المبتسم بسخرية ليسأل مرة أخرى، قائلة له: "انتظر لأنتهى من حديثى".

صمتت لبرهة للتأكد من أن نبرة صوتها هادئة، ثم واصلت قائلة: "الهدف الأولى الأساسى دوماً هو الحفاظ على حياة

من تتفاوض معه، وبالتالى أية قاعدة مهما كانت تعتبر ثانوية قياساً إلى هذا. وبالتالى فى هذه الحالة لأن كل حالة تختلف عن الأخرى ـ اخترت المواجهة وأعطيته الشراب؛ لأن هذه الاختيارات ستساعدنى على التفاوض والتحدث معه لأقنعه بالعدول عن قرار الانتحار. طالما أنه على قيد الحياة ولا توجد إصابات، والسلاح الذى بحوزته لم يطلقه بل أعطاه لى بنفسه، فأنا أعتقد فى هذه الحالة أن خياراتى كانت صحيحة".

قال آرنى: "لقد استخدمت أيضاً وسيطًا كطرف ثالث".

ابتسمت فيبى الآن وبدت كفتاة جميلة من الجنوب: "أيها الضابط ميكس، يبدو أن لديك عدة أسئلة ومشكلات إزاء هذا الحادث على وجه الخصوص وتعاملى معه، أتساءل هل كان يرضيك أكثر أن ينتحر ذلك الشخص".

"لكنه كان يجلس على بناية مكونة من أربعة طوابق، وكان سيصاب ببعض الكسور فى عظامه فقط لو قفز، إلا إذا أطلق عليك وعلى نفسه الرصاص قبلها".

"هذه فكرة مثيرة، لكن تكذيب الشخص المقبل على الانتحار أمر خطير، لأنه قد يسبب موته المحقق".

بطريقة عابرة، ثبتت بيدها خصلة شعر هربت من دبابيس رأسها، لكنها جعلت طبقة صوتها كما هي وأردفت قائلة: "أعرف مفاوضًا لديه نفس فكرة، وكان يتفاوض مع منتحر يريد القفز من على بعد اثنى عشر قدمًا من الأرض، ولم يكن مسلحًا. كان الضابط يظن أن الأمر مجرد إزعاج وليس تهديدًا فعليًا وأنه يعوقه عن القيام بأمور مهمة فى وقته الثمين. عندما أظهر رأيه هذا قفز المنتحر برأسه لأسفل وتحطمت جمجمته على الرصيف ومات أيها الضابط ميكس.

"هل يعرف أحد لماذا تحول الأمر المزعج التافه لمأساة؟".

قال أحد الحضور: "أفسد المفاوض الأمر".

قالت فيبى: "هذا صحيح، لقد أفسده بنسيان أول قاعدة أساسية: الحفاظ على الحياة الإنسانية".

ثم واصلت قائلة: "إن كان لديك المزيد من الأسئلة أو التعليقات

عن هذا الحادث فاكتبها لى وأرسلها، لكن الآن لننتقل لموضوع محاضرة اليوم".

"لكنى أريد...".

بدأ الغضب يتملكها فى لحظة نادرة وقالت: "أيها الضابط، أنت مخطىء فيمن له الحق فى إدارة المحاضرة. أنا من يديرها، كما أنك مخطئ فى ترتيب الرتب. أنا أعلى منك رتبة".

"ويبدو لى يا سيدتى أنك لا تريدين النقاش فى قراراتك المثيرة للجدل فى التفاوض وقت الأزمات".

"يبدو لى أيها الطفل أنك لا تقبل كلمة"لا"كإجابة مقنعة من سيدة أعلى منك فى الرتبة، كما أنك متصلب فى تفكيرك، واتجاهك يميل للجدل العقيم. إنها صفات سيئة جداً للمفاوض. سأذكر هذا فى تقريرى للكابتن المشرف عليك لنرتاح من بعضنا البعض بسرعة، الآن أريدك أن تغلق فمك وتفتح أذنيك. وهذا أمر أيها الضابط ميكس، إن اخترت تجاهله فسأكتب فى التقرير أننى أوصى بأن تهبط لرتبة أقل. أهذا واضح؟".

احمر وجهه من شدة الغضب وكأنه يهم بالتلفظ بكلمات غاضبة كثيرة، ولكنه مع ذلك أومأ لها بفظاظة.

قالت: "هذا جيد، والآن لنتحدث عن التكتيكات والعمل بروح الفريق ودور المفاوض".

بمجرد انتهاء المحاضرة، اتجهت فيبى على الفور لحمام السيدات، ولم ترتطم برأسها فى الحائط من الغيظ رغم أنها فكرت فى هذا، لكنها بدلاً من ذلك اتجهت للمرآة وأمسكت الحوض وقالت:

"هذا الملعون أرنولد ميكس عديم الذوق والإحساس، وسلوكه طفولى مهين يدل على محاولة يائسة وبائسة لإخفاء مركبات النقص التى يعانى منها".

أومأت وأرخت كتفيها، ثم أخفضت رأسها عندما سمعت صوت خرير الماء داخل الحمام كم هي غبية لكى تتحدث أمام المرآة بصوت عال دون أن تتحقق من أن كل قاعات الحمام فارغة؟

كانت فيبى تعرف السيدة التى خرجت للتو، لكن هذا لا ينفى الإحراج. كانت المحققة ليز ألبرتا، وكانت صارمة وذات إرادة قوية، وكانت سمراء ومتخصصة فى التحرى عن الجرائم الجنسية.

"مرحباً أيتها الملازم".

"مرحباً أيتها المحقق".

فتحت ليز صنبور الحوض وأدارت وجهها يميناً ويساراً، وكأنها تتحقق من انعكاس صورتها فى المرآة، ثم قالت بلا مبالاة: "آرنى ميكس رجل أحمق فعلاً".

قالت فيبى وتنهدت: "أوه، نعم".

"إنه يحكى للجميع النكات الجنسية الوقحة فى قاعة الاسترخاء وقت الراحة، وأنا عن نفسى أحب النكات الجيدة وأعرف أن الرجال لا يتغيرون إلى آخره، لكننى استثنيته وأعلمته بهذا بعد أن قال لى إن معظم جرائم الاغتصاب ملفقة وزائفة، وذكر الحجة القديمة التى ترى أن تقصير النساء لملابسهن يغوى الرجال أكثر مما يغوى الرجال النساء بخفض سراويلهم".

"هل قال الأحمق هذا؟".

"نعم، وتقدمت بشكوى ضده لوقاحته وجراءته فى الحديث، فهو لا يستهوينى ولا أنا أستهويه". ثم حركت ليز شعرها الأسود القصير: "وأنا لا أحب هذا الفتى بل أمقته للغاية. وداعاً أيتها الملازم".

ألقت المنديل الورقى فى سلة المهملات وخرجت بينما تودعها فيبى: "وداعاً أيتها المحققة".

لم تحب هذه المهمة ثقيلة الوطأة على نفسها، لكنها توجهت لمكتب ديف. وكما هي عادتها، ركضت عبر السلالم من قاعة المحاضرة إلى القسم الخاص بها. كان ديف يهم بالخروج من مكتبه بخطوات سريعة، وكان يرتدى سترته عندما ظهرت هي فجأة أمام باب السلم.

"أوه، هل كنت تتأهب للخروج؟".

"لدىَّ اجتماع، هل توجد مشكلة؟".

"ربما، سأعود لاحقاً".

نظر إلى ساعته وقال وهو يرفع إصبعه ويتراجع ليفسح لها الطريق لدخول مكتبه: "سأمنحك دقيقتين من وقتى". ولم يقل بعدها أى شىء حتى دخلت فيبى المكتب وراءه وأغلقت الباب.

كان شكله كما هو لم يتغير منذ أول يوم قابلته فيه. كان شعره الرمادى عند صدغته وتجاعيد جبهته التى يسمونها "شخصية" لدى الرجال، وعلامة على كبر السن لدى النساء، مازالت كما هي، وكانت عيناه تشعان خبرة وحكمة وحنكة وهدوءًا بلونهما الأزرق الهادئ وبثباتهما فى محجريهما.

"لا أود الخوض فى هذا الموضوع لأن معناه أننى فشلت، لكنى أطلب نقل الضابط أرنولد ميكس من محاضراتى".

"لماذا؟".

"لا يمكننى تعليمه أى شىء، وقد أكون متحاملة ضده لكنه يعارض كل الأساليب الأساسية والإرشادات فى المجال".

مال ديف للخلف على مقعد مكتبه، وهى علامة تفهمها فيبى بأن لديها أكثر من دقيقتين فقط للتحدث كما تريد. قال لها: "هل هو غبى؟".

"كلا، بل عقله كالأطفال فى رأيى".

"مازال والده يعمل فى الشرطة، وهو إنسان سخيف".

ارتاحت فيبى قليلاً ثم قالت: "أنا مندهشة ومصدومة من قولك هذا!".

"أريد من كل الضباط المكلفين بدراسة هذه الدورات أن يتموها وينتهوا منها، ويمكنك نقل رأيك عنه فى تقييمك الكتابى عنه، لكنى أريدهم جميعاً أن يدرسوا هذه الدورة يا فيبى، تعلمين مثلى أنهم قد يستوعبون بعضًا مما تعلمينه لهم على الأقل، حتى لذوى عقول الأطفال".

"لكنى وبخته فى المحاضرة السابقة".

"هل استحق ذلك؟".

"وأكثر من ذلك، ولكنه سيظل متضايقًا منى.الآن وغالباً لن

ينصت لى".

ربت على كتفيها وقال: "قللى الخسائر وواصلى عملك معه. سأتأخر على الاجتماع".

همست فيبى وهى تمد يدها لتضبط رابطة عنقه: "تقليل الخسائر".

ابتسم نحوها وقال: "أنت أفضل ملازم عملت معه، تذكرى هذا وتعاملى مع ميكس ذى العقل الطفولى".

"حسنًا يا سيدى الكابتن".

سارت خارج المكتب معه، وعندما انصرفت لاحظت آرنى يتسكع ويتلكأ مع ضابطين خارج حجرتها. وربما شعرت بألم فى معدتها، لكن وجهها كان هادئًا وهى تسير نحوه قائلة: "أيها الضابط ميكس، الكابتن يريد من كل الضباط المقيدة أسماؤهم فى دورة التفاوض أن ينجزوها، وسأراك يوم الاثنين صباحاً كما هو مقرر فى الجدول، مفهوم؟".

"نعم يا سيدتى".

"أنا متأكدة من أن كل واحد منكم لديه أمور أهم يفعلها بدلاً من التلكؤ هنا، انصراف الآن".

كرر آرنى كلماته: "حسناً يا سيدتى"، وكانت نبرة صوته تثير حفيظتها وغيظها، لكنها ذكرت نفسها بأن تقلل الخسائر، ثم قالت: "بالتأكيد ستتعلمون شيئاً من هذه المحاضرات".

سارت مبتعدة عنهم، ولم تسمع ما قاله آرنى بصوت منخفض لا تميزه الأذن، لكنها سمعت ضحكات الاستهجان بوضوح تام.

قررت أن تدع الأمر ولا تضخم المسألة؛ فهى امرأة واجتازت الصعاب: اجتازت تدريب الشرطة وتدريب التفاوض، وتعلم أن نسبة النساء إلى الرجال فى الشرطة ١: ١٠، ولا شك أنها سمعت المئات من ضحكات الاستهجان من قبل.

كانت تعلم أيضًا أنهم ربما يرموقونها بنظرات غير لائقة، ورغم أن هذا يغضبها للغاية فقد تذكرت أن تكتم غضبها لإدراكها أنها تمتلك بالفعل قوامًا مثيرًا.

وعندما دخلت مكتبها، رأت رسالة من الميكانيكى المكلف بإصلاح

سيارتها، وأدركت أن لديها مشاكل أكبر من مجرد الضابط الفصيح والتحديق فى جسدها.

سيتكلف إصلاح السيارة ١٥٩ دولارًا، والمبلغ غير قابل للتفاوض.

"اللعنة".

استسلمت ووضعت رأسها على المكتب فى لحظة خالصة من الإشفاق على الذات.

استقلت الحافلة لتعود للمنزل، وبمجرد دخولها للحافلة ندمت جداً على فكرة أنها ستخرج من المنزل مرة أخرى. حتى فكرة الخروج مرة أخرى وركوب الحافلة والجلوس فى الحانة للحديث القصير، ثم ركوب الحافلة مرة أخرى للمنزل تبدو غبية للغاية.

هل تبحث عن رقم هاتف دانكان وتعتذر له. كانت موافقتها على نصف ساعة للتحدث وتناول الشراب قد تمت فى لحظة ضعف على أية حال اللعنة على الغمازتين الساحرتين. ألم يكن من الأفضل لها تفكر فى عشرات المهام التى يمكنها إنجازها فى هذه الثلاثين دقيقة فى رحلة الركوب للمنزل؟

كان بإمكانها أن تقوم بعدة أنشطة مثل حمام دافئ فى بانيو ملىء بالماء والصابون، ممارسة اليوجا، تجميل الوجه والعناية به، تنظيف درج مكتبها الذى تحتفظ به بأشياء بلا أهمية.

هذه كلها صور للاستغلال الأمثل لوقتها، لكن الاتفاق يجب أن يحترم.

ركضت كارلى قفزاً نحو بهو الاستقبال، ثم قفزت نحو ذراعى فيبى لتحتضنها. إنه حضن كارلى الذى يجعلها تنسى كل مضايقات العالم الخارجى.

أخذت تشم رقبة ابنتها بشكل مبالغ فيه لكى تضحك كارلى، وقالت لها: "لقد وضعت من عطر جدتك".

"جعلتنى أضع القليل منه. العشاء جاهز، ولقد انتهيت من فروض المدرسة". تراجعت كارلى للوراء وابتسمت فى وجه الأم

وأردفت قائلة: "سنعفيك من غسيل الصحون الليلة".

"أوه، لماذا؟".

"لكى تستعدى لموعدك الليلة، هيا !". أخذت كارلى يد فيبى وسحبتها نحو قاعة الطعام وقالت: "تعتقد الجدة أنك يجب أن ترتدى معطفًا أزرق، وتريدك إيفاأن ترتدى بلوزة بيضاء أربطتها على الظهر، لكنى أعتقد أنك يجب أن ترتدى فستانك الأخضر".

"لكنه غير مناسب لاجتماع ليلى سريع".

"لكنك تبدين جميلة فيه".

قالت إيفا بينما كارلى تدفع فيبى لتدخل: "بل يجب أن توفره حتى يدعوها للعشاء. اجلسى الآن، كل شىء جاهز، أردنا أن نوفر عليك بعض الوقت لكى تعتنى بهندامك وأناقتك".

"إنه ليس موعدًا غراميًا، مجرد شراب فى حانة أيرلندية". وضعت إيفا يديها على خصرها وقالت: "أرجو المعذرة، أنت تمثلين الليلة كل سيدة بلا موعد غرامى فى هذه المدينة، وكل امرأة تجلس وحيدة تتناول عشاءها بمفردها، والمكون من المكرونة نصف المجهزة التى وضعتها فى الميكروويف، وكل امرأة تستلقى على فراشها الليلة ولا يؤنس وحدتها سوى رواية أو كتاب أو شرائط فيديو"، ثم أشارت بإصبعها لفيبى وقالت: "أنت أملنا الساطع الوحيد".

"يا إلهى !".

ربتت إيسى على كتف فيبى قبل أن تجلس وقالت: "لكن بلا ضغوط".

لم ترغب فى أن تكون الأمل الساطع لغيرها من النساء، لكنها استقلت الحافلة واضطرت لرفض عرض إيفا بأن تأخذ سيارتها ثلاث مرات، وأحبطت كارلى برفض ارتداء الفستان الأخضر وارتدت معطفًا أسود وبنطالاً من الجينز، لكنها وضعت القرط الذى اختارته ابنتها وأصلحت زينتها.

كانت فيبى تعلم أن الحياة مليئة بالتنازلات.

أخذ جونى بورتر يصفر لها وكان وقحًا رغم حداثة سنه الذى

لم يتجاوز الخامسة عشرة وهو يطوف حولها بدراجته ويقول:

"تبدين جميلة جداً الليلة يا سيدة ماكنامارا، هل لديك موعد غرامى؟"

بدأت تقلق من أن يبدو شكلها وكأنها تتوقع موعداً غرامياً، فقالت له: "كلا، شكراً جونى، أنا أريد اللحاق بالحافلة".

قال وهو يقوم ببعض الحركات الاستعراضية بدراجته: "إن كنت ذاهبة لأى مكان فاركبى معى الدراجة كى أوصلك".

"هذا لطف منك، لكنى سأستقل الحافلة، بالمناسبة كيف حال أمك؟".

"أوه، إنها بخير، ودعت الخالة سوزى للبقاء معنا لفترة من الوقت"، حدق جونى بدقة ثم أضاف قائلاً: "يتحدثان عن زواج ابنة خالتى"جوليت"ولذلك هربت من المنزل قليلاً ليخلو لهما الجو. هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين الجلوس أمامى على الدراجة؟".

كان من المحير لها أن تحدد هل يقصد هذا الصبى ذو الخمسة عشر عامًا أى تلميح جنسى أم لا، لكنها قالت: "أنا متأكدة".

"إذاً أراك لاحقاً".

بعد أن انتهى الأمر معه، هزت فيبى رأسها بينما انطلق بدراجته عبر الرصيف وقالت فى نفسها: "فليساعد الرب هذا الحى بمن فيه عندما يكبر هذا الفتى ويقود سيارة".

كان الجو باردًا نوعاً ما وسعدت لأنها ارتدت معطفاً وهى تسير نحو موقف الحافلات عبر شارع"إيست ريفر". كان الكثير من الناس يستمتعون بالليلة والتمشية فى هذا الجو الجميل ويتجولون من وإلى المطاعم والنوادى والحانات، ويتأملون نوافذ العرض فى المحال أو يحدقون فى صفحة النهر.

قالت لنفسها إنها ترى الكثير من الأزواج متشابكى الأيدى ويسيرون عبر الطريق فى هواء الشاطئ المنعش بنسيمه العليل. كانت أمها على حق، قد يكون من اللطيف جداً أن يكون لها رجل يمسك يدها فى هذه الأمسية الربيعية الجميلة.

لكن كان من الأفضل بالنسبة لموقفها الشخصى ألا تفكر فى

هذا النوع من الأشياء، وخاصة أنها على وشك احتساء الشراب مع رجل وسيم.

هي أيضاً لديها أياد كثيرة لتمسكها فى المنزل، لدرجة أن سيرها وحدها عبر ساحل النهر يعتبر متعة نادرة الحدوث، ونصحت نفسها بأن تنتهز فرصة تلك اللحظة، لاسيما أنه لا يزال يتبقى لديها بضع دقائق قبل الموعد، ولذلك أبطأت من إيقاع سيرها واتجهت نحو صفحة النهر وأخذت تستمتع بهذا المنظر الجميل.

لاحظت أنها ليست الوحيدة بمفردها هنا؛ إذ وجدت رجلاً وحيدًا مثلها يقف بأرجل متباعدة فى الظل ويراقب صفحة الماء، والطرف البارز من قبعته الرياضية يميل على وجهه ويعلق كاميرتين على معطفه الغامق الكبير.

لم يكن الجميع فى ثنائيات.

فكرت أنها ربما ستتمشى مع كارلى لمدة طويلة يوم السبت القادم، ثم رجعت برأسها للوراء وتركت النسيم يداعب خصلات شعرها؛ فلقد شعرت طفلتها بطاقة كبيرة من التجول هنا والنظر لكل شىء وكل شخص.

لكن يجب أن تحدد له القواعد أولاً: غداء، نعم، ولكن لا هدايا فخمة غالية الثمن، وخاصة بعد دفع تكاليف إصلاح السيارة لدى الميكانيكى الذى يحتجزها حالياً.

ربما الفكرة الذكية هي التمشية فى إحدى الحدائق بعيداً عن المتاجر.

ستحسم معها الأمر.

بعد معرفة الوقت، ابتعدت عن النهر ولم تلاحظ أن الرجل الوحيد رفع إحدى كاميرتيه ووجهها نحوها والتقط لها صورة.

فى حانة سويفتير كانت اللافتة مرسومًا عليها من أعلى صورة لزهرة النفل، وهى الرمز لأيرلندا، وزجاج الباب الملون كان جميلاً ويصور عقدة سلتية فى تصميم بديع فعلاً. كان مقبض الباب من النحاس، والحوائط الخارجية كانت مدهونة بالجبس الأبيض المدهون بالأصفر الكئيب الداكن، وهو لون له درجة محددة رأته فى البطاقات البريدية للقرى الأيرلندية، وكانت هناك أصص معلقة

بها زهور كبيرة الحجم وحبل أخضر من نبات اللبلاب.

قالت لنفسها إن المكان مليء بالتفاصيل الدقيقة، مما يعنى أن صاحب الحانة يهتم بالتفاصيل الدقيقة.

عندما دلفت إلى الداخل، وجدت أن المكان لم يختلف عما تتذكره من زيارتها الوحيدة له سابقاً. كان هناك ركن المشروبات الكبير العريض الذى يضفى الجو العام للمكان، فهذا ليس مكانًا للمشروبات الخفيفة ونباتات السرخس، بل مكان لجالونات من الشراب الأيرلندى ومكان للحوار والموسيقى، وإن كنت ترغب فى كل هذا، فهذا هو المكان المثالى لك.

كانت الكبائن الجلدية عميقة ومريحة، والموائد داكنة اللون ومن الخشب اللامع، وكان هناك لمعان وظل قادمان من الزجاج الملون للَمبات المعلقة، بينما تشتعل نيران حمراء بهدوء فى المدفأة الحجرية الصغيرة قديمة الطراز.

كان الجو العام يوحى بالترحاب الحار.

فى إحدى الكبائن، كانت المائدة محملة بالمشروبات وجلس عليها عازفو الموسيقى. كانت هناك فتاة شعرها أسود وقد صبغت أطرافه بصبغة حمراء صارخة اللون، وتعزف على الكمان بسرعة وزخم يديران الرءوس والعيون رغم الموسيقى العذبة التى تنساب من الكمان.

وكان هناك رجل طاعن فى السن، وكأنه فى سن جدها، يعزف الألحان بإيقاع متناغم على آلة الأكورديون الصغيرة، وكان هناك شاب شعره باهت اللون، لدرجة جعلت فيبى تتذكر أجنحة الملائكة، يعزف اللحن على الناى، وكان هناك شاب آخر ترك كأسه بعد أن أفرغها فى جوفه والتقط الكمان وبدأ يعزف فى تناغم مع اللحن.

شعرت فيبى بأن الموسيقى توحى بالسعادة، وخاصة مع الأضواء المبهجة والألوان واللمسات الفنية فى أرجاء المكان، مما منحها شعورًا بالسعادة. كما رأت كئوسًا قديمة كبيرة وطبلة خشبية عتيقة وأجزاء من الفخار تخيلت أنها آتية من أيرلندا، وكذلك آلة الهارب الأيرلندية وعملات ذهبية قديمة أثرية.

"ها أنت قد حضرت فى الموعد المحدد تماماً".

بينما كانت تستدير نحوه، صافحها دانكان، وشعرت بأن الابتسامة الساحرة جعلتها تنسى أنها لم ترغب حقاً فى المجىء.

قالت له: "تعجبنى حانتك والموسيقى أيضًا".

قال: "نعزف الموسيقى هنا فى كل ليلة. لقد حجزت لنا مائدة". ثم قادها لإحدى الموائد أمام نار المدفأة الهادئة، وجلست باسترخاء على مقعد وثير يتسع لاثنين.

قالت لنفسها إنها يجب أن تستمتع باللحظة، وقالت: "إنه أفضل مكان فى الحانة".

"ماذا أحضر لك؟".

"كوب عصير من فضلك".

قال: "أمهلينى دقيقة واحدة"، ثم نهض إلى ركن المشروبات وتحدث للفتاة النادلة الواقفة عنده، وبعد لحظة عاد وهو يحمل كوبًا ذهبى اللون".

قالت له: "ألن تشرب أنت؟".

قال وهو يحدق فى عينيها مباشرة بعينيه الزرقاوين الجميلتين: "شربت لتوى فى العمل، كيف حالك الآن؟".

"أنا بخير، وماذا عنك أنت؟".

"دعينى أجيبك بسؤال: "هل أحضرت ساعتك".

"كلا، نسيتها فى حقيبتى الأخرى".

"إذن أنا بخير، لم أكن أريدك أن تضبطى موعد الحديث ثم تنصرفى بمجرد مرور ثلاثين دقيقة، فلا أعرف كيف أتحدث وأتلعثم ويتشتت انتباهى، يعجبنى مظهرك الأنيق جداً".

"شكراً لك، أنا راضية عن مظهرى، معظم الوقت".

قال: "حسناً أعترف أننى ورطتك فى الأمر و.."، ثم طرق بإصبعه على صدغه وتوقف ليبتسم إلى النادلة التى أحضرت له كأس الشراب فقال لها: "شكراً يا بى جى".

وضعت النادلة طبقاً من المقرمشات على المائدة وغمزت بعينها لدانكان، ثم إلى فيبى مرة أخرى ثم سحبت عجلة الصينية المتحركة لمائدة أخرى.

"حسناً". شرب ثم قال: "كنت أقول إننى ظللت أسأل نفسى لماذا

ورطتك فى الحضور إلى هنا، هل لإنقاذك لصديقى جو، أم لأنك مثيرة وجذابة فى نظرى، وخاصة أن هذه الفكرة علقت فى ذهنى منذ أن وقعت عيناى عليك، رغم عدم وجود ظروف مناسبة".

احتست فيبى شرابها ببطء وهى تراقبه، وكانت الغمازتان فى فمه تتحركان وهو يبتسم، وتلفتان النظر كالمغناطيس. وقالت له: "بالتأكيد الفكرة الثانية".

"نعم، الفكرة الأولى كانت بمثابة أننى سررت بوجود من سيحل الأزمة".

"هل تثق دوماً بالغرباء إلى هذا الحد؟".

مال نحوها ثم قال: "كلا، ربما، سأفكر بالأمر"، بمجرد أن رأيتك أحسست بأنك شخصية تعرف ما تفعله وما يجب أن تفعله والمرأة المثيرة حقاً هي التى تعرف ما الذى تفعله. لذلك أردت رؤيتك مرة أخرى، ربما لا أعرف لماذا علقت فى ذهنى. أعلم أنك ذكية وهذه ميزة إضافية ليس فقط لأفعالك، لكن لأنك برتبة ملازم ومازلت فى سن الشباب".

"لست شابة إلى حد ما، فعمرى ٣٣ عامًا".

"٣٣ عامًا؟ وأنا أيضاً، وفى أى شهر كان ميلادك؟"

"فى أغسطس".

"وأنا فى نوفمبر. أنت أكبر سنًا إذًا"، ثم هز رأسه وتابع: "سأعترف الآن، النساء الكبيرات مثيرات جداً".

جعلها ذلك تضحك ثم تقدمت قليلاً نحوه وقالت: "كم أنت مرح".

"أحياناً، لكن لدى جوانب جادة وحساسة فى شخصيتى، إن كنت تحسبين عدد النقاط".

"النقاط؟".

"هناك دوماً نظام للنقاط فى أى موقف كهذا. إنه عادل، هى مثيرة، يتم إضافة النقاط. هو يضحك بغباء، هى تكره الرياضة، يتم طرح النقاط".

"وما نقاطى فى هذا التقييم؟".

"النقاط كثيرة وتحتاج لآلة حاسبة لجمعها".

قالت: "كم أنت ماهر، هذا يزيد من نقاطك"، ثم احتست

الشراب. وتفرست في وجهه. كان في وجهه جرح صغير فوق رمشه الأيسر، ثم أردفت: "لكن من المجازفة أن تقول إننى ذكية وكفء إن أضفت كل هذا الصفات لإجمالى النقاط بدون وجود بيانات فعلية".

"أنا أحكم على الناس جيداً، لقد تدربت على ذلك من خلال عملى".

"بامتلاك الحانات؟".

"قبل ذلك كنت ساقيًا في الحانة وسائق تاكسى، مهنتان تجعلان المرء يضمن مقابلة كل أنواع الناس وأن يدفعوا لك بسرعة".

"الساقى سائق التاكسى".

"أو سائق التاكسى الساقى، حسب الظروف"، ثم مد يده وحرك شعرها خلف أذنها وطرق على قرطها الفضى بخفة وبشكل عفوى، فتساءلت كيف يسمح لنفسه بحركة سريعة تدل على الحميمية.

قال مواصلاً كلامه: "كان من السهل التوفيق بين ساعات كل عمل، ثم جمعت ما يكفى من المال لأمتلك حانة خاصة بى".

"ثم حققت هدفك، وبالتالى حققت الحلم الأمريكى"."ربما جزئياً لكنى لم أربح بما يكفى من قيادة التاكسى لأفتح حانتى التالية سلام دانك".

"إذن كيف؟ هل سطوت على البنوك، أم تاجرت في المخدرات، أم قمت بأى شىء آخر غير قانونى؟".

"كلها كانت خيارات ستوفر لى الكثير من المال، لكن لم أقم بأى منها، بل ربحت الجائزة الكبرى في اليانصيب".

شعرت بالدهشة والانبهار ورفعت كأسها لتحييه قبل أن تلتقط إحدى المقرمشات من الطبق ثم قالت: "أحقا؟".

"نعم مجرد حظ وافر، أو إرادة القدر، مهماً كان الاسم. كنت أشترى تذكرة يانصيب كل فترة، بل على فترات متباعدة، ثم اشتريت التذكرة الفائزة بمحض المصادفة".

"هل اخترت رقم التذكرة أم لجأت للحاسب الآلى؟".

"بل كانت من اختيارى، اخترت رقمًا به عدد سنوات عمرى ورقم سيارتى، لكنى كنت محبطًا في تلك الأيام؛ لأننى لم أخطط لقيادة

تاكسى مدى الحياة ولكن مع اختيارى العشوائى... جاءتنى ضربة حظ، وتعلمين ماذا يقول الناس إن ربحوا أو ماذا سيفعلون إن ربحوا، إنهم سيواصلون العمل والحياة كما كانت قبل الفوز باليانصيب".

"نعم".

"ما الخطأ فى كلامهم؟".

ضحكت وتناولت قطعة أخرى من المقرمشات وقالت: "من الواضح أنك اعتزلت العمل كسائق تاكسى وساقى فى الحانة".

"بالضبط، وابتعت حانة خاصة بى، شىء رائع، لكن حدث شىء غريب، وقد يفقدنى قوله لك بضع نقاط، لكنى شعرت بعد بضعة شهور بأننى أريد أن أكون فى الحانة كل ليلة من عمرى".

نظرت حولها فى حانة سويفتيز، حيث أبطأت الموسيقى إيقاعها وصارت حالمة ثم قالت: "لكن صار لديك حانتان، وها أنت ذا".

"نعم، فقد بعت ٥٠ ٪ من حقوق إدارة ومكاسب حانة "دانك" إلى صديق لى، ثم صممت هذه الحانة على الطراز الأيرلندى".

"وبالتالى جاءت حانة سويفتيز".

"نعم بالطبع".

"ألم تسافر؟ ألم تبتع السيارات الفارهة؟".

"بل فعلت، لكن على أية حال كيف...".

"أوه، كلا، السؤال يطرح نفسه"، ثم رفعت إصبعها وقالت: "إنه سؤال وقح لكن يجب أن أطرحه، ما مقدار ثروتك التى حصلت عليها من اليانصيب؟".

"مائة وثمانية وثلاثون مليون دولار".

وقفت قطعة المقرمشات فى حلقها ورفعت يدها له ليقوم بالطرق على ظهرها حتى لا تختنق وقالت: "يا إلهى!".

"نعم، هذا ما قلته، هل تريدين كأساً آخر؟".

هزت رأسها وحدقت نحوه وقالت: "ربحت مائة وثمانية وثلاثين مليون دولار من تذكرة يانصيب؟".

"نعم بالضبط، كانت أفضل تذكرة ابتعتها، وأصبح اسمى مشهوراً وظهرت فى وسائل الإعلام. ألم تسمعى عن هذا الخبر حينها؟".

حاولت بصعوبة استيعاب الموقف وقالت: "أنا لا أعرف، متى

حدث ذلك؟".

"فى فبراير منذ سبع سنوات".

قالت وهى تسحب نفساً عميقاً وتطلقه ثم حركت يدها فى شعرها وحاولت أن تفكر فى كلمة "مليون" لتستوعبها: "منذ سبع سنوات فى فبراير كنت مشغولة فى عملية ولادة".

"وبالطبع من الصعب حينها معرفة الأحداث الجارية، وما نوع طفلك؟".

قالت: "بنت تدعى كارلى" ثم لاحظت أنه أخذ يحدق فى يدها اليسرى فقالت: "أنا مطلقة".

"حسناً، الكثير من الحركة والعمل، وأم بلا زوج، وعمل فى مهنة خطره، لابد أن لديك تنسيقاً ممتازاً بين حركة العين والأيدى".

"الأمر يحتاج للتدريب". ظلت تفكر فى الملايين المكدسة فى أكوام، لكنه الآن صاحب حانة صغيرة فى سافانا ويبدو كرجل متوسط وعادى جداً لم تغيره الثروة. لكنه رجل له غمازتان مثيرتان وجرح صغير مثير أيضاً، وابتسامة أخاذة وساحرة، لكنه بسيط ومتواضع.

"إذن لماذا لا تعيش حياة البذخ والترف، مثلاً فى جزيرة فى جنوب المحيط الهادئ؟".

"أنا أحب مدينة سافانا، والثراء ليس له قيمة مادام المرء لا يعيش فى مكان يحبه. كم قضيت فى العمل بالشرطة؟".

شعرت بالحماسة لأن الرجل الوسيم صار أمامها مليونيرًا علاوة على ما سبق: "أوه، فى البداية عملت مع مكتب التحقيقات الفيدرالى بعد تخرجى فى الجامعة مباشرة و...".

"ياه، كنت تعملين فى مكتب التحقيقات الفيدرالى؟ مثل"كلاريس ستارلنج"فى فيلم"صمت الحملان"؟ أو مثل"دانا سكالى"وهى شعرها أحمر ومثير جداً بالمناسبة أيتها العميل الخاص ماكناراما؟"، ثم سحب نفساً عميقاً مبالغًا فيه وأطلقه وقال: "كم أنت مثيرة حقاً".

"وبسبب هذا وأشياء أخرى قررت الانتقال لشرطة سافانا كمفاوضة رهائن وأزمات".

اتسعت عيناه الجميلتان الحالمتان وقال: "رهائن؟ كأن يأتى رجل ويحبس نفسه بمكتب فى مبنى ومعه رهائن أبرياء يحتجزهم ويطلب عشرة ملايين دولار أو إطلاق صراح سجين ما، ودورك هو التحدث معه فى مفاوضات؟".

"غالباً أنا المفاوضة فى مثل هذه المواقف فى سافانا".

"كيف تعرفين ما يجب قوله وما لا يجب قوله فى مثل هذه المواقف؟".

"المفاوضون يتلقون تدريبًا جيدًا، ولديهم خبرة فى تطبيق القانون. ماذا؟".

قالت له ذلك عندما هز رأسه بالنفى قبل أن يقول: "كلا، يجب أن تعرفى ما تفعلينه. بالطبع الخبرة والتدريب مهمان، لكنك يجب أن تعرفى ما تفعلينه".

شعرت بأنه من الغريب أن يتفهم ذلك، خاصة أن هناك رجال شرطة، قفزت صورة آرنى ميكس لذهنها، لا يتفهمون ذلك ولن يتفهموه أبداً، قالت له: "أنت تتمنى أن تعرف ويجب أن تنصت، لا أن تسمع فقط وبالإنصات أعرف ما أريد وما يجب أن أفعله. أنت تعيش فى سافانا لأنه لا يوجد الكثير لتفعله فى جزيرة بجنوب المحيط الهادئ، ولا يوجد أناس كثيرون لتفعل معهم أى شىء. أنت لا تقلل من شأن حظك الوافر الذى قادك إلى شراء التذكرة الفائزة، وأعتقد أنك توافق على أن بعض الأمور التى تتسم بالبساطة فى بعض الأحيان، فأنت حينما أخبرتنى بثرائك، لم يكن تفاخراً بل مجرد سرد حقيقة وبشكل ممتع المهم الآن رد فعلى لهذا، إن كان رد فعلى هو مغازلتك والتودد إليك سيكون الأمر ممتعًا، لكنى لن أظل عالقة فى ذهنك بعدها".

قال معلقاً على حوارها: "هناك شىء آخر أحبه، أحب السيدة التى تقوم بما تجيده وتجيد ما تفعله. لو كان جو الانتحارى مازال يعمل عندى، كنت سأعطيه علاوة".

ابتسمت رغماً عنها، لقد سحرها وبهرها جداً لكن....: "لقد تناولت الشراب معك، الآن يجب أن أعود لمنزلى".

"أنت تحبين ابنتك أكثر من أى شىء. لقد برقت عيناك عندما

ذكرت اسمها. الطلاق ما زال يضايقك إلى حد ما، لكنى لا أعرف ما هو أبعد من ذلك. عملك ليس مجرد مورد رزق بل مهنة تعشقينها. أنا كسائق تاكسى وساقى حانة سابقاً أعرف كيف أنصت للآخرين أيضاً".

"نعم، حقاً، وهذا يكفى الآن بعد تناول المشروب". نهض عندما نهضت هي، وقال: "سأوصلك حتى سيارتك".

"بل سأتمشى؛ سيارتى لدى فنى إصلاح السيارات، وأنا لذلك سأستقل الحافلة".

"يا إلهى، إذن سأوصلك لمنزلك، لا ترفضى طلبى". أمسك ذراعها بإحدى يديه ثم ودع عاملة الحانة باليد الأخرى وهو فى طريقه نحو باب الخروج.

"أنت ثانى رجل اليوم يعرض أن يوصلنى".

"أحقاً؟".

"عرض أحدهم أن أجلس أمامه على دراجته، لكنى سأخبرك كما أخبرته، لن أمانع فى ركوب الحافلة".

"المسافة للسير حتى محطة الحافلات مثل المسافة لمكان صف السيارات هناك، وأعدك بانتقال مريح وقيادة سلسة حتى باب منزلك"ثم نظر إليها وتابع: "إنها ليلة جميلة لنزهة بالسيارة".

"أنا أعيش فى شارع جونز".

"إنه أحد شوارعى المفضلة فى المدينة". ثم سار متأبطًا ذراعها. فكرت فيبى فى أنها تسير مع رجل الآن فى شارع ريفر، ويدها فى يده كثنائى عاشق مثل الذين رأتهم اليوم. كانت يده من نوع اليد التى تصلح لفتح برطمان المخلل صعب الفتح وللإمساك بالكرة الطائرة بسهولة.

كانت رجلاه طويلتين وخطوته الواسعة متراخية وسهلة، وكان فى رأيها رجلاً يعرف كيف يظفر بوقته ويستمتع به عندما يريد ذلك.

قال: "ليلة جميلة للسير على شاطئ النهر".

"لكنى يجب أن أعود للمنزل".

"على رسلك. الجو ليس بارداً، هل تشعرين بالبرد؟".

"لا".

سار نحو مكان صف السيارات ونادى على العامل هناك وقال له: "كيف حالك يا ليستر؟".

"أقوم بعملى يا سيدى. مساء الخير سيدتى".

أعطاه دانكان البقشيش فى خفة لدرجة أن فيبى كادت لا تلاحظ، ثم وقفت تحدق فى سيارته البيضاء اللامعة من طراز بورش.

قال مبتسماً وهو يهز كتفيه بلا اكتراث: "لا دراجات هنا لتجلسى أمامى"، ثم فتح الباب لها.

"أعترف أن هذا أفضل من الحافلة ودراجة جونى بورتى".

"هل تحبين السيارات؟".

"لو كنت سألتنى هذا السؤال منذ ساعتين، كنت ستعلم أن أحوالى مع السيارات حالياً سيئة وكأننى مقاطعة لها". ثم تحسست جانبًا من مقعد السيارة المغطى بنوع فخم من الجلد الناعم وقالت: "لكن تعجبنى سيارتك على أية حال".

"وأنا أيضاً أحب سيارتى".

لم يقد سيارته كالمهووس، وكانت متوقعه ذلك إلى حد ما، بل اعترفت أنها كانت تتمنى أن يقودها بنصف هذه الطريقة السلسة، لكنه قادها كرجل يعرف معالم المدينة كما تعرف هى زوايا وأرجاء حجرة نومها كان يعرف كل ركن من أركان المدينة".

أعطته عنوانها وتركت نفسها تستمتع بقيادته التى لم تحلم بالاستمتاع بها فى يوم من الأيام. عندما وقف أمام منزلها، تنهدت بعمق وقالت: "كان هذا رائعاً، شكراً لك".

"بل كان هذا من دواعى سرورى"، ثم خرج وفتح لها الباب المجاور للرصيف وتناول يديها لتنهض ثم قال: "يا له من منزل فخم".

"نعم إنه كذلك". وكان منزلها مشيدًا بالقرميد الوردى، وله حواف بيضاء ونوافذ طولية وشرفات رشيقة.

وكان ملكاً لها سواء أعجبها ذلك أم لا.

"إنه منزل عائلتى، وأحد مهامى العائلية، له قصة طويلة".

"لماذا لا تخبرينى بها على العشاء غداً مساء؟".

شعرت بالشوق والرغبة الجارفة لذلك عندما استدارت نحوه وقالت: "ياه، يا دانكان، كم أنت لطيف جداً، وثرى ولديك سيارة فخمة وفارهة، لكنى لست فى وضع يسمح لى بالبدء فى علاقة مع رجل".

"لكن هل أنت فى وضع يسمح بتناول العشاء غداً؟".

ضحكت وهزت رأسها بالنفى بينما سار معها حتى مدخل المنزل وقالت: "لندعها حسب الظروف بعد بضع ليال".

"أنت تقدمين خدمة عامة، وأنا ممثل العامة. تناولى العشاء معى غداً، أو اختارى نشاطًا آخر معى ليوم آخر، لن نختلف".

"لدىَّ موعد للخروج مع ابنتى غداً مساء، ما رأيك فى تأجيل موعد العشاء ليوم السبت القادم، طالما أنه من المفهوم أنه لن يتطور لشىء آخر".

"إذن أراك يوم السبت".

مال نحوها بخفة بحيث كادت لا تشعر به، وبدا من الحماقة أن تمنعه. شعرت بشفتيه تلامسان شفتيها بخفة. لقد استعذبت هذه القبلة حقاً.

ثم تحركت يداه عبر كتفيها نحو رسغيها، ثم قبلها مرة أخرى، وتوقف رأسها عن التفكير فى لحظة واحدة خاطفة شعرت فيها بالعمق والدفء وأسرعت نبضات قلبها الذى ظل يخفق بشدة وعنف.

شعرت بعمق القبلة العذبة وكأن جسدها تنهد تنهيدة كان يكتمها منذ فترة طويلة.

دارت رأسها قبل أن يتراجع هو عنها ببطء، وتركها تحدق فى عينيه وقالت: "أوه، اللعنة".

ابتسم لها ابتسامة واسعة وقال: "سآتى لاصطحابك من هنا الساعة السابعة مساء يوم السبت القادم. ليلة سعيدة يا فيبى".

"ليلة سعيدة". تمكنت بصعوبة من فتح الباب عندما نظرت خلفها ووجدته واقفاً على الرصيف وهو مازال يبتسم لها. قالت له مرة أخرى: "طابت ليلتك".

بمجرد دخولها، أغلقت الباب وأطفأت نور المدخل وتساءلت ما هذا الذى ورطت فيه نفسها بحق السماء.

٤

لم تكد تصل لأعلى السلم حتى خرجت نحوها أمها وإيفا من حجرة التلفاز تعتلى وجهيهما ابتسامات كبيرة متلهفة.

قالت إيسى: "حسناً، كيف كان الأمر؟".

"كانت الأمور على ما يرام، كان مجرد شراب". بينما توجهت فيبى لحجرة نومها، فكرت أنها لو كانت ترتدى جورباً لكان انفجر من هول قبلة الوداع التى تلقتها فى شارع جونز.

تبادلت إيسى وإيفا النظرات من خلفها ثم تبعتاها نحو حجرتها.

أمسكت إيفا يديها معاً وكأنها تتوسل وقالت: "حسناً، كيف كان شكله وشخصيته؟ وعن أى شىء تحدثتما؟ هيا يا فيبى أخبرينا بكل تفاصيل الموعد الغرامى".

"تناولنا الشراب فى حانته اللطيفة جداً واستمتعت بها، والآن سأمارس بعض الرياضة".

تبادلتا النظرات مرة أخرى عندما ذهبت فيبى لدولاب الملابس وأخرجت بنطال اليوجا وحمالة صدر رياضية.

"عن أى شىء تحدثتما؟".

نظرت فيبى لانعكاس صورة أمها فى المرآة وهزت كتفيها بلا اكتراث، ثم بدأت فى خلع ملابس السهرة وارتداء ملابس الرياضة. عاشت مع هاتين المرأتين مدة طويلة فلم تكترث أن تكون عارية أمامهما. قالت لهما فى النهاية: "كان فى الماضى يعمل ساقيًا فى حانة وسائق تاكسى فى نفس الوقت".

"حسنًا، والآن هو رجل أعمال أليس كذلك؟".

"يمكنك القول بهذا".

ألحت إيفا وقالت: "أين يسكن؛ فى المدينة؟".

"لم أسأله".

قالت إيسى وهى تنظر للسقف: "لماذا لم تسأليه بحق السماء؟"

"لم يتطرق الحديث بيننا إلى ذلك". ثم مدت يدها للصندوق الفضى المزين الصغير على التسريحة حتى تستخرج منه أنشوطة ولفت شعرها على شكل ذيل حصان.

ألحت إيسى قائلة: "ماذا عن عائلته؟ وعن أسرته و....؟".

"لم يتطرق حديثنا لهذا الأمر أيضاً، لقد تشتت انتباهى".

قالت إيسى بحزم: "لأنه كان ساحراً".

"نعم لقد كان ساحرًا، لكن انتباهى تشتت بشكل كبير عندما أخبرنى أنه ربح اليانصيب منذ سنوات بمبلغ قدره مائة وثمانية وثلاثون مليون دولار".

خرجت بعد أن قالت هذا، ثم فحصت حجرة كارلى كعادتها قبل الصعود عبر السلم للطابق الثالث.

لقد حولت حجرة كانت مخصصة للخادمة فيما مضى إلى حجرة للألعاب الرياضية. كانت تعلم أن هذا إسراف لكنه وفر عليها مصروفات الذهاب لناد صحى، ويمكنها ممارسة الرياضة لمدة ساعة

فى أول الصباح أو ساعة من الليل بعد أن تؤوى كارلى للفراش.

كان عملها يجعلها تقضى وقتاً طويلاً خارج المنزل دون أن يتاح لها الوقت للذهاب لناد رياضى.

اختارت آلة رياضية بيضاوية الشكل وأثقالاً للرفع مختلفة الأوزان وتلفازًا صغيرًا وفيديو لتشغيل شرائط التمارين الرياضية. كانت كارلى تتدرب معها غالبًا على أداء تمارينها الرياضية أثناء التدريب، مما يمثل فائدة كبرى لقضاء وقت أطول للأم مع الابنة. كما أن والدتها وإيفا يستخدمان الأجهزة نفسها، مما جعل لها فائدة كبرى.

فى النهاية، لم تكن صالتها الصغيرة للألعاب الرياضية مجرد مصدر للراحة، بل كانت توفر الأموال، أو على الأقل هكذا بررت لنفسها مصاريف وتكاليف إعداد هذه الحجرة.

ابتسمت فيبى لنفسها وهى تجهز الآلة وتركبها، وكانت أمها وإيفا تحدقان فيها وهما واقفتان عند الباب.

قالت إيسى: "هل قلت ملايين؟".

"نعم".

وضعت إيفا يدها على قلبها وقالت: "أذكر شيئاً عن ذلك، لقد أطلقوا عليه لقب سائق التاكسى المليونير، لقد اشترى تذكرة واحدة وكان فتى من سكان المدينة، يا إلهى! إنه هو؟".

"بشحمه ولحمه".

قالت إيسى: "يا إلهى، حسناً سأجلس". ثم جلست إيسى على الأرض وتابعت: "إنه ليس ثرياً فقط أو غنيًا، بل لا أعرف كيف نصفه".

قالت فيبى: "محظوظ".

جلست إيفا على الأرض بجوار إيسى وقالت: "وأكثر من ذلك، هل جلب لك شرابًا؟".

سرت فيبى وبدأت المرحلة الثانية للإحماء وقالت: "نعم، مع المقرمشات، ثم أوصلنى للمنزل بسيارته البورش".

"هل هو لطيف؟"تجعدت جبهة إيسى، وتزامن ذلك مع ظهور تجعيدة العبوس التى ورثتها فيبى بدلاً من الغمازتين، وأردفت قائلة: "بما أنه ثرى للغاية فلابد أنه لطيف المعاملة".

قالت فيبى بعد برهة: "أجل هو مهذب للغاية، لكن ينتابنى شعور داخلى غريب، لقد دعانى للعشاء معه ليلة السبت القادم".

دفعت إيفا إيسى بكوعها برفق وقالت: "إذًا أنت تواعدين مليونيرًا، فتاتنا الصغيرة تواعد مليونيراً".

ولأن الفكرة جعلتها متوترة، زادت فيبى من درجة مقاومة الآلة الرياضية على الآلة وعلى نفسها. ثم قالت: "لا أعرف هل هذه مواعدة أم لا، أنا لا أهتم بمواعدة أى رجل، فهذا هم كبير؛ ماذا سأرتدى، عم سأتحدث؟ هل سيتطور الأمر أكثر من ذلك؟ وأنا أقول فليذهب كل هذا إلى الجحيم. إن الأمر يستلزم بعض التفكير".

قالت إيفا لتذكرها: "بل مجرد دعوة للعشاء ليلة السبت".

همست فيبى: "حسناً، إنه مهذب جداً".

كان المشهد عبارة عن عملية مواجهة أمام واجهة مكتب جاسبر تسى. هيوز المحامى، وكانت فيبى قد تلقت بلاغًا يفيد بأن هيوز المحامى وسكرتيرته تريسى بير رسل محتجزان كرهائن داخل المكتب ومعهما شخص مسلح يسمى وليام جرادى.

كان فريق التكتيكات يحاصر المكتب من جميع الجوانب. انطلقت فيبى فى سيارة الشرطة وأسرعت لمكان الحادث، وكانت محبطة بالفعل لأن الضابط المكلف بإنهاء العملية هو آرنى ميكس.

قالت له: "أطلعنى على ملابسات الموقف".

كان آرنى يرتدى نظارة شمسية، لكنها شعرت بالسخرية فى عينيه وهو يحدق نحوها. "الرجل لديه رهينتان، وذكر شهود العيان أنهم سمعوا إطلاق النار، وعندما وصلت صاح الإرهابى إنه إن اقترب أحد ليحاول الدخول، فسيقتل الرهينتين".

انتظرت فيبى قليلاً ثم قالت: "أهذا كل شىء؟".

هز آرنى كتفيه بلا اكتراث وقال: "يدعى الإرهابى أن المحامى خدعه وحصل منه على مبلغ ستة آلاف دولار، وأنه يريد استعادتها"

"أين سجل ملابسات الحادث أيها الضابط؟".

لوى شفتيه، فتساءلت فيبى هل يتدرب على هذه النظرة الساخرة فى المرآة.

"لم يكن لدىَّ وقت لكتابته، كنت مشغولاً بمحاولة منع هذا اللعين من قتل شخصين".

"ومتى سمع صوت إطلاق النيران؟".

"فى حوالى الساعة التاسعة صباحاً".

شعرت بالغضب والخوف يتصاعدان داخلها وصاحت: "التاسعة؟ أى منذ ساعتين، وقررت استدعاء المفاوضة الآن فقط؟".

"كان الموقف تحت السيطرة".

"وبهذا اطمأن قلبك!"، ثم أشارت للضابط الآخر وهى تحضر ورقة تدوين ملابسات الحادث من حقيبتها ثم أخرجت مفكرتها وأردفت: "سأكتب كل شىء هنا، الوقت والنشاط، وماذا يقال ومتى".

أمسك آرنى ذراعها وصاح: "لن تتولى زمام الأمور فى وجودى".

حررت ذراعها منه بعنف وصاحت: "بل سأفعل، الكابتن فى طريقه إلى هنا، والقائد هاريسون سيتولى فريق التكتيكات، وفى هذه الأثناء وحتى ذلك الحين سأتولى زمام الأمور هنا كمفاوضة". ثم قالت للضابط الآخر وهى تكلفه بأن يكون مفاوضًا ثانيًا: "اتصل بالإرهابى محتجز الرهائن على الهاتف".

قال آرنى: "لكنى المسئول عن عدم تفاقم الموقف".

التفتت له وصاحت: "أحقاً؟ هل تحدثت للرهائن؟ هل تأكدت من أنهم على قيد الحياة؟ هل هم بخير؟ هل يحتاج أحدهم لرعاية طبية؟ أين سجل ملابسات الواقعة؟ ما هو تقدمك فى إنهاء الموقف بدون خسائر فى الأرواح فى خلال الساعتين قبل أن تتنازل وتتصل بى؟".

أمسكت بالهاتف وفحصت مفكرتها التى دونت بها الأسماء.

صاح الطرف الآخر عبر المكالمة بغضب عارم: "لا أريد التحدث معك! انتهى الكلام معك!".

"السيد جرادى؛ أنا فيبى ماكنامارا، مفاوضة من الشرطة، وستتحدث معى الآن، تبدو منزعجاً للغاية، هل الجميع عندك بخير يا سيد جرادى؛ هل يعانى أحد ويحتاج لرعاية طبية؟".

"فليذهب الجميع للجحيم!".

"لنحاول حل المشكلة، هل تسمح لى أن أدعوك باسمك الأول"ويليام"؟ هل هذا الاسم هو ما ينادونك به؟".

"لن أتحدث مع أحد!".

"أنا هنا لأساعدك". لقد شعرت فى صوته بأنه انتهى بالفعل من الكلام ومتأهب لتنفيذ وعيده، لكنها قالت: "هل يحتاج أحد لأى شيء عندك؟ رعاية طبية؟ ماء؟ طعام؟".

"أردتُ أموالى".

"أنت بحاجة لأموالك، لماذا لا تخبرنى بالمشكلة يا سيد جراد؟ ربما أستطيع مساعدتك؟". دونت فى مفكرتها أنه أستخدم زمن الماضى فى كلامه.

"ذكرته بالفعل ولم يسمعنى أحد".

"أنا متفهمة لغضبك لأنه لم يسمعك أحد، وأعتذر إن شعرت أن مشكلتك لم تلق الاهتمام المطلوب، لكنى أنصت إليك يا سيد جرادى؛ لأننى أريد مساعدتك فى حل مشكلتك".

"فات الأوان، انتهى الأمر".

سمعت صوت إطلاق الرصاص فى ذهنها قبل ثانية من سماعه عبر الهواء؛ لأنها سمعته فى صوته أولاً.

كان المحامى مصابًا بارتجاج بسيط فى المخ وبعض الكدمات، والسكرتيرة لم يصبها أى سوء، لكنها كانت تعانى من حالة هيستريا، وكان ويليام جرادى ملقى على الأرض ميتاً بسبب إطلاقه الرصاص على نفسه، مما سبب جرحًا غائرًا فى الرأس.

قال آرنى من خلفها: "يا له من تفاوض رائع".

استدارت ببطء حتى تلاقت عيناها بعينيه فى غضب وصاحت: "أيها اللعين المغرور!".

"لقد انتحر أثناء كلامك معه فى الهاتف وليس كلامى أنا"، ثم ابتسم بسخرية ابتسامته المعهودة وسار ببطء مغادراً المكان.

أجبرت نفسها على عدم اللحاق به، ليس الآن؛ لأن غضبها كامل

وحاد وعميق وقد تفعل أى شىء تندم عليه لاحقاً.

يمكنها الانتظار حتى وقت لاحق، ووعدت نفسها بأنها لاحقاً ستتعامل مع الضابط أرنولد ميكس، والآن وقفت فيبى وشاهدت مسرح الجريمة وفريق رجال الشرطة يدخلون ويخرجون منه، ثم شعرت بيد تسقط على كتفها.

قال لها ديف: "لا داعى لبقائك هنا أكثر من هذا".

"لم أحظ بأية فرصة معه، لقد تحدثت معه لمدة دقيقتين فقط على الأكثر، ولكن الأمر قد انتهى قبل مجيئى ولم أتمكن من فعل أى شىء".

"فيبى".

هزت رأسها وقالت: "ليس الآن من فضلك، أريد استجواب الشهود والرهائن"، ثم استدارت وتابعت: "سأسجل جميع أقوالهم وأريد حضورك أثناء التحقيق".

"نعلم أنا وأنت أن الأمور تسير فى الاتجاه العكسى فى بعض الأحيان".

"لكنى لا أعلم هل كان يجب أن يسير هذا الموقف فى هذا الاتجاه أم لا". كان الغضب يريدها أن ترتعش لكنها ترفض ذلك. أردفت قائلة: "سأعرف حقيقة الأمر، الرهائن فى طريقهم للمستشفى، لكن السيدة ليست مصابة، ويمكنها التحدث، وأريدك أن تذهب معى الآن لأننى سأستجوبها".

"حسناً، لكن يجب أن تذهبى لطبيب نفسى؛ لأن حالتك النفسية تتدهور عندما تفقدين...".

"لم أفقد الرجل، وأعلم ذلك تماماً". وأظهرت نبرة صوتها أنها على وشك الانفجار غضباً ثم تابعت: "لم أستحوذ أصلاً على انتباهه معى منذ مجيئى".

لم تتحدث طوال الطريق إلى المستشفى، ولم يجبرها ديف على مواصلة الكلام. وظلت تحدق من النافذة وهى صامتة تماماً، وأخذت تحدد الأسئلة التى ستوجهها ونبرة الصوت التى ستتحدث بها وهذه الأمور بمثابة الأساس لما تريد إثباته.

كانت تريسى بيرسل مستلقية على الفراش ذى العجلات فى حجرة الطوارئ فى المستشفى. لاحظت فيبى كم هى شابة، وكانت

فتاة شقراء وتحتاج لتعديل تسريحة شعرها.

كانت عيناها متورمتين وما حولهما لونه أحمر بسبب كثرة البكاء، وكانت تقضم أظافرها.

قالت: "لقد أطلق الرصاص على نفسه أمامنا".

"لقد مررت بتجربة قاسية، سيساعدك التحدث عنها، وبالتأكيد سيساعدنا أيضاً. هل بإمكانك التحدث يا تريسى؟".

"نعم، قالوا إننى عانيت من سرعة التنفس ثم أصابنى الإغماء، وقالوا إننى سأستلقى لفترة، لكنه لم يؤذنى، وهذا من حسن حظى. لقد لكم جاسبر ووضع المسدس فى وجهه و....".

جلست فيبى بجوار الفراش وربتت يد تريسى قبل أن تخرج جهاز التسجيل وقالت لها: "لابد أنك خائفة ومرعوبة، لا بأس من تسجيل الاستجواب، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد، قالوا إنهم سيتصلون بصديقى براد وأنه سيأتى".

"هذا رائع، إن لم يأت قبل انصرافى، سأتصل به بنفسى. ما رأيك؟".

توقفت تريسى عن قضم أظافرها وكأن فكرة وصول صديقها كافية لتهدأ وقالت: "شكراً جزيلاً لك، أشعر بشعور غريب وكأننى أشاهد فيلم رعب، لكنى اشتركت فيه بنفسى".

"أعلم ذلك، لكن الأمر انتهى الآن، هل تعملين لدى السيد هيوز؟".

"نعم، أنا سكرتيرة قانونية سعيدة بعملى رغم قلة راتبى".

"وذهبت للعمل اليوم كالمعتاد".

أنا أفتح المكتب يومياً فى حوالى الساعة الثامنة وخمسين دقيقة ويدخل جاسبر إلى المكتب فى نفس الموعد يومياً، وغالباً ما كان يتأخر، لكننا ذهبنا للمكتب قبل التاسعة اليوم، وما كدنا ندخل حتى دخل فى إثرنا جرادى واندفع نحو الباب ولكم جاسبر فى وجهه وأسقطه أرضاً، فصرخت لأن معه مسدساً وبدا عليه الجنون".

اغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى ثم أخذت منديلاً ورقياً من العلبة المستقرة على حجرها وقالت: "بدا مجنوناً جداً".

"ماذا حدث بعد ذلك؟".

"أمرنى أن أنهض لأغلق الباب، وقال إننى إن حاولت الهرب فسيطلق النار على جاسبر، ووجه المسدس نحو رأسه، وكنت خائفة،

ففعلت ما أمرنى به. طلب منا دفع المكتب أمام الباب، وعندما لم نتحرك بالسرعة المطلوبة أطلق النار على ما أظن".

"أطلق النار عليك؟".

"كلا، على الأرض، وأحدث خرقاً فى السجادة، وأظننى صرخت مرة أخرى وبكيت بشدة، وصاح بى أن أصمت بحق الجحيم، وأفعل ما يأمر به، وهذا ما فعلناه. ثم ضرب جاسبر مرة أخرى وصاح لأنه يريد أمواله حتى آخر مليم ستة آلاف وخمسمائة وثمانية وعشرين دولارًا وثلاثين سنتاً". ثم بدأت تقضم أظافرها مرة أخرى وأردفت قائلة: "بعد ذلك أظن أن جاسبر أقنعه بالعدول عن أخذ المال الذى تبدد على قضيته الخاسرة وتكاليفها".

"هل كان عميلاً؟".

"نعم لكن بلا سجلات لدى جاسبر"، ثم حدقت بعيداً وتابعت: "لا أعلم تفاصيل قضيته حقاً".

"سنتحدث عن هذا لاحقاً".

"حسناً، لكن من الأفضل توجيه السؤال لجاسبر عن هذا الأمر على أية حال، وقال جاسبر له إنه لا يملك هذا المال الآن، فقال جرادى إنه يجب أن يحصل على المال وإلا سيقع ما لا تحمد عقباه. كانا يتحدثان عن الذهاب للبنك، ثم جاءت قوات الشرطة".

"جاء الضابط الأول لموقع الحادث وقتئذ".

"نعم إلى حد ما، وسمعنا صوت سرينة سيارة الشرطة وجعلنى جرادى أذهب للنافذة وأنظر وصاح فى الشرطة: "اذهبوا جميعاً إلى الجحيم، ابتعدوا عن هنا، إن حاول أحد اقتحام المكان فسأقتل الرهائن". وأوضح أن معه مسدسًا ورهينتين، وأنه سيستخدم المسدس، وطلب منى الصراخ حتى أجعلهم يتأكدون من صحة كلامه".

مسحت عينيها بأصابعها وقالت: "يا إلهى".

"لابد أنك كنت خائفة".

"يا إلهى، لم أشعر بالخوف بهذا القدر طوال حياتى يا سيدتى".

"هل آذاك جرادى حينها؟".

"كلا، بل جعلنى انبطح أرضاً على بطنى وكذلك جاسبر، ثم جاء الضابط وصاح من خلال مكبر الصوت وذكر أن اسمه أرنولد

ميكس، وأن على جرادى ترك سلاحه والخروج رافعاً يديه إلى أعلى. قال الضابط إنه جاد فى تهديده، وصاح جرادى بأنه سيقتل الجميع إن لم يحصل على المبلغ كاملاً".

أردفت تريسى قائلة: "ثم صاحا فى بعضهما البعض لفترة".

"صاحا؟".

"نعم"تصايحا وتلاعنا لفترة طويلة وأراد جرادى معرفة أين كان الضابط والقانون عندما سرق جاسبر أمواله، وصاح الضابط فيما معناه: "لا أهتم بأموالك، اخرج من هنا يا فتى ويداك مرفوعتان".

نظرت فيبى إلى ديف وقالت: "وماذا كان رد فعل جرادى؟".

"تضايق للغاية، وخاصة عندما قال له الضابط إنه لا يملك الجرأة الكافية ليطلق علينا الرصاص، والحقيقة أننى ظننته سيطلق النار ليثبت فقط للضابط أنه مخطئ، ولم أتمكن من مقاومة البكاء".

"هل سمعت الضابط يقول ذلك؟".

"نعم يا سيدتى وقال لجرادى أيضاً إنه أحمق لعين".

نظرت فيبى نحو ديف بينما تريسى تمزق قطعة من منديل الورق ثم استطردت: "صاح جرادى فى الضابط بأنه إن حاول الإمساك به فسيقتلنا وينتحر أيضاً. وذكر أنه محتاج للمال، وقال إنه اضطر لبيع سيارته وإنه بلا مأوى، فقال له الضابط إنه سيعيش فى زنزانته ولن يحتاج لسيارة. وبعد ذلك بفترة طويلة جاء المزيد من رجال الشرطة".

قالت تريسى بعد برهة: "هل تظنين براد قد حضر؟".

"سأتفقده بعد دقيقة، ماذا حدث بعد ذلك يا تريسى؟".

"حسناً، زاد ضيق جرادى وظننته سيطلق علينا الرصاص وينهى الأمر، وبدأت أبكى مرة أخرى بصوت عالٍ وأخبرنى بألا أقلق وأن الأمر ليس خطئى بل خطأ المحامين والشرطة دوماً، على حد قوله، وقال إنهم يفسدون حياة الناس العاديين، وأعتقد...".

قالت فيبى لتحثها على الكلام: "ماذا تعتقدين؟".

"كان سيطلق سراحى، شعرت بهذا فقط، أنا وليس جاسبر؛ لأنه

سألنى إن خرجت هل سأطلع الشرطة بشأن أمواله، فوعدته بذلك، ثم رن جرس الهاتف وصاح ميكس لجاسبر لكى يجيب الهاتف وقال: "التقط السماعة يا أحمق!".

تنهدت تريسى وقالت: "أعلم أنها حماقة منى لكنى كنت خائفة من الضابط أكثر من جرادى ذى المسدس"، ثم مسحت عينيها وتابعت: "كنت أتمنى لو يصمت لأن جرادى كان سيخرجنى، وربما لما كان انتحر أمامى، لا أعرف".

قالت فيبى: "حسناً يا تريسى، كل شىء على ما يرام الآن". ثم بدأت تهدئ من روعها بينما شرعت تريسى فى البكاء.

"كان أمراً مروعاً أن أرى كل ما حدث. قال لى إنه يمكننى الجلوس إن أخبرت الشرطة عن موضوع المال، ولهذا كنت جالسة على الأرضية عندما رن الهاتف، لم أسمع الطرف الآخر لكنى راقبت جرادى وفكرت فى أنه إن تركنى، فلن أعود أبداً لهذا المكتب، بل سأحضر دورات تدريبية عن عالم الأعمال وأحصل على عمل أفضل. لم يقل جرادى الكثير، لكنه كان يبدو حزيناً وخائفاً مثلى وأغلق السماعة. وعندما رن الهاتف مرة أخرى، ظننته لن يجيب. نظر نحوى وقال إنه سيشغل السماعة ليظهر لنا كيف يتعامل رجل الشرطة مع أمثالنا من الناس. بدأت أرى أنه ليست أمامنا فرصة للنجاة. ثم جاء صوت امرأة، كانت أنت"، ثم صمتت تريسى وقالت: "بالتأكيد كانت أنت، وتعلمين ما حدث بعد ذلك".

"نعم، أعلم ما حدث بعد ذلك".

انتظرت فيبى حتى خرجا وابتعدا عن الناس وقالت فى الهواء الطلق وفى الجو الربيعى: "لقد أثار الضابط الإرهابى حتى دفعه للانتحار، وعرض حياة اثنين من الرهائن بتصرفاته الخرقاء، وتجاهل الإجراءات وتجاوز كل إرشادات التفاوض، لماذا؟".

"لا يملك كل الضباط مهارات التفاوض، ولا يفهم معظمهم كيفية التعامل مع موقف الرهائن من هذا المنظور".

هذه المرة لم تكبح جماح غضبها: "اللعنة يا ديف، هل تدافع عنه؟ هل تدافع عما فعله ولو للحظة؟".

رفع ديف يده وقال: "كلا، لن أجادلك يا فيبى، وخاصة أنك

محققة، وسوف يحال ميكس للتحقيق".

قالت دون أن تدع له فرصة للرفض: "سأحقق معه، فهذا من سلطتى".

"لكن بينك وبينه احتكاكًا قويًا، وكنت على الخط عندما انتحر الإرهابى".

"إن لم أحقق معه، فسيقلل ذلك من سلطتى. إنه لم يتصل بى إلا بعد ساعتين، وهنا يكمن خطؤه، المسألة ليست فى مشكلته معى، بل هو عبارة عن كتلة مشاكل ترتدى شارة الشرطة؟".

"لكن احترسى حتى لا يتحول الأمر لانتقام شخصى".

"حسناً. لكنى سأجعله يدفع ثمن أخطائه".

أمضت فيبى بقية اليوم الطويل فى جمع المعلومات والتحقيقات وأقوال الشهود وكتابه الملاحظات لإنهاء تقرير الحادث.

ثم استدعت آرنى لمكتبها.

قال لها: "لقد قاربت ساعات عملى على الانتهاء".

"أغلق الباب واجلس".

"أعمل من الثامنة وحتى الرابعة فقط. إن جلست لما بعد الساعة الرابعة فسيكون هذا وقتاً إضافياً". ثم سار بتثاقل حتى مكتبها وجلس، وقال عندما رأى المسجل على مكتبها: "ما هذا؟".

"ستسجل المحادثة لحمايتك وحمايتى".

"ربما أحتاج للمحامى الخاص بى".

"اتصل به إن أردت"، ثم ناولته الهاتف عن قصد وقالت: "تفضل".

هز كتفيه بلا اكتراث وقال لها: "الديك خمس دقائق وبعدها سأحسب الوقت الإضافى".

"فى الساعة التاسعة وإحدى عشرة دقيقة صباحاً تلقيت بلاغ إطلاق النيران فى مكتب المحامى جاسبر هيوز، هل هذا صحيح؟".

"نعم".

"وذهبت لموقع الحادث بكل حماس وذكر لك الإرهابى داخل

المبنى أنه مسلح ومعه رهينتان، هل هذا صحيح؟".

"إن ذكرت كل التقرير بحذافيره فستضيعى الوقت".

"هل استدعيت فريق تفاوض للدعم فى هذا الوقت؟".

"كلا، كنت مسيطرًا على الموقف حتى وصولك".

"وعرفت الإرهابى بنفسك كضابط عبر مكبر الصوت؟".

"نعم اتخذت ساتراً كما هى الإجراءات المتبعة وعرفت نفسى بالتأكيد وطلبت منه ترك السلاح وتسليم نفسه ولكنه رفض".

جلست فيبى للوراء وقالت: "عندك حق، نحن نضيع الوقت، التقرير هنا يشمل أقوال الشهود والرهائن والضباط ممن وصلوا وشهدوا الواقعة لاحقاً، وذكروا جميعاً أنك لم تتبع التعليمات والإجراءات، ولم تستدع فريق التفاوض، ولم تتبع أى إرشادات فى مفاوضات الرهائن. وبدلاً من ذلك، هددت ووبخت محتجز الرهائن ودفعته لحالة مضطربة من الغضب".

"إنه إرهابى وحالته مضطربة بالفعل".

"عندك حق، ولم تحاول التحدث معه لتهدئه". ورغم لمعان عينيها بالغضب، ظل صوتها هادئًا تمامًا، وأردفت قائلة: "لقد أخبرته أنك لا تهتم، وأنه سيذهب للسجن".

ابتسم لها ابتسامته المعهودة الساخرة وقال: "لا يجب أن أكذب فى المفاوضات".

"كف عن الابتسام أيها الضابط. لقد دفعت الإرهابى للانتحار". ثم أمسكت ورقة من التقرير وقرأت: "ثم تحدث الضابط ميكس مع الإرهابى هاتفياً ونصحه أن يطلق الرصاص على رأسه أفضل".

"هذا علم نفس انعكاسى، كل شىء كان تحت السيطرة حتى تحدثت أنت معه. لقد نجا المحتجزان أليس كذلك؟".

"كان هناك ثلاثة أشخاص فى المكتب ونجا اثنان".

"لا نهتم إلا لأمر هذين الاثنين".

"هذا فى رأيك أنت، وربما لهذا السبب شتمت الإرهابى، ولا أرى فى التقرير شيئًا يوضح اهتمامك برهينتيه. لم تسأل عن حالتهما للتأكد من سلامتهما، وقمت بإجراءات من شأنها أن تهدد أمنهما. مثل أن تقول الإرهابى إنه لا يملك الشجاعة الكافية لضرب النار عليهما".

"أنت تريدين إلقاء اللوم على أحد لأنك أفسدت الأمر يا سيدتى".

"سيتم التحرى عن إجراءاتى فى هذا الأمر، أعدك بذلك. لكن من المؤكد أن تصرفاتك خاطئة، وأنت الآن موقوف عن العمل لمدة ثلاثين يومًا".

نهض من المقعد وصاح: "هراء".

"سيتم التحقيق فى الحادث، خاصة عن تصرفاتك فيه، وحتى ذلك الحين ستحال لطبيب نفسى تابع للشرطة ليقيم حالتك فى خلال اثنتين وسبعين ساعة".

احمر وجهه من الغضب كما حدث فى قاعة المحاضرات وقال: "لن تقهرينى بهذا الشكل".

"أنت حر فى الاعتراض على إيقافك عن العمل، لكنك ستجد نسخًا من أقوال الشهود مع كابتن ماك فى، وهو متفق معى فى قرارى".

"لأنك عشيقته وسيفعل أى شىء من أجلك".

قامت ببطء وقالت: "ماذا قلت؟".

"أتظنين الأمر سرًا؟ الجميع يعلمون أنك عشيقته، وسنرى من الموقوف عن العمل يا عاهرة!".

"أنت موقوف عن العمل لمدة ثلاثين يومًا وسيتم تثبيت شارة العصيان على سترة الشرطة الخاصة بك. اخرج قبل أن يزداد الأمر سوءًا".

تقدم نحو مكتبها وطرقه ثم مال للأمام وقال: "سيزداد الأمر سوءًا، لكن بالنسبة لك، وهذا وعد".

شعرت بحشرجة فى حلقها وقالت: "يمكنك الانصراف، أعطنى سلاحك وشارتك أيها الضابط".

تحركت يده نحو السلاح فى حزامه الجانبى وتحسسه بأصابعه ورأت فيبى فى عينيه أنه أكثر من مجرد مغرور وتافه.

دوى قرع على الباب وقاومت بشدة رغبتها فى الارتعاد، وأدخل سايكس رأسه عبر الباب وقال: "آسف على المقاطعة، أحتاج لدقيقة من وقتك أيتها الملازم إن كانت متاحة".

"إنها متاحة، لقد أعطيتك أمرًا يا ميكس، نفذه".

نزع سلاحه ووضع الشارة والسلاح على مكتبها ثم استدار وسار متثاقلاً إلى الخارج، ثم سمحت فيبى لنفسها بلحظة ارتعاش

وتنفست الصعداء.

"هل أنت بخير أيتها الملازم؟".

"نعم، ما الذى كنت تريده؟".

"لا شىء، شعرت بأن الموقف ساخن هنا فقط".

"حسناً، شكراً لك"، ثم أرادت الجلوس لكنها واصلت الوقوف وقالت: "أيها المخبر، أنت فى هذا القسم منذ سنوات؟".

"منذ اثنى عشر عامًا".

"وتسمع الكثير من الشائعات؟".

"بالتأكيد".

"هل هناك شائعة عن علاقة غير شرعية بينى وبين الكابتن ماك فى؟".

بدت عليه الدهشة لدرجة جعلتها تشعر بالألم فى معدتها وقال لها: "يا إلهى، كلا أيتها الملازم"، ثم أغلق الباب خلفه وتابع: "هل أخبرك هذا الأحمق بهذا؟".

"نعم، لكن لا تخبر أحداً بهذا".

"حسناً إن كان هذا ما تريدينه". ثم نظر سايكس لشارة وسلاح ميكس وقال: "سأقول لك سراً أيضاً، لن يحزن أحد لما حدث له ولا حتى أنا، هل أنت مهتمة برأيى بشكل غير رسمى؟".

"نعم جداً".

"لم يكن أبداً ليصل لمنصبه لولا وساطة معارف عائلته، وهو أرعن وأحمق، احترسى منه".

"سآخذ حذرى منه، شكراً يا بول".

لمعت عيناه عندما نادته باسم التدليل وهم بالخروج، لكنه توقف عندما لمس مقبض الباب واستدار نحوها قائلاً: "معظمنا يعتقد أنك قريبة الكابتن المفضلة. فى البداية، شعرنا باستياء عندما جئت فجأة من المكتب الفيدرالى وتوليت زمام الأمور هنا، وكنت أنا من بين المستائين لهذا، لكن الاستياء والتذمر اختفيا بسرعة من معظم الضباط؛ فأنت رئيسة جيدة أيتها الملازم، وهذا هو المهم فى الأمر".

"شكراً لك".

وما إن انصرف حتى جلست وسمحت لنفسها بالارتعاش.

٥

شعرت فيبى بأن الشىء الوحيد الذى لم يزعجها حقاً هو العودة للمنزل بعد يوم سيئ للغاية، لتجد فى انتظارها باقة زهور جميلة. رتبتها إيسى فى عرض مدهش فى مزهرية العمة بيس الضخمة، واختارت من بينها ثلاث زهرات لحجرة نوم فيبى.

"يمكنك وضع الباقة كلها فى حجرتك بالطبع، لكنى فكرت...".

"كلا، هذا جيد، إنها جميلة"، ثم مالت فيبى لتستنشق عبير الزهور الفاتنة التى كانت تنتصب بأناقة والندى يبللها على مائدة بنية فى صالة المنزل. وتابعت: "سنستمتع بها جميعاً هنا".

قالت إيسى: "لم نقرأ البطاقة المصاحبة للزهور"، ثم أعطتها لها وأردفت: "هناك صراع، أعترف به بداخلى، ما بين الضمير والفضول رغم معرفتى بالمرسل".

قالت فيبى: "نعم ربما منه حقاً"، ثم طرقت المظروف الذى بداخله الكارت على يدها.

وقفت إيفا خلف كارلى وهى تدلك كتفى الفتاة وقالت: "اقرئى لنا ما هو مدون مع البطاقة يا فيبى! يكاد الفضول يقتلنا، وكنت أفكر فى مصارعة أمك حتى تسقط أرضاً لأخطف البطاقة وأقرأها!".

اعتقدت فيبى أنه عندما يرسل رجل زهوراً لمنزل به أربع نساء، فهو قد أرسل الزهور للجميع. ثم فتحت المظروف وقرأت الكارت.

"أراك يوم السبت، دانكان".

قالت إيفا بإحباط: "هذا فقط؟ إنه ليس شاعراً".

قالت إيسى: "أظنه ترك الزهور تعبر عن مشاعره، وهذا شىء شاعرى".

"هل هو صديقك يا أمى؟".

قالت فيبى لكارلى: "إنه مجرد شخص سأتناول معه العشاء غداً".

"لأن أخت شيرلين الكبرى لديها صديق يجعلها تبكى طوال الوقت على فراشها كما قالت هى لى".

"وأراهن أن أخت شيرلين تستمتع بكل لحظة من العلاقة". ثم ربتت على وجه كارلى وقالت: "أنا شخصيًا لا أبكى كثيراً".

"لكنك بكيت فى آخر مرة اتصل بك فيها روى". تكون الأم مخدوعة إن ظنت أن بإمكانها إخفاء دموعها عن ابنتها. قالت فيبى: "ليس كثيراً، سأصعد لأبدل ملابسى، العشاء الليلة بيتزا كما سمعت".

"نعم وسنشاهد فيلمًا على اسطوانات دى فى دى ونأكل الفيشار الليلة!".

"نعم، أعلم ذلك، سأخلع ملابس العمل وأرتدى ملابس الأم".

جلست فيبى على جانب من فراشها فى حجرتها بالطابق العلوى، وتساءلت هل يمكن للأم أن تحمى ابنتها حقاً من أخطائها، أم أن تأثيرات أخطاء الماضى سيظل لها أصداء مدى الحياة؟

ألم تنتقل فيبى وأسرتها للمعيشة فى هذا المنزل بسبب حدث واحد مضى عليه أكثر من عشرين عامًا؟ ألم يجتمعوا هنا وتتشابك حياتهم بسبب ليلة صيف ساخنة عندما كانت فيبى فى الثانية

عشرة من عمرها وبالتالى فإن أى إجراءات أو قرارات أو حتى كلمات منها ستؤثر على ابنتها للأبد، مثلما أثرت عليها إجراءات وقرارات وكلمات أمها.

قالت فيبى لنفسها إن أمها قامت بواجبها على أكمل وجه، لكن عندما وثقت فى رجل وائتمنته على نفسها وأطفالها، تغير مجرى حياتهم للأبد.

..تذكرت فيبى كل ما حدث لحظة بلحظة وحركة بحركة، وكأن الأمر قد وقع بالأمس.

كان الجو حارًا خانقًا فى الحجرة، علاوة على رائحة عرقه النفاذة القذرة. بدأ يحتسى جرعات كبيرة من الشراب من الزجاجة مباشرة، وكانت الأم تخفى هذه الزجاجة فى خزانة المطبخ، وبالتالى أضيفت رائحة الشراب لرائحة الهواء المحبوس فى القاعة.

تمنت فيبى أن يحتسى منه ما يجعله ثملاً ثم يصاب بالإغماء قبل أن يستخدم مسدسه الـ ٤٥ مللى، الذى يلوح به فى يده كطفل حقير معه عصا مسنونة ومدببة.

اخفض ناظريك، أنت لست حريصًا

كان قد أطلق بضع رصاصات على بعض التحف للزينة واللمبات وأحدث ثقوباً فى الحوائط. لقد صوب المسدس على رأس الأم وصرخ ولعن وهو يجرها على الأرض من شعرها الأحمر الطويل.

لكنه لم يطلق الرصاص على الأم حتى الآن، ولم ينفذ تهديده ـ حتى الآن بأن يطلق الرصاص عليها وعلى أخيها الأصغر كارتر.

كان يمكنه ذلك، وتأكد من أنهم يعلمون أنه سيفعل إن نطق أحدهم بأية كلمة. وبالتالى ظلت الحجرة يغلفها الخوف، شعور بالخوف الجارف اليائس معلق فى الهواء المحبوس مثل ذبابات سوداء.

رغم انغلاق كل الستائر على النوافذ، كانت تعلم أن الشرطة بالخارج. كان روبن يتحدث معهم عبر الهاتف. كانت تتمنى أن تعلم ما الذى كانوا يقولونه له؛ لأنه كان يهدأ بعدها.

إن علمت ما يهدئه، فستقوله له فى الوقت الذى يمل فيه من التحدث للشرطة ويغلق السماعة، قبل أن يثور غضبه ويحاولوا تهدئته مرة أخرى.

كان يطلق على الشخص عبر الطرف الآخر من الهاتف"ديف"، وكأنهما صديقان يتحدثان فى إحدى المكالمات لمدة طويلة عن الصيد.

عاد الآن للسير عبر المكان واحتساء الشراب والسب واللعن. كان الوقت بشعًا ما بين المكالمة والأخرى. لم تعد فيبى خائفة أو تتراجع للوراء عندما يصوب فوهة مسدسه عليها أو على أخيها كارتر، حيث يجلسان على الأريكة.

كانت متعبة جداً لدرجة حالت دون شعورها بالخوف.

اقتحم عليهم المنزل بعد الغداء ومازالت الشمس لم تغرب بعد، ومر وقت طويل الآن وكأن اليوم التالى لن يأتى أبدًا.

أطلق روبن النار بالفعل على المنبه الجميل المطعم باللؤلؤ الذى كان هدية زواج أمها من أبيها، وكان على مائدة قابلة للطى، ولا تعرف فيبى عدد الساعات التى مرت منذ تحطم المنبه ووقوفه عند الساعة السابعة وخمس دقائق.

كانت الأم تحب هذا المنبه، ربما لهذا حطمه روبن بالرصاص؛ لأنه يعلم كم تحبه الأم.

عندما رن جرس الهاتف مرة أخرى، وضع زجاجة الشراب على المائدة ورفع السماعة وصاح:

"ديف يا لعين، قلت أعيدوا التيار الكهربى للمنزل، لا تخبرنى أنكم مازلتم تعملون على إصلاحه".

ثم لوّح بالمسدس، وسمعت فيبى كارتر يسحب نفساً من الفزع، فدلكت ركبتيه لتهدئة.

إذا كانت الأم تحب المنبه كثيراً، فإنها تحب ابنها كارتر أكثر من أى شىء فى الحياة، وكان روبن يعلم ذلك أيضاً، ما جعل إيذاءه بالتأكيد من أولويات قائمة مهام روبن.

"لا تقل لى إنكم مازلتم تصلحون التيار الكهربى، لستَ الجالس هنا تتصبب عرقاً كالحيوان وتستخدم لمبات الغاز، أريد عودة الكهرباء والتكييف وإلا سأقتل أحد الطفلين. تعالى يا إيسى

وأخبريه أننى جاد وأعنى ما أقول. الآن!".

شاهدت فيبى الأم تنهض من المقعد الذى أمرها أن تجلس عليه، وبدا وجهها شاحبًا فى ضوء المصابيح وعيناها مذهولتين كالأرنب المذعور المحبوس. وعندما اقتربت لتتناول سماعة الهاتف، صوب روبن المسدس على صدغها ولف ذراعه حول عنقها.

هم كارتر بالقفز من جانب فيبى، لكنها أمسكت يده بقوة وهزت رأسها ليظل على الأريكة، وقالت له بصوت مسموع بالكاد: "لا تفعل، سيؤذيك إن حاولت الهرب".

"أخبريه أننى أعنى ما أقول!".

نظرت إيسى أمامها وقالت: "إنه يعنى ما يقول!".

"أخبريه بما أفعله الآن".

سالت الدموع على خديها حتى وصلت للدم الجاف على جرح كان قد أحدثه بها حين صفعها برسغ يده فى وقت سابق، وقالت: "إنه يصوب مسدسه نحو رأسى، طفلاى جالسان على الأريكة معاً وهما خائفان، افعلوا أى شىء يريده من فضلكم!".

ضغط على صدرها وقال: "كان يجب أن تفعلى ما أردته يا إيسى، وإلا لما اضطررت لفعل كل هذا. أخبرتك أنك ستندمين، أليس كذلك؟".

"نعم يا روبن أخبرتنى بهذا".

"هل سمعت ذلك يا ديف؟ إنه خطؤها، مهما يحدث هنا فهو خطؤها، يجب أن أطلق الرصاص على رأسها بسبب ذلك".

قالت فيبى: "يا سيد روبن؟"، وكان صوتها صافيًا وهادئًا كصباح يوم ربيعى وكأنه صادر من شخص آخر، شخص قلبه لا يدق بعنف من الفزع حتى يكاد يصعد للحنجرة. لكن عينى روبن سارتا حتى تركزتا عليها.

"هل طلبت منك الكلام يا لعينة؟!".

"كلا يا سيدى، لكنى ظننتك جائعًا، ربما تريدنى أن أصنع لك فطيرة لحم".

لم تسمح فيبى ولم تستطع لنفسها بالنظر لأمها؛ لأنها شعرت بخوف أمها يزداد كالفيضان وقد يغرقها.

"أتظنين إن أعددت لى الطعام أننى لن أطلق الرصاص على رأس أمك اللعينة؟".

"لا أعلم، لكن لدينا شطائر لحم ممتازة وسلاطة بطاطس". أدركت فيبى أنها لن تبكى، واندهشت لعدم وجود دموع رغم قلبها الذى يدق بعنف، لكن كان الغضب عارمًا بداخلها فى أعصاب بطنها، فقالت: "أعددت وسلاطة البطاطس بنفسى، وهى رائعة".

"إذاً افعلى هذا وخذى المصباح معك، لا تظنى أننى لا أراك فى الظلام، إن جربت أى شىء أحمق، فأطلق النار على أخيك".

"حاضر يا سيدى". ثم رفعت المصباح ونهضت وقالت: "يا سيد روبن؟ هل يمكننى الذهاب للحمام أولاً؟".

"بل لا تذهبى بحق الجحيم".

"لكنى أتحامل على نفسى منذ فترة طويلة يا سيد روبن، سأستخدم الحمام بسرعة حتى أعد لك طبق طعام شهى". ثم نظرت لأسفل فى حياء وقالت: "سأدع الباب مفتوحاً. من فضلك؟".

"لكن أسرعى، إن تأخرت سأكسر أصابع أمك".

"سأكون سريعة". ثم أسرعت نحو الحمام بجوار حجرة المعيشة.

وضعت المصباح خلف المرحاض وتمنت ألا يحبس الخوف والإحباط مجرى البول فى المثانة وخلعت سروالها وجلست على المرحاض. نظرت بسرعة للنافذة فوق البانيو وقالت إنها صغيرة ولا تصلح للهرب، لكن كارتر يمكنه غالباً الهرب منها. إن أقنعت روبن بأن يدع أخاها يذهب للحمام فستقنع كارتر بالهرب من النافذة.

قامت وشدت السيفون بيد واحدة، وباليد الأخرى جذبت باب صندوق الأدوية. صاحت عندما صاح روبن بها لكى تسرع بحق الجحيم: "حالاً يا سيدى!".

أمسكت علبة أقراص المنوم الصغيرة الخاصة بأمها من أعلى الرف ووضعتها فى جيبها.

عندما خرجت فيبى، دفع روبن إيسى نحو الأرض وانزلقت حتى الأريكة. صاح روبن: "يا ديف، سأتناول بعض الطعام الآن، وإن لم تعد الكهرباء بمجرد انتهائى من تناول طعامى، سأصبح نذلاً وأقتل أحد الأطفال. هيا يا فيبى جهزى الطعام وكمية كبيرة من

سلاطة البطاطس".

"كان المنزل صغير، وبه رائحة الرصاص، وتأكدت فيبى من أنها فى مجال بصره وهى تخرج شطائر اللحم والسلاطة من الثلاجة.

سمعته يتحدث إلى ديف وحاولت بكل جهدها ألا تهتز يدها وهى تحضر أطباق الطعام. أراد روبن مليون دولار وسيارة كاديلاك وحرية الانتقال لولاية أخرى. قالت فيبى لنفسها إنه ليس دنيئاً فقط، بل أحمق أيضاً. استخدمت طبق سلاطة البطاطس كغطاء ووضعت الحبوب فى الطبق وطحنتها قدر الإمكان، ووضعت عليها كمية كبيرة من سلاطة البطاطس ومزجتها جيداً بالحبوب المطحونة.

وضعت مسطردة على شريحتى خبز ووضعت شريحة لحم وجبن بينهما. فكرت فى استخدام السكين من الدرج ولكن....

"لماذا تأخرت بحق الجحيم؟!".

رفعت رأسها لأعلى، كان قد وضع السماعة لم تكن تنتبه جيداً والمسدس مصوب تحت ذقن كارتر، أمام باب المطبخ.

"أنا آسفة، كنت أحضر شوكة لسلاطة البطاطس".

كورت يدها على علبة الحبوب المنومة، واستدارت لتفتح درج الملاعق والشوك الفضية وتركت العلبة تسقط داخل قاع الدرج وهى تحضر الشوكة.

قالت له: "هل تريد عصير ليمون يا سيد روبن؟ لقد صنعته أمى طازجًا و...".

"أحضرى الطعام بسرعة يا فتاة!".

رفعت الطبق، وكان من السهل أن تظهر له الخوف لتخفى أى شىء آخر، ولكن رؤية المسدس مصوبًا نحو ذقن كارتر ملأها بالغضب واهتزت يدها بالطبق لأعلى وأسفل. عندما ابتسم، أدركت أن الخوف جزء مما يريده، وأن إعطاءه له لم يكلفها شيئاً.

"ضعى الطبق بجوار الهاتف واجلسى على الأريكة".

نفذت أوامره بدقة، لكن قبل أن تجلس رفع روبن قدمه وسدد ركلة قوية لمؤخرة كارتر جعلته يندفع إلى الأمام، وقفزت إيسى لتحاول منعه لكن فيبى سدت عليها الطريق ونظرت إليها بحدة وشراسة.

سارت فيبى لتساعد كارتر على النهوض بنفسها وقالت:

"اصمت يا كارتر! السيد روبن لا يريد ضجيجًا وبكاءً أثناء تناوله العشاء".

أومأ لها روبن وجلس ووضع المسدس على حجره وقال: "أنت عاقلة يا فتاة، لا أعرف كيف تتحلين بالعقل رغم أن أمك امرأة عاهرة". التقط الشوكة بيد والهاتف باليد الأخرى ثم أردف قائلاً: "أين الكهرباء يا ديف؟"، ثم ابتلع مقدار ملء شوكة من سلاطة البطاطس.

بينما كان كارتر يبكي في أحضان الأم أخذت فيبي تراقب روبن وهو يأكل. هل يا ترى وضعت كمًا كافياً من الحبوب المنومة؟ كم يكفي حتى يغمى عليه؟ هل سيساعد احتساؤه للخمور على الدخول في غيبوبة؟.

ربما قد يموت. سمعت عن هذا أو قرأت عنه، الحبوب مع الخمور، قد يموت هذا الوغد اللعين.

مالت للأمام وهمست في أذن أخيها، فهز رأسه، ولذلك قرصته بشدة وقالت: "افعل ما أقوله وإلا سأوسعك ضرباً".

"اخرسوا! هل أمرتكم بالحديث؟".

"آسفة يا سيد روبن، كنت أخبره ألا يبكي. يريد الذهاب للحمام أيضاً، هل يمكنه يا سيد روبن؟ أنا آسفة لكنه سيغرق البنطال والأريكة، لن يستغرق سوى دقيقة".

"حسناً، فليذهب إلى الجحيم!".

ضغطت فيبي على يد كارتر بشدة وقالت له: "اذهب يا كارتر ونفذ ما قلته لك".

فرك كارتر عينيه بأصابعه ثم نهض من الأريكة وسار بخطى متثاقلة إلى الحمام.

"يا سيد روبن؟".

همست الأم لها لكي تصمت، لكن فيبي تجاهلتها وقالت لنفسها إن لم يفكر فيه روبن لبضع دقائق فسيتمكن كارتر من الهرب.

"هل تظن أنني لو أخبرت الضابط أن يعيد التيار الكهربي سيطيعني؛ الجو حار، وربما إن طلبت منه وأخبرته أننا جميعاً نشعر بالحرارة، سيعيد التيار؟".

"هل سمعت هذا يا ديف؟"ثم تراجع روبن للخلف فى مقعده وابتسم وأخفض عينيه الزجاجيتين وتابع: "الدىَّ طفلة تريد التفاوض معك. بالتأكيد، تعالى إلى هنا".

عندما وقفت فيبى أمامه، أعطاها السماعة وصوب المسدس نحو بطنها وقال لها: "أخبريه بما أفعله بك أولاً".

نزل خط بطىء وسميك من العرق على ظهرها. تساءلت لماذا لم يظهر مفعول الحبوب؟ هل كارتر هرب من النافذة أم لا؟

"يا سيدى، إنه يصوب مسدسه نحو بطنى، وأنا خائفة للغاية، نحن نشعر بالحرارة، لكننا بخير ولم يصب أحد بسوء، لكننا لا نقوى على تحمل الحرارة العالية، أعتقد أنكم لو أعدتم توصيل الكهرباء لتشغيل مكيف الهواء، فربما نتمكن من النوم عندئذ، ربما نحتاج لعدد كبير من الأقراص المنومة لننام فى ظل هذا الخوف الشديد. هلا أعدت تيار الكهرباء يا سيدى؟".

عندما حاول روبن الوصول للسماعة أمسكت الهاتف بشدة وقالت: "ياسيدى؟". ثم شعرت بارتياح عندما هز كتفيه بلا اكتراث وتراجع للخلف، وبدا الارتياح كموجة سريعة، ثم قالت عبر الهاتف: "هلا أعطيتموه المال والسيارة التى يريدها؟ إنه لطيف معنا منذ أن أعطيته سلاطة البطاطس بنفسى وجعلنى أذهب للحمام أولاً. كلنا مرهقون وقد نتعرض للإغماء فى أى لحظة، هل تفهم؟".

مد روبن يده ليأخذ السماعة، ثم دفعها بغلظة بالمسدس لكى تتراجع للخلف وقال: "هل سمعت هذا يا ديف، تريد الفتاة عودة التيار الكهربى، وتريدنى أن أحصل على المال والسيارة. كلا، لم أحضر لهم أى طعام ولن أفعل إلا بعد عودة التيار، والآن سأصبح حقيراً وأطلق الرصاص على ... أين هذا الولد الملعون؟".

رفعت فيبى ذراعها وكأنها تشير للحمام وقالت: "إنه هنا يا سيد روبن..."، ثم ارتطمت يدها بزجاجة الخمر فوقعت وانكسرت على الأرض. صاحت: "ياه! أنا آسفة سأنظف الفوضى الآن...".

انحنت فيبى لكنه صفعها بظهر يده وصاح: "أيتها الملعونة!"، ثم قام وسار مترنحاً ونظرت فيبى لفوهة مسدسه.

قفزت إيسى من على الأريكة وهى تتميز غيظاً، ثم وثبت على

ظهره ليتراجع ويحنى ظهره، ثم عضته وحفرت أخاديد على وجهه بأظافرها الحادة كالموسى، وصرخ كلاهما وأخذا يسبان بعضهما البعض. ثم تراجعت فيبى بخطوات بطيئة، وبالكاد تجنبت رصاصة من مسدسه بينما انحنى روبن على ركبتيه تحت هجوم إيسى.

صاحت فيبى بكل قوتها: "ساعدونا الآن!"، ثم أمسكت الزجاجة واستعدت للهجوم عليه بها لكنه انهار على وجهه. واستمرت إيسى فى الصراخ والبكاء وهى تسدد له اللكمات، حتى بعد فتح الباب واندفاع رجال الشرطة بالمسدسات للداخل.

بكت فيبى وزحفت نحو الأم وهى تصيح: "لا تطلقوا النار علينا!".

هدأت الأمور وسارت بطيئة كالحلم. نامت فيبى وحلمت بأناس يسيرون معها عبر الماء، والأصوات لها أصداء والضوء المبهر يؤذى عينيها. كان الحلم قد تحول إلى كابوس جعلها تخاف وتستيقظ مرة أخرى.

كشفوا على وجه الأم بأشعة إكس للتأكد من عدم وجود كسور فى عظم الخد، ثم وضعوا قطناً على الجرح الغائر لسده وإيقاف النزيف. جلست فيبى فى حجرة صغيرة فى المستشفى، ولم ترغب فى الاستلقاء والنوم خشية أن يعود لها كابوس رؤية المسدس وقد انطلقت منه الرصاصة كالشىء الحى تظل تطاردها حتى تقتلها.

نام كارتر وهو متكور على الفراش الضيق، وقبضتاه ضيقتان، وظل جسمه كله يهتز كل فترة كالحصان الذى يحط الذباب على جسمه.

كان رجال الشرطة والأطباء والممرضات يدخلون ويخرجون، وأخذوا يطرحون الأسئلة، وكانت فيبى تريدهم أن يرحلوا ويتركوهم وشأنهم. لكن عندما رحلوا، تمنت عودتهم حتى لا تكون وحيدة.

جاءوا لها بالماء لتشرب حتى تروى حلقها الجاف، ثم بمشروب غازى مثلج من الزجاجة مباشرة.

أرادت الاطمئنان على والدتها بشدة، لدرجة أن ألم القلق عليها كان أشد من ألم صفعة روبن على خدها.

جاء رجل إليها ومعه وجبة هامبورجر وبطاطس مقلية، وجعلتها الرائحة تشعر بجوع مفاجئ وحاد.

ابتسم الرجل لها ولمح كارتر النائم، ثم جلس بجوار فيبى على الفراش وقال: "عرفت أنك جائعة، ورغم أننى لا أعرفك، فضلت ألا تتناولى طعام المستشفى. أنا ديف".

تعرف أنها حدقت فيه وأن هذا سلوك وقح، لكنها توقعت أن يكون ديف رجلاً كبيراً فى السن. إنه يبدو بالكاد أكبر سناً من الأولاد فى المرحلة الثانوية الذين تحدق فيبى بهم سراً وتتنهد سراً أيضاً. كان شعره بنيًا ومجعدًا وعيناه زرقاوين صافيتين ويرتدى قميصًا أزرق داكنًا ومفتوحًا عند الياقة، ورائحته يملؤها العرق إلى حد ما.

مد يده لها بالمصافحة، لكن عندما مدت له يدها لم يصافحها، بل أمسكها بحزم مثلما حدق فى عينيها بإحكام وقال: "أنا سررت بمقابلتك يا فيبى، سعيد حقاً لمعرفتك".

"وأنا أيضاً".

ثم فعلت ما لم تفعله منذ ساعات فى المنزل الحار وفى انتظار أخيها لكى ينام.

لقد بكت.

أمسك ديف بيدها وجلس على الفراش ولم ينطق بكلمة، بل قام بعد هنيهة وأحضر لها علبة مناديل ووضعها على حجرها. وعندما كفت دموعها، أخرج لها الهامبورجر والبطاطس.

قالت فيبى: "كيف حال أمى؟".

"ستكون بخير، فحصتها بنفسى، وطلبت أن أراك وأخاك لبرهة من الوقت قبل أن تأتى إليكما أو تذهبا إليها. ولكن يبدو أن أخاك سيفيده بعض النوم الآن".

"أظن ذلك".

"أعرف أنك كنت خائفة، لكنك كنت ذكية وشجاعة أيضاً".

"لم أكن شجاعة بل مجنونة"، ثم قضمت شطيرة الهامبورجر وتحركت معدتها وكأنها تحدد هل ستقبل الطعام أم لا، ثم استرخت

مرة أخرى قبل أن تتابع: "كان كارتر شجاعًا لكى يتسلق النافذة".

"قال إنك قلت له أن يفعل ذلك، وإلا ستوسعيه ضرباً إن لم يفعل".

تورد وجهها حين تذكرت أنه ممنوع عليها ضرب أخيها الصغير، رغم أنها أحياناً كانت تكسر القاعدة عندما يفعل حماقات تستدعى ذلك من وجهة نظرها.

قالت له: "نعم فعلت ذلك".

"لماذا؟".

"كان روبن سيؤذيه قبلى وقبل أمى، لأنه الأصغر ولأنه يعلم أن أمه تحبه أكثر من أى شىء".

"لكنك وضعت الحبوب المنومة فى الطعام قبل أن تخبرى كارتر بأن يقفز من النافذة".

"كان يجب أن أضع المزيد منها، ولم أكن متأكدة من الكمية الكافية، لكنك فهمت ما كنت أحاول إخبارك به". ثم التقطت البطاطس وتابعت: "شعرت براحة أكبر عندما تحدثت إليك وقتها".

"كان ذكاء منك أن تخبرينى بأنك وضعت حبوبًا منومة فى طعامه، لقد جعلتنا نكسب وقتًا".

"لكنكم لم تعيدو التيار، لماذا؟ لقد جن جنونه بسبب هذا".

"هل تعلمين كيف تفاوضت معه ليدعك تدخلين الحمام؟ الأمر كذلك، عندما ننفذ طلباً له، يجب أن يكون الأمر بالمقايضة والتبادل، كنت سأفعل هذا لولا أننى لمحت كارتر يخرج من النافذة، وأردت أن أشغل روبن بالكلام أو أدعك تتكلمين حتى نكسب وقتاً ويخرج كارتر من النافذة بسلام، ثم فهمت الموقف الجديد. هل تعمدت إسقاط زجاجة الخمر لإلهائه وتشتيت انتباهه حتى لا يسأل عن كارتر؟".

"نعم، خمنت أنه سيضربنى، لكنى لم أعرف أنه سيجن جنونه إلى هذا الحد. ربما كان سيطلق علىّ الرصاص لولا أن أمى قفزت عليه. كان يجب أن أعطيه المزيد من الحبوب، وبذلك كان سيغمى عليه بسرعة. لقد أحضرت أمى الحبوب بسببه، وهذه مفارقة". ابتسمت عندما ضحك ديف ثم استطردت: "تعلمت مصطلح"مفارقة"فى

حصة اللغة الإنجليزية. لقد كانت أمى تتناول الحبوب لأنه كان يجعلها حزينة ومتوترة، وكان يتظاهر بأنه لطيف عندما يراها، وبدأ يخرج معها، لكنه تغير وأصبح عنيفاً معها ومعنا، ووجه لها لطمه عنيفة ذات مرة".

"ثم أمرته بالابتعاد عنها".

أومأت له فيبى وقالت: "قالت إنها لم تعد ترغب فى رؤيته مرة أخرى وطلبت منه أن يرحل من المنزل، لكنه كان يأتى كثيراً للمنزل وكان يتردد عليها فى العمل، وكان يتبعها بسيارته، وربما كان يفعل أكثر من هذا ولكنها لم تخبرنى. جاء إلى منزلنا ذات ليلة وكان ثملاً فاستدعت أمى الشرطة التى جعلته يرحل فحسب".

"يؤسفنى أن الشرطة لم تفعل المزيد".

"طلبوا منها أن تحرر ضده محضرًا بعدم التعرض لها. وفعلت ذلك، لكن ذلك لم يساعدها".

"فعلاً، وأنا آسف جداً على ذلك أيضاً. يبدو لى يا فيبى أن أمك فعلت كل شىء لحماية نفسها وأسرتها".

حدقت فيبى فى المنديل الورقى المتكور فى يدها وقالت: "لماذا لم يرحل عنا عندما طلبت منه ذلك؟".

"لا أعلم".

قالت فيبى لنفسها إن هذه الإجابة لا ترضيها، والأسوأ أنها كانت تشبه الكذبة، وكانت تكره الكبار عندما يكذبون لأنهم يظنون أنها لن تفهم.

تناولت فيبى المزيد من البطاطس وهزت رأسها قائلة: "ربما لا تعرف بالضبط، لكنك تعرف إلى حد ما. أنت تظننى لا أفهم لأن عمرى اثنا عشر عاماً تقريباً. لكنى أفهم الكثير من الأمور".

تفرس وجهها للحظة وكأنه يقرؤه ككتاب مفتوح وقال: "حسناً أنا أعرف إلى حد ما، أو لدىَّ رأى خاص. أظنه رجلاً حقيراً وهمجياً ولم يحب فكرة أن يملى عليه أحد أفعاله وخاصة من جانب سيدة كأمك. ولذا حاول ترويعها وإرهابها، وجن جنونه لأنه أخفق فى ذلك. أظنه أراد إيذاءها ليظهر لها أنه مسيطر على حياتها، لكن الأمور خرجت عن نطاق السيطرة، حتى بالنسبة له".

تناولت فيبى باقى البطاطس وقالت: "أظنه وغداً خبيثاً!".

"نعم، وأنا أيضاً أظن ذلك، ولكنه سيقضى سنوات طويلة فى السجن".

فكرت فى هذا وهى تحتسى زجاجة المياه الغازية وقالت: "رأيت فى التلفاز الشرطة، وخاصة فريق العمليات الخاصة، تطلق النيران على الشرير".

"وأنا أفضل عدم الخسائر فى الأرواح. ما الذى فعلته؛ لقد فعلت ما ضمن للجميع الحفاظ على حياتهم. الموت نهاية للحياة بشكل قاطع يا فيبى. أعلم أنك متعبة وتريدين رؤية أمك". ثم وقف وقال وهو يخرج بطاقة خاصة به من جيبه: "أريدك أن تعرفى أنه يمكنك أن تتصلى بى فى أى وقت، عندما تشعرين بالرغبة فى الحوار عن هذا الحادث لاحقاً أو تريدين طرح الأسئلة أو تحتاجين للمساعدة، اتصلى بى فحسب".

تناولت البطاقة وقرأت: "المحقق ديفيد ماك فى".

ثم قالت: "هل يمكن أن يتصل بك أيضاً كارتر وأمى؟".

"بكل تأكيد، فى أى شىء وأى وقت يا فيبى".

"حسناً شكراً لك، وشكراً على الطعام".

"بل إن هذا من دواعى سرورى فعلاً"، ثم مد يده لها وصافحها بشكل عادى هذه المرة وقال: "اعتنى بنفسك وعائلتك".

"سأفعل".

عندما تركها، وضعت البطاقة فى جيبها ولفت حقيبة طعام كارتر التى أحضرها ديف حتى يظل ساخناً، ووضعت باقى طعامها فى سلة المهملات.

سارت حتى النافذة لتنظر إليه، ووجدت الشمس قد أشرقت ولم تعلم متى بزغ الفجر ولا إلى أى وقت امتد النهار، لكنها علمت أن الساعات الحالكة السواد قد انقضت.

عندما فتح الباب، كانت الأم واقفة عنده فاتحة ذراعيها، فانطلقت فيبى فى حضنها.

"أمى، أمى!".

"يا طفلتى الحبيبة!".

"وجهك يا أمى....".

"أنا بخير لا تقلقى".

كيف تكون بخير والغرز ترصع خدها الجميل وتشوه جلدها الناعم؟ وعيناها الزرقاوان الجميلتان منطفئتان وحولهما كدمات؟

لكن إيسى وضعت يديها على كتفى فيبى وقالت: "هذا أمر هين، المهم أننا جميعاً سالمون، وهذا هو المهم. أنا آسفة يا فيبى!".

"كلا ليس خطأك يا أمى، وهذا ما قاله ديف أيضاً"، ثم تساقطت دموعهما بينما قبلت إيسى كدمة على فك فيبى.

"أنا التى أدخلت روبن حياتنا وفتحت له الباب، وهذا خطئى"ثم ابتعدت لتنحنى على كارتر وتحسس بخدها على جبهته وهى تقول: "لو كان حدث مكروه لكما، لم أكن أعلم ماذا سأفعل؟ يا إلهى! لقد أخرجت كارتر من المنزل وهذا أهم مما فعلته أنا...".

"كلا يا أمى...".

قالت إيسى: "لن أنظر إليك أبداً مثلما كنت أفعل فى الماضى يا فيبى". ثم اعتدلت وأردفت: "لستِ مجرد طفلتى الصغيرة الآن، بل أنت بطلة".

قالت فيبى: "وأنت أيضاً جعلته ينبطح أرضاً، فأنت أيضاً بطلة".

"ربما فى نهاية الأمر. أكره إيقاظ كارتر الآن، لكنى لا أريد البقاء فى المستشفى أكثر من هذا".

"هل سنعود للمنزل؟".

وضعت إيسى يدها على شعر ابنتها وقالت وهى تواجهها: "لن نعود إلى هناك أبدًا. لن أطأ بقدمى هذا المنزل أبدًا، أنا آسفة، لن أشعر بالأمان أبداً هناك".

"لكن إلى أين سنذهب؟".

"سنمكث مع عمتك"بيس". لقد اتصلت بها ورحبت بمجيئنا".

جعلت الفكرة عينى فيبى تتسعان من الدهشة، وقالت: "لمنزلها الكبير؟ لكنك بالكاد تتحدثين معها، وأنت لا تحبينها".

"صارت هذا الصباح أهم صديقة لى فى العالم، وأهم شخصية

فى حياتى بعدك أنت وكارتر، وستكونين ممتنة لها يا فيبى لأنها فتحت لنا منزلها وقت الحاجة".

"لكنها لم تفعل ذلك بعد وفاة أبى و....".

صاحت إيسى بغضب: "الآن فتحت لنا منزلها، ونحن ممتنون لها، وهذا واجب علينا".

"والآن؟".

كررت إيسى: "هذا ما سنضطر للقيام به".

توجهوا لمنزل"بيس"فى سيارة الشرطة، فيما أخذ كارتر يتناول وجبته الباردة من الهامبورجر والبطاطس والمياه الغازية، ودارت السيارة حول الحديقة والنافورة اللامعة فى الهواء. كان المنزل فخمًا وقديمًا ومشيداً بالقرميد الوردى وله حواف بيضاء. وكانت حديقته مليئة بالزهور والأشجار وأشجار الظل.

كان عالمًا بعيداً عن منزلهم الذى وقع به الحادث، حيث عاشت فيبى ثمانى سنوات من عمرها البالغ اثنى عشر عاماً.

لاحظت أن ظهر أمها مستقيم ومنتصب وهى تصعد السلالم الحجرية نحو الباب الأمامى، فقلدتها فى السير وتصليبة الظهر.

دقت الأم الجرس كما يفعل الأصدقاء لا أفراد العائلة، وفتحت الباب سيدة شابة وجميلة، وشعرت فيبى بأنها تشبه نجوم السينما بشعرها الذهبى المتدفق كالشلال، وبسبب رشاقتها وبنيتها النحيلة.

مدت يدها لإيسى ووجهها يحمل معانى التعاطف وقالت: "يا سيدة ماكنامارا، أنا إيفا فيسترى المساعدة الشخصية للآنسة ماكنامارا صاحبة المنزل. تفضلوا بالدخول، حجراتكم جاهزة لكم، لابد أنكم متعبون، سأصطحبكم للحجرات على الفور، أو ربما أعد لكم الإفطار والشاى".

"لا يحتاجون لمزيد من الجلبة حولهم".

كانت المتحدثة هى العمة بيس ماكنامارا، وكانت تقف عند منحنى السلم وهى ترتدى زيًا أسود جعلها تشبه الغراب، ووجها

النحيل تبدو عليه علامات عدم الرضا وشعرها رمادى عدا بعض شعيرات سود على صدغيها.

كان النظر دوماً للعمة بيس يجعل الطفلة فيبى تتذكر الساحرة الشريرة العجوز فى أفلام الرسوم المتحركة.

قالت لنفسها: "أيتها الساحرة الشريرة العجوز!".

قالت الأم بصوت هادئ كالذى تحدثت به مع روبن وهو يصوب المسدس لرأسها: "شكراً لك على استضافتنا فى منزلك يا سيدة بيس".

"لست مندهشة من تعرضكم لمشاكل كهذه. عليكم جميعاً بالاغتسال الآن جيداً قبل الجلوس على مائدتى أو على مفارش السرير".

قالت إيفا: "سأهتم بالأمر يا آنسة ماكنامارا".

ثم ابتسمت بشكل يوحى بالرحمة زادها جمالاً وركزت نحو فيبى نظرتها ثم نحو كارتر وقالت: "ربما الأطفال جائعون، بعد الاغتسال سأجعل الطاهى يعد لكما الفطائر المحلاة و....".

لكن على ما يبدو أن فكرة المزيد من الطعام، بعد رعب الليلة الماضية وتناول الهامبورجر والبطاطس وركوب سيارة الشرطة، جعل معدة كارتر تتقلص ليفرغ كل ما فى جوفه على السجاد الأوبيسون القديم والثمين الذى يخص العمة بيس".

شعرت فيبى بالإحراج والتعب لكنها أغلقت عينيها. ربما لم تقتل فى الحادث، لكنها شعرت بأن حياتهم انتهت الآن.

قامت الأم بكل شئون منزل العمة بيس لمدة عشرين عاماً، وقامت بجميع الأعمال المنزلية من كنس ومسح وتلميع وتنظيف وترتيب، وخدمت العجوز بنفسها يومياً حتى ماتت فجأة.

عبر هذين العقدين، صار المنزل هو كل العالم بالنسبة لـ"إيسى"، وليس مجرد منزل أو ملجأ أو ملاذ، بل كل عالمها، وما يقع خارجه تخشاه للغاية فهو يمثل كل مخاوفها. أصابها رُهاب الأماكن المفتوحة، ولم تخرج إيسى على مدار عشرين عاماً من

المنزل ولم تغادر الشرفات والحديقة أبداً.

لم يكسر موت روبن فى السجن مخاوفها، فكرت فيبى فى ذلك وهى تنهض وتضع سلاحها فى صندوق بقفل فى أعلى رف داخل خزانة الملابس. النهاية المأساوية لحياة العمة بيس المأساوية لم تفتح لها الأبواب.

وفى الحقيقة، بدا أن تلك الأحداث قد زادت من الأعباء والقيود المفروضة على فيبى.

لقد قامت بيس بخطأ شنيع لم تفعل شيئاً صوابًا أبداً عندما كتبت البيت باسم فيبى بدلاً من إيسى، مما قيد فيبى بالأعباء. لكن لو كان باسم الأم، فهل كانت حياتها ستتغير للأفضل؟ هل كانت ستسير خارج المنزل حتى الحديقة وتزور الجيران؟

لم تعرف الإجابة أبداً.

كيف كانت حياة فيبى ستتغير لولا أحداث هذه الليلة؟ هل كانت ستتزوج روى؟ هل كانت ستجد طريقة للحفاظ على زواجها وتهب لابنتها أمًا تستحقها؟

لم تعرف أيضاً الإجابة عن هذه الأسئلة.

إذاً لديها زهور فى الصالة وسيطلبون البيتزا ويستقرون معاً فى المنزل لقضاء ليلة الجمعة.

وستتناول فيبى العشاء خارج المنزل يوم السبت هذه المرة فقط. كانت هناك أشياء كثيرة فى حياتها تحتاج لرعاية ولم يكن ينقصها إضافة هذا الرجل المدعو دانكان.

نعم، لقد بكت عندما تحدثت مع روى آخر مرة، لكن كان سبب دموعها هو الغضب؛ لقد تخلصت من مشاعر الحزن والإحباط منذ زمن طويل عندما كانت كارلى رضيعة.

فكرت مرة أخرى وهى تبدل ملابسها فى أن لديها فى حياتها أمورًا كثيرة تحتاج لرعاية.

نظرت إلى الزهور الوردية فى المزهرية ذات اللون الأزرق والكوبالت على المزينة، وكانت زهورًا جميلة، لكنها سرعان ما تذبل وتموت.

٦

رغم كل شيء، فإن الزهور وقضاء ليلة فى مشاهدة الأفلام المخصصة للفتيات جعلت فيبى تهدأ كثيراً من أحداث اليوم. وفى نهاية ماراثون مشاهدة الأفلام، حملت فيبى ابنتها النائمة إلى الفراش، وكانت قد نامت بعد منتصف الليل بقليل هذه المرة بعد أن سمحت لها بالسهر كيفما تشاء.

وبعد عشرين دقيقة كانت فيبى مستغرقة فى النوم مثل ابنتها. قفزت فى فراشها فزعة عندما سمعت جرس الباب، ونهضت ونظرت للمنبه بجوار الفراش ووجدت الساعة الثالثة والربع صباحاً قبل أن ترتدى الروب بسرعة. كانت تهبط السلم بالفعل عندما خرجت إيفا وايسى من حجرتيهما.

أغلقت إيسى الروب حتى عنقها وقالت: "هل دق جرس الباب؟ فى هذه الساعة؟"ثم وجدت فيبى أن أصابعها بيضاء من الخوف.

"ربما يلهو بعض الأطفال بمزاح ثقيل، ابقى هنا خشية أن تستيقظ كارلى".

"لا تفتحى الباب!".

كانت فيبى تعرف أن الخوف القديم الذى عمره عشرون عاماً جاثم دوماً فى انتظار صعوده من قاع ظلمات الماضى ليطفو على السطح.

قالت إيفا قبل أن تعترض فيبى: "سأذهب معك، ربما يكون هناك مراهقون مخمورون يمزحون بخدعة ما".

قالت فيبى لنفسها ألا تكبر الموضوع وتعطيه حجمًا أكبر من اللازم، وتركت إيفا تنزل معها السلم وهمست فيبى: "سيزعجها ذلك لباقى الليلة".

"سأعطيها حبوبًا منومة إذا لزم الأمر، يا لهم من أطفال أغبياء".

نظرت فيبى عبر زجاج الباب الأمامى نصف الشفاف ولم تجد أحداً. ظنت أن الأطفال قد هربوا وهم يضحكون بهيستريا لأنهم أيقظوا أهل البيت كلهم.

لكنها شبت على أطراف أصابعها لتفحص مدخل الباب من الخارج، ثم رأت شيئاً ما.

"اصعدى يا إيفا وأخبرى أمى أن الأمر مجرد إزعاج من أطفال".

أمسكت إيفا ذراع فيبى بشدة وقالت: "أهناك شىء بالخارج؟".

"اصعدى وأخبرى أمى بما ذكرته لك، لا أريدها أن تفزع، وأخبريها أننى سأتناول كوباً من الماء أثناء بقائى هنا".

"ما الخطب؟ لا تفتحى الباب إلا بعد أن أصعد وأحضر مضرب البيسبول الخاص بابنى ستيفن...".

"لا أحد بالخارج يا إيفا، اصعدى وأبلغى أمى أن كل شىء على ما يرام، ولن أفتح الباب إلا بعد أن تصعدى، لقد بدأت الحالة تنتابها كما تعلمين".

تغلب الولاء لـ إيسى على باقى الأمور فقالت إيفا: "اللعنة،

سأصعد إليها حالاً".

انتظرت فيبى حتى صعدت إيفا على السلم ثم فتحت الباب. فحصت الشارع يميناً ويساراً وأمام مجال بصرها لكن إحساسها الداخلى أخبرها أن من دق الجرس قد رحل. انحنت لتلتقط ما وضعه على عتبة الباب، ثم أغلقت الباب بإحكام قبل أن تحمل الدمية للمطبخ وتضعها على المائدة.

كانت دمية لها شعر أحمر لامع، وكان طويلاً لكنه ممزق بعنف، وكانت عارية بلا ملابس وموثوقة اليدين بخيط قماش، ومكممة الفم بشريط لاصق وجسمها مدهوناً بدهان أحمر فى كل مكان لتقليد الدم.

"أوه، يا إلهى، فيبى!".

رفعت فيبى يدها واستمرت فى فحص الدمية: "كارلى؟ أمى؟".

"لم تستيقظ كارلى، وأخبرت إيسى أنه لا داعى للقلق، وأننى منتظرة ظهور الأطفال المشاغبين لتوبيخهم".

"جيد".

وضعت إيفا مضرب البيسبول الذى أخرجته من دولاب ابنها على المائدة بجوار الدمية ثم قالت: "ما هذا الشىء البشع؟".

"لماذا لا تحضرين لى الكاميرا من الدرج؟ يا عزيزتى أريد التقاط صور لهذا الشىء لأرفقها بملفاتى".

"لكن ألا ينبغى أن تبلغى الشرطة؟".

"أنت دوماً تنسين أننى شرطية".

"ولكن...".

"سأسلمها للشرطة وأبلغهم، لكنى سألتقط لها صوراً خاصة بى، لا تقلقى، من قام بذلك لن يعود الليلة. لقد سلم لنا رسالة، ولا تخبرى أمى بما حدث". ثم أردفت قائلة وهى تحضر أداة قياس من درج الأدوات: "حتى الآن".

"بالطبع لن أخبرها يا فيبى، لكن يجدر بك الاتصال بـ ديف حالاً وإخباره بشأن هذا الشىء الذى وضع على عتبة الباب".

"لن أوقظ ديف فى مثل هذه الساعة، ولا شىء بيده ليقوم

به". ربتت فيبى على ذراع إيفا وهى تسير نحو المائدة مرة أخرى ثم أردفت: "لكنى أعدك أننى سأتحدث معه عن هذا الأمر، أعطنى الكاميرا الآن".

وقامت بأخذ القياس والتقطت الصور ثم وضعت الدمية فى كيسين من البلاستيك ووضعتها فى حقيبة التسوق ثم احتفظت بها فى خزانة الردهة.

قالت إيسى برقة عندما مرت فيبى أمام باب حجرة نومها: "هل كل شىء على ما يرام يا عزيزتى؟".

وقفت فيبى عند باب الحجرة وبدت الأم شاحبة وضعيفة فى هذا الفراش الكبير القديم، ثم قالت: "نعم، انتهت إثارة الليلة، هل ستتمكنين من العودة للنوم؟".

"نعم، ماذا ستفعلين للأطفال المشاغبين؟".

"لا تدعيهم يعرفوا أن الأمر يقلقك، تصبحين على خير يا أمى".

بعدما دخلت فيبى إلى حجرة نومها ضبطت المنبه على السادسة وقررت أن تذهب بالدمية للشرطة لتحرر محضراً وتعود للمنزل قبل أن يعرف أحد أنها خرجت، وستجعل سايكس يتحرى الأمر؛ فهو قوى وذكى، وسيقتفى أثر من أرسل الدمية.

لن تسمح لأحد بإزعاج أسرتها.

ظلت جالسة فى الظلام بلا نوم، وكانت تعلم أنها لن تحتاج للمنبه، وتساءلت أين كان آرنى ميكس فى الساعة الثالثة والربع فجراً.

لقد رأى أنوار منزلها الجميل تضاء قبل أن يختفى فى الحديقة وسط الأشجار ليستتر فى الظلام.

لكن كان الأفضل من ذلك كشىء إضافى أسعده عندما رآها تفتح الباب وتلتقط الهدية الصغيرة، استحق الأمر كل التعب والعناء والوقت، عندما رآها تأخذ هديته.

قال لنفسه إن الأمر مجرد مداعبة وهو يقود سيارته ليعود لمنزله، وقال إنه مجرد تمهيد للحدث الأكبر.

فهو لم ينته بعد من أمر فيبى ماكنامارا.

كانت ستلغى موعد عشاء الليلة، لولا أنها رأت أنها إن فعلت ذلك فستجعل ما وقع ليلة أمس يبدو مهماً جداً أكثر من اللازم، كما أن إلغاء الموعد سيجلب عليها عشرات الأسئلة من الأم ومن كارلى.

اضطرت بالفعل للإجابة عن وابل من الأسئلة هذا الصباح، حيث استغرق الأمر أطول مما تمنت لتقديم الأدلة وكتابة التقرير والعودة للمنزل مرة أخرى فى الحافلة اللعينة. على الأقل، اهتدت بفطنة إلى أن ترتدى زياً رياضياً لكى يكون عذرها البسيط للتأخير اعترفت أنها كذبة بيضاء صغيرة أنها قد خرجت لتركض فى الحديقة مبكراً.

وبالطبع تمشت كارلى مع فيبى عصراً وقارب صبرها على النفاد لأن كارلى حاولت بإلحاح أن تقنعها بشراء زى جميل وأنيق، وبالتالى لم يكونا على وفاق لدى عودتهما. ظلت كارلى صامتة بعبوس وغضب فى حجرتها احتجاجاً على اعتراض فيبى، فيما توجهت فيبى للجلوس على أريكة مريحة فى الحديقة وارتدت قبعة عريضة الحافة.

كان عليها الآن أن تذهب لتناول العشاء، بعد ما تحدث الجميع وارتدت فستانها الأسود الذى تستخدمه لكل المناسبات، حيث يصلح لحفلات الزواج والجنائز والحفلات الأخرى وبالتالى فهو صالح أيضاً لدعوة على العشاء.

قالت لنفسها بضيق إن جينات الأناقة والموضة انتقلت من الجدة للحفيدة وتركتها، كما تركتها خصلات الشعر الملفوف والغمازات.

بدأت تمشط شعرها، ولكن العبث به ذكرها بشعر الدمية الممزق بحدة، فتركت شعرها مسترسلاً بدلاً من وضع أى شىء عليه للزينة. رغم أنها كانت تعلم أن عائلتها كانت تفضل أن تتأخر لإضفاء قدر من الإثارة والتشويق على الموعد وحتى يراها وهى تنزل السلم فإنها بادرت بانتظاره فى الردهة قبل السابعة.

وكانت أول من وصل إلى الباب عندما رن الجرس.

"أهلاً يا دانكان".

"أولاً اسمحى لى أن أقول: "يا للورعة"ثم أقول: "أهلاً يا فيبى".

تراجعت للخلف ورفعت حاجبيها فى دهشة لباقة الزهور الصغيرة الوردية اللون الذى يحملها وقالت: "لقد أرسلت لى زهوراً بالفعل، وهى رائعة بالمناسبة".

"يسرنى أنها أعجبتك، لكن هذه الباقة ليست لك". ثم نظر حول الردهة وتابع: "يعجبنى منزلك".

"نحن أيضاً نحبه".

قالت إيسى: "هل ستدعين الرجل واقفاً عند الردهة يا فيبى دون أن تقدميه لنا؟"ثم تقدمت من الصالة وابتسمت له قبل أن تتابع: "أنا إيسى ماكنامارا، والدة فيبى".

"سررت بلقائك يا سيدتى"، ثم صافحها عندما مدت له يدها وأردف: "يبدو أن ما سأقوله عبارة مكررة لكن يجب أن أقولها: الآن علمت من أين حصلت فيبى على هذا الجمال الأخاذ".

"شكراً، يسرنى قولك ذلك، هيا إلى الصالة، ابنى وزوجته ليسا هنا لكنى سأقدمك لباقى الأسرة. هذا هو صديق فيبى يا إيفا، دانكان".

"سررت بمقابلتك يا دانكان".

"لم تخبرنى فيبى بوجود هذا العدد من الجميلات فى العائلة، لكنها ذكرتك أنت"، كان يوجه كلامه لكارلى وابتسم لها ثم قدم لها الزهور وأردف قائلاً: "اخترت لك اللون الوردى".

زالت رهبة إيسى من اللقاء الأول وقالت: "يا لها من باقة جميلة! هذا يا كارلى السيد سويفت، وهذه أول باقة زهور يحضرها لك زائر من الرجال المهذبين".

تحولت كارلى من طفلة صامتة فى عبوس إلى أنثى خجولة وقالت: "هل هذه الباقة لى؟".

"نعم، إلا إذا لم تكونى تحبين اللون الوردى".

"بل أحبه"، ثم احمر وجهها خجلاً مثل لون الزهور التى تناولتها منه وتابعت: "شكراً لك. هل يمكن يا جدتى أن أنتقى

للزهور مزهرية بنفسى؛ هل يمكننى ذلك؟".

"بالطبع يا عزيزتى، هلا قدمت لك مشروباً يا سيد سويفت".

"بل نادنى دانكان و...".

قاطعته فيبى: "هيا بنا نخرج، البريق والإثارة هنا ستعميك". ثم تناولت سترتها من فوق المقعد وأردفت: "لن أتأخر".

قال دانكان: "يا للأسف".

تجاهلته فيبى وانحنت لتقبل كارلى على خدها وقالت: "التزمى بالسلوك الجيد فى غيابى".

قالت إيسى: "تمتعا بوقتكما، وعد يا دانكان لزيارتنا مرة أخرى".

"شكراً لك، فى الزيارة التالية يجب أن أحضر مرجاً من الزهور، سررت بمقابلتكم جميعاً".

كانت فيبى تعلم جيداً أن وجوه ثلاثتهن ملتصقة بنافذة الردهة عندما فتح لها دانكان باب السيارة. نظرت له بتقدير وإعجاب ثم دخلت إلى السيارة.

نظرت له بنفس الطريقة عندما اتخذ مقعده خلف عجلة القيادة وقالت له: "هل تحاول أن تمهد الطريق بواسطة نيل إعجاب ابنتى؟".

"بكل تأكيد، ولدينا الآن فى الخطة الاستحواذ على إعجاب أمك وإيفا".

"إذن علىّ أن أقرر الآن هل أقدر صراحتك أم أعتبرها إهانة".

"دعينى أعرف عندما تقررين. وحتى ذلك الحين أخبرينى هل تكرهين القوارب؟".

"لماذا؟".

"لأنك إن كنت تكرهينها، فسأغير ترتيبى لعشاء الليلة. هل تكرهينها إذن؟".

"كلا، لا أكرهها".

ثم أمسك هاتفه الخلوى وضرب رقمًا ما وقال: "رائع. هنا دانكان، نحن فى الطريق. جيد، رائع، شكراً". ثم أغلق الهاتف وقال: "ابنتك تشبه والدتك تمامًا، لكن لديهما غمازتين وليس

لديك مثلهما".

"لسوء حظى".

"وهل إيفا قريبتكم؟".

"ليست قرابة الدم لكنها من العائلة".

أومأ لها بطريقة توحى بأنه يفهمها تماماً وقال: "هل لديك أخ أكبر؟".

"بل أصغر، ويدعى كارتر".

"حسناً، وهل يعيش مع زوجته معكم فى نفس المنزل أيضاً؟".

"كلا، لديه مسكنه الخاص. لماذا أحضرت زهوراً لكارلى؟".

"آه... حسناً، لا أعلم الكثير عن الفتيات فى السابعة من العمر، ولا أعلم هل هى تحب الدمى أم الكرة، وربما تكرهين إحضار الحلوى لها ولذلك استبعدت فكرة الحلوى وتوصلت لفكرة الزهور، وقلت بالتالى ستشعر بالزهو والإثارة إن قدم لها أحد باقة زهور أيضاً، هل توجد مشكلة فى هذا؟".

"كلا، كلا، إنها لفتة لطيفة منك وأنا أعقد الأمور، لكنها لن تنسى الأمر أبداً، لأن الفتيات لا ينسين أول مرة يمنحهن فيها رجل باقة من الزهور".

"لكننى بالتأكيد لست مضطراً للزواج منها، أليس كذلك؟".

"ليس قبل مرور عشرين عاماً".

أوقف السيارة وظنت فيبى أنهما سيذهبان لمطعم عائم على ضفاف النهر فى شارع"ريفر ستريت"، وأن العشاء سيكون فى مكان يطل على منظر بديع فى رأيها، وحتى العشاء فى الهواء الطلق يبدو فكرة رائعة، وكانت سعيدة لأنها أحضرت سترتها.

لكن بدلاً من هذا، قادها إلى رصيف القوارب، ومرا بعدة قوارب حتى وصلا لقارب رشيق لامع أبيض اللون، وكان هناك على سطح القارب مائدة عليها مفرش أبيض، وكانت الإضاءة تشع من قبة صغيرة فى المنتصف.

"هل هذا القارب ملكك؟".

"نعم، وإن كنت تكرهين القوارب لكنا ذهبنا لمطعم بيتزا، وتنتهى علاقتنا مع آخر قطعة منها".

"لحسن الحظ أننى أحب القوارب، كما أننى تناولت البيتزا مساء الأمس".

تركته يساعدها على الوصول لمتن القارب، والتكيف مع تأرجحه. وكما هى الحال مع الموعد الغرامى الأول، رغم أن هذا هو الثانى عملياً، كان موعد اليوم يبدو حافلاً بالمفاجآت الكثيرة.

"هل تحب الإبحار كثيراً؟".

"أعيش فى جزيرة ويتفيلد".

"آه". بدا لها أن هذا يفسر الأمر، ثم سارت نحو سور القارب ونظرت عبر النهر وتابعت: "هل تعيش فى ويتفيلد دوماً؟".

"كلا، لم أخطط لذلك"، ثم بدأ ينزع سدادة زجاجة الشراب من دلو الثلج وأردف قائلاً: "بل حدث ذلك مصادفة وأعجبنى المكان".

"مثل الفوز فى اليانصيب".

"نعم إلى حد ما".

استدارت عندما انتزع السدادة محدثاً صوتاً عاليًا.

"هذا الجزء كان للاستعراض، القارب والشراب والطعام الفاخر وهو مجرد تمهيد لتلطيف الموعد، لكنى أيضاً أحببت أن نتناول عشاءنا فى الماء والهواء العليل، أنا وأنت بمفردنا".

"إذاً جزء الاستعراض هو الهدف المنشود الذى تحقق، لكن الجزء الذى يمثل مشكلة هو: "أنا وأنت بمفردنا"، ليس من أجل العشاء، لكن كمفهوم فى حد ذاته".

صب الشراب وقال: "لماذا؟".

مالت بظهرها نحو سور القارب وتمتعت بالنسيم وتأرجح القارب تماماً ثم قالت له: "لدى طبقات من التعقيدات فى حياتى".

"أم بلا زوج، مهنة معقدة".

احتست رشفة من كأسها قبل أن تقول: "نعم وأكثر من ذلك".

"مثل ماذا؟".

"إنها قصص طويلة".

"قلت لى هذا من قبل، وأنا لست متعجلاً. قصيها علىّ".

"حسناً، لنبدأ من هذه الزاوية: كنت أحب طليقى قبل أن نتزوج".

مـال للخلف على السور بظهره مثلها وقـال: "خطة جيدة دوماً".

"كنت أعتقد ذلك، وأحببته كثيراً ولكن كنت أعلم أننا لسنا على وفاق تام".

"لا أفهمك".

"لم يحبنى كثيراً، أو لم يتمكن بمعنى أصح من أن يحبنى بالقدر الذى أحبه، فنظام عقله غير مبرمج على هذا".

"هذه تبدو مجرد أعذار".

"كلا، كلا، كان الأمر سيكون أسهل إن كانت كذلك. لم يؤذنى قط معنوياً أو جسدياً ولم يكن، وفقاً لمعلوماتى، يخوننى مع امرأة أخرى. أنا متأكدة من أنه لو كان الأمر كذلك لتعاملت معه. لكنى صرت حاملاً ولم يكن غاضباً أو متضايقاً،وبعد مولد كارلى... لم يعد هناك أى شىء". صمتت لبرهة ثم استطردت: "لم يعد هناك ترابط بينى وبينه، وظللنا نعيش كالغرباء عن بعضنا البعض لمدة عام تقريباً، ثم أعرب عن أسفه لأنه يريد الانفصال، لأنه لم يكن يتطلع لحياة كهذه، بل يريد السفر والتجوال. روى هكذا دوماً، متسرع فى كل قراراته وحياته، تزوجنى لمجرد نزوة، وبدأ فى تكوين أسرة وهو غير مقتنع، لمجرد نزوة، ولم يرق له الأمر حقاً، فانفصلنا، وذهب ليتتبع نزوات أخرى فى السفر".

وضع خصلات شعرها خلف أذنها مرة أخرى مثلما حدث فى الموعد السابق، بخفة شديدة وقال: "هل تراه كارلى؟".

"كلا، وتتعامل مع الموقف بشكل أفضل منى، وهكذا أكون قد حكيت لك عن أول تعقيد فى حياتى".

"حسناً ماذا عن التعقيد التالى؟".

"والدتى مصابة برهاب الأماكن المفتوحة، لم تخرج من المنزل منذ قرابة عشرة أعوام بسبب الرهاب".

"لا تبدو أنها....".

قاطعته فيبى: "مجنونة؛ كلا، ليست مجنونة".

"لم أكن لأقول: "مجنونة"يا متسرعة، بل كنت سأقول إنها لا تبدو أنها تخشى الأغراب مثلى".

"ليس المقصود من الرهاب أنها تخشى الغرباء، بل إنها تشعر بالأمان داخل المنزل وبالخوف الشديد خارجه".

وضع يده على ذراعها وقال: "لابد أن الأمر صعب عليها وعليك".

"نحن نتعامل مع الأمر، ولقد قاومت خوفها وما زالت تقاومه. لقد عانت وكافحت من أجلى ومن أجل أخى كارتر، وبالتالى حان الوقت لأساعدها أنا وأخى وايفا وكارلى كلنا نتعامل مع الموقف".

قال دانكان: "لقد مررت بتجارب عصيبة"، ثم استدار وواجهها وظل يسند بيده على السور بجوار ذراعها.

شعرت به وبقوة جاذبيته عندما تقابلت أعينهما وحدقت فى بعضها البعض. قال لها: "لكن لا أفهم ما علاقة ذلك بمفهوم"أنا وأنت".

فى هذه اللحظة، حاولت أن تفهم هى أيضاً ذلك وقالت: "عائلتى وعملى يستنزفان كل وقتى وطاقتى تقريباً".

"ربما تظنين خطأ أننى صديق مكلف من حيث وقتك وجهدك واهتمامك". ثم أخذ كأسها وذهب للزجاجة وملأ كأسه وكأسها حتى آخرهما. وعندما عاد إليها، مال نحوها بخفة وقال: "أشعر بالإثارة".

قالت فى نفسها: "ياه، حقاً!"، ثم قالت له: "أتظن الأمر سهلاً؟".

"يجب أن أبدأ من مكان ما، وأنا أحب هذا المكان. معى فتاة جميلة ومثيرة وشعرها أحمر والليلة جميلة، هل أنت جائعة؟".

"جداً".

ابتسم لها وقال: "لماذا لا نجلس؟ هناك شرائح باردة من لحم سرطان البحر فى الثلاجة المتنقلة، سأذهب لإحضارها. أخبرينى بالمزيد من القصص الطويلة أثناء تناول الطعام".

لم تكن تنوى إخباره المزيد عن حياتها وأسرتها، وقررت أن تجعل الجلسة بسيطة دون إزعاج. ستطلعه على قشور الأمور، على الجوانب. لكن لديه طريقة إقناع ساحرة، فباحت له بالمزيد، وسمحت له بالتطرق لحياتها أكثر وهما يتناولان سلاطة سرطان

البحر وقطع اللحم البقرى.

"أتساءل كيف تلتحق فتاة من سافانا بمكتب التحقيقات الفيدرالى وتتدرب على التفاوض مع المقبلين على الانتحار قفزاً من البنايات مثلاً، ثم تعود لقسم الشرطة المحلى. هل كنت تلعبين لعبة الشرطة بالدمى عندما كنت طفلة؟".

"لم أحب اللعب بالدمى ذات الشعر الأصفر والصدور الكبيرة".

قال لها دانكان: "ولهذا السبب نفسه كنت أحب الدمى". ثم ضحك عندما حملقت فيه بدهشة وتابع: "أتظنين أن الدمى لن تثير خيال فتى فى العاشرة من العمر؟".

"لسوء الحظ أننى عرفت ذلك الآن".

"إن لم تكونى تلهين بالدمى فى صغرك، فما الذى دفعك لحب مهنتك؟".

"ديف ماك فى".

"ديف ماك فى؟ لم أعرف دمية بهذا الاسم وأنا طفل ألهو بالأشكال والمكعبات".

"إنه شخص حقيقى، وبطل، ولم يكن لعبة، وأعلم هذا جيداً".

ملأ كأسيهما مرة أخرى واستمتع بمنظر تراقص الأنوار وتلألؤ الضوء على وجهها وجلدها الأبيض الناعم وعلى عينيها الخضراوين الجميلتين اللتين تشبهان عيون القطط وقال: "آه، هل هو الحب الأول أيام الدراسة الثانوية؟".

"كلا، بل بطل أولاً وأخيراً، وأنقذ حياة عائلتى".

لم تخبره بالمزيد، وهز دانكان رأسه بالنفى وقال: "تعلمين أنه لا يمكنك الوقوف عند هذه النقطة فى سرد الحكاية".

"نعم، أعلم ذلك. قتل والدى عندما كانت أمى حاملاً فى كارتر، أخى الأصغر".

"هذا مؤلم". ثم وضع يده على يدها وأردف: "مؤلم وصعب جداً، وكم كان عمرك حينئذ؟".

أربعة أو خمسة أعوام تقريباً، أتذكر والدى بالكاد، لكنى أتذكر أن مقتله سبب لأمى ألماً نفسياً وكان كالجرح الغائر الذى تطلب

منها وقتا كبيراً كى يندمل، ولم يندمل أبداً. أنا أعلم هذا الآن لأننى قوية الملاحظة ودرست علم النفس، وكان موته المفاجئ أساس فوبيا الأماكن المفتوحة لها، واضطرت للعمل من أجلنا وكانت تنتقل بنا من مكان لآخر ولم يكن لها خيار آخر، ولكنها ظلت تكتم آلامها عنا لعدة سنوات".

عارضها دانكان قائلاً: "بل كان لديها الخيار، واختارت أن تفعل ما يجب القيام به لتعتنى بأسرتها".

"نعم، أنت على حق، ولقد راعتنا حق الرعاية. ثم قابلت رجلاً يدعى"روبن"، ودخل حياتها وأصلح لها الأمور فى المنزل ولكنها كانت إصلاحات عادية. فهمت كفتاة فى الثانية عشرة من عمرى أنه كان يغازلها ويخطب ودها. كان ذلك غريباً بالنسبة لى، وخاصة أن أبى رحل منذ فترة طويلة، ولكنى سررت لأنها صارت سعيدة وجاء رجل يؤنس وحدتها".

"أردت لها السعادة بالطبع".

"فعلاً، وكان الرجل لطيفًا معنا فى البداية بشكل كبير، وكان يلعب مع كارتر فى الحديقة ويجلب لنا الحلوى ويصطحب أمى للسينما وهكذا".

قال دانكان: "لكنه لم يظل هكذا". ثم أردف قائلاً عندما نظرت إليه: "فهمت هذا من نبرة صوتك".

"فعلاً لم يظل لطيفاً، وأخذت علاقتهما تتطور، ولم أكن متأكدة كيف عرفت حينها، لكنى عرفت على أية حال. سمحت لرجل أخيراً بدخول حياتها بعد سنوات من وفاة أبى".

"ثم تغير الحال بعدها؟".

"نعم، صارت له صفات حب التملك والانتقاد. وكان يضايقنا، نحن الثلاثة، لكن على طريقة المزاح، وخاصة كارتر الذى كان يتعرض لأكبر نصيب من المضايقات. كان يسخر منه دوماً بعبارات حقيرة وقذرة. وبدأ يأتى كل ليلة وهو يتوقع من أمى أن تعد له عشاءً على المائدة ثم تطردنا لكى يتحسس جسدها، وكانت ترفض ويتضايق هو للغاية، ثم بدأ يدمن الخمور، وكنت أشك فى أنه يدمنها قبل ذلك، لكنه بدأ يظهر ذلك أمامنا فى المنزل أكثر مما

كان يفعل فى أول الأمر".

صمتت قليلاً ثم قالت: "أعرف أنه حوار سخيف على العشاء".

"بل أريد سماع باقى القصة، كان أبى سكيرًا أيضاً، وأعرف ماذا تعنين. فلتنتهى من قصتك".

"حسناً، جاء ذات يوم عندما كانت أمى فى عملها، ولم تأت بعد، وكنت بمفردى مع كارتر. كان ثملاً واحتسى زجاجة شراب أخرى، ثم فتح ثالثة وأعطاها لكارتر وأخبره أن يشربها ليصير رجلاً كبيراً. لم يطعه كارتر، فقد كان لا يزال فى السابعة من العمر، وأخبره أن يخرج من المنزل ويدعه وشأنه، فضربه روبن على وجهه لوقاحته، وأنا أيضاً صرت وقحة معه لاحقاً".

بدأ الغضب يعترم داخلها وقالت: "قلت له أن يخرج من المنزل بحق الجحيم، وأن يبعد يده الغليظة عن أخى، فضربنى على وجهى، وعندئذ جاءت أمى. سأخبرك بشىء الآن يا دانكان، كنت أحبها جداً وأعلم أنها تعمل بكل جهد من أجلنا وتبذل أقصى ما فى وسعها، ولكنى كنت أظنها رخوة. ثم غيرت رأيى وعلمت مدى صلابتها عندما دخلت ورأتنى أنا وكارتر مطروحين على الأرض، بينما كان روبن اللعين يستعد لنزع حزامه ليوسعنا به ضرباً".

توقفت لحظة ثم ارتشفت من الكأس واستطردت: "كان سيضربنا ليلقننا درساً، لكن أمى هجمت عليه ككرة من اللهب. وبالطبع كان فى ضعف حجمها وثملاً، فطرحها أرضاً. وظلت أمى تصرخ فيه ليخرج ويبتعد عنها وعن أطفالها، وطلبت من كارتر أن يجرى ليبلغ الجيران ليتصلوا بالشرطة. وعندما تأكدت أنه قد ابتعد بما يكفى بدأت أصرخ أنا أيضاً وأقول له إن الشرطة قادمة. سبنى روبن أنا وأمى بألفاظ لم أفهمها حينئذ، لكنه تركنا".

ضغط دانكان على يدها بقوة وقال: "كنت عنيدة وذكية".

"بل كنت خائفة، وأردت مساعدة الشرطة، وجاء رجال الشرطة بالفعل وتحدثوا مع أمى، ولا أريد القول بأنهم أقنعوها بعدم تحرير محضر عدم تعرض ضده، لكنهم لم يشجعوها عليه، وأخذوا اسمه ووعدوها بالتحدث معه. ربما فعلوا ذلك حقاً، لم أعرف كل ما حدث، بل بعضه فقط. علمت لاحقاً أنه ذهب إليها فى مكان عملها

واعتذر لها وجاء لمنزلها بالزهور، لكنها لم تدخله، كان يجلس فى سيارته ويراقب المنزل، وذات مرة رأيته يجذبها من يدها وهى خارج المنزل حتى تدخل إلى سيارته عنوة. جاء بعض الجيران واتصلت بالشرطة مرة أخرى وأخذوه، وحررت أمى ضده محضر عدم تعرض، وهذا ما نصحوها به".

"ألم يقبضوا عليه؟".

"بل احتجزوه لبضع ساعات ووبخوه. وبعد بضع ليال، احتسى كمية كبيرة من الخمور وصار ثملاً وأخذ مسدسه واقتحم منزلنا. ضرب أمى على وجهها بشدة لدرجة أن الجرح مازال له آثار على خدها حتى الآن". وأشارت فيبى إلى أعلى خدها بإصبعها ثم تابعت: "وأمسك المسدس ووجهه إلى رأسها وطلب منى أنا وكارتر إغلاق جميع النوافذ والأبواب والستائر. ثم جلسنا وتحاورنا طويلاً معه بالإكراه تحت تهديد السلاح.

احتجزنا لمدة اثنتى عشرة ساعة تقريباً، وجاءت الشرطة بعد ساعتين على ما أعتقد. كان روبن قد أطلق الرصاص على الحائط لترويعنا، فاتصل الجيران بالشرطة بعد سماع صوت الرصاص. وهدد بأنه سيقتلنا إن حاول أحد الدخول، وسيقتل الأطفال أولاً. وسرعان ما فصلت الشرطة الكهرباء. وكان الجو صيفياً حارًا فى شهر أغسطس، ثم اتصل به ديف وتحدث معه".

"حاول إقناعه بأن يترككم؟".

"بل جعله يواصل الكلام، لأن القاعدة الأولى فى التفاوض هى أنه مادام يتحدث فلن يقتلنا. ربما لولا ذلك لقتلنى أنا وأخى، وربما ليس أمى لأنه كان يظن أنها ملك له ولكن ديف تحدث معه عن الصيد، وبالتالى حافظ على حياتنا لكن بعد قليل، جن جنون روبن مرة أخرى، وكان سيؤذى كارتر، شعرت بذلك. ولذلك، حاولت إلهاءه وتشتيت انتباهه، كما ألهاه ديف بالتحدث عن الصيد. ومرت عدة أمور، ثم ذهبت للحمام وفتحت النافذة وأخبرت كارتر بل هددته بالضرب إن لم يفعل بأن يذهب فى أقرب فرصة للحمام ليهرب من النافذة".

همس دانكان: "أخرجت أخاك من الخطر؟"

"كان روبن يسعى جاهداً لقتل كارتر وإلحاق الأذى به".

ثم أخبرته فيبى عن الوجبة والحبوب المنومة وتخييط وجه الأم بالغرز والتحدث مع ديف.

"كان ديف هو الذى حافظ على حياة عائلتى".

"وأنت أيضاً حافظت عليهم وأنت فى سن الثانية عشرة".

"لم أكن لأتمكن من هذا لولا ديف. انتقلنا لمنزل العمة بيس لنعيش فيه بعد ذلك، المنزل الذى رأيته فى شارع"جونز"، وصرنا على اتصال بـ ديف. بعد مرور الكثير من الوقت، وتحدث معى ديف عن التفاوض فى مواقف الأزمات والرهائن المحتجزين وقال إننى أملك مهارة طبيعية لذلك، ولى منظور خاص لرؤية الأمور من عدة جوانب أخرى. أردت إسعاده وبدا الأمر مثيراً، فتدربت ووجدت أنه محق؛ فأنا لدىّ موهبة طبيعية فى ذلك".

رفعت كأسها وكأنها ستشرب نخباً وقالت: "لم يكن الأمر حظًا أو يانصيب، وهكذا صرت شرطية".

"ماذا حل بـ روبن؟".

"مات فى السجن. ضايق أحد المجرمين المحتجزين بالقدر الكافى ليجعله يطعنه بشظية زجاجية عدة مرات. كشرطية وامرأة تراعى الأخلاق، كان يجب أن أستنكر ما حدث وأشعر بالأسف، لكنى احتفلت ابتهاجاً بما حدث له واحتسيت زجاجة شراب متواضعة، ليست كالتى معنا الآن، لكنى استمتعت بكل قطرة بها".

ضغط على يدها سريعاً وقال: "يسرنى سماع ذلك. لديك حياة مثيرة يا فيبى".

"مثيرة؟".

"نعم، لا يمكن القول إنك عشت تحت نير الروتين الممل".

ضحكت وقالت: "كلا، لا أظن ذلك".

"فهمت الآن لماذا رأيت فيك ذلك الإصرار عندما دخلت إلى شقة جو الانتحارى. لديك أجمل عينين خضراوين وأكثرها إثارة".

تفرست وجهه وهى تحتسى الشراب ثم قالت: "لا تظن أننى حين كشفت لك عن جوانب حياتى واحتسيت الشراب معك، أن الأمور ستتطور بيننا إلى أبعد من هذا. إن ظننت هذا فأنت مخطئ".

"هلا تفاوضنا فى الأمر؟ لنفعل شيئاً آخر يدل على الحب".

"لا أظن ذلك، لكن شكراً على هذه الأمسية اللطيفة على أية حال".

"ماذا عن التمشية على كورنيش النهر وتقبيلك فى ضوء القمر؟".

"لنبدأ بالتمشية".

نهض وتناول يدها، وعندما نهضت من جلستها وضع يده على رقبتها من الخلف وجذبها إليه بلطف وقبلها.

استسلمت للحظة الرائعة: جو منعش وجسد مثير ولمسة حانية. تشابكت أصابعها مع أصابعه بقوة ومالت نحوه.

شعر بقوتها تحت جلدها الناعم جداً. هذا ما جذبه إليها من أول لحظة وهو يعلم ذلك، ما جذبه أيضاً مجموعة المفارقات والتناقضات والتعقيدات التى فى شخصيتها، لا يوجد شىء بسيط أو عادى فى هذه المرأة الرائعة.

لكنه شعر بمدى بساطة الحرارة وشرارة الحب التى تتولد بينهما.

وهكذا توهجت شرارة الحب والقارب يتأرجح بلطف تحت أقدامهما والهواء يحرك صفحة ماء النهر.

وضعت يدها على صدره وشعرت فى تلك اللحظة بدقات قلبه تحت راحة يدها ثم دفعته بلطف.

قالت له: "أنت أيضاً تتمتع بقدر كبير من الرومانسية، لست الوحيدة الرومانسية هنا".

"أتدرب على هذه المهارة بإخلاص منذ أن كنت فى سن الثانية عشرة".

مرر يدها من صدره إلى شفتيه وقبلها فى أصابعها ثم أردف قائلاً: "لدى عدة طرق للتعبير عن الحب، إن أردت شرحاً عملياً لها".

"أظننى سأكتفى بهذا القدر، كنا نتناقش فى التمشية على ضفاف النهر".

"ربما الأفضل توفير الطرق لوقت لاحق، لست متأكداً هل أنت

مستعدة لها أم لا".

"ياه، أحقاً؟ لا تظن أنك ستستخدم هذه المناورات معى، فأنا شرطية".

نزل على رصيف السفن وأمسك يدها ليساعدها على النزول وهو يقول: "الطريقة رقم سبعة معروف أنها تسبب حالة إغماء مؤقتة".

قفزت من القارب للرصيف وقالت: "هذا تحد مباشر، ولم أتلق أى تحد مماثل منذ أن كان عمرى سبعة أعوام. لنسر معاً يا سيد سويفت".

"لا تلومى أى رجل للمحاولة".

بينما سارا مالت برأسها لتدرس وجهه جيداً وقالت: "الطريقة السابعة؟".

"يلزمنى القانون بتحذيرك قبلها، وبعد تحذيرك أكون خالى المسئولية"

"سأضع هذا فى الاعتبار".

ثم ضحكت وترددت أصداء الضحكة عبر صفحة ماء النهر، وتلألأ وجهها وتألق فأنار ما حوله.

كان الرجل الآخر يراقبها وهو يفحص حقيبة المأكولات معه ليخرج البطاطس المقلية، وواصل مراقبتهما. فكر فى مدى سهولة وسرعة إطلاق النار عليها إذا وضع وجهها فى عدسة مجال رؤية البندقية.

ثم يطلق الرصاص: طاخ!

كم هو سريع وسهل جداً!

ولن يمر وقت كثير حتى تتوقف عن ضحكتها.

٧

فى صباح يوم الاثنين، جلست فيبى على مكتبها لتنتهى من بعض الأعمال الورقية، واتصلت بمن اتصلوا بها فى غيابها. ثم خصصت من وقتها المزدحم بضع دقائق لتراجع خطة الدرس القادم لجلسة التدريب.

ربما تكون هذه فرصتها لتشرح لهم حالة آرنى ميكس وإخفاقه فى إنقاذ الموقف، وهكذا تنتقم منه أكثر فى غيابه ولكنها كانت تريد أن تشرح لهم القواعد والإجراءات والعامل النفسى لحركات المفاوض وقت الأزمات.

فكرت فى أن هذا سيحفز الجو العام للدرس. ومن المؤكد أن

آرنى تسبب فى انتحار جرادى، ولذلك من الممكن أن يكون ما حدث وأسبابه نقاطًا قوية للدرس إذا تم توضيحه فى أثناء التدريب، وهو ما يفسر، كما كانت تأمل وتتمنى، أهمية وجود الإرشادات.

أضافت نسخة من تقريرها لحصيلة درس اليوم، مع سجلات وتسجيلات وأقوال ومحاضر حوادث أخرى.

قامت من جلستها عندما جاء ديف إلى مكتبها. قالت له: "الكابتن؟"

"أحتاج لدقيقة من وقتك".

"يمكنك بالتأكيد، لدىَّ بضع دقائق قبل الدرس. أتريد قهوة؟". سرت رعشة فى العضلتين اللتين بين كتفيها عندما أغلق الباب خلفه. ثم قال: "لا شكراً".

"هل هناك مشكلة؟".

"ربما، جاءتنى مكالمة من الرقيب ميكس، والد أرنولد ميكس، ويزعم أنه سيحرر شكوى ضدك"

"لماذا؟"

"لإيقافك ابنه عن العمل بدون إذن من القيادة العليا، كما أنه يدعى أنه سيرفع عليك قضية سب وقذف. ويريد إجراء الجلوس معك ومعى ومع محامى ابنه".

"أنا مستعدة لهذا فى أى وقت، وذكرت لآرنى أنا لديه مطلق الحرية للاتصال بمحاميه عندما أخبرته أنه موقوف عن العمل، وهذا مسجل".

"ستتمسكين بإيقافه عن العمل لمدة شهر".

"بالطبع، لقد خرق كل الإرشادات والقواعد، لقد شجع محتجز رهائن على الانتحار. ومن حسن حظه، أن الرهائن لم يقتلوا أيضاً. لقد قرأت التقرير بنفسك يا كابتن، وبه أقوال الشهود من الشرطة والمدنيين".

"نعم قرأته". أمال ديف رقبته إلى الخلف فى تعب وتراخ قبل أن يتابع: "لم يكن ليفسد الأمر أكثر من هذا، حتى لو أنه كان متعمداً".

"لست متأكدة من عدم تعمده، وهذا لا علاقة له بمشاعرى

الشخصية نحوه"، ثم أردفت قائلة عندما عبس ديف: "إنه يستغل سلطته وهو موتور متعصب، ومتحيز لجنسه ومتسرع وأهوج، إنه لا يصلح لأن يكون شرطياً".

"لكن موقفك يا فيبى به تحيز، ولا يبرر إنهاءك للموقف".

"ليس تحيزاً بل حقيقة، وأعتقد أن التقييم النفسى له سيبرئ ساحتى. أنا واثقة من أنه هو من وضع الدمية المشوهة خارج المنزل".

وضع ديف يديه فى جيوبه وكورهما على شكل قبضتين، وقال: "لن أخالفك الرأى فى هذا، لكن احترسى ولا تذكرى هذا الاتهام لأحد سواى، فأنت بحاجة لأدلة أكثر و ...".

"لقد وصفنى بالعاهرة وجهاً لوجه، وهذا بخلاف وصفه لى هكذا من وراء ظهرى عددًا لا يحصى من المرات، ووقف حيث تقف الآن وهددنى ولم يحترم سلطتى، وهو لا يضمر لى سوى الحقد والاحتقار".

تراجع ديف للخلف وأظهر لأول مرة بعضاً من إحباطه وغضبه وقال: "أتظنين أننى لا أريد إبعاده عن هنا؟ عن القسم بأكمله؟ ليس لدىَّ سبب لإقصائه عن العمل حتى الآن، وبقاؤك خلف هذا المكتب يا فيبى يعطيك الحق فى طلب احترام سلطتك ورتبتك".

قالت بصوت عادى لا يدل على أى انفعال: "وهذا ما فعلته، وإيقافه عن العمل ثلاثين يوماً سيعلمه درساً. لقد اتهمنى فى مكتبى أننى وصلت إلى رتبتى لأننى على علاقة مشبوهة معك".

حدق إليها ديف للحظة وقال: "عليه اللعنة!"، ثم سحب نفساً عميقاً وأردف قائلاً: "وهل هناك شهود على هذه الاتهامات التى وجهها إليك؟".

"كلا، أطفأت جهاز التسجيل قبل أن يتفوه بها. لكنه قالها، بكل تحديد ووضوح، مما يؤكد احتقاره لك كما يحتقرنى. أضف إلى ذلك أنه كان على وشك مهاجمتى جسدياً لولا تدخل المحقق سايكس، ولا أريد أن ينتشر الأمر كشائعات، لكنى أقول إن أرنولد ميكس خطر واسأل سايكس عنه".

"سأفعل، سأدرج ذلك فى جدول أعمالى ظهر اليوم لأسوى هذه المسألة. تأكدى من أنك متفرغة لحضور هذا الاجتماع".

"حاضر يا سيدى".

"هل تريدين توجيه تهمة التحرش الجنسى اللفظى له؟".

"كلا، ليس هذه المرة، سأكتفى بعدم الانصياع وعدم الطاعة".

أومأ لها واتجه نحو الباب وقال وهو يستدير برأسه نحوها: "يمكنك الاتصال بمحاميك أيضاً؛ لأن آل ميكس لديهم اتصالات ونفوذ ومعارف وتاريخ فى الشرطة، احمى نفسك جيدًا يا فيبى، لأننا حتى إن تغلبنا على هذا اللعين، فقد يسبب لنا بعض الخسائر".

"حسناً، لكني آسفة يا ديف لأننى ورطتك فى الأمر بصفة شخصية".

قال ديف على الفور: "لم تفعلى ذلك، بل هو الذى فعل".

عندما صارت بمفردها مرة أخرى، فكرت فى أنها بصدد التعرض لمزيد من المشاكل، لكنها تعاملت مع الكثير من المشاكل من قبل. بعد انتهاء درس هذا الصباح، ستخصص بعض الوقت لمراجعة أقوال شهود حادث جرادى وأقوال ميكس وتقريرها الشخصى عن شجارها مع ميكس فى مكتبها.

رأت ديف عبر الحائط الزجاجى لمكتبها وهو يشير بالفعل إلى سايكس ليوافيه فى حجرة الراحة. لابد أنه سيتحدث معه على انفراد. إنها آسفة جداً على إثارة غريزة الكابتن لحماية نفسه.

لكنها تستحق اللعنة إن سمحت لـ"ميكس"بتهديد حياة الآخرين وأن يهددها ويزعج عائلتها، ثم يحمى نفسه بعائلته ذات التاريخ الطويل فى الشرطة .

لم تكن تهتم بمن هو والد أرنولد ميكس.

ذكرت نفسها أنها الآن تحتاج لدفع كل هذه الأفكار جانباً وتنزل عبر السلم للتوجه لقاعة الدرس. تقابلت مع المساعدة الإدارية العامة أثناء مرورها بحجرة العاملين بالقسم، وقالت لها: "سأكون فى قاعة المؤتمرات لمدة ساعة ونصف".

فقالت لها آنى آتز: "حسناً أيتها الملازم". وابتسمت بسرعة وتوتر ثم أردفت: "أنا مضطرة لأخذ يوم إجازة آخر هذا الأسبوع لأمر عاجل وشخصى".

"حسنًا، لكن أخبرينى بالأمر قبله بوقت كاف. سيكون هذا

جيداً، وسأعمل على إيجاد من يحل محلك فى غيابك".

تبددت الابتسامة بالتدريج ثم قالت: "أيتها الملازم، أعلم أننى مازلت جديدة هنا، ولكنى أحب العمل هنا وأتمنى أن يكون عملى جيدًا ومفيدًا فى القسم".

فقالت فيبى: "أداؤك جيد". لكنها حدثت نفسها بأن آنى بحاجة إلى تقليل الماكياج وارتداء قميص أكبر قياساً بدرجة واحدة مما ترتديه، لكن عملها جيد ولا يسبب مشاكل.

"أحضرت حلوى اللوز معى اليوم، صنعتها فى المنزل، ربما تحبين تناول قطعة منها"، ثم مدت لها طبقًا ورقيًا مغطى.

"بعد الدرس".

"ستستخدمين السلم، أليس كذلك؟ طريقة صعودك وهبوطك منه بدلاً من استخدام المصعد تؤكد أن القليل من السكريات لن يضرك".

"حبى للسكريات يجعلنى أركض أعلى وأسفل السلالم".

ثم أسرعت بالانصراف قبل أن تعطلها آنى أكثر من هذا، وفتحت الباب وبدأت تقفز بنشاط وهى تنزل السلم.

تذكرت أنها ستتسلم سيارتها اليوم من الميكانيكى، ويجب أن تكون جاهزة، سوف تتصل فى وقت الراحة بالميكانيكى و ...

لاحظت بالكاد تلك الحركة، ولم يكن لديها الوقت الكافى لتصل إلى سلاحها؛ لأن الهجوم جعلها ترتطم بشدة بحائط السلم. شعرت فيبى بالخوف والألم مرة واحدة عندما ارتطمت رأسها بالحائط الخرسانى، واهتزت قدرتها على الرؤية ولم تعد ترى سوى اللون الأحمر للدم.

وما هى إلا ثوان قليلة حتى كانت كل غرائزها تصيح بها لكى تقاوم وتقاتل، لكن ذهولها من الموقف ومن الضربة جعلت ركبتيها تتخبطان فى بعضهما البعض. ثم بادر من هاجمها بوضع شريط لاصق على فمها ولوى ذراعيها للوراء.

قاومت فيبى بصعوبة وهى تشعر بالدوار من الضربة والصدمة، وحاولت أن تخفض كعبيها لكنها أخفقت، ثم أعماها الغطاء الذى وضعه المهاجم على رأسها، ولم يسمع أحد صراخها المكتوم عندما تقدمت للأمام جراء دفعة عنيفة بسبب الشريط اللاصق على

فمها. ذاقت طعم الدماء على فمها، وسمعت المهاجم يضحك من بين شهقاتها العالية كالرعد، تمنت حدوث معجزة، وحاولت أن تركله لكنها ظلت بلا حراك عندما أمسك رقبتها.

قالت لنفسها إنها لن تموت بهذه الطريقة دون أن تتمكن من رؤية قاتلها الذى سيحرم ابنتها منها.

انثنى جسدها وأخذت تركل بقدميها وهى تتنفس بصعوبة وألم، وعندما ترك المهاجم ضغطه عليها وشهقت وحاولت الصراخ والركل والمقاومة، شعرت بنصل السكين يقطع ملابسها والسن المدببة الحادة تشق الجلد بلا اكتراث. ثم شعرت بيد ترتدى قفاز كما سجل عقلها لاحقاً تضغط على صدرها.

هذا مستحيل، هجوم على شرطية وفى داخل القسم التابعة له؟ إنه جنون. لكن ركلاتها ومقاومتها لم يمنعاها من بطش المعتدى.

كرهت نفسها بسبب النحيب والتشنج والتوسل الذى بدر منها من خلال الشريط اللاصق، وكرهت ذلك أكثر لأن التوسلات جعلته يضحك، ومنحته القوة ليقهرها أكثر.

همس إليها بأولى كلماته قائلاً: "لا تقلقى، أنا لا أضاجع أمثالك!".

تجددت مشاعر الألم بقوة مرة أخرى من أثر الضربة التى تلقتها على وجهها، ثم بدأت تفقد وعيها بالتدريج. رحبت بذلك تقريباً، وكانت بالكاد تسمع وقع خطوات أقدام قريبة.

قالت لنفسها: "يا إلهى! ليته يكون هناك أحد قادم. كلا إنه يرحل، لقد رحل من هاجمها وأبقى على حياتها. تأوهت فيبى وبكت من شدة الألم. لكن رغبتها فى النجاة، الغريزة البدائية للنجاة كانت أقوى، لكنها كانت تخشى من أن تتدحرج إذا حاولت أن تنهض على ركبتيها ثم قدميها. لم تعرف كم المسافة بينها وبين السلم، فقد تسقط منه وتنكسر عظامها أو تموت!

كانت القيود التى وضعها على يديها تضيق على رسغها لدرجة أنها تقطع جلدها، مما يثقل حركة جسدها. لكن الرغبة فى الرؤية والهرب والنجاة كانت أقوى من الرغبة فى الراحة وتخفيف الألم. حركت كتفيها لأعلى ودارت برأسها يميناً ويساراً، ثم سارت إلى الأمام فى خطوات قصيرة مؤلمة للغاية وهى تتحسس الأرض

بقدميها لكى تتلمس طريقها. حاولت السيطرة رويداً بأقصى قوة على إحساسها بالفزع، وحاولت إزالة الغطاء حول رأسها حتى ظهر ذقنها، ثم أزاحته عن فمها وأنفها، ثم أزاحته أخيراً عن عينيها، فشعرت بقدر ضئيل من الراحة .

نظرت حولها ورأت بقع الدماء على الحائط فى سور السلم حيث ارتطمت رأسها، وذاقت طعم الدم فى حلقها .

لكنها رأت الباب بالأسفل، وكان عليها أن تصل إليه وتهبط بعض درجات السلم المؤدى إلى هذا الباب كى تنجو.

سارت ببطء الآن وحركت ركبتيها بألم حاد وهى تشهق، ووجدت أن ملابسها صارت قطع قماش ممزقة لا تكاد تستر جسدها، مجرد قطع طولية من التنورة والقميص، وهناك قطع أخرى ممزقة مبعثرة على السلم.

لقد تركها عارية كى تشعر بالذل والإهانة، وموثوقة الأيدى، لكنه أبقى على حياتها ولم يقتلها.

استندت على الحائط ودفعت قدميها المرتعشتين إلى أعلى حتى تمكنت من الوقوف وهى مازالت مستندة على الحائط، وداهمها شعور بالدوران والغثيان، وتمنت أن تتحكم فى نفسها حتى تصل إلى النجدة.

كان صوتها الداخلى يصيح بها: "أسرعى!".

"أسرعى! سيعود!"، لكنها هبطت درجات السلم بحرص وهى تستند على الحائط لتشعر بالأمان. وصلت لنهاية السلم وجسدها يرتعش من فرط الإعياء والخوف. كان يجب أن تستمد المزيد من القوة لكى تستدير وتمسك مقبض الباب بقوة بيديها اللزجتين وتجذب الباب لكى تفتحه.

سقطت على مدخل الباب فى الممر وارتعش جسدها وبدأت فى الزحف.

صاح أحدهم، وسمعت فيبى صياحه كجرس مكتوم الصوت عبر الضباب، ثم خارت قواها وانهارت على الأرض وفقدت وعيها .

لم تفقد وعيها لفترة طويلة، لم تكن آلامها المبرحة تسمح

وعلمت من خلال الألم الذى شعرت به حول فمها أن أحدهم قام بنزع الشريط اللاصق.

"أحضرى غطاء، وأعطنى سترتك اللعينة، وليحضر أحدهم مفتاحًا لهذه القيود. أنت بخير أيتها الملازم. أنا ليز ألبرتا، هل تسمعيننى؟ ستكونين بخير".

ليز؟ حدقت فيبى فى عينيها البنيتين الداكنتين، نعم إنها المحققة إليزابيث ألبرتا؛ فهى تعرف الاسم وتعرف هاتين العينين.

قالت بصوت أجش: "فى بئر السلم، هاجمنى فى بئر السلم".

"هناك شرطيان يتحريان فى الموقع، لا تقلقى، ورجال الإسعاف قادمون أيتها الملازم"، ثم مالت ليز نحوها وقالت: "هل تعرضت للاغتصاب؟".

"كلا، كلا، بل مجرد..."، ثم أغلقت فيبى عينيها وأردفت قائلة: "كلا، إلى أى مدى جُرحت؟".

"لا أعلم حتى الآن".

فتحت فيبى عينيها بسرعة وقالت: "سلاحى! أين هو؟ لم أتمكن من استخدامه أو الوصول إليه وقتها، هل سرقه منى؟".

"لا أعلم حتى الآن".

"تماسكى أيتها الملازم، سأفك القيود حالاً".

لم تدرك فيبى من قال ذلك من خلفها، وركزت عينيها على ليز وقالت: "أريد الإدلاء بأقوالى لك".

"هذا ما سأفعله".

لم تتمكن فيبى من منع نفسها من التنفس بألم وان كان يخلو من الارتياح فى الوقت نفسه، عندما نزعوا القيود عنها، ولم تتمكن من كتم الأنين عندما شعرت بالألم وهى تحرك ذراعيها، ثم قالت: "لا أظن أن هناك كسرًا"، ثم أمسكت سترتها وغطت بها نفسها، بينما قام شخص آخر بلف غطاء حولها ليدثرها من كتفيها.

"هلا ساعدتنى على الجلوس وظهرى منتصب؟".

"بل ربما يجب أن تظلى مستلقية حتى...".

جاء صوت وقع أقدام تسير بسرعة ثم صياح، وكان ديف قد دخل

"لم أره، لقد باغتنى فى بئر السلم، ووضع غطاء على رأسى حتى لا أراه". بدأت الدموع تنهمر على خديها وأحرقت جلدها المتورم قبل أن تتابع: "وأظنه سرق سلاحى".

"سآخذ أقوالها أيها الكابتن إن كان هذا يروق لك. وسأذهب معها للمستشفى من أجل هذا".

"حسناً"، لكنه أمسك يد فيبى وكأنه لا يريد أن يتركها .

"لا تتصل بأسرتى يا كابتن من فضلك".

ضغط على يدها برفق ودق الأرض بقدمه وصاح: "أريد تفتيش كل البناية وكل طابق، ولا أحد يخرج أو يدخل دون تفتيش. إنها حالة طوارئ خطيرة للغاية. أريد تفتيش كل ضابط وموظف مدنى ومعرفة مكانه وقت وقوع الحادث".

قالت فيبى بهدوء وهو يلتفت بوجهه الغاضب نحوها: "لم يكن مدنياً يا كابتن، بل كان واحداً منا".

لم تكن بكامل وعيها عندما تمت الإجراءات التالية، لكنها اعتبرت هذا من حسن حظها. لم تشعر بالإسعاف ورجال الإسعاف وحجرة الطوارئ فى المستشفى. كانت هناك الكثير من الأصوات والحركة والمزيد من الألم. ثم انخفض مقدار الألم إلى حد جعلها تشعر بالارتياح أكثر، بعدها تركت نفسها لتنام بينما كان الأطباء يفحصون جسمها ويقلبونها بين أيديهم، ثم أخذوا يعالجون الجروح والسحجات وهى مازالت مغلقة العينين، وعندما فحصوها بأشعة إكس، أغلقت عينيها وعقلها معاً.

كانت تعلم أنها تريد أن تبكى، وأن دموعها ستنهمر كالفيضان، لكنها ستؤجل ذلك.

دخلت ليز نحو حجرة الفحص وقالت: "قالوا لى إن بإمكانك التحدث معى الآن".

"نعم"، ثم نهضت فيبى ورفعت ظهرها لأعلى على فراش الفحص فى المستشفى، وكانت ضلوعها تؤلمها، وكانت فيبى تعلم جيداً أنها ستظل تؤلمها لأيام إن لم يكن لأسابيع. لكن رافعة الذراع

خفضت آلام كتفها .

"مجرد ارتجاج بسيط فى المخ وتورم فى الضلوع وتملخ فى الكتف".

اقتربت ليز قليلاً منها وقالت: "بالإضافة إلى قطع غائر فى الجبهة وهالة سوداء حول العين، وانشقاق فى الشفتين وتورم فى الفك. قام هذا اللعين بعمل الكثير فى أقل وقت".

"لكنه لم يقتلنى".

"هذا هو الجانب الإيجابى. ظل الكابتن هنا ولم يغدر إلا بعد أن اطمأن على حالتك من الأطباء، ويجب أن أخبرك أنه سيعود لاصطحابك للمنزل عندما تستعدين لذلك".

"بل أتمنى أن يواصل تحرى الأمر حتى يجد ... لا أعلم ما الذى سيجده، كنت أنزل من مكتبى نحو قاعة الدرس كالمعتاد؛ فأنا عادة ما أستخدم السلم بدلاً من المصعد".

"هل تخشين الأماكن المغلقة؟".

"كلا، لكن من باب الرياضة؛ لأنه ليس لدىَ وقت لممارسة الرياضة، وبالتالى أستخدم السلم بدلاً من المصعد كنوع من الرياضة، وكان هو فى انتظارى".

"ذكرت أنك لم تريه؟".

"كلا، لم أره". ثم تحسست بأصبعها بحرص على وجهها تحت عينيها مباشرة، لم تكن قد تلقت لكمة على عينها من قبل، ولم تقدر أبداً كم هذا مؤلم. ثم تابعت: "كنت أنزل السلم بسرعة جداً ولم أر سوى حركة سريعة بطرف عينى".

أخذت قبعة الثلج من ليز ووضعتها بلطف على جانب من وجهها ثم استطردت: "لقد باغتنى وتمكن منى قبل أن أستدير لأراه، وأمسك سلاحى. كان يعلم ما يفعله وخطط له جيداً. لقد شل حركتى على الفور بضربة على رأسى، ودفعنى بوجهى مباشرة نحو الحائط، مما شل حركتى وأصابنى بالذهول، ثم وضع الشريط اللاصق حول فمى ووضع القيود فى يدى على الفور. كانت طريقته تشبه طريقة شرطى معتاد على استخدام القيود، ومتوقع كل حركة دفاع كنت سأقوم بها، ثم وضع غطاء على كل رأسى، أو أياً كان هذا

الذى وضعه".

قالت لها: "كان كيس غسيل، ولقد تم تحريزه الآن، لا تفكرى فى أنك كان يجب أن تكونى أسرع منه وتقاوميه بضراوة".

"لم يكن لدىَّ أدنى فرصة لذلك. أدركت ذهنياً أننى فى حالة ذهول وصدمة، وكان هو أقوى منى بدنياً ولكن ... أين سلاحى؟".

"لم نجده بعد".

نظرت فيبى لها نظرة طويلة. كانت صدمة قوية عندما يسرق السلاح من أحد عناصر الشرطة، وخاصة إذا كانت شرطية.

"لن يلومك أحد على هذا أيتها الملازم، وخاصة تحت ظل هذه الظروف".

"لكن البعض سيفعل ذلك، وأنا وأنت نعلم ذلك جيداً. وهو أيضاً يعلم، لذلك سرقه منى".

"بل تقصدين بعض الحمقى. هل لديك فكرة عن طوله وبنية جسمه".

"ليس عن طوله، لقد دفعنى وسقطت، لكنه كان قوياً، وخنقنى فى البداية ..."، ثم أشارت بإصبعها حول كدمات الرقبة فى البداية ... ثم تذكرت شعور خنق الرقبة بيده ليحول دون دخول الهواء، ثم تابعت: "لقد خنقنى عندما سقطت بيد قوية وكبيرة الحجم، وكان يرتدى قفازاً .. شعرت بملمس قفاز ربما من البلاستيك عندما لمس جسدى. ثم شعرت بسكين أو مقص، ربما ولكنى أعتقد أنه كان سكيناً حاداً، يمزق ملابسى".

"هل لمسك؟".

"لقد...". أمرت فيبى نفسها بأن تتذكر كل الحقائق وملابسات واقعة الاعتداء، ويجب أن تعتبرها مجرد حقائق. قالت: "لقد جذبنى من قدمى بشدة، ثم ضحك بصوت أجش، وكأنه كان يتعرض للدغدغة، ثم دفع إصبعه فى... اللعنة؟".

توقعت ليز أن فيبى كانت على وشك التقيؤ فأحضرت طبقاً كبيرًا ووضعته بسرعة تحت وجه فيبى وأمسكته بثبات وإحكام حتى انتهت نوبة القىء.

بعد أن حول الورم وجهها إلى لون أبيض شاحب تحت الكدمات، تراجعت للخلف وقالت: "يا إلهى، أنا آسفة".

"اسحبى نفساً عميقاً وتمهلى وخذى وقتك، تناولى هذا"، ثم أعطتها كوبًا بلاستيكياً به ماصة وقالت: "احتسى بعض الماء".

"حسناً، شكراً، أنا بخير الآن. لقد وضع إصبعه فى مكان حساس بجسدى، ولم يكن الأمر جنسياً بل أراد إيذائى بدنياً ونفسياً وإهانتى بشده، ثم أظنه مال نحوى لأن صوته كان قريباً لأذنى وقال هامساً: "لا تقلقى، فأنا لا أعتدى جنسياً على أمثالك". ثم لطمنى على وجهى وتركنى هكذا".

"ألا يمكنك تخمين المدة الزمنية للواقعة؟".

"بدا الأمر وكأنها استغرقت دهراً، لكنها استمرت فى الواقع ما بين دقيقتين إلى ثلاث دقائق. لقد أعد خطته سلفاً بشكل محكم، ونفذها بكل كفاءة ودقة. استغرقت وقتاً أطول لفك الغطاء من فوق وجهى والوصول للباب، على أية حال، أعتقد أن إجمالى المدة بلغ سبع دقائق".

"حسناً، هل قال شيئاً آخر؟ أى شىء على الإطلاق؟".

"كلا، لم يتحدث سوى مرة واحدة".

"هل لاحظت شيئاً آخر عنه مثل رائحته؟".

"كلا، انتظرى". أمعنت فيبى فى التفكير وقالت: "شممت بوردة أطفال".

"ماذا عن صوته؟ هل بدا مألوفاً؟ هل يمكن أن تتعرفى عليه لاحقاً؟".

"لا أعلم، نحن متدربون على ملاحظة كل التفاصيل بدقة، لكنى حينئذ كنت مرعوبة والدم يطن فى رأسى وكان الغطاء يعمينى".

ثم قالت فجأة: "لكنه شخص محلى، كان هذا واضح من لهجته".

"هل كانت هناك مشاكل بينك وبين شخص آخر؟

أى شخص قد يتمنى إلحاق الأذى بك؟".

"أنت تعلمين أنه يوجد مثل هذا الشخص. ربما لا نعمل تحت إدارة واحدة، لكننا فى نفس البناية فى القسم. تعلمين من أقصد".

"أتظنين أن من هاجمك هو آرنى ميكس؟".

"نعم، لكن ليس لدىَّ دليل، لكنى أظنه هو. لقد حررت محضراً بحادث وقع لى صباح يوم السبت".

"أى حادث؟".

روت لها فيبى قصة الدمية.

"سأتحدث مع المخبر سايكس عن هذا الأمر، وسيتحرى سراً عن مكان ميكس فى صباح هذا اليوم".

"سأكون ممتنة لك".

"لم يغتصبك أيتها الملازم، لكنه آذاك جنسياً، إن أردت التحدث مع طبيب نفسى متخصص فى حالات الاغتصاب، فأنا أعرف طبيباً جيداً".

"كلا، لا داعى لذلك، شكراً لك. أنت تقومين بعمل جيد أيتها المحققة، وأنا أقدر كونك هنا معى لأخذ أقوالى، ولوقوفك بجانبى".

"سأتابع قضيتك، أعدك بذلك".

"والآن، هلا أحضرت لى بعض الملابس حتى أخرج من هنا؟".

"لماذا لا أتصل بمن يحضر إليك؟ إن كنت لا تريدين الكابتن، فسأتصل لك بشخص آخر يحضر لك ملابس ويصطحبك للمنزل. ما رأيك؟".

هزت فيبى رأسها بالنفى وقالت: "لا أريد الذهاب للمنزل إلا بعد انتهاء فترة انهيارى العصبى، ولا أعتقده سيستغرق وقتاً طويلاً".

"هل أتصل لك بشخص آخر؟".

لمست ثلاث ضمادات على جرح الجبهة وقالت: "فى الواقع، هناك صديق أتمنى لو كان متاحًا".

ثمة احتمالات بأن يشترى دانكان المبنى القديم الذى يريد صاحبه أن يبرم صفقة بيعه معه. ظن دانكان أن الأمر مجرد ضربة حظ. كان فكره مشتتاً بين ذلك وبين إمكانية الاستفادة منه.

كان المبنى عبارة عن مخزن مهجور من المؤكد أنه صار مقلبًا للنفايات، لكن يمكن تحويله إلى شقق سكنية فاخرة وقريبة من المصانع والموانئ لتلبية رغبات العائلات الخاصة بالموظفين. إنه مكان معقول وسعره معقول، وسيكون إيجاره كشقق بسعر معقول أيضاً. إنه بعيد المنال عن السائحين، وبعيد أيضاً عن الأناقة

والجمال والخضرة لهذا الحى التاريخى العريق. ربما سينشئ مخبزاً أو مقهى فى الطابق الأرضى، أو ربما متجراً لتوصيل الطلبات للمنازل أو مطعمًا عائلياً صغيرًا، ويحصل على عائد لهذا الاستثمار فى النهاية.

أفضل ما فى هذا الأمر أنه لم يكن متعجلاً فى إتمامه.

كانت كل طبقات المجتمع الدنيا فى المدينة تحتاج إلى إسكان آمن وجيد ومريح مثل باقى الطبقات، الأمر الذى كان يعلمه جيداً؛ فقد كان واحداً منهم، وكان ينتمى قبل ثرائه لهذه الطبقات معظم حياته.

وقف فين مع صاحب المبنى يهز رأسه بينما دانكان يتفقد المكان، كانت تلك أهم مهارات فين من وجهة نظر دانكان؛ فهو يظهر على وجهه علامات الضيق والصرامة مما يساعد على إبرام الصفقات الرابحة ويحولها لحقيقة.

كان صاحب المبنى يطالب بمبلغ ضخم لهذه البناية المتهالكة، وهو يظن أن دانكان صيد ثمين وفرصة يجب اقتناصها. لم يمانع دانكان أن يظن الآخرون أنه صيد ثمين لهم، وخاصة أنه دفع أكبر مبالغ مالية ليطلق اسمه على نيزك فى الفضاء!

عندما رن هاتفه الخلوى، كان يتفحص ثلاث نوافذ مكسورة، ولم يتوقف عن فحصها حتى وهو يخرجه من جيبه: "نعم، هنا دانكان. ماذا؟ متى، كيف؟".

ثم استدار فين عندما سمع نبرة القلق فى صوته وسار على الأرضية الخشنة الأسمنتية نحوه. قال دانكان: "أين؟ حسناً". وبعد دقيقة قال: "أنا فى طريقى إلى هناك". ثم تابع وهو يسير بسرعة نحو الباب: "أنا مضطر للانصراف"، ثم وضع الهاتف فى جيبه.

صاح صاحب البناية: "يا سيد سويفت".

قال لـ فين: "هناك حالة طوارئ شخصية، أفعل ما تريد فى هذه الصفقة"، ثم هرع نحو سيارته فى الخارج.

انتابته عشرات الصور المفزعة بسرعة وهو ينطلق مسرعاً عبر الطريق إلى المستشفى. ذكر نفسه أن المحققة إليزبيث ألبرتا التى تحدثت معه قالت له إن فيبى ستغادر المستشفى وبالتالى يستنتج أن

إصابتها ليست خطيرة.

لكن المحققة تحدثت فى عجالة وباختصار وبشكل عملى، هكذا فكر دانكان بضيق عندما أجبرته الإشارة الحمراء على جذب الفرامل.

لم تقل له كيف حدثت الإصابة وما مداها، هل هي بالغة أم سطحية؟ متى ستتحول هذه الإشارة اللعينة للضوء الأخضر؟

ربما أطلق أحدهم عليها الرصاص. يا إلهى!

انطلق مسرعاً بمجرد تغير لون الإشارة إلى الأخضر، وسار فى طريق ملتو ومتعرج عبر زحام المرور، ثم سار ببطء عندما اشتد زحام المرور. تعلم فى سنوات عمله كسائق تاكسى كيف ينتقل من نقطة لأخرى بسرعة أو كيف يصل للمكان المنشود بطرق ملتوية كى يحصل على أجرة زائدة.

وصل عند باحة السيارات، وأخذ يسب ويلعن بمرارة عندما لم يجد مكاناً خالياً. وبعدما وجد مكاناً للسيارة، أخذ يركض حتى أبواب حجرات قسم الطوارئ فى المستشفى، وكان ذهنه يعج بمزيج محموم من الغضب والتوتر البالغ.

كان سيتخطاها لولا أنه لمح شعرها الأحمر الذى جذب ناظريه إليها وجعله يتوقف عن الجرى ويستدير نحوها.

كانت تجلس مع باقى الجرحى الآخرين فى قاعة الانتظار، وترتدى زى المرضى الأزرق الباهت. وكانت تضع رافعة تحمل ذراعها، وكان وجهها ذلك الوجه الجميل الأخاذ مليئاً بالكدمات.

انحنى أمامها وتناول يديها فى يديه وقال: "يا إلهى! فيبى! إلى أى مدى كانت إصابتك؟".

قالت له وهى تحاول الابتسام بالكاد: "اطمئن، مازلت قادرة على الحركة. الإصابات ليست بالغة. لقد خطرت على ذهنى عندما طلبوا منى اسم شخص للاتصال به، ليتنى ما أزعجتك".

"لا تكونى سخيفة، ماذا حدث؟".

"دانكان... بما أنهم تحدثوا إليك وجئت، فأنا بحاجة لمكان هادئ أتوجه إليه لمدة ساعتين حتى يمكننى أن أنهار ثم أستعيد قواى النفسية قبل العودة لمنزلى. هل يمكنك اصطحابى لمكان هادئ

لمدى ساعتين؟ أعلم أنه طلب كبير لكن...؟".

"بالطبع يمكنني ذلك، هل أنت متأكدة من أنه يمكنك السير؟".

"نعم". وعندما همت بالنهوض، وضع ذراعه حول وسطها وسحبها لأعلى باهتمام ورعاية رجل يحمل عملاً فنياً هشاً وقابلاً للكسر.

قال لها: "استندى علىَ".

"فعلت هذا بالفعل عندما اتصلت بك. يا إلهى، كم هو مريح أن تترك بعض العبء على شخص آخر"، ثم لم تلبث أن تابعت: "لم أراع حتى أنك قد تكون مشغولاً فى أعمالك؟".

"أنا؟ أنا ثرى مدلل ووقتى مفتوح". خلع نظارته الشمسية عندما وجدها تغمض عينيها وتحول وجهها عن الشمس وقال: "ارتدى هذه لإخفاء تورم العين والهالات السوداء. كيف كان شكل الجانى؟".

قالت ولم تحاول الابتسام هذه المرة: "ليتنى أعرف".

قال لنفسه إنه ينبغى أن ينتظر، وأن يؤجل أسئلته حتى يجعلها تدخل منزله وتستقر ويحضر لها الشاى أو أى مشروب آخر. ساعدها على الدخول لسيارته ووضع حزام الأمان حولها بنفسه وقال: "لتسترخى قليلاً"، ثم أرخى ظهر المقعد للوراء: "ما رأيك؟".

"رائع".

قال بعد أن جلس خلف عجلة القيادة: "هل أعطوك دواء للألم؟"، فطرقت على علبة الدواء التى أحضرتها ليز من المستشفى.

"معى دواء فعال الآن، سأنام قليلاً إن لم تمانع".

"جيد، حاولى الاسترخاء والراحة التامة".

لم تنم فيبى. لقد رأى يدها تتكور على هيئة قبضة يد، ثم ترتخى لدقيقة أو اثنتين. ثم تقبض يدها مرة أخرى ثم تبسطها ثم تقبضها، وكأنها مصرة على الإمساك جيداً بشىء ما بداخلها.

لقد حيره وجود الضمادات حول رسغيها. إن كانت قد تعرضت لحادث، فلماذا لم تتصل بعائلتها؟ ما نوع الحادث الذى يجرح الرسغين، ويعرض الوجه لكدمات وجروح أخرى تجعل المرء يتخيل أن عظام هذه المرأة من الزجاج الهش؟

إذن لم يكن الأمر مجرد حادث.

بدأت باقى الاحتمالات تدور داخل رأسه، لكنه انصرف عنها، وقال لنفسه إنه لا داعى للتخمين ترى أين ملابسها؟ لأن التخمين يجلب عليه آلاف الاحتمالات التى تدعو للقلق.

لاذ بالصمت وأدرك أنها بحاجة إليه. وكان عمله كسائق تاكسى سابقاً قد أكسبه الخبرة ليعرف ما الذى يريده الزبون: الثرثرة، أم المجادلة، أم المعلومات أم الصمت .

كانت فيبى تنشد الصمت الآن.

بالكاد تحركت طوال المسافة على الجسر من الأرض الرئيسية وحتى الجزيرة، وهو يمر عبر المستنقعات والخلجان الصغيرة والأنفاق الخضراء للأشجار المنحنية على الجانبين. ولولا يدها التى لم تكف عن الانقباض والانبساط لقلنا إنها ظلت ساكنة تماماً.

لم تتحرك وتفتح عينيها إلا عندما أبطأ السير عند المنعطف الأخير وأوقف السيارة ببطء.

كان منزله ضخماً وفخماً وبه أناقة تقليدية ولمحات جمالية من نباتات"الأرملة"التى تزين سطح المنزل كالتاج. كانت تحيط بالمنزل أشجار البلوط وحولها عدد كبير من الفراشات والعثة، كانت ألوان المنزل من الخارج ذات درجات قوية وغامقة من اللون الأزرق مع حواف بيضاء، وكانت الحدائق مليئة بنبات الأزليا الذى لم تتفتح أزهاره بعد، مما جعل الحديقة ساحرة ومبهرة وغير عادية .

كان مدخل الباب مليئًا بأصص زهور من أنواع مختلفة وكذلك فى الشرفة، أضف إلى ذلك المقاعد المريحة الوثيرة والأرائك التى تدعو الزوار للجلوس لبرهة من الوقت للاسترخاء وتناول مشروب بارد وسط هذه الجنة من النباتات والزهور.

قالت له: "إنه مكان رائع الجمال".

"نعم أنا مغرم به وأعددته بنفسى"، ثم نهض وخرج من السيارة وفتح لها الباب وأردف قائلاً: "دعينى أمد لك يدى".

"شكراً لك"، ثم استندت عليه وقالت: "أشكرك بشدة يا دانكان".

"على الرحب والسعة". قادها نحو السلالم حتى الشرفة ومنها إلى الباب المزين بزجاج ملون ومقبض عليه رسوم تعود للعصر الكلتى".

"منذ متى وأنت تعيش هنا؟".

"منذ خمس سنوات، وأفكر فى بيعه غالباً... إنها قصة طويلة".

طغى ضوء الشمس الذهبى على الألوان الثرية، مع المساحة الشاسعة التى تحليها منحنيات السلم الأنيق الضحم، ثم الممر. وتحركت فيبى بجواره بصعوبة عبر الردهة فى أول المنزل إلى قاعة الاستقبال، حيث إن الأبواب فى قلب المنزل تؤدى إلى شرفة أخرى وسط المنزل تتلألأ بها ألوان حديقة غناء أخرى، فى وسطها عمود خشبى معلق عليه نبات اللبلاب المتسلق المتشابك فى صورة مبعثرة، لكنها جميلة وأخاذة.

كان هناك بيانو ضخم كلاسيكى فى إحدى زوايا المكان فى مواجهة النوافذ الأمامية، بينما المقاعد والأرائك لها ألوان هادئة من درجات اللون الرمادى لتعكس بالتباين جمال لون الحوائط الأحمر. كانت هناك أعمال فنية ولوحات معلقة على الحائط، وشعرت فيبى بأنها على ضفاف جدول فى الغابة، كانت هناك لوحات لمناظر طبيعية حالمة لـ"جورجيا"مع مزيج من الأعمال الفنية القديمة ولمسة أنيقة لتمثال رخامى لحيوان ضخم.

عندما قادها إلى مقعد مريح، سارت مبتعدة عنه نحو الأبواب الزجاجية.

قالت له: "تعجبنى حدائقك".

"أنا أيضاً أعشقها، ولقد انشغلت بتشكيل حدائقى منذ أن انتقلت لهذا المنزل".

"أتخيل ذلك، لكن هذا منزل ضخم وفسيح ليعيش فيه رجل بمفرده".

"نعم، لهذا فكرت فى بيعه، لكنى أستخدم معظم أرجاء المنزل".

قالت: "أحقاً؟ ..."، ثم أراحت جبهتها على الزجاج وأغلقت عينيها وقالت: "آسفة جدا، أنا على وشك الانهيار الآن!".

وضع يده على ظهرها وشعر أنها ترتجف، وعلم أنها على وشك الانفجار وأن العاصفة ستنطلق الآن فقال: "لا بأس ابدئى كما تريدين الآن على راحتك".

عندما استدارت لتواجهه مد إليها يديه، وحين بدأت تبكى فى صمت، حملها حتى الأريكة الوثيرة وجلس وهى مرتمية فى أحضانه، وظلت هكذا تبكى وتنتحب وتنهار. لقد بدأت العاصفة الهوجاء الآن.

٨

لم تشعر بالخجل من دموعها، تلك الدموع التى كان يجب أن تذرفها. كانت ممتنة لأن دموعها تنساب فتقلل من مشاعر الخوف والغثيان بداخلها، لكن دانكان ليس من نوع الرجال الذين يواسون المرأة بشكل أخرق ويقولون للمرأة ألا تبكى.

لقد وفر لها مأوى وتركها لتبكى كما تريد.

عندما كف جسدها عن الارتعاش وكفت دموعها، قبلها برقة على صدغها المتورم بالكدمات وقال: "هل تشعرين بتحسن؟".

"نعم"، سحبت نفساً عميقاً وعندما أخرجته شعرت أنها قد استعادت رباطة جأشها ثم قالت: "نعم، أنا بخير".

"إليك ما سنفعله، سأحضر لك مشروباً، ثم ستخبريننى بكل

ما حدث". ثم رفع وجهها حتى تقابلت عيناهما قبل أن يتابع: "ثم سنفكر في الخطوة التالية وما سنفعله".

"حسناً".

"ليس لديَّ هنا... منديل".

"لديَّ مناديل ورقية في حقيبتي".

"جيد، حسناً،....". غير من وضع جلستها ثم أجلسها بجواره قائلاً: "إن احتجت الحمام، فهو من هذا الاتجاه يميناً".

"فكرة جيدة".

عندما تركها، جلست لبرهة من الوقت وهي تستجمع قواها وأعصابها المشتتة، ثم نهضت ووقفت بصعوبة وألم والتقطت الحقيبة التي تركها على مائدة القهوة، ثم سارت عبر الطريق ذي القباب الأنيقة على الأرضية المصقولة إلى الحمام.

جعلتها أول نظرة ألقتها على نفسها في المرآة الطويلة البيضاوية تتأوه من الألم بسبب جمالها المشوه. كانت عيناها متورمتين وحمراوين من كثرة البكاء، والعين اليمنى بها عدد من الكدمات القبيحة المتنوعة الأحجام والأشكال، ويزيد من حدة قبحها الهالات السوداء حول العين والدماء المتجلطة تحتها.

كان فكها مصاباً بالعديد من التورمات والكدمات متباينة الحجم والشكل، وشفتها السفلية متورمة ومشقوقة نصفين، وأغلقت الأربطة الملفوفة على جبهتها الجرح الغائر المتعرج، وظلت بارزة مقارنة بالجلد المكشوط المؤلم.

قالت لنفسها: "هذه ليست مسابقة ملكة الجمال يا فيبي، لذلك تحلي بالشجاعة وتغلبي على أحزانك. لكن، يا إلهي، هل من الممكن أن يتشوه جمالي إلى هذا الحد؟ هل هناك أسوأ من هذا؟".

وعندما تذهب لمنزلها بهذا الوجه، لا شك أنها ستفزع كل أهل بيتها.

ذكرت نفسها أنه لا مفر من ذلك، ثم غسلت وجهها بالماء البارد بحرص.

بعد وقت قصير، اكتشفت أنه حتى عملية التبول البسيطة، مع تورم خصرها وإصابته بالكدمات، ومع وضع ذراعها على حامل من الأربطة، كانت عملية تدريب على عدم الراحة والإحباط، كما

أن ضبط هندامها ونفسها جعل كل جزء مصاب فيها يؤلمها تحت طبقات الأربطة.

لا داعى للتفكير فى جمالها المشوه، لقد شعرت بالتقزز بالفعل وبالتعب من النظر إلى وجهها، وكأنها اندفعت برأسها نحو حائط من قوالب الطوب.

كما أنها تكره التعرج فى السير، لكنها عرجت أثناء عودتها نحو الصالة، ورأت دانكان يضع صينية على مائدة القهوة.

"لا أعلم ماذا أعطوك فى حجرة الطوارئ، لكنى خمنت بأنك لا يجب أن تحتسى شراباً كحولياً، ولدىَّ هنا شاى وعلاجى الخاص للكدمات السوداء حول العين، وأدوية أخرى وكيس بازلاء مجمدة".

توقفت عن السير وقالت: "لقد أعددت الشاى بنفسك".

"ألا تحبين الشاى؟".

"بل أحبه بالطبع، لكنك أعددته بنفسك فى إبريق جميل، وها أنت تقدمه لى فى صينية أنيقة، وأحضرت لى كيس بازلاء مجمدة". ثم مدت له يدها السليمة قائلة: "مازالت انفعالاتى مضطربة. وتنتابنى رغبة فى البكاء لأن هناك من قام بإعداد الشاى لى وفكر فى إعطائى كيس خضراوات مجمدة".

"جيد أننى لم أصنع لك حلوى".

أمسكت كيس البازلاء المجمدة ووضعته على الجانب المجروح المشوه من وجهها ثم قالت له: "هل يمكنك صنع الحلوى؟".

"كلا البتة، ليس لدىَّ أدنى فكر عن هذا، على أية حال لم أكن متأكد هل يمكنك المضغ الآن، كيف حال فكك".

سارت ببطء للأريكة وجلست مرة أخرى وقالت: "هل تريد منى عدم إظهار مشاعرى وإظهار الجَلَد والتحمل أم تريد الحقيقة؟".

"بل أريد الحقيقة بالطبع".

قالت بغضب: "أشعر بألم بالغ، وكل جزء فى جسمى يؤلمنى للغاية. هل هذا ما يجعلك تبتسم؟".

ظل مبتسماً وقال: "لا أبتسم على آلامك، بل لأنك متضايقة؟ يسعدنى رؤية غضبك وعصبيتك يعودان للعمل بكفاءة"، ثم جلس بجوارها وصب لها قدحاً من الشاى وأردف قائلاً: "الآن أطلعينى

على كل ما حدث يا فيبى".

"تعرضت لهجوم بدنى فى بئر السلم فى مكان عملى".

"هجوم؟ من قام بذلك؟".

"لم أره، وبالتالى لست متأكدة من هويته. كان فى انتظارى".

وهكذا بدأت تحكى له ما حدث.

لم يقاطعها، لكن عندما ذكرت أن مهاجمها مزق ملابسها، نهض دانكان من الأريكة بغضب واستنكار. وكما فعلت هي عندما دخلت للمكان أول مرة، سار نحو الأبواب وحدق باتجاه الخارج.

توقفت عن سرد قصتها.

قال دون أن يلتفت لها وهو يعطيها ظهره: "واصلى سرد ما حدث، لا يمكننى الجلوس الآن".

أنصت لها وهو يحدق للخارج عبر الزجاج، ولم ير النباتات أو الطريق الملتوى المتعرج فى الحديقة الجانبية، بل رأى بعين خياله بئر السلم ورأى فيبى وهى مجروحة ولا حول لها ولا قوة، وتتصارع مع وحش بلا ملامح يمزق جسدها وملابسها ويضربها ويروعها.

فكر أنه يجب أن يكون هناك انتقام لما حدث، وهو يؤمن بشدة بفكرة الانتقام.

بعد أن انتهت من سرد قصتها قال: "أتعرفين من هو؟".

"لم أره".

استدار نحوها الآن، وكان وجهه مضرماً بنيران الغضب لدرجة أن عينيه قد زادت زرقتهما ولمعانهما. قال لها: "لكنك تعرفينه".

"لدىَّ شكوك قوية لكن لا يعتد بها كأدلة إدانة؟".

"هذا كلام الشرطية، ماذا عنك كشخص؟".

"أعرف من فعلها، وسأجد دليل إثبات يدينه، أتظننى سأرضى بذلك؟ أتظن أن هذه هى شخصيتى؟ الخنوع والاستسلام؟". ثم رفعت يدها وكأنها تمنع نفسها.

"كلا، واصلى غضبك. إن تفريغ الغضب مريح ويعالج جروح النفس مثل البكاء".

"لقد جرحنى وألحق بى الأذى، هذا اللعين، لقد جرحنى وأهاننى، وجعلنى أظن أنه سيقتلنى ويجعل ابنتى يتيمة، ويجعل

أمى ثكلى وعائلتى تحزن بشدة لوفاتى. لقد تركنى أزحف وأنا عارية، ومعظم ملابسى ممزقة، فى مكان عملى، حيث أذهب كل يوم وأواجه الناس الذين رأوا ما فعله بى، هل تعلم لماذا؟".

"كلا، لماذا؟".

"لأنه لم يتحمل تلقى الأوامر منى، ولم يتحمل سلطتى عليه، وخاصة أننى امرأة، فلم يتحمل تأديبى له ومعاقبته على أفعاله".

"هل تقصدين أن الجانى أحد رجال الشرطة؟".

صدمت لأنها قالت أكثر مما ينبغى لها، فتراجعت وقالت: "ليس إلا مجرد شكوك قوية داخلى".

"ما أسمه؟".

شعرت بالأنثى التى تعرضت للإيذاء والإهانة تتحرك داخلها وتؤثر على نبرة صوتها، لكنها شعرت بأن نبرة صوته تقول بوضوح إنه يريد أن يتولى هذا الأمر. فهزت رأسها بالنفى وقالت: "لا تلجأ لسلاحك وتستخدم العنف يا دانكان، سيتولى رجال الشرطة الأمر، سيتعاملون معه، ومهمتى الآن فى الحياة رؤية ذلك يحدث والتأكد من حدوثه، ولقد ساعدتنى بأكثر مما أريد عندما أحضرتنى إلى هنا فى هذا الوقت..".

"حسناً، كان هذا من دواعى سرورى، ويسرنى مساعدتك، لكن هذا لا يخفف حالتى المزاجية الآن؛ لأننى أشعر برغبة فى تمزيق الفاعل إرباً إرباً وأن أطعم لحمه للكلاب التى لطالما فكرت فى تربيتها".

بعد برهة من الصمت دامت فترة طويلة، قالت له: "كلا، لا أظن أن هذه هى الطريقة الصحيحة لمعالجة الأمر، لكنى سأعترف لك بأننى مرتاحة الآن، مما يدعو للدهشة، وأشعر بالإثارة لمشاعرك هذه".

"لا أعلم حتى الآن ماذا أطلق على علاقتنا، لم أظن أننى مضطر للتفكير فى هذا الآن. سأطرح هذا جانباً ومهما حدث ومهما كان مستوى علاقتنا، يجب أن تعرفى ميلى الطبيعى حتى إن اعتقدت أنه متحيز ضد المرأة، أو أى شىء آخر فإننى عندما أجد شخصًا لعينًا وجبانًا يضرب امرأة، أهم بإمساك سلاحى وأطارده

وأشبعه ضرباً".

أدركت أنه لا يتحدث بمجرد هراء، بل يمكنه أن يفعل ذلك إن وقع الجانى فى يده. ستغض الطرف عن هذا لكن بالنظر إليه الآن، والغضب العارم يعتريه، فهمت أن له صفات أخرى غير الحظ والجاذبية والوسامة.

"حسناً، علمت الآن أن ميلك الطبيعى هو الدفاع والتصرف وتبدو...".

"لا تجربى معى أساليب التفاوض اللعينة".

قالت وهى ترد عليه: "لكن هذا هو ميلى الطبيعى، وما لدىَّ لأقوله الآن هو أننى لست بحاجة إلى الحماية. لكن تحت ظل هذه الظروف أعلم أنه من الحماقة أن أقول ذلك. ففى معظم حياتى كنت أنا من يحمى الآخرين، حتى قبل التحاقى بالشرطة، ولست متأكدة من رد فعلى عندما يعرض أحد علىّ حمايتى والدفاع عنى".

سار باتجاهها وهو متردد ثم مال نحوها لأسفل وقال: "أفعل هذا بحرص، لكن دعينى أعلم إن كان ذلك يؤلمك"، ثم طبع قبلة على خدها.

"لم يؤلمنى أبداً".

فقبلها مرة أخرى قبل أن ينهض وقال: "لديك مهلة أسبوع واحد".

"عفواً؟".

"لديك أسبوع لإنهاء مهمة حياتك الحالية فى الإيقاع بالمجرم، ثم أعطينى اسمه وسأسعى إليه بطريقتى".

"إن كان هذا تهديداً....".

"كلا، ليس تهديداً بل حقيقة". ثم جلس على مائدة القهوة بمواجهتها وأخذ كيس البازلاء المجمدة الذي تركته لتوها وقلبه ووضع الجانب الأكثر برودة على فكها المتورم وتابع: "أعلم بالفعل أنك شرطية، وتجيدين الدفاع عن نفسك ورد الإساءة، ولكن يمكننى الحصول على اسم الجانى فى خلال ساعة، لكنى سأتركك تقومين بتفعيل أسلوبك لمدة أسبوع وبعد ذلك...".

"أتظن لأنك ثريًا...".

"كلا يا فيبى، ثرائى يجعلنى "أعرف" و لا "أظن"". رفع يديها

اليد تلو الأخرى ولثم رسغيها المربوطين بالأربطة الطبية، وقال وهو يتركهما بخفة موضحاً قانونه ومبدأه فى الحياة: "المال يحرك ويسهل الأمور، وهذه مجرد حقيقة أخرى. أنت ذكية ولديك إحساس بالهدف، وهذا ما جذبنى نحوك للوهلة الأولى، لكنى أراهن أنك ستنالين من الفاعل قبل مرور أسبوع. لكن إن لم يحدث، فهنا يأتى دورى للانتقام نه".

"دورك؟ هذا أمر يخص الشرطة، وليس متعلقاً بأدوار انتقاميه، فهذه أمور طفولية".

ابتسم نحوها واهتزت غمازتاه وقال: "أتعلمين أنك تبدين جميلة جداً الآن".

"عفواً؟".

"أعنى أنك تبدين جميلة جداً، حتى بعد إصابات وجهك بتلك الطريقة، حتى بزى المستشفى، مظهرك مثير جداً. هذا لغز كبير أننى منجذب إليك وأنت فى هذه الحال، لكن تلك هى الحقيقة".

تمزقت بين انفعالات متضاربة ومتباينة، فتركت كيس البازلاء المجمدة على صينية الشاى وقالت: "ما دخل هذا الموضوع بمناقشتنا بحق الجحيم؟".

"لا شىء، بل هو مجرد خاطر جال بذهنى. أترغبين فى تناول المزيد من الشاى؟"، ثم أضاف عندما حدقت نحوه بغضب: "لكن عندك حق، هذا استطراد بعيد عن الموضوع. أنت مصممة ومصرة وعنيدة، وأنا أيضاً كذلك. إذًا لا داعى للجدال طالما لن يتزحزح أحدنا عن موقفه فى هذا الأمر، ولا أحب الجدال معك الآن وأنك لست فى أفضل حالاتك حالياً".

"كلا، لا أريد المزيد من الشاى. أنت على حق، لست فى حالة تسمح بالجدال، لكن من المهم أن تفهم الفارق الكبير بين الانتقام والقانون".

"سنناقش هذا الأمر لاحقاً، عندما تستعيدين قواك. أتحبين أن تخفضى آلامك بالجاكوزى وحمام البخار والماء الساخن؟".

فكرت أنها ستغض الطرف عن هذا مرة أخرى، فهذا الرجل عنيد وصعب المراس ولا يغير رأيه فقالت: "إنه عرض سخى، لكن

كلا، شكراً، أريد العودة لمنزلى". لكن مجرد فكرة العودة للمنزل جعلتها تتأمل شكلها مرة أخرى وقالت: "يا إلهى؟".

"هل تريدين الاتصال بهم ليستعدوا؟".

"كلا، كلا، سيعتريهم القلق حتى وصولى، أعلم أننى سأضغط عليك يا دانكان، لكن يجب أن توصلنى للمنزل".

"رائع، ستكونين مدينة لى هكذا".

ساعدها على الخروج من المكان حتى السيارة، وحتى هذه المسافة القصيرة من السير أنهكتها، فجلست داخل السيارة تلتقط أنفاسها وهو يربط لها حزام الأمان.

فكرت أثناء قيادته للسيارة نحو منزلها أن كارلى ستعود من المدرسة فى أية لحظة بحلول هذا الوقت، وأن أمها ستنتهى من شراء احتياجاتها عبر الإنترنت، أو ترسل الملابس التى قامت بحياكتها فى طرود بريدية، وأن إيفا غالباً ستكون قد عادت للمنزل بعد قضاء مهامها، ولابد أنها تستعد لإعداد الطعام فى المطبخ.

إنه مجرد عصر يوم عادى ومعتاد، وفيبى ستدمر هدوءه وصفوه.

قالت له: "من يعزف البيانو هنا؟".

"لا أحد، أنا أحياناً أحاول، لكنى أملك أذناً موسيقية ولا أجيد العزف، لكنى ظننت دوماً أن وجود بيانو يضفى جوًا كلاسيكيًا ويزيد من أناقة هذه الحجرة".

"أصرت عمتى بيس أن أتلقى دروساً فى البيانو أنا وكارتر، وفهمت آليات العزف، لكن كارتر كان لديه حس موسيقى". ثم أرخت رأسها للخلف وتابعت: "أتمنى أن ينتهى الجزء التالى من اليوم. الصدمة التى ستنتابهم، ثم شرح كل شىء مرة أخرى. أتمنى أن ينتهى كل ذلك بسرعة".

"يمكننى أن أشرح ما حدث إن أردت".

"كلا، يجب أن أفعل هذا بنفسى. بالمناسبة، أين عائلتك يا دانكان؟" خطر على بالها أنها لم تر أية صور لأسرته فى حجرات هذا المنزل الفسيح الفخم.

"متفرقون هنا وهناك".

"هل هى قصة طويلة؟".

"بل ملحمة، سأدخرها لأرويها لك لاحقاً فى وقت آخر".

رن هاتفها. وبجهد بالغ مدت يدها للحقيبة وأخرجته منها: "نعم، أنا فيبى. نعم يا ديف أنا بخير، أنا أفضل حالاً الآن. كلا، أنا فى طريقى للمنزل الآن. كنت مع صديق لى. لن تسوء الحال أكثر".

ثم أنصتت قليلاً للهاتف قبل أن تتابع: "أتفهم ذلك، لكن سأتواجد غداً و... حسناً يا سيدى الكابتن. ديف". تنهدت بحرقة واحباط ثم قالت: "حسناً، بعد يومين أو ثلاثة. حسناً يا سيدى، شكراً. وأريد أن تكون الجلسة يوم الخميس القادم إن أمكن، سأقدر لك ذلك، أنا ممتنة لك. حسناً سأعتنى بنفسى، وداعاً".

قال دانكان: "ما الأمر؟ هل كل شىء على ما يرام؟".

"ليس تماماً، لكن أفضل مما قد ينبغى أن تكون عليه الأمور. كان يريدنى، أو بالأحرى يأمرنى، أن آخذ إجازة مرضية لمدة أسبوعين".

"الوغد!".

ضحكت ضحكة عالية ثم شهقت عندما جعلها ذلك تشعر بألم فى ضلوعها وقالت: "سأجن إن ظللت فى المنزل لتخدمنى إيفا وأمى طوال أسبوعين، وهو يعلم ذلك، لكنى سأتعافى بسرعة إن عدت لعملى، ولكنه مجرد إجراء روتينى، وهو يعلم ذلك أيضاً. ربما كان يهدف لإجازة من ثلاثة إلى أربعة أيام فقط فى النهاية، يا له من لئيم وخبيث، لكنه طيب القلب ويعتنى بى".

"يبدو أننى سأحبه أيضاً".

"ربما. لقد سرق سلاحى".

"ماذا؟ كابتن ديف؟"

"كلا ليس الكابتن. آسفة، كل الأفكار تتلاطم فى رأسى ولا أفكر جيداً فى شىء واحد".

أدرك دانكان أنها تقصد الشرطى الذى هاجمها، وبما أنها تفكر فى الأمر، فقد آرثر دانكان الصمت.

تركها فى صمت بينما اقترب بسيارته من شارع "جونز" وصارت

فيبى مضطربة، فقال لها: "هل أحضر لك مشروباً وسيجاراً أولاً؟"

"لا داعى لذلك، أنا على وشك مواجهة عدة نساء سيصبن بالهيستريا حالما يروننى". ثم سحبت نفساً عميقاً لكى تستعد للمواجهة بينما سار دانكان عبر الشارع ذى البنايات من الطوب الأحمر على الصفين. قالت فيبى: "يا إلهى! هذا يزيد الأمر سوءاً".

"ماذا؟". نظر نحوها دانكان فرآها تبتسم فى تجلد ورأى بعد ذلك رجلاً كان يسير عبر ضوء الشمس الذى يتخلل الأشجار، ثم تحول سيره إلى ركض نحوهما.

"فيبى، فيبى، ماذا حدث؟"، ثم فتح الرجل باب السيارة عنوة ونظر لأسفل وقال: "يا إلهى! ماذا حل بك؟ من أنت؟". كانت كلماته الموجهة إلى دانكان كسيل من الحجارة وهو يصيح به: "ماذا فعلت بأختى بحق الجحيم؟".

"توقف يا كارتر! لم يقم سوى بمساعدتى".

"من فعل بك هذا؟ أين هو؟".

تجمع الناس حول شارع جونز سكان المنطقة والسائحون ولاحظت فيبى عددا كبيرا من المارة قد توقفوا ليحدقوا نحو المرأة المحطمة والرجلين اللذين على جانبى السيارة البورش البيضاء اللامعة.

"كف عن الصياح فى الشارع كالمجانين، هيا ندخل إلى المنزل".

قام دانكان وذهب إلى مكان مقعد فيبى من الخارج وقال: "إنها أسئلة جيدة، وأحب الإجابة عنها. اسمى دانكان، لقد أصيبت فى عدة أماكن متفرقة، ويجب أن نحترس و...".

صاح كارتر: "سأعتنى أنا بها".

"كف يا كارتر عن هذا السلوك، لا تزد يومى السيئ سوءاً بأن تكون وقحاً مع صديق. أعتذر بالنيابة عن أخى وسلوكه السيئ يا دانكان".

"لا عليك".

"يا إلهى، ها هى مسيز تيفانى وكلبها السخيف يأتيان من

الحديقة، لا أريد التعامل معها، ساعدني يا كارتر على دخول المنزل بحق الأخوة ولا أريد المزيد من الفضائح".

قال دانكان: "لنحملها برفق". ثم لمح امرأة طاعنة فى السن ولها شعر أشقر يقودها كلب صغير بلا شعر وعليه رابطة عنق منقطة. قال دانكان لفيبى: "لم ترك السيدة بعد"، ثم قال لكارتر وهما يحملان فيبى حتى الرصيف: "سأكون وقحاً هكذا بنفس الطريقة لو كنت مكانك، لن على أية حال، عندما أوصل امرأة لمنزلها، فإننى أصطحبها حتى الباب".

استسلمت فيبى وتركت نفسها ليسندها رجلان عن جنبيها يحملانها عبر السلالم، وشعرت بأن العرض الحقيقى سيكون داخل المنزل بعد انتهاء هذه الافتتاحية التمهيدية.

عندما انفتح الباب، كانت إيسى فى طريقها للنزول عبر السلم المؤدى للصالة وقالت: "ظننت أننى سمعتك تصيح يا كارتر وأنا... يا إلهى! فيبى!".

شحب وجهها وصار أبيض اللون ثم ترنحت.

همست فيبى لهما: "دعونى أسير بمفردى"، ثم أسرعت بالسير نحو أمها وقالت: "أنا بخير يا أمى، تنفسى من أجلى، لا تفزعى، أنا بخير، لقد عدت إلى المنزل. أحضر لها كوباً من الماء يا كارتر".

قالت إيسى: "كلا، لا داعى لذلك"، ثم لمست خد فيبى وهى مازالت شاحبة وتابعت: "يا طفلتى الصغيرة".

"أنا بخير يا أمى".

"وجهك... روبن...".

"لقد مات يا أمى وأنت تعلمين ذلك".

"نعم، نعم أنا آسفة حقاً، آسفة. أوه يا فيبى، ماذا حدث؟".

"ما الذى حدث لوجهك وذراعك؟ يا إيفا!".

لاحظت فيبى أن الأم عادت للحالة الهيستيرية كما حدث لها فى الماضى، وما زالت شاحبة الوجه من الفزع.

هرعت إيفا من خلف المنزل، وسادت الفوضى والحيرة، وتداخلت الأصوات والحركات والدموع لبضع دقائق، ثم أغلق دانكان الباب وتراجع للخلف. كان مبدؤه دوماً هو: إن لم تكن تستطيع المساعدة

فابتعد عن الطريق.

"حسناً، توقفوا جميعاً الآن".

سمع دانكان صوت فيبى الهادئ الحازم عبر الضجيج، لقد كررت نفس الكلام مرتين ثم صاحت به فى المرة الثالثة كان كالصفعة على الوجه وصدمت كلماتها كل الحضور حتى صمتوا.

قالت لهم: "سأشرح كل شيء، لكن الآن أريد من الجميع التوقف عن الكلام حالاً. لقد تعرضت للهجوم والضرب المبرح، وهو واضح، والعويل والثرثرة لن تفيدنى و..".

"أمى!".

كان صياح فيبى قد أوقف حالة الهيستيريا، لكن صوت ابنتها كارلى المتهدج قد سيطر على الحالة بإحكام أكثر. هكذا رأى دانكان أن صياح كارلى أوقف الجلبة المتعبة للأعصاب. سارت فيبى نحو ابنتها التى كانت تحمل كرة حمراء زاهية اللون.

"أنا بخير يا كارلى. أعلم أن مظهرى يدل على العكس، لكنى بخير وسأكون بخير. لقد جرحت لكنى بخير".

"أمى!". تركت كارلى الكرة تسقط منها وتقفز لأعلى وأسفل، وجرت لتلحق بالأم وتضغط بوجهها على خصر أمها. ومن مكانه رأى دانكان أمواج الآلام وهى تمتص لون خدى فيبى وتجعلها شاحبة.

تقدم دانكان وتحدث وهو يرفع فيبى ويحملها بين ذراعيه: "أنا آسف. أعلم أن الوقت سيئ، لكن فيبى تحتاج للراحة والاسترخاء على الفراش، أرشدينى لحجرة نومها يا كارلى".

"إنها بالطابق العلوى".

"يمكننى السير يا دانكان".

"بالتأكيد، لكنى حملتك بالفعل. لقد أعطوا فيبى الدواء بالفعل يا سيدة ماكنامارا، وحان وقت تناوله. لتحضروا لها كوباً من الماء".

"بالطبع، بالطبع".

قالت إيفا وهى تمسك ذراع إيسى: "سأحضر الماء، واذهبى أنت مع فيبى لأعلى. سأحضر الماء والثلج. ساعدنى يا كارتر على إحضار

الثلج لـ فيبى".

قالت إيسى: "سأعد لها الفراش، سأصعد حالاً". ثم صعدت بسرعة أعلى السلم".

سارت كارلى بجوار دانكان وقالت بصوت متهدج وهى تتشبث بأهداب ملابس أمها: "هل وقعت؟".

قالت فيبى: "كان هذا جزءاً مما حدث، لقد وقعت وقعة سيئة، واضطررت للذهاب للمستشفى، وضمدوا جراحى وسمحوا لى بالعودة للمنزل. وبالطبع لو كانت الحالة سيئة لما سمحوا لى بالخروج، أليس كذلك؟".

"هل ذراعك مكسورة؟".

"كلا، بل مصابة بجروح، هذه مجرد رافعة حتى لا أحركها فقط".

صاحت كارلى بـ دانكان: "كيف لم تلتقطها عندما سقطت؟".

"أتمنى لو تمكنت من ذلك، لم أكن موجوداً عندما سقطت".

حمل فيبى حتى حجرة نومها. حيث جهزت إيسى بالفعل ملاءات الفراش ورتبت الوسائد. ثم قالت: "انزلها بهدوء، شكراً يا دانكان، أنا آسفة يا فيبى على انفعالى".

"لا بأس يا أمى، كل شىء سيكون على ما يرام".

قالت إيسى وشفتاها ترتعشان بشكل ملحوظ، ثم استدارت نحو كارلى وابتسمت لها: "بالطبع، سنهتم بوالدتك الآن، أليس كذلك؟ لنحضر لها الدواء الآن".

"إنه فى حقيبتى، أنا...".

قال دانكان: "بل هنا"، ووضعه على الفراش.

قالت فيبى: "أنت بارع فى الملاحظات التفصيلية".

قالت إيسى: "ألا تحب الجلوس فى الصالة يا دانكان. سيعد لك كارتر مشروباً و..."، ثم تداركت خطأها فحكت صدغها قبل أن تستدرك قائلة: "ستظل معنا حتى موعد العشاء، ستتناول معنا العشاء بالطبع".

"هذا لطف منك، لكننى سأترككم لتعتنوا بـ فيبى وسأعود لأطمئن عليها لاحقاً".

"مرحباً بك فى أى وقت، سأوصلك لأسفل".

ربت على كتف إيسى وقال: "بل ابقى معها"، ثم نظر نحو فيبى قائلاً: "هذا ينطبق عليك أيضاً".

"سأفعل هذا بالضبط. دانكان، أنا...".

"سنتحدث لاحقاً".

وعندما هم بالانصراف، صعد كارتر على السلم بسرعة وتوقف ومعه كيسين من الثلج وقال لـ دانكان: "آسف على غضبى الذى أظهرته نحوك".

"انس الأمر، هذا أمر طبيعى".

"هل تعرف من فعل هذا بأختى! أعرف تأثير اللكمات لأننى تلقيت الكثير منها".

رفع دانكان حاجبيه وقال: "لا أعلم، لكنى سأصل إليه".

"أرجو أن تبلغنى عندما تصل إليه إن لم أصل أنا إليه قبلك".

"بالتأكيد".

نقل كارتر أكياس الثلج ليده اليسرى ومد اليمنى مصافحاً دانكان قائلاً: "أنا كارتر ماكنامارا".

"وأنا دانكان سويفت، أراك لاحقاً".

ثم خرج دانكان وأخذ ينظر إلى نافذة حجرة نومها وهو يسير نحو سيارته. قال لنفسه إنه منزل جميل جداً، وملىء بالمشاكل. وكانت لديه خبرات طويلة مع المشاكل ليعرف أن لها أنواعاً وأحجاماً مختلفة، وكان يعلم كذلك أن المصائب لا تأتى فرادى.

لقد علم للتو أنه رغم جميع المشكلات، فإن فيبى بمثابة الغراء الذى يجعل هذه العائلة متماسكة.

تساءل هل هذه نقمة أم نعمة؟ ثم قال فى النهاية إنه مزيج من كليهما معاً.

غادر الرجل الذكى المنزل الفخم، بكل مشاكله المتنوعة، وقاد سيارته وانطلق، وهذا ما يفترض برجل ذكى مثله.

ومرة أخرى اعتقد دانكان أنه فى بعض الأحيان يكون من الأفضل أن تتجاهل الأمور؛ لأن هذا التجاهل يكون أجدى فى مثل هذه الحالات.

انتهى به المطاف للذهاب إلى حانته. لن تكون مزدحمة قبل ساعة من الآن تقريباً. ورغم وجود شاشات عرض قنوات المال والبورصة وعدد من الزبائن يلعبون الهوكى الهوائى والبلياردو، شعر دانكان بأن الجو مناسب وهادئ لاجتماع عاجل.

على أية حال، أراد احتساء كأس من الشراب، وشعر بأنه يستحقه بعد كل أحداث اليوم. ظل يترقب وصول صديقه فين، وعندما رآه أشار إليه بالدخول للحانة عند ركن المشروبات.

قال دانكان: "أمرت لك بشراب ومقرمشات".

جلس فين على المقعد وقال: "لقد تركتنى قبل إتمام الصفقة".

"أعلم ذلك، أنا آسف، لم أتمكن من تجنب ذلك ماذا تم فى الصفقة؟".

زفر فين نفساً من فمه وقال: "الرجل الذى يدعى جيك، الذى تركته معى، جاء بعد دقيقتين من رحيلك وسار عبر المكان، وسوف يثمن المبنى ويحسب تكلفته لتنفيذ مشروعك عليه، لكن رأيه الفعلى أنه يريد مليونا ونصف المليون دولار على الأقل فوق تكلفته".

"حسناً".

مال فين بظهره للخلف وتناولا طبقاً من المقرمشات عندما صب لهما النادل المشروبات، ثم عاد فين ليقول: "ألا تتساءل عندما تتذكر الماضى، كيف أنك تجلس هنا وتتحدث عن مليون دولار وكأنها نقدية فى جيبك؟".

"كم تكلفت بدلتك التى ترتديها؟".

ابتسم فين وتناول كأسه قائلاً: "إنها أنيقة أليس كذلك؟".

"أنت مثلى الأعلى فى الأناقة، لكن لا داعى للمغامرة والمجازفة. ادفع لصاحب البناية المبلغ المطلوب، فهو يشبه السنجاب".

"حقاً إنه يشبه السنجاب".

"ربما سيبتاع بجزء من المال شعراً مستعاراً له.. على أية حال، هل معك لم؟".

أخرج فين قلم الحبر الفاخر الخاص به من جيب سترته الداخلى وقال: "لماذا لا تحمل معك أى قلم؟".

"وأين سأضعه؟ كما أن معك دوماً قلماً"، ثم دون دانكان المبلغ على منديل المائدة.

قال فين لنفسه إن هذه السلوكيات تدل على أن دانكان رجل عادى يرتدى الجينز وقميصا مطوى الأكمام لا يضعه داخل البنطال، وشعره غير مصفف. ويعتبره معظم الناس رجلاً ذا حظ وافر لمجرد أنه اشترى تذكرة يانصيب رابحة فى الوقت المناسب ذات الأرقام المناسبة، لكن لا تعنيه المظاهر أبداً، فهى لا تهم رجلا مثل دانكان سويفت.

إنه يستخدم قلماً مستعاراً ومنديل المائدة لحساب المبالغ والأرباح والتكاليف، طرح وجمع وضرب وقسمه وباقى القسمة، والربح والمدفوعات، ويفعل هذا وهو يأكل المقرمشات ويحتسى الشراب، لكنه سينتهى من حساباته كأمهر مجموعة محاسبين.

كان الرجل يتحلى بالموهبة، هكذا فكر فين وهو ينقل المقرمشات بحرص من الصينية للطبق، وقال: "ما غرضك؟ ما الذى تريد الوصول إليه؟".

"هذا ما أريد أن أتحدث معك بشأنه، أو بالأحرى مع زوجتك الجميلة".

"زوجتى لو فى المحكمة".

نظر دانكان لأعلى وابتسم وقال: "ليس الآن، ليست فى المحكمة".

جاءت زوجته وكانت ترتدى بدلة زرقاء محتشمة لكنها تظهر رجليها الطويلتين، وخصلات شعرها المتجعد المثير كانت مربوطة بمشبك شعر، مما يشكل إطاراً يبرز عظام الخد والعيون البنية العميقة اللون والفم المتسع بشكل خفى، وجلدها الذى يشبه لون الكراميل الغنى.

كان دانكان يتساءل دوماً كيف يقاوم القضاة والمحلفون محامية مثيرة وجميلة مثلها ولا يفعلون ما تريده منهم.

قام دانكان من مقعده وأحاطها بذراعيه وقال هامساً فى أذنها بصوت يكفى أن يسمعه زوجها: "اهجريه وسأتزوجك واتباع لك جزيرة فيجى".

ضحكت ضحكة عالية، وبعد انتهائها قالت: "هل يمكننى

الاحتفاظ به فى غيابك وانشغالك عنى؟".

"اعطنى زوجتى!".

"لم أنته منها بعد"ثم تمهل دانكان وتابع: "شكراً لك يا لو على الحضور".

"ظننتك فى المحكمة".

جلست بجوار فين وقبلته قبلة عميقة قبل أن تقول: "كنت هناك".

وقالت: "النيابة طلبت التأجيل، لقد أفحمت ممثل النيابة. رجلى الوسيمين أريد شراباً، من سيعطيه لى منكما يا رجلى الوسيمين؟"

قال دانكان: "ها هو المبلغ الذى ستدفعه للسنجاب، وها هى التكاليف والأرباح". ثم أعطى المنديل لـ فين وقال له: "حسناً؟".

حدق فين فى الأرقام وهز كتفيه بلا اكتراث وقال: "حسناً، إنها أموالك".

"أجل، كم يؤلمنى ذلك!". كان يحتسى الشراب ويعلم أن أيدى فين ولو تتشابك تحت المائدة. كانا يملكان خاصية يصعب تحديدها، تجمع الناس بالحب وتجعلهم سعداء.

سألهما دانكان: "هل تريدان شيئا آخر غير المقرمشات؟".

"بل سنكتفى بالشراب. طالما أن ابنتنا الرائعة الذكية تقضى ليلتها فى منزل ابنة عمها، سأتناول العشاء مع زوجى خارج المنزل".

"أحقاً؟".

قالت: "نعم، لكن بعد أن أتناول الشراب وأداعب حبيبى". ثم غمزت لدانكان وتابعت: "حسناً يا عزيزى، لقد طلبت حضورى، ماذا تريد منى؟".

صمت دانكان لبرهة ثم ابتسم وقال: "آسف، سرحت فى عدة أفكار مثيرة وكنت شارد الذهن". ثم توقف حين ضحكت لو مرة أخرى بصوت عال، عاد بعدها ليقول: "أريدك فى أمر حدث اليوم لصديقتى، وعندى فضول لمعرفة عقوبة الجانى على ما اقترفه معها عندما يقبض عليه".

"هل الجريمة مدنية أم جنحة؟".

"بل جنحة كبيرة".

رفعت لو حاجبيها فى دهشة من لهجته ثم تناولت شرابها عندما قدمه لها واحتست رشفة بسيطة ببطء وقالت: "إن تم الإمساك به وتوجيه التهمة له، فهل تعترض إن توليت الدفاع عنه أنا أو مكتبى؟".

"لا أعلم ماذا ستفعلين، لكنى أعرف أنك على دراية بخبايا القانون، وما قد يلجأ إليه قانونياً ليتحايل على إدانته".

احتست رشفة وتناولت المقرمشات وقالت: "أطلعنى على التهمة وملابسات الحادث".

"لكن دعينى أخبرك أولاً أنه شرطى".

سحبت نفساً عميقاً ثم ارتشفت رشفة أخرى وقالت: "اللعنة! أخبرنى بكل التفاصيل".

شىء مثير أنه من مقعده فى ركن المشروبات يحتسى الشراب ويأكل جبناً محمراً ويدعى اهتمامه بمشاهدة التلفاز وأخبار البورصة.

لكنه فى الواقع يراقب من موقع جيد صديق فيبى مع أصدقائه الزنوج. مثير جداً وكان حظه رائع لأنه كان يراقب المنزل فى شارع جونز عندما رأى السيارة الفارهة توصل فيبى.

لم تبد فيبى رائعة قط كما تبدو الآن.

اضطر لأن يكتم ضحكاته وإلا سيجذب الانتباه له، لم ير العاهرة الصهباء (ذات الشعر الأحمر) بمظهر رائع هكذا من قبل.

سيكون مظهرها أبشع عندما ينال منها وينتقم فى النهاية، والآن سيخصص وقتاً لمشكلة صغيرة، وهى معرفة صاحب السيارة الفارهة وأصدقائه.

ومن يدرى ربما تكون هذه المعلومات مهمة جداً.

٩

كانت إيسى ترهف السمع باتجاه حجرة فيبى وهى تطوى بحرص غطاء الفراش الأبيض برسوماته الجميلة لعصافير الحب، وكان التطريز الدقيق يهدئ أعصابها. وكثيراً ما فكرت فى أنها عندما تكون امرأة عاملة ومنتجة وتقوم بعمل إبداعى إن أرادت التفاخر قليلاً فإنها ستعمد إلى فرض سيطرتها على زمام عقلها ولن تسمح له بالتجول فى أماكن ينتظرها فيها الفزع.

كانت ترى فى أنه عمل جيد، وأن العروس التى ستتلقى هذا الغطاء كهدية زواج سيكون لديها شىء فريد من نوعه وخاص، ويمكن توريثه من جيل لآخر.

رتبت الغلاف الفضى الداكن للغطاء، وحتى تغليفه بحرص

وتعبئته بدقة يجعل يديها مشغولتين، وعقلها هادئاً.

لأنها لم تكن تريد أن تخاف فى كل مرة تخرج فيها فيبى من المنزل، ولا تحب أن تقصر عالم عائلتها على حوائط المنزل فقط مثلما حدث معها، فلن تسمح لنفسها بإدخال هذا الخوف لحياة فيبى، ولا أن يسيطر على زمام الأمور، فهو راسخ فى داخلها ويكبر رويداً رويدًا كما تعلم تماماً، ويسلبها المزيد من الأماكن وحرية الحركة.

يجعلها الخوف فى البداية تصاب بدقات قلب عنيفة ويطبق على رئتيها حتى وهى فى البقالة، وفى قسم الخضراوات، وهى محاطة بالطماطم والبقول والخس والموسيقى؛ حيث تشعر برغبة فى الصراخ.

لكنها لا تصرخ عندما تركض وتترك عربة التسوق مليئة حتى نصفها بالمشتريات، وتفر هاربة.

قد يداهمها الخوف عندما تذهب للمغسلة أو البنك حيث يعرفها موظف البنك بالاسم ويسأل دوماً عن أطفالها، فجأة يتسلل إليها الخوف وتشعر بأن أحدهم سيلقى عليها صخرة تلو الأخرى حتى يدفنها حية.

تطن أذناها، وتتصبب عرقاً.

لقد تركت الخوف يحرمها من أماكن وحركة كثيرة حتى صارت لا تغادر المنزل ولا تعرف ما وراء جدرانه.

كانت لا تزال يمكنها الوقوف فى الشرفات دون خوف، وحتى الوقوف فى الحديقة، لكن هذه الأمور تزداد صعوبة أكثر من ذى قبل. ولولا كارلى، لم تكن إيسى لتفكر فى الذهاب للحديقة، وشعرت بأن اليوم الذى لن تتمكن فيه من الجلوس فى المدخل الخارجى مع كتاب تقرؤه بجوار حفيدتها قد اقترب جداً وبسرعة.

فكرت إيسى فى نفسها وقالت من سيقول إنها مخطئة؟ثم وضعت الملصق البيضاوى الجميل المطبوع عليه حروف اسمها الأولى على الغطاء المطوى الفضى للتغليف لكى تحكم إغلاقه.

شعرت بأن هناك أمورًا مروعة وصعبة تحدث خارج جدران المنزل، وأن هذه الصور تتكرر كل دقيقة وكل يوم عبر الشوارع والطرقات والأرصفة والسوق وفى المغسلة.

مازال هناك جزء منها فى داخلها يريد الإبقاء على كل أسرتها بين جدران المنزل واغلاق كل الأبواب والنوافذ بإحكام، حيث يكون الجميع بأمان ولن يحدث لهم أى شىء مروع أبداً.

كانت تعلم أن هذه الرغبة وليدة مرض الرهاب الذى يحاول أن يتمكن منها أكثر.

وضعت بطاقة إرشادات كيفية العناية بغطاء الفراش وتنظيفه ثم أغلقت الصندوق الفضى اللامع.

وعندما بدأت تغلف الصندوق بورق الهدايا كما طلب الزبون، شعرت أنها أكثر هدوءاً، أخذت تحدق على فترات متباعدة نحو النافذة، لكن هذا كان مجرد فحص سريع لأى خطر قد يأتى من هذا الاتجاه، كانت مسرورة لأن الجو ممطر، وشعرت بأنها تحب الأيام المطيرة جداً لأنها تشجع على المكوث فى المنزل بشكل صحيح ومناسب، ويكون المرء فى أمان مثل عصافير الحب فى الصندوق الفضى.

كانت تهمهم وتغنى عندما انتهت من وضع الهدية فى صندوق الشحن وإغلاقه بإحكام، ووضع البطاقة عليه.

حملت الصندوق وتوقفت لتلقى نظرة سريعة على حجرة فيبى وابتسمت عندما وجدتها نائمة. إنها تحتاج للنوم والراحة والهدوء حتى تشفى. قررت إيسى أنه بمجرد استيقاظ فيبى من القيلولة، ستحضر لها صينية شاى ووجبة خفيفة لذيذة وتجلس معها، كما يفعلان منذ سنوات عندما كانت ابنتها تصاب بالبرد أو الإنفلونزا.

كانت فى منتصف الطريق عبر السلم ومعها الصندوق الكبير عندما دق جرس الباب. شعرت بالرعب يجتاحها فى لحظة وارتعد جسدها، وجعلها ذلك تهبط بسرعة وتثنى قدميها وقلبها يدق. وجلست على درجات السلم وذراعاها تحيطان بالصندوق وكأنهما درع يحميها.

كانت ستبكى وتضع رأسها على الصندوق من لحظة الرعب الخاطفة اللا إرادية.

كان الباب مغلقاً، وسيظل هكذا إن أرادت، ولن يدخل أو يخرج أحد. الكل فى أمان بالداخل مثل الغطاء داخل الصندوق.

كيف تفسر للجميع الخوف الخانق المفاجئ الذى تملكها، وجعل جرحها الصغير الأبيض على خدها ينبض بالدماء كالجرح

الحديث؟ لكن الجرس سيدق ثانية إن لم يفتح الباب لقد سمعته يرن مرة أخرى. قد يوقظ هذا فيبى وهى بحاجة إلى النوم.

من سيحمى ابنتها إن هربت واختفت؟لن تظل قابعة عند السلالم، ولن تسمح لنفسها بالخوف من فتح الباب الأمامى، حتى وإن لم تتمكن من الهرب من الخوف والذعر.

نهضت وسارت نحو الباب على مضض، لكنها لم تعد تطبق يديها على الصندوق أمامها، وشعرت بالراحة، وكم كانت حمقاء، وخجلت من نفسها عندما رأت أن الزائر على الجانب الآخر من الباب هو دانكان.

قالت لنفسها كم هو فتى طيب القلب، ثم مكثت هنيهة لتلتقط أنفاسها، إنه الرجل القوى المهذب الذى حمل ابنتها الجريحة حتى الفراش.

لا شىء يدعو للخوف.

حركت إيسى الصندوق فى يديها، ثم فتحت الباب وابتسمت له وهى تقول: "دانكان! كم هو لطيف منك أن تشرفنا بالزيارة، يا إلهى! كل هذا المطر ولا تحمل شمسية!تفضل بالدخول".

"دعنى أحمل عنك هذا الصندوق".

"لا داعى لذلك، شكراً لك، كنت سأضعه هنا". ثم استدارت ووضعته على الأرض وتمنت ألا يلاحظ يديها المرتعشتين، وأردفت: "سيأتى ساعى البريد لحمله، لقد رتبت لذلك. هل أحضر لك بعض القهوة ؟".

"لا داعى، ولكن.."، تناول يديها وعرفت أنه رآها ترتعد وقال: "هل أنت بخير ؟".

"أنا مضطربة قليلاً فقط، أعلم أنها حماقة".

"كلا البتة، خاصة بعد كل ما حدث، أنا أيضاً مضطرب بسببه".

قالت إيسى لنفسها إنه يكذب ليجاملها؛ فهو ليس من نوع الرجال الذى يقفز هرباً من أى أصوات أو ظلال، لكن من اللطيف أن يقول العكس. قالت: "لا تقل لـ فيبى إننى قلت ذلك، لكن أعصابى تهدأ بالفعل عندما يكون هناك رجل قوى فى المنزل".

قال لها: "هل هناك رجل معكم ؟"، فجعلها تضحك ثم استطرد

قائلاً: "السر فى أمان، لقد جئت لأطمئن على فيبى".

"لقد قضت ليلة بلا راحة"، ثم تناولت ذراعه وقادته إلى البهو وقالت: "لكنها نائمة الآن. اجلس بصحبتى، إيفا فى متجر الزهور. إنها تعمل هناك يومين أو ثلاثة أيام فى الأسبوع حسب احتياج المتجر لها. ستأتى زوجة ابنى لاحقًا، وهى تعمل ممرضة فى المنازل واسمها جوزى، ولقد ألقت نظرة على فيبى بالأمس، وستمر علينا لاحقاً بصحبة كارتر بعد أن ينتهى من محاضراته الليلة. هل تعلم لماذا أتحدث كثيراً؟".

"وهل أنت كذلك فعلاً؟".

"أنا محرجة يا دانكان من تصرفاتى بالأمس".

"لا داعى لذلك، لقد تعرضت لصدمة".

"لم أتعامل معها جيداً".

"إيسى، امنحى نفسك بعض الراحة". رأى الدهشة على وجهها وكأنها لم تفكر فى ذلك أبداً ثم سألها: "ما الذى فعلته اليوم؟".

"أشغل نفسى دوماً، وألح على فيبى لتتناول طعامها، لدرجة أننى أظن أنها ملت منى وستطيح بالطعام فى وجهى، وانتهيت من مشروع وكتبت ست قوائم لأشياء لا أحتاج إليها".

شعر بكلمة"مشروع"تدغدغ اهتمامه. ومد رجليه واستعد للحوار الهادئ الحميم: "ما هو مشروعك ؟".

"أوه، التطريز". ثم أشارت بيدها نحو الصالة حيث يقبع صندوق الشحن فى انتظار من يلتقطه، وتابعت: "لقد انتهيت من غطاء فراشى هدية زواج بالأمس".

"من سيتزوج؟".

"ابنة إحدى زبائنى القدامى، أنا أبيع أعمالى محلياً أو عبر الإنترنت كل فترة".

ضاعف ذلك العمل من اهتمامه وقال: "هل تمزحين؟هل لديك صناعة منزلية؟".

ضحكت وقالت: "أكثر من مجرد هواية تمارسها النساء فى الصالة، مجرد طريقة لدفع تكاليف ممارسة هوايتى، ويأتينى دخل بسيط لنفقاتى الشخصية".

بينما جلس فى ارتياح، أحصى عقله الأمر كله: مصنوع يدوياً وحسب رغبة الزبون وفريد من نوعه، ثم قال لها: "ما نوع التطريز الذى تقومين به؟".

"الكروشيه، وتعلمته من أمى التى تعلمته من أمها، وكم كان الأمر محبطاً لأننى لم أتمكن من تعليمه لـ"فيبى" التى رفضت بشدة، لكن كارلى لديها استعداد كبير له".

فحص القاعة وركز بصره على الستائر الزرقاء الداكنة المطرزة برسومات وزهور وردية كبيرة، فقام وسار نحوها ليلمس طرفها ويفحصها.

قال لنفسه: "رائع، أضف إلى ذلك أنها معقدة وفريدة من نوعها وجميلة جداً".

قال لها: "هل هذا شغلك ؟".

"نعم".

"إنه بديع حقاً، وكأن جدتك صنعتها عبر ليالٍ كثيرة هادئة ثم أورثته لك".

لمع وجه إيسى من السعادة وقالت: "هذه ألطف مجاملة تلقيتها فى حياتى".

"هل تصنعين النماذج والأشكال بنمط محدد أم بناء على طلب الزبائن ؟".

"حسب الأحوال، سأحضر لك القهوة".

"لا داعى للقهوة، أنا مضطر للانصراف بعد دقيقة واحدة. ألم تفكرى..."، ثم صمت فجأة ولمع وجهه مما جعل إيسى تزم شفتيها قبل أن تستدير وترى فيبى عبر الممر المؤدى للردهة.

قالت موبخة لها: "كيف تنزلين السلم وحدك ؟" ثم أسرعت لجوارها وأردفت قائلة: "ألم أعطك الجرس على مائدة الفراش حتى تدقيه عندما تحتاجين لأى شيء ؟"

"كنت بحاجة إلى مغادرة الفراش، لن أمكث فيه طوال اليوم كالمقعدين".

رأى دانكان نظرتها الدالة على عدم الرضا كأم قبل أن تتجه إيسى له قائلة: "اعذرها يا دانكان، شعورها بالضعف يجعلها وقحة سأعد لك القهوة".

أمسكت فيبى ذراع أمها برفق وقالت: "آسفة يا أمى، لم أقصد التحدث بغضب إليك".

"لا بأس، عذرك أنك مريضة، تحدثى مع دانكان قليلاً، لقد خرج فى هذا اليوم المطير ليطمئن عليك".

حدقت إليه فى غضب بمجرد انصراف أمها وقالت: "نعم، أعلم أن مظهرى أسوأ من الأمس".

"إذن ليس علىَّ أن أقول ذلك. هل تشعرين بأسوأ من ذى قبل؟"

"أجزاء منى فقط هي التى صارت أسوأ، وخاصة أعصابى". ثم حدقت نحو الردهة وتنهدت قبل أن تتابع: "رعاية كل من حولى بشكل مبالغ فيه تجعلنى عصبية".

التقط حقيبة التسوق التى معه ثم قال: "إذن سأكبح جماح نفسى، وسأعيد هذه الأشياء، لأنها ستجعلك تستلقين على الفراش ليرعاك الآخرون، لأن إحضار هذه الهدية نوع من الرعاية المبالغ فيها".

"هذا يتوقف على الهدية. اجلس يا دانكان، أنا أضايق نفسى بحالتى المزاجية السيئة".

"أنا مضطر للانصراف الآن، لكن لدىَّ هدية بسيطة لك، هل تقبلينها ؟".

"كيف سأعرف وأنا لم أرها بعد ؟". ثم سارت وهى تترنح حتى وصلت للحقيبة وأردفت: "رائع، اسطوانات أفلام! يا إلهى! لابد أنها تحتوى على ما لا يقل عن أربع وعشرين اسطوانة!".

"أحب مشاهدة الأفلام والقراءة عندما أستلقى على الفراش، وظننت أن القراءة ستكون صعبة مع آلام الذراع مما يعوق حمل الكتاب، فاخترت لك الأفلام، وخاصة الأفلام الرومانسية، لكنى ابتعدت عن الرومانسية المفرطة".

"عندك حق".

"لا أعرف هل تحبون أفلام الحركة والإثارة أم الرومانسية؛ فالمنزل به أربع سيدات، ولذلك اخترت مزيجًا من النوعين".

قالت له: "أحب النوعين جداً". ثم شعرت بالفضول وفتحت الحقيبة، ثم تابعت وهى تشير إلى أحد أفلام الإثارة: "منذ متى

يصنف فيلم The Blue Brothers كفيلم رومانسى؟".

قال لها: "كلا، إنه ليس كذلك، لكنى أحبه، وهو الوحيد الذى اخترته بنفسى، لقد تولت مارسى التى تعمل فى متجر الفيديو اختيار باقى المجموعة. وقالت لى إن هذه الأفلام مناسبة لسن كارلى إلا إذا كانت الأم متشددة. بالطبع لم تقل ذلك بالضبط". ثم أضاف عندما حدقت فيبى نحوه: "ولكنى استنتجته من كلامها".

قالت: "كم هذا لطيف منك ومن مارسى، سأفكر بك دوماً عندما تحول هذه الأفلام دون الشعور بالملل القاتل على الفراش".

"هذا هو الغرض المطلوب. أنا مضطر للانصراف الآن، بلغى تحياتى لوالدتك". ثم قبل جبهتها بجوار الضمادات وقال: "شاهدى الأفلام واتصلى بى فى الصباح".

"إن لم أوصلك حتى الباب، سأضطر للكذب على والدتى وأقول لها إننى فعلت ذلك". ثم وضعت الحقيبة على الأرض لتوصله وهى تقول: "أنا ممتنة لك لكل ما فعلته والأفلام التى أحضرتها وحتى الأشياء التى لم تفعلها مثل التعليق على سلوكى السيئ".

"رائع، إذن بعد أن تتحسن حالتك، ردى لى الجميل بقبول دعوة العشاء معى لاحقاً مرة أخرى".

"هل الأفلام بمثابة رشوة ؟".

"بالتأكيد السيئ، لكن سكوتى عن حالتك المزاجية يمنحنى المزيد من النقاط فى رصيد علاقتنا". بما أنه أعجبه مشهد شفتيها وهى تبتسم، فلا مانع من قبلة خفيفة قبل أن يودعها قائلاً: "أراك لاحقاً".

فتح الباب بينما كانت هناك امرأة تصعد السلم نحو الباب.

"أهلاً أيتها الملازم".

"أهلاً أيتها المحققة. هذه المحققة ليز ألبرتا، هذا هو دانكان سويفت".

"أجل، تحدثنا عبر الهاتف". ثم صافحها وقال: "سررت بمقابلتك. سأنصرف الآن، سأتصل بك لاحقاً يا فيبى".

استدارت ليز وراقبت دانكان وهو ينطلق مسرعاً تحت المطر، ثم أخفضت مظلتها ورفعت حاجبيها نحو فيبى وقالت: "يا له من

رجل مثير!".

جعلتها نظرة ليز ونبرة صوتها تشعر بالفخر، فعلقت وقالت: "حقاً، بكل تأكيد تفضلى بالدخول والاحتماء من المطر".

"شكراً، لم أتوقع أن أراك تتحركين اليوم".

"إن لم أعد للعمل بسرعة فسيجن جنونى". ثم تناولت مظلة ليز ووضعتها فى مكان وضع المظلات المصنوع من البورسلين.

"يا لك من مريضة سيئة"

"بل الأسوأ، هل جئت للمتابعة ؟".

"إن كنت تتمكنين من تحملها".

"يمكننى ذلك"، ثم أشارت لها نحو الردهة وتابعت: "هل لديك المزيد من الأخبار لأعرفها ؟".

"لم نجد سلاحك، لكننى أحضرت لك أدلة أخرى". ثم أظهرت لها كيسًا به أدلة من حقيبتها وبداخله شارة فيبى وأردفت: "لقد وجدناه فى بئر السلم، ويفترض أن من هاجمك قد ألقاه هناك، وليس به بصمات سوى بصماتك أنت".

همست فيبى: "كان يرتدى قفازاً".

"نعلم هذا من أقوالك".

فكرت فيبى فى أن الشارة كانت معلقة فى خصر التنورة التى مزقها إرباً ومد يده تحتها و... ثم هزت رأسها وقالت لنفسها إنه لا داعى للتفكير مرة أخرى فيما وقع. عادت لتقول لها: "آسفة، تفضلى بالجلوس".

"كيف حال كتفك؟".

"أقول لنفسى إنه قد يزداد سوءاً بكل تأكيد".

"أيتها الملازم...".

"أقول لنفسى استجمعى شجاعتك يا فيبى، هذه متابعة لكننا لسنا فى القسم".

"حسناً يا فيبى، نعلم أنا وأنت أن الجروح العاطفية والنفسية تحتاج لوقت أطول للعلاج مقارنة بجروح الجسد".

تختلف المعرفة تماماً عن التجربة، هذا ما فكرت به قبل أن تقول: "سأعمل على ذلك".

"حسناً".

"لقد شل حركتى وأهاننى، إنه آرنى ميكس".

قبل أن تعقب ليز، جاءت إيسى وهى تجر عربة حمل المشروبات: "يا إلهى، أنا آسفة، لم أدرك أن هناك ضيوفًا آخرين، أين دانكان؟".

"اضطر للرحيل، هذه يا أمى المحققة ألبرت، وهذه والدتى إيسى ماكنامارا".

"لقد راعيت ابنتى عندما جُرحت بالأمس، شكراً، لك".

"العفو، سررت بمقابلتك يا سيدة ماكنامارا".

قالت إيسى وهى تضع الأكواب والكعك على الأطباق ومنها إلى مائدة القهوة: "أتمنى لو تتناولين معنا القهوة وبعض الكعك. لدى أعمال أعتنى بها فى المطبخ". ثم حملت صينية القهوة وسائل مبيض القهوة والسكر وقالت: "دعونى فقط أعرف إن احتجتما لأى شىء آخر".

"شكراً لك يا أماه".

قالت إيسى: "بالتأكيد لا تمانعين فى صب القهوة أيتها المحققة ألبرت، أليس كذلك؟".

"كلا يا سيدتى". ثم انحنت ليز وصبت القهوة قالت عندما غادرت إيسى القاعة: "ظننت أن عربات حمل المشروبات شىء لا نراه إلا فى الأفلام والفنادق الفخمة".

"أحيانًا يشبه منزلنا الاثنين بعض الشىء، ستقولين إنك تتحرين الأمر جيداً، لكنى بلا أدلة تدين أرنولد ميكس حتى الآن".

"نعم بالضبط، لقد تحدثت معه وكان فى القسم وقت وقوع الحادث، كان ذكياً بالقدر الكافى حتى لا ينكر ذلك، ويدعى أنه كان يستخرج أشياء من دولابه وقت الحادث".

"كان هذا انتقامه منى يا ليز".

نظرت فيبى عبر النافذة كما فعلت الأم سابقاً، لكن بدلاً من الشعور بالارتياح تجاه الأمطار، شعرت بأنها تحاصرها وتمنعها من الخروج، وتحبسها فى المنزل رغم وجود أشياء كثيرة تريد أن تقوم بها.

قالت فيبى: "لقد حدث خلاف بينى وبين رجال شرطة آخرين

من قبل، لكن ليس للدرجة التى تناطحت بها مع ميكس. لقد أهنته وأوقفته عن العمل، وأوصيت بعمل تقييم نفسى له، وكان يريد أن يرد لى الصاع صاعين، وفكر فى مهاجمتى. رأيت ذلك فى عينيه ولغة جسده، كما رأى ذلك سايكس وقاطع حوارنا لهذا السبب".

"أجل، لقد تحدثت مع سايكس، ويؤيد نفس الرأى... أنه شعر بالمشاكل من ناحية ميكس فى مكتبك أثناء التحقيق. لكن مجرد"الشعور"لا يكفى كدليل، يجب أن أعثر على دليل يؤكد وجوده عند السلم وقت الحادث. لقد استدعى محاميه، كما أنه يحظى بمساندة والده وما يتمتع به من نفوذ. أريدك أن تتذكرى أية تفاصيل تفيدنا".

"لقد ذكرت لك كل شىء".

"لتعيديه على مسامعى مرة أخرى، اذكرى لى كل أحداث اليوم، ليس من بداية الهجوم، بل من بداية الصباح عندما غادرت المنزل".

كانت فيبى تعرف الإجراءات، وأن كل تكرار قد يأتى بتفاصيل أكثر، والتفاصيل قد تغير مجرى التحقيق.

كررت القصة كلها مرة أخرى: انطلقت لتلحق بالحافلة لأن سيارتها لدى الميكانيكى واستعارت مشغل الأغانى الذى كانت تحب إيفا استخدامه أثناء رعاية الحديقة، وحاولت إقناع نفسها بأن الحافلة مريحة وأكثر كفاءة من القيادة بنفسها.

ثم توقفت عبر الطريق للعمل لتبتاع قدحاً من القهوة وحملته معها للعمل.

"هل لاحظت أى شىء؟أى شخص؟هل شعرت بأن أحدهم يتبعك؟".

"كلا، لم أنتبه لأى شىء من هذا القبيل. لم أشعر بهذا أبداً، بل توجهت لعملى على الفور ودخلت مكتبى لأؤدى أعمالاً خاصة بالأوراق الرسمية".

ذكرت لها كل أحداث اليوم، كل الضباط الذين تحدثوا معها، وكل الحركات التى تمت وكل الروتين اليومى الممل، وكان مجرد يوم عمل عادى".

"بعد حوارى مع الكابتن ديف بدأت أهبط السلالم".

"دوماً تفعلين ذلك، بدلاً من ركوب المصعد؟".

"نعم، هذا ما أفعله دوماً".

"هل توقفت للتحدث مع أحد ؟".

"كلا... نعم، توقفت عند السكرتيرة الإدارية لأخبرها أننى سأذهب للمحاضرة. انتظرى". وضعت فيبى قهوتها على المائدة وجلست للخلف وأغلقت عينيها واستعادت ذهنياً مشهد خروجها من مكتبها ومرورها بحجرة السكرتيرة.

"لقد عطلتنى لمدة دقيقة واحدة طرحت خلالها بعض الأسئلة، كلها أمور تافهة وغير ملحة وخاصة أنها كانت تعلم أننى تأخرت عن المحاضرة. لم أشك فى شىء وقتها، لكنى تضايقت من تعطيلها لى".

قالت ليز وهى تخرج مفكرتها: "ما اسم سكرتيرتك؟".

"آنى أوتز، وتعمل معنا منذ شهور قليلة، وقد أوقفتنى". أغلقت عينيها مرة أخرى وحاولت التركيز والتذكر، ثم تابعت: "أعتقد أنها كانت تقصد تعطيلى لدقيقة أو اثنتين تقريباً، ثم سألتنى هل سأنزل من السلم كالمعتاد أم لا".

فتحت عينيها وكانت مليئة بالغضب العارم.

"كانت تخبره، عبر الهاتف أو اللاسلكى. كانت تخبر اللعين أننى فى طريقى عبر السلم".

"أتظنين أن هناك علاقة شخصية بينها وبين ميكس؟".

"كلا، فهى جديدة كما قلت. جاءت منذ شهرين، ومظهرها جاد ومرحة وبلا زوج. ربما تغازل البعض، لكن بلا ابتذال. وكانت متوترة إلى حد ما بالأمس، وكنت متعجلة، ولم أعر أى اهتمام لهذا الأمر، لم أفكر فيها وفى حوارى السريع معها إلا الآن".

"سأستجوبها".

"كلا، سنفعل هذا معاً، سأذهب معك".

"لكن أيتها الملازم فيبى...".

"ضعى نفسك مكانى".

سحبت ليز نفساً عميقاً وقالت: "أتريدين أن أساعدك فى ارتداء ملابسك ؟".

كانت فيبى تصارع، وهى تسب وتلعن وتتصبب عرقاً، كى ترتدى القميص، عندما دخلت إيسى الحجرة مسرعة وهى تقول: "ماذا تفعلين؟".

"أحاول ارتداء هذا القميص اللعين. أنا مضطرة للخروج مع المحققة ألبرتا".

"لن تخرجى لأى مكان، عودى لفراشك يا فيبى كاثرين ماكنامارا".

"سأعود بعد ساعة".

"لا تجعلينى أضطر لجرك حتى الفراش بنفسى يا فيبى"."بحق السماء يا أمى...". شعرت فيبى بالإحباط والألم فألقت ذراعها لأسفل وقالت: "هلا ساعدتنى فى ارتداء هذا القميص؟".

"كلا، قلت لن تذهبى لأى مكان".

"وأنا قلت إننى سأخرج، هناك تطور فى قضيتى و...".

"لست قضية، أنت ابنتى".

نفد صبرها وتوقفت لالتقاط أنفاسها، وحملت ذراعها المصاب. ورأت من خلال غضبها وضيقها علامات تحذيرية للرعب الذى يجتاح أمها، وظهرت تلك العلامات لامعة فى عينيها: "يا أمى، دعينا نهدئ من روعنا نحن الاثنتين".

"سأهدأ عندما تعودين للفراش بجسدك الجريح". ثم سارت نحو الفراش فى حزم ورفعت الغطاء وقالت: "عودى الآن فى هذه اللحظة! ولست...".

"أنصتى لى يا أمى، ستشفى ذراعى وستشفى كل جراحى الخارجية، لكنك تعلمين أننى مجروحة نفسياً من الداخل، كلانا يعلم ذلك، وبالتالى تتفهمين أننى لن أهدأ إلا بعد أن يعاقب المسئول عما حدث لى".

"هناك من يهتمون بالأمر كى يجدوه ويعاقبوه".

"أعلم ما تشعرين به، لكن افهمى من فضلك شعورى الآن. أنا مضطرة للذهاب يا أمى، لن أقضى بقية حياتى فى الخوف، لا يمكننى ذلك".

"لا أريد ذلك، ولا أطلبه منك".

"لكنى خائفة، كلما أغلقت عينى أتخيل المشهد مرة أخرى فى بئر السلم". أغرورقت عينا إيسى بالدموع ثم انهمرت فأسرعت لتربت خدى فيبى وهى تقول لها: "آه يا صغيرتى".

استطردت فيبى: "جزء منى سيظل خائفاً، وستنتابنى ذكريات مشهد بئر السلم إن لم أفعل هذا. ساعدينى على ارتداء القميص من فضلك".

رغم عينيها المليئتين بالدموع، تفرست إيسى وجه فيبى وتفهمت الأمر بوضوح فقالت: "لا أريد لك الحياة فى ظل الخوف مثلى".

"أعرف ذلك".

أخذت تغلق أزرار القميص وهى تركز عينيها على عينى فيبى ثم قالت: "هل أنت مضطرة إلى الخروج بشكل ملح؟".

"نعم، أنا آسفة".

وضعت إيسى ذراع فيبى بلطف عبر الحمالة مرة أخرى ثم ربتت شعرها بأناملها وقالت: "فيبى، عندما تعودين، ستؤوين إلى الفراش مباشرة".

"بالتأكيد يا أمى".

"هل ستتناولين كل الطعام الذى سأقدمه لك على العشاء ؟".

فقالت: "بأكمله". ثم طبعت قبلة على خد إيسى فى مكان الجرح القديم الصغير الأبيض تحت المكياج وقالت لها: "شكراً لك".

عندما عادت فيبى للردهة وإيسى بجوارها أخذت ليز تقلب عينيها بينهما ثم قالت: "علمت أن السكرتيرة اتصلت وأخذت إجازة مرضية اليوم، لكنى حصلت على عنوانها".

"سنذهب إليها".

"اعتنى بابنتى أيتها المحققة، لا تهتمى بكونها أعلى منك رتبة، وأوصليها حتى المنزل مرة أخرى".

"سأفعل هذا يا سيدة ماكنامارا، شكراً على القهوة". انتظرت ليز حتى خرجت لكى تفتح المظلة وتتحدث مرة أخرى: "سأتولى زمام الأمر رغم أنك أعلى منى فى الرتبة".

"لا اعتراض على ذلك. أظن أن آنى فى منتصف العشرينات من العمر. إنها ودودة ومرحة وتغازل رجال الشرطة، ولكنها كفء فى

عملها، وهذا وصفى لها، وأظنها تحب صحبة رجال الشرطة وتحب الإثارة. شكراً". ثم سألتها عندما فتحت لها باب السيارة، وجلست خلف عجلة القيادة: "هل مظهرى سيئ للغاية؟".

"ليس لدرجة إخافة الأطفال".

"دعينى أرها أولاً، إحساسى يؤكد لى أنه لم يخبرها بأنه سيؤذينى، وأنه ربما يخيفنى فقط أو يطلب منى الصفح". ورغم المطر، وضعت نظارتها الشمسية، وتابعت: "لكنى أظن أنها لم تكن لتفعل أى شىء إن علمت أنه سيؤذينى. لقد أخذت إجازة مرضية غالباً لأنها خائفة أو تشعر بالذنب وتتساءل ماذا حدث. ربما سمعت أجزاء متنوعة من القصة من باقى الضباط، وإن رأتنى أولاً ستبدأ فى الانهيار والبوح بكل شىء".

بدت آنى مريضة عندما فتحت باب شقتها، وكانت ترتدى منامة وردية بلون حلوى غزل البنات، وكان وجهها شاحباً وعليه أمارات المرض. حدقت فى دهشة واتسعت عيناها عندما رأت فيبى، وتراجعت للخلف فى خطوات خرقاء وتلعثمت وهى تنطق اسم فيبى.

"آنى لوتز؟أن المحققة ألبرتا، هلا سمحت لى بالدخول".

"أنا... أنا...".

"شكراً". دفعت ليز الباب على مصراعيه حتى تدخل فيبى أمامها، وكان هناك صوت التلفاز عالياً فى خلفية المكان وفيه ممثلا أوبرا يتجادلان بحدة بشأن شخصية ما تدعى"ياسمين".

"الملازم ماكنامارا تريد الجلوس، لقد جرحت بشدة".

"لكنى مصابة بالبرد وقد أنقل لها العدوى".

"سنجازف، هل سمعت عما حدث لها ؟".

"نعم، أظن ذلك، أنا آسفة أيتها الملازم، ألا يجب أن ترتاحى بالمنزل ؟".

قالت ليز: "آنى.. هلا أغلقت التلفاز ؟". وبدون انتظار الإذن أغلقت التلفاز الذى كان يحدث صوتًا مزعجًا لمشاجرة بين رجلين. تابعت ليز: "انظرى لما حدث لها، كنت آخر من تحدث إليها قبل تعرضها للهجوم".

"لكنى.. لا أعلم شيئاً".

"لا تعلمين أنها توقفت عند مكتبك فى طريقها نحو السلم؟".

"أعنى، نعم، بالطبع، قلت إنك ستنزلين من على السلم لتلقى محاضرة تدريبية". وكانت آنى تركز بصرها على فيبى وهى تتحدث إليها، وأخذت تنظر إلى كتفها السليم.

"متى حدث ذلك؟".

"قبل العاشرة صباحاً ببضع دقائق".

"كنت تعلمين أن الملازم تنوى نزول السلم؟".

"يعلم الجميع أنها تستخدم السلم بدلاً من المصعد". ثم فتحت آنى الزر على شكل قلب على المنامة وقالت: "أنا مريضة جداً بالفعل، أنا آسفة".

"والملازم أيضًا ماكنامارا مريضة جداً، أليس كذلك؟".

قالت فيبى: "كلا". وكانت قد وضعت نظارتها الشمسية فى الحقيبة عند مدخل البناية. كانت تعلم أن تورم العين والجروح والضمادات سيكون لها وقع مؤلم ومصدم، وكانت تعلم أيضاً كيف تنتظر وتستخدم الصمت كذراع تحكم لتجعل عينى آنى تركزان على عينيها. قالت: "لقد دفعنى ووضع يدى فى القيود من الخلف حتى لا أتمكن من النهوض مرة أخرى".

ركزت نظرتها على عينى آنى اللتين بدأتا تمتلئان بالدموع، ورفعت فيبى يديها لتظهر لها الضمادات حول رسغيها وتابعت: "ثم وضع شريطًا لاصقًا على فمى وغطاء حول كل رأسى"ثم رفعت شعرها من جبهتها لتظهر الكدمات المتقعة اللون بوضوح أكثر. "ثم جعل رأسى ترتطم بالحائط".

ترقرقت الدموع الكبيرة الحجم على خديها الباهتين، وقالت: "سمعت... سمعت أنه مجرد حادث بشع، وأنك وقعت فقط على السلم".

صاحت ليز: "هل كان حادثاً عندما لكمها فى وجهها؟ووضع القيود حول رسغيها ؟"ثم رفعت ذراع فيبى وأشارت للرسغ، وأردفت قائلة: "هل بسبب حادث تمزقت ملابسها إرباً واضطرت لأن تزحف شبه عارية طلبًا للنجدة؟".

"عادة ما يتم تضخيم الأمور. معذرة، ولكنى مريضة، ولست

على ما يرام، هلا رحلتما ؟"

قالت فيبى بصوت منخفض وحيادى: "هل قال لك إنه يريد فقط التحدث معى يا آنى؟ مجرد التحدث معى على انفراد؟ ربما يخيفنى قليلاً أو إلى حد أكبر لأننى ظلمته؟قال إننى ظلمته، أليس كذلك؟ هل قال لك ذلك عندما طلب منك الإشارة إليه عندما أنزل عبر السلم؟".

"لا أعلم ماذا تقصدين ولا ما تتحدثين عنه، إن وقعت...".

"لم أقع، انظرى نحوى يا آنى!"صاحت فيبى بهذه الكلمات لدرجة أن آنى ارتعشت وهزت كتفيها للوراء. ثم أردفت فيبى: "تعلمين أننى لم أسقط، لذلك مكثت فى منزلك، مريضة، وخائفة، وتحاولين إقناع نفسك بأنه كان مجرد حادث. لقد أخبرك بهذا، أن الأمر مجرد حادث وأننى ماذا؟ كذبت لأحفظ ماء وجهى؟أتظنين أننى كذبت وقلت إنه هجوم لأننى أخجل من ذكر أننى سقطت ؟".

قالت ليز بحزم: "منذ متى وأنت على علاقة بـ "أرنولد"ميكس؟"

"لست على علاقة معه حقاً. لم أقصد أى شىء، ولم أفعل أى شىء". وعندما انهمرت الدموع من عينيها، التقطت آنى منديلاً ورقيًا من صندوق مطرز بالورد ومسحت به وجهها وقالت: "قال إنه مجرد حادث، وإنك ستختلقين قصة، لتحاولى إيقاعه فى المزيد من المشاكل، وقال إنك راودته عن نفسه فرفض و...".

"هل قال الضابط ميكس لك إن الملازم ماكنامارا راودته عن نفسه ؟".

"نعم، ورفضها، وبالتالى فهى تحاول تشويه سمعته". تركت آنى المنديل ونظرت نحو ليز بتضرع وأردفت: "كان سيرفع ضدها قضية تحرش جنسى، لكنه شعر بالإحراج لأن زوجته لن تدعمه فى المنزل، كما قال إن الملازم على علاقة بالكابتن ماك فى، فلا فائدة تجدى من رفع القضية".

هزت ليز رأسها وقالت: "أخبرك بكل هذا وصدقته وقبلت كلامه؟ ربما يكون هذا مبررًا، أو غير مبرر، ربما ظننت أنك تقدمين له خدمة، ربما لا تريدين أن تصدقى أنه كاذب، وأنه كذب

عليك مرات ومرات، وخدعك وورطك معه، لكنك تعلمين أنه كذب عليك الآن، أليس كذلك يا آنى؟ لا يمكنك النظر للملازم فيبى وتصديق ما قاله لك فى الوقت نفسه".

"لا أعلم، لا أعلم".

"ماذا إن رأيت بعض الصور ؟"ثم أخرجت ليز بعض الصور من حقيبتها وتابعت: "هذه دماء الملازم عند بئر السلم، وهذه أجزاء ملابسها التى تمزقت من جسمها فى الحادث، وماذا عن حقيبة الغسيل التى وضعها على رأسها؟إليك صورة جيدة، هذه دماؤها على القيود التى ربط بها رسغيها من الخلف. هل كل هذا مجرد حادث عارض ؟".

صاحت: "يا إلهى !"ثم وضعت المناديل على عينيها كدرع يحميها.

"من فعل هذا يا آنى؟ أى نوع من البشر؟قد يفعل هذا معك أو يفعل ما هو أسوأ لأنك متورطة معه".

شهقت وبكت وقالت: "لا أعلم، لم أكن أعلم". ثم سحبت مناديل أخرى من الصندوق وأردفت: "لم أقم بأية جريمة. أراد بضع دقائق ليتحدث معها، ليظهر لها أنه لن يتعرض للبلطجة والإرهاب والتهديد. هذا كل شىء، اتصلت بهاتفه فقط مرتين كإشارة، وهذا كل شىء، لم أكن أعلم نواياه الفعلية".

"لكنك تعرفينها الآن، وسترتدين ملابسك وتأتين معى".

"هل ستلقين القبض علىَّ ؟"يا إلهى! هل أنا رهن الاعتقال؟".

"ليس بعد. إن جئت معى وأدليت بأقوالك الصحيحة وذكرت كل الحقيقة يا آنى فسأتحدث إلى رئيس النيابة ليترفق بك، لأن آرنى ميكس كذب عليك، وأنا أصدقك فى هذا!".

قالت فيبى وهى تنحى غضبها جانباً وتتحدث بهدوء: "أنا أيضاً أصدقك يا آنى".

"أنا آسفة حقاً أيتها الملازم".

"أنا متأكدة من ذلك".

نظرت ليز نحو فيبى وقالت: "سأعيدك للمنزل وأباشر التحقيق من هنا".

١٠

"أريد أن أكون هناك، أحتاج إلى أن أكون هناك".

مال ديف للخلف على مقعد مكتبه واستمر فى التفرس بوجه فيبى وأردف قائلاً: "أولاً، ليس من شأن أحد أن يمنعك من حضور التحقيق. ثانياً، إنها قضية ليز ألبرت، وأنت الضحية. وإن نسيت ذلك، لدى مرآة يمكن أن أحضرها إلى هنا".

كانت تعرف كيف يبدو مظهرها الآن. فبعد يومين من الواقعة، تحولت الكدمات من اللون الأسود إلى اللون الأصفر المقزز واللون الأرجوانى، مع وجود الفقاقيع، وفى فكها وحول عينيها ألوان مائية متضاربة ما بين درجات الحمرة والزرقة، لكن أسوأ الجروح كانت تخفيها حشمة ملابسها.

"لكن الضحية تريد ذلك. أريد أن أجلس فى تلك الحجرة وأنظر إلى ميكس فى عينيه ليعلم أننى لست خائفة منه".

"أحقاً؟".

"نعم، بما يكفى لكى أظهر له ولنفسى أننى لن أخاف منه، وتعلم وأعلم أن هذه الطريقة النفسية لها مفعول السحر، تعلم كيف يجدى ذلك مع أشخاص تعرضوا للتهديد والضرب والجروح فى موقف ليس تحت سيطرتهم".

"هذا ليس طابور عرض المشتبه بهم للتعرف على الجانى يا فيبى، أو حتى مواجهته فى المحكمة".

"هذا إجراء به مبادرة أكثر، لقد واجهت أمى روبن فى المحكمة ووقفت على منصة الشهود لتشهد عليه بينما كان هو واقفاً على بعد أقدام منها، وأعرف أن هذا مرعب لها مثل موقف الاحتجاز معه كرهينة داخل المنزل لعدة ساعات، لكنها دخلت المحكمة وشهدت ضده، ومازالت حبيسة خوفها".

ارتسم على وجهه كامل التفاهم والمحبة التى يشعر بها نحوها وقال: "لست كأمك".

"فعلاً، لكن...". ضمت قبضة يدها لصدرها وقالت: "أشعر بنفس الخوف ولا أريده أن يعيش بداخلى، وكيف سأفعل ما أريده فى الحياة إن سكن الخوف بداخلى؟إذاً الضحية بحاجة لحضور التحقيق".

كان كلاهما يعرف أنها تتفوق عليه فى الجدال وأنه قد بدأ فى خسارة النقاش، قال: "لكنه تحت المراقبة ...".

قالت مقاطعة له: "لا يكفى"ثم هزت رأسها وأردفت: "يجب مواجهته وجهاً لوجه، وهذه المرة لن يتحكم فى الموقف، تريدنى ليز داخل حجرة الاستجواب حتى نستخلص منه الاعتراف. أنا هنا كضحية وشاهدة وشرطية فى الوقت نفسه، وهذا يجعل التهديد مضاعفاً".

"لكن هذا ليس من سلطتى، بل من سلطة المحققة ألبرتا والكابتن الذى تعمل تحت سلطته ورئيس النيابة". ثم واصل كلامه قبل أن تقاطعه: "رئيس النيابة يمارس رياضة الصيد دوماً

مع والد آرنى".

"لا يهم ذلك، فرئيس النيابة بارنيل رجل ذو أخلاق ولن يحابى المجرم لمجرد أنه يمارس الصيد مع والده".

"لكن الاتصال بأصحاب النفوذ الكبار له أهمية كبرى فى سافانا يا فيبى، مثل أى مكان آخر. أتفق معك فى أن بارنيل نزيه، ولكن ميكس سيحضر نائبه ومحاميه، وآنى أوتز معها محاميها أيضاً".

"لذلك أريد دعم ليز فأنا لا أهتم بصداقة والد آرنى مع رئيس النيابة، كما أن استجواب امرأتين له سيضغط على أعصابه".

أخذت تتجول فى المكتب وهى تتحدث، لقد شعرت بشدة بمدى نجاح خطتها: "أوه، لن يتغلب آرنى هذه المرة علينا، بل سيقع فى الخطأ وينتهى به المطاف بأن تتغلب عليه أنانيته وتعظيمه لذاته، وخاصة، وجودى. ليس هذا من سلطتك أيها الكابتن، لكن يمكن أن تساعدنى وتتصل برئيس المحقق ألبرتا أو الملازم التابعة له وتطلب منه حضورى التحقيق".

"سأحاول، لكنى لا أعدك بشىء".

ربتت على كتفه وقالت: "أى مفاوض جيد يحرص على عدم إعطاء وعود زائفة. هذا يكفينى، شكراً لك".

"لن تكون خدمة منى إن تمكنت من جعلك تحضرين التحقيق وتتعاملين معه بهذه الطريقة. بالمناسبة، كيف تتعامل أسرتك مع الأمر؟".

"لقد أصيبوا بصدمة كبرى ... وخاصة أمى. أنت تعلم حالها".

"بالطبع، هل ستساعد زيارتى فى تخفيف الصدمة أم أنها ستزيدها سوءًا؟".

"تشعر أمى دومًا بالأمان بعد زياراتك لنا وكلنا مثلها كذلك، لماذا لا تتناول معنا العشاء يوم الأحد القادم".

تراجع بمقعده للخلف وقال: "هل ستطهون لى طبقى المفضل. اللحم المغطى بالسكر؟".

"بالطبع، سأرتب لذلك. شكراً".

اعتدل فى جلسته وتنحنح وقال: "فيبى ... تؤسفنى شائعات وجود علاقة حميمة بيننا".

"أجل سمعت بأمر هذه الشائعة؟".

أحمرت أطراف أذنيه كما تعودت أن تراها كلما شعر بالإحراج جداً وقال: "اللعنة! أنا فى سن والدك !".

"أولاً أنت فى غاية الوسامة والوجاهة والعقل. ثانياً منذ متى والسن عامل مؤثر فى العلاقات الحميمة؟كلانا ليس مسئولاً عن شائعات ناتجة عن العقول المريضة".

أمسك بقلمه الحبر وطرق به على المكتب بضع مرات وقال: "أنا من جعلك تلتحقين بالشرطة عندما طلبت منك التجربة".

"لقد منحتنى الفرصة وانتهزتها أنا لكى أقوم بعمل أتقنه تماماً. هل أنا مؤهلة تماماً الآن ؟".

"بالتأكيد تعلمين ذلك".

"إذًا اتفقنا".

"لكن ميكس الأب أو الابن قد يرفعان الأمر لأعلى السلطات القضائية".

"وكلانا سيتمكن من مجابهة ذلك إن حدث، لا تقلق بشأنى فى هذا".

لكنه كان قلقًا للغاية بشأنها. ولم يكف عن القلق حتى عندما قام بالمكالمة من أجلها وبناء على طلبها.

جلست فيبى لمدة دقيقة بمفردها فى حجرة المراقبة، وتفرست وجه آرنى ميكس عبر زجاج المرآة المزدوج، وبدا أنه لا يهتم كما فطنت هى لذلك. وكان مفعماً بالثقة وعدم الاكتراث كما يتضح من هيئته وهو جالس، وكأنه فى وضع رجل يعتقد أنه مهما فعل فلن تثبت عليه أية تهمة.

كان يعلم أنه الآن تحت المراقبة، أو سيراقب فى أى وقت، ولكنه لا يهتم البتة، كما اعتقدت فيبى.

كلما تخيلت يديه تنتهكان جسدها تشعر بالغضب العارم والتقزز.

إنها مهتمة جداً بالأمر، سيعاقب ويدان على ما اقترفه.

دخلت ليز ومعها سيدة سمراء طويلة ونحيلة جداً وقالت: "أيتها الملازم، هذه مساعدة رئيس النيابة مونيكا وين، وهذه الملازم فيبى ماكنامارا".

صافحتها مونيكا وقالت: "كيف حالك أيتها الملازم؟"

"أفضل حالاً، شكراً لك. علمت أنك ستحققين فى القضية".

"هذا إن تمكنت من تحويل الاتهام لقضية. لدينا أقوال آنى أوتز وهاتفها الذى يظهر مكالمة منه فى تمام الساعة التاسعة وثمان وخمسين دقيقة، لكن لا يمكننا ربط هذا بأرنولد ميكس، لأن الهاتف الذى اتصلت به كان كابينة هاتف بالعملة، ولا يمكن التحقق من هوية المتصل، وليس لدينا دليل ملموس ومادى يربط ميكس بالواقعة".

"لدينا الدافع والفرصة ونمط السلوك من حيث التهديد وعدم طاعة الأوامر".

"يريد رئيسى أكثر من هذا لاتهام ضابط شرطة بالهجوم والتعدى بالضرب والانتهاك الجنسى. اعثرى لى على أدلة أكثر وسأوجه له التهمة".

دخل رجلان، كانت فيبى تعرف أحدهما لأنه الضابط المشرف على ليز، فأومأت له، وأدركت أن الآخر من التشابه هو والد آرنى ميكس.

كان صدره مشعراً بغزارة أكثر من ابنه، وفكاه أقوى ومسحوبين وعيناه جامدتين وصارمتين لكن، لا يمكن الخطأ فى معرفة أنه والده، ولا شك فى أن وضعه المنتصب يدل على غضبه وشعوره بالإهانة.

"سيحضر التحقيق الملازم أنتونى والرقيب ميكس".

"سنبدأ". سارت ليز نحو الباب وفتحته لـ فيبى لكى تدخل .

قال الرقيب ميكس الذى تحرك وسد على فيبى طريقها: "عندما تثبت براءة ابنى ويعود لعمله، لن ينتهى الأمر بالنسبة لك

أيتها الملازم ماكنامارا".

قال أنتونى: "أيها الرقيب، أنت هنا لتحضر التحقيق كخدمة منى لك، فلا تسئ استغلالها".

تحركت فيبى حوله نحو باب غرفة التحقيق وقالت فى نفسها: "من شابه أباه فما ظلم".

قالت لها ليز: "لا تهتمى دانكان دعى الأمر لى".

"لقد ذكرت لى ذلك من قبل".

"مجرد تذكرة لك"، ثم فتحت لها الباب ودخلت.

لاحظت فيبى أنه لم يكترث حتى للنظر إلى ليز، بل توجهت عيناه لها مباشرة وأخذ يتفرس وجهها.

ابتسمت ليز ابتسامة رقيقة وقالت: "هيا يا رفاق". ثم جلس ثلاثتهم على المائدة، وفتحت المسجل وسجلت بصوتها البيانات الأولية، وقرأت على مسامع آرنى حقوقه وقالت فى النهاية: "هل تفهم كل ذلك أيها الضابط ميكس؟".

"بالتأكيد، لقد فعلت ذلك عدة مرات مع من حققت معهم".

"هل هذه إجابة بنعم؟".

"نعم، أفهم حقوقى جيداً". ثم قال لفيبى: "أليس من الأفضل ألا تبرحى الفراش ومعك الأدوية وقبعة الثلج؟".

قال المحامى الخاص به: "آرنى".

هز كتفيه ليظهر التجاهل للتحذير الهادئ من المحامى له.

قالت ليز: "أنا مندهشة لاهتمامك بها يا آرنى، كل الشهود يؤكدون خلافاتك المستمرة مع الملازم ماكنامارا".

"لا أرى أنها جديرة بمنصب الشرطية، لا تفعل سوى التحدث".

"سنناقش مفهومك عن منصب الشرطية لاحقاً، إن كان ذلك يروق لك". كانت ليز تتحدث بهدوء ونعومة وهى تحافظ على ابتسامتها وأردفت قائلة: "كلاكما - أنت والملازم فيبى - تشاجرتما مرتين على الأقل، هل هذا صحيح؟".

قال محاميه: "يقول عميلى إنه والملازم ماكنامارا لهما آراء وأساليب عمل متضاربة، وهذا لا يعد دافعاً للهجوم البدنى عليها،

علاوة على انعدام الدليل القاطع...".

قالت ليز: "نحن هنا فقط لكى نتحدث، لمجرد أن نكشف كل أفكارنا على المائدة. هل من الصواب إن قلت لك يا آرنى إنك لا تحب الملازم ماكنامارا؟".

ابتسم باستهجان نحو فيبى وقال: "نعم هذا صحيح".

"هل وصفتها من قبل بكلمة "العاهرة"؟".

"أنا دائماً أتعرف عليهن عندما أرى إحداهن".

"إذن أنت تظنها كذلك؟". أومأت ليز له عندما هز آرنى كتفيه بلا اكتراث وتابعت: "وليست لديك مشكلة أن تصف شرطية أعلى منك رتبة بهذه الصفة؟ولا مشكلة فى تهديدها عندما قومت سلوكك وعاقبتك؟".

قال المحامى مقاطعاً: "لا يوجد دليل على تهديده المزعوم لها سوى أقوالها".

قدمت ليز له ملفاً وقالت: "هذا بالإضافة إلى أقوال مخبرين لاحظا عميلك فى مكتب الملازم يتصرف بشكل ينطوى على تهديد لها".

"ما يظنونه ليس بحقائق".

"هل تتذكر يا آرنى سبب وجوك فى مكتب الملازم يوم الخميس الماضى؟".

"بالتأكيد، كانت توقفنى عن العمل لتخفى موضوع إفسادها للتفاوض مع محتجز رهائن".

نظرت ليز إلى فيبى وقالت: "أحقاً؟إن كان هذا حقيقياً فمن ذا الذى يلومك إن قلت إنها عاهرة؟لماذا لا نقرأ أقوال الشهود والتقارير عن هذه القضية التى كنت أنت أول من تولى الأمر فيها لنقيم الموقف العام فقط؟ ... همم ... الضابط لم يستدع فريق الدعم، ولم يدون ملابسات الواقعة... وهذه عبارة مهمة: هددت المحتجز بتهديدات كثيرة مما استدعى منه موقفاً عدائياً، كما أعقت وحاولت منع الملازم ماكنامارا، من التواصل مع محتجز الرهائن. تعجبنى هذه الجملة الأخيرة".

تململ آرنى فى مقعده واهتز للوراء واستند على الأرجل

الخلفية للمقعد ثم للأمام وقال: "يمكنها كتابة كل ما تريده، وهذا لا يعنى أن هذا هو سير الأمور فى تلك الواقعة".

"فى الواقع، كانت تلك عبارات من أقوال الشهود من المدنيين والشرطة. وبالتالى لقد أفسدت كل شيء فى هذه الواقعة يا آرنى".

"كان الموقف كله تحت السيطرة حتى تدخلت".

"إذن كنت بحاجة إلى المزيد من الوقت لحل الأزمة ولم تمنحه هى لك". زمت ليز شفتيها وأومأت ثم تابعت: "ثم ينتحر محتجز الرهائن ويتم إلقاء اللوم عليك وتوقفك تلك العاهرة عن العمل. لو كنت فى موقفك لتضايقت جداً، ولن ألومك إن أردت الانتقام منها".

ابتسم آرنى ورفع يده معترضاً على محاولة المحامى أن يقاطعه وقال له: "اصمت، إنها تظن أنها ستهيننى وكأننى سأبتلع الطعم وأتفوه بحماقات". اتجه لـ فيبى وقال: "ماذا عنك، لماذا لا تقولين أى شيء من باب التغيير؟".

قالت فيبى: "كنت أتساءل عن مشاعر زوجتك إزاء كل هذا، وخاصة عندما خنتها مع آنى أوتز مثلاً".

ابتسم نفس الابتسامة الاستنكارية المعهودة، وقال: "آنى لطيفة لكنها بلهاء، ولقد غازلتها، وأعترف بهذا. كل رجال الشرطة فى القسم غازلوها، لكنها عندما راودتنى عن نفسى ولم تكتف بالمغازلة رفضتُ بشدة، مما جرح مشاعرها وغالباً أرادت الانتقام منى باختلاق قصة خيالية، أو ربما دفعتموها للكذب".

قالت فيبى لـ ليز: "الرجل محاط بحفنة من العاهرات والكاذبين، أتساءل كيف يجتاز يومه".

قالت ليز: "لا أعرف كيف يستيقظ من فراشه صباحاً. إذاً كانت آنى تكذب عندما قالت إنك كنت على علاقة بها".

ابتسم ابتسامة واسعة وقال وهو يهز إصبعه بالنفى:

"لم أكن على علاقة بها أبداً".

قالت ليز: "حسناً، جيد، وخاصة أن أقوال آنى تؤكد على أن علاقتكما لم تتطور كثيراً. عندك حق، الأمر غير مؤكد، هذه

ليست علاقة محددة الهوية، لكن فى أقوالها نفس عبارة"المراودة عن النفس". شىء لطيف، لقد قالت إنك ذكرت لها أن الملازم ماكنامارا راودتك عن نفسك، ولكن لكونك رجلاً ذا خلق رفضت عرضها وشعرت هى بالإهانة والألم وسعت للانتقام منك، وجعلت حياتك جحيماً، وأنا مضطرة لإخبارك أننى بالكاد أتمكن من منع نفس عن مراودتك عن نفسك حالاً".

قال المحامى محذراً لها: "لا داعى للسخرية أيتها المحققة، يجب إنهاء هذا النوع من الحوار الآن".

"أنا فقط ألاحظ نفس النمط المتكرر. هل كنت فى مبنى القسم يوم الاثنين ما بين التاسعة والعاشرة صباحاً أيها الضابط؟".

"نعم، هذا صحيح، كنت أخرج بعض الأغراض من خزانتى".

"هل استغرقت تلك المهمة ساعة بأكملها".

قال بضيق: "مكثت بعض الوقت مع الزملاء. أنا شرطى، وهذا هو القسم الذى أعمل به، ومن المفترض أن أتواجد فيه، وأعمل فيه لولاها ولولا حماقتها".

"إذاً هى العاهرة الحمقاء التى راودتك عن نفسك".

"تذكرى أننى أقول عن العاهرات إنهن كذلك عندما أراهن".

ابتسمت ليز وظهر الضيق على وجه آرنى عندما قالت: "لكن آنى هى التى قالت إن الملازم ماكنامارا راودتك عن نفسك، وربما كل أكاذيبك قد اختلطت الآن، ولك العذر؛ فالمكان ملىء بالعاهرات ولا يمكن التمييز بينهن، أليس كذلك؟ كلهن متساويات، ولم تكن بحاجة لرؤية وجه فيبى وأنت تسدد لها اللكمات، ولا لسماعها تصرخ وتسب وتلعن عندما دفعتها لأسفل ومزقت ملابسهما إرباً. وبالطبع لا يتطلب الأمر نخوة ذكورية لأنك أغلقت القيود على رسغيها، إذاً كان انتقامك عبارة عن حركات تتسم بالجبن".

"أنا رجل ولست جباناً!".

هذه المرة تحدثت ليز بحزم واختفت نبرة الصوت المرحة: "أحقاً؟ باستخدام امرأة للإيقاع بامرأة أخرى؟ هل أنت رجل عندما تلعب دور الثعبان الرابض المستتر الذى ينتظر الفريسة ليوقع بها، ولم تتمكن من إيذائها إلا بربط يديها وطرحها أرضاً، وتجريدها

من ملابسها وانتهاك جسدها بوضع يديك عليها؟".

صاح آرنى: "لم أذهب إلى السلم قط، ولم ألمسها. لدىَّ أشياء أفضل أشغل بها وقتى، وأشياء أفضل أفعلها بأصابعى"، ثم أشار إلى فيبى بإشارة مهينة.

قالت فيبى: "لم تذكر لك أصابع، بل قالت يديك".

تراجع للخلف فى مقعده وقال: "يدين، أصابع، كلها نفس الأشياء".

كان هناك ما بين معدتها وقلبها كرة نارية من الغضب يجب أن تنفجر وتتمزق وتذوب عندما قالت: "كلا، ليسا نفس الشىء".

تحتاج الضحية فى رأيها لقتل الخوف.

قالت له: "لقد أدخلت أصابعك بداخلى يا ملعون".

ثم نهضت بصعوبة وتجاهلت اعتراض المحامى عندما سارت نحوه ومالت إليه وقالت: "كانت رائحتك كبودرة الأطفال، أنا أشم هذه الرائحة فيك الآن وأنت تتصبب عرقاً، لأنك غارق فى عرقك يا آرنى، هل تذكر ما قلته لى؟".

"لا يمكننى تذكر ما لم أتفوه به، لم أكن أنا الفاعل".

"قلت لى إنك لا تضاجع أمثالى، وربما لم تفعل لأنه ليست لديك القدرة على القيام بذلك".

"خسارة أنك لم تحطمى رقبتك عندما وقعت".

صاح المحامى: "يكفى هذا".

قالت فيبى: "كان يجب أن تدفعنى بقوة أكبر، ربما لو كسرت لى أضلاعى لمنحك ذلك النشوة التى تتوق إليها".

"كان يجب أن أركلك عبر السلالم اللعينة !".

تراجعت للخلف وأومأت له وبدأت الكرة النارية تذوب، ثم قالت: "لقد أوقعتك حتى اعترفت!".

"قلت الجلسة انتهت!".

فعقبت ليز: "حسناً، لنواصل الإجراءات، أنت مقبوض عليك أيها الضابط ميكس".

توجهت فيبى إلى مكتبها مباشرة، وأغلقت الباب على نفسها، ثم فعلت شيئاً ما كانت نادراً ما تفعله: أغلقت ستارة نافذتها وجلست منتبهة خلف مكتبها. قالت لنفسها إنها تمر بمرحلة اضطراب انفعالى وضغط وتوتر، مما زاد من درجات الألم الجسدى، ولن تتناول حبوب الدواء هنا الآن، لأنها ستجعلها تشعر بالنعاس والدوار والاضطراب الذهنى، واستقرت على دواء آخر ليس به أعراض جانبية ووجدت يديها تهتزان عندما أمسكت الزجاجة.

قالت لنفسها: نعم، كرة الغضب تتلاشى وتذوب الآن داخلها ولابد أن يكون هناك ثمن مقابل هذا.

لم ترد على طرق الباب وفكرت فقط ولسان حالها يقول: اذهب بعيداً أيها الطارق، أمهلنى خمس دقائق بحق الجحيم.

لكن الباب انفتح ودخلت ليز قائلة: "معذرة، كيف حالك؟".

"جسدى يرتعش".

"المهم أن هذا لم يحدث أثناء التحقيق، وهذا هو الأهم".

"نظر إلى عينى مباشرة وكان سعيداً لأنه ألحق بى الأذى، وتمنى لو كان قد آذانى أكثر".

فعقبت ليز: "هذا ما أوقعه فى الفخ واعترف بما اقترفه، لا يهمنى مستوى تدريبه على يد المحامى، فهذا سيظهر، ولن يقاوم ولن يتحكم فى نفسه، وعندما تتم محاكمته ...".

"لن يتطور الأمر للمحاكمة، وكلانا يعرف ذلك".

سارت ليز نحو المكتب وجلست على حافته وقالت: "قد يتوصلون إلى اتفاق من نوع ما، ولن يرغب رئيس الشرطة فى الفضائح والمحاكمة والتشهير المصاحب لكل ذلك، حتى مع ما قيل فى التحقيق، فالقضية مازالت حساسة بما يكفى لكى يتعامل معها محامى آرنى ويقبل العروض المتاحة. لكنه سيخسر شارته يا فيبى ويتعرض للفضيحة ويفقد عمله، هل هذا يكفيك ؟"

"سأضطر للاكتفاء بذلك، أقدر لك كل ما فعلته من أجلى".

"لقد تحملت العبء الأكبر".

قالت فيبى عندما قامت ليز: "حسناً، أعرف حانة أيرلندية

لطيفة فى شارع ريفر، أريد أن أدعوك لتناول شراب هناك، أنا بحاجة لعدة أيام من الراحة، لكن غرورى يجعلنى أريد أن أخرج الآن".

"بالتأكيد أطلعينى فقط على مدة الإجازة ومتى ستعودين، وخذى حذرك بعد الآن يا فيبى".

وفى حجرة المحتجزين، ظل آرنى يسير فى الزنزانة وحيداً جيئة وذهاباً. لقد ألقوا القبض عليه واحتجزوه، اللعنة على المحامى الفاشل.

لقد أفسدت العاهرات حياته وأفسدن الأمر برمته، ثم اتهمنه بالهجوم والتعدى بالضرب والاعتداء الجنسى، وعاقبنه بدون محاكمة، لقد ظلمنه، بسبب أن العاهرة اللعينة لم تتحمل بضع سجحات وخدوش وكدمات كانت تستحقها بكل تأكيد.

لن تثبت عليه التهمة بأية طريقة.

استدار بسرعة خاطفة عندما انفتح الباب وكتم سيل اللعنات والسباب الذى أراد إفراغه لأن أباه أشار له برأسه عندما دخل إليه ونبهه ألا يتفوه بكلمة واحدة الآن.

كتم آرنى ما يريد قوله حتى ينصرف ثم بادر بالقول: "لن تلصق التهمة بى، لن تهرب بما فعلته بى وجعلتنى حبيس الزنزانة، ولن تنجو بإحراجها لى أمام زملائى الضباط. هذه العاهرة...".

"اخرس واجلس الآن!".

جلس آرنى ولكنه لم يصمت: "أرأيت كيف تعاونت مع المحققة ضدى؟اللعنة، لماذا لم يتصرف تشاك منذ البداية حتى لا يتطور الأمر؟"، وكان يقصد بذلك رئيس النيابة .

"إنه يحاول منع وصول القضية للمحكمة، ويحاول أن يوصى بإيقافك عن العمل فقط مع دفع تعويض ومجلس تأديب".

قال آرنى: "اللعنة على كل شىء". ثم رفع يديه فى تقزز وأردف قائلاً: "هل سيتم اتهامى بهذا الهراء، ثم يخلى سبيلى بسبب عائلتى ونسبى؟لن يصلح هذا الأمور. اللعنة يا أبى، سأفقد شارتى

وعملى. يجب أن نصل للنائب العام، ونجعله يتحرى عن ماكنامارا. أنت تعلم أن ماكفى له يد فيما حدث لى، وتعلم أنه سبب احتجازى هنا".

حدق الأب فى وجه ابنه وهو يزم شفتيه غضباً ثم قال: "أنت هنا لأنك لم تغلق فمك الكبير، مثلما فعلت الآن. وسأسألك مرة واحدة بينى وبينك، وأريد الحقيقة، إن كذبت سأعرف، وأرحل من هنا ولن أفعل أى شىء من أجلك".

تحول غضب الابن إلى صدمة وبداية خوف: "ماذا هناك بحق السماء يا أبى؟".

"هل فعلت بها ما أراه؟ انظر إلىَّ يا آرنى. هل هاجمتها ؟"

"أنا ...".

"لا تكذب بحق السماء".

"لقد أوقفتنى عن العمل واستخدمتنى ككبش فداء، وأنت علمتنى أن أدافع عن حقى ولا أقبل الإهانة من أحد، وإن ركلك أحدهم اركله".

حدق الأب فى غضب قائلاً: "لم أعلمك ضرب النساء، هل علمتك استخدام قبضتيك معهن؟".

"لم تكن لتدعنى فى حالى إلا بهذه الطريقة و ...".

لم يتمم عبارته لأن والده صفعه على وجهه، فشعر بألم كبير ودمعت عيناه.

صاح الأب: "هل علمتك أن تتعدى على رؤسائك وتهاجمهم من الخلف كالجبناء؟ لقد علمتك كيف تكون رجلاً. عليك اللعنة، ولم أعلمك أن تختبئ فى بئر السلم لتتربص بامرأة وتعتدى عليها وتضربها. أنت عار على اسمى واسم العائلة وعلى مهنة الشرطى".

"لم أفعل إلا ما علمتنى إياه، إن هاجمك أحدهم فرد له الصاع صاعين".

"أنت لا ترى الفرق، لا داعى لقول المزيد".

ثم نهض الأب بتعب وإعياء وقال: "سأبذل قصارى جهدى لإخراجك من هذه الورطة، وليس من أجلك، بل لأجل أمك وحفيدى، لكنك لن تكون شرطياً بعد الآن يا آرنى، وإن كان فى

إمكانى منع ذلك فلن أفعل. لقد انتهى عملك فى الشرطة".

"إذاً كيف سترفع رأسك وتفتخر بى إن لم أصبح فى الشرطة مثلك؟".

"لا أعلم، لكنى سأخرجك من الورطة أولاً بكل جهدى، بعد ذلك لا أعرف ماذا سأفعل".

"فعلت فقط ما ظننت أنك ستفعله إن كنت مكانى".

صاح الأب: "إن صدقتك سيزداد شعورى بالتقزز". ثم سار نحو البوابة وصاح: "افتحوا الباب!"ثم ترك ابنه.

بحلول يوم الأحد قررت فيبى فك الحامل عن ذراعها، وكانت قد ملت منه ومن الأطباء والكدمات والجروح.

اضطرت للاعتراف بأنها سئمت من مقاومة الرغبة فى التذمر والاستياء. لقد كتمت هذه الرغبة لكى يعود الهدوء والروتين المعتاد لعائلتها .

ورغم كل شىء، شعرت بالتحسن وهى تخرج من الاستحمام وخاصة إن تجنبت النظر لنفسها فى المرآة، وارتدت المئزر دون صعوبة كبيرة. وشعرت أن طاقتها لا تكفى فقط حتى عشاء يوم الأحد فقط، بل ستسهر وتستمتع بوقتها حتى قبل نفاد طاقتها كنفاد الماء عبر الغربال".

ما إن دلفت إلى حجرتها حتى لحقت بها زوجة أخيها الممرضة وقالت مبتسمة: "كيف حال مريضتى اليوم؟".

"شطبت اسمى من قائمة المعوقين، شكراً لك".

"أنا الحكم فى ذلك، اخلعى المئزر".

"كلا، لا داعى لفحصى يا جوزى".

زادت ابتسامة جوزى اتساعاً. كان طولها ٥ أقدام وبوصتين ووزنها مائة وعشرة أرطال وترتدى زيها الكامل الخاص بالتمريض وتبطن خلف ابتسامتها الملائكية حزماً مهنياً صارماً.

"اخلعى الروب وإلا سأخبر أمك يا عزيزتى".

قالت فيبى مازحة: "يا له من أسلوب حقير للإقناع".

"أنا وقحة كما تعلمين".

"وكأننى لا أعرف ذلك، سأهاجر لولاية أطلانطا وأجلس فى شقة بمفردى، ولن أترك لكم العنوان".

لكن فيبى خلعت الروب وامتثلت لأمرها.

ظهر التعاطف فى عينى جوزى البنيتين الواسعتين، لكن كان صوتها مرحاً: "الكدمات بدأت تختفى، وتحسنت جروح الخصر كثيراً، لكن الكتف مازال يؤلمك بالطبع".

"الألم فى طريقه نحوى".

"ماذا عن مدى الحركة؟".

"أنا ممتنة لكونى ارتدى حمالة صدر تتعلق من الأمام، لكن الحركة تحسنت كثيراً".

تناولت جوزى يدى فيبى وقلبتهما، وفى الحقيقة كانت جروح الرسغين تسبب لها ألماً نفسياً أكثر من أى جروح أخرى. قالت لها: "جروح الرسغين بحالة جيدة".

"لكن آلامها أقوى من أى جروح أخرى إن أردت الحقيقة، هل يمكننى ارتداء المئزر الآن؟".

التقطت جوزى المئزر وساعدت فيبى على ارتدائه وقالت: "هل لديك مشاكل فى الرؤية بالعين المصابة؟".

"كلا، الرؤية واضحة. وقبل أن تسألينى، قل عدد نوبات الصداع وقلت حدته، وأحرك فكى وألمسه دون أن أشعر وكأننى غرزت فيه شوكة من الحديد حتى المخ. وبصورة عامة: أنا على ما يرام".

"أنت تتماثلين للشفاء بسرعة وبشكل جيد، وما يساعدك هو أنك شابة وفى حالة بدنية ممتازة".

علمت أن أجهزتى الرياضية ستفيدنى يوماً ما، ولم تكونى مضطرة للمجىء لفحصى يا جو.

"لقد جئتك هذه المرة الإضافية للفحص بسبب حضورى المبكر لكى كما تعلمنى إيفا كيفية إعداد فطيرة الليمون بالمارينج، فهى تصنعها كما تعلمين لأنها المفضلة لدى ديف، لماذا لا تتجاوب معه وتدع الأمور تسير حتى تتزوج ديف؟"

"يا ليتنى أعرف إجابة هذا السؤال". ثم سارت فيبى نحو دولاب

ملابسها وقالت: "لقد صارا حرين فى نفس الوقت بعد كل هذه السنوات، وخاصة بعد طلاقه البائن منذ عامين، لكن كلاهما يتظاهر بصداقته للآخر وينكر وجود حب بينهما".

"لماذا لا نجمعهما فى موعد غرامى مفاجئ، نخبره أن هناك من تريد مقابلته والعكس، دون أن نطلعهما على الأمر، فيجدان نفسيهما فى موعد غرامى بدون سابق إنذار و ..".

"سيكرهوننا إن تدخلنا فى شئونهما".

زمت جوزى شفتيها وقالت: "هذا ما قاله كارتر عندما ذكرت له هذه الفكرة. حسناً، لنمهلهما ستة أشهر ثم نجرب فكرتى هل تريدين مساعدتى فى ارتداء ملابسك؟".

"كلا، أستطيع التصرف بمفردى".

راقبتها جوزى لتعرف مدى تحسن قدرتها على الحركة وهى ترتدى القميص، ولاحظت أن الحركة تحسنت ثم قالت: "والآن، ما هى أحوالك النفسية؟".

"حسناً، أنا على دراية بأعراض التوتر الناجم عن أحداث ما بعد الصدمة، وتنتابنى الكوابيس، وهذا شىء طبيعى".

"من الطبيعى أيضاً أن يتراكم التوتر بداخلك عندما تشعرين بأنك مجبرة على كتمانه حتى لا تزعجى عائلتك".

"إن أردتُ التنفيس عنه فلدىَّ طرقى الخاصة. لا تقلقى بشأنى، سأعود لساعات عملى الكاملة فى الأسبوع المقبل، وهذا يساعدنى".

"حسناً. اتصلى بى عند الحاجة".

تأنقت فيبى وهندمت ملابسها لكى تثبت لنفسها ولأسرتها أن الأمور اقتربت من مسارها الطبيعى، وكان اللون الأزرق الجرىء لقميصها يبعث على المرح وينشطها لكى تعتنى بزينتها أكثر، ثم أدركت مع الوقت أن حدة الكدمات ستقل مع زيادة الزينة.

وعندما نزلت من السلالم، كان المطبخ مليئاً بالنساء اللاتى كن يطهين، ولم يؤذ مشاعرها أن تطرد من المطبخ، وتلحق بكارتر وكارلى إلى الحديقة لتنعم بالشمس المشرقة.

ركضت الابنة مسرعة نحوها وقالت بزهو: "يا أمي! لقد تغلبت على الخال كارتر في اللعبة!".

"هذه فتاتي التي أعرفها دوماً".

قال كارتر: "إنها لعبة أطفال تافهة".

قالت كارلي: "هكذا يقول دوماً عندما يخسر، لماذا لا تشاركينا اللعب؟".

"لا أظنني بلياقة تسمح بعد باللعب يا ابنتي. أمهليني أسبوعًا آخر وسنلهو ونلعب معاً كما تريدين. تدربي أنت أكثر حتى ذلك الحين".

"سأذهب لأحتسي العصير، لقد تعبت وعطشت من كثرة اللعب مع الخال كارتر".

قال لها: "يا لك من فتاة مهذبة".

ابتسمت كارلي لخالها ثم ركضت حتى باب المنزل، وجلست فيبي وهي تتنهد على مقعد مستدير بجوار النافورة الصغيرة في الحديقة.

من هذا الموضع لم تكن ترى فقط الزهور التي زرعتها إيفا، بل وتشمها أيضاً، وكان يمكنها سماع تغريد الطيور والإعجاب بإصرار الزعتر والكاموميل على النمو والانتشار بين شقوق بلاط الأرض والرصيف، وكذلك زهور البنفسج المتراقصة حول حوض الطيور النحاسي .

ابتكرت إيفا، باستخدام الحوائط المشيدة بالقرميد والبوابات الحديدية، ملجأ وملاذاً شخصياً حيث يظهر الظل المنقط ببقع نور الشمس من خلال النباتات على المقاعد الخشبية وحيث تعطر الجو شجرة الزيتون .

"يا إلهي! من الرائع أن أخرج من المنزل قليلاً".

"هل قالت لك جوزي إنك تتحسنين بسرعة؟".

"نعم".

جلس وأحاط بذراعه كتفيها وقال: "مازلنا في حالة قلق عليك، هذا جزء من الاهتمام".

مالت برأسها على كتفه وقالت: "كلنا تعرضنا لفزع كبير، لكنه

انتهى الآن".

"تذكرت آخر مرة استغرقت فيها وقتاً طويلاً لكى أتغلب على الخوف والفزع".

"يا كارتر، لقد كنت طفلاً حينئذ".

"لا يهم ذلك، وأنت تعلمين هذا. لقد راعيتنى واعتنيت بى، وحلت دون عقاب العمة لى عدة سنوات".

"تلك العجوز الشمطاء، كم أشعر بالاحتقار لذاتى ونكران الجميل؛ حيث نجلس هنا فى حديقتها بينما الآخرون منهمكون فى الطهى وداخل المطبخ".

قال كاتر: "إنها حديقة إيفا"، وهو ما جعل فيبى تبتسم قبل أن تعقب بالقول:

"نعم، معك حق. حتى أثناء عهد الطاغية، كانت تلك حديقة إيفا. هل تظن أنها بدأت تعمل هنا فى سن أصغر من سننا الآن؟ بالكاد كانت فى سن الثانية والعشرين أليس كذلك؟ وكانت قوية الشكيمة وحالت بين العمة بيس وبيننا عدة مرات".

"لا تنسى أنك كنت قوية منذ سن ١٢ عاماً، ومازلت تراعين كل العائلة، كانت العمة بيس تعلم أنك ستبقين فى المنزل لبقاء الأم به، ومع ذلك كتبت المنزل باسمك لا باسمها رغم خدمة أمنا لها، وجعلته ملكك بشروط محددة حبستك فيه أنت أيضاً".

لا جدوى من إنكار الحقيقة، كل هذا حقيقى تماماً، لكن اليوم رائع جداً ولا يعكر صفوه ذكريات مؤلمة قديمة. قالت: "لقد حبستنى فى هذا المنزل الجميل حيث تنمو وتعيش ابنتى، وهذه ليست تضحية".

"بل هى كذلك دوماً، ولقد تركتنى أغادر المنزل".

أمسكت بيده بحزم وقالت: "لم تبتعد كثيراً، لم أكن لأتحمل بعدك عنى".

ابتسم ولثم شعرها وقال: "كنت سأفتقدك كثيراً، لكنى أريد أن أذكر لك شيئاً واحداً يا فيبى، لم أدرك مدى حاجتى لترك المنزل إلا بعد أن غادرته، بينما لم تتح لك هذه الفرصة".

"لكنى غادرته أحياناً فى بعض فترات حياتى، مثل الدراسة

الجامعية وزواجى الفاشل، ويسرنى العودة للمنزل، وخاصة عندما أتمكن من الجلوس هنا، وهناك ثلاث سيدات أخريات يعددن العشاء معاً".

"هذا لأنك طاهية فاشلة".

"لا داعى للمبالغة، أنا فقط طاهية لا يعتمد عليها".

"كلا، بل طاهية غير متمكنة على الإطلاق".

ضحكت وسددت له ضربة خفيفة على أضلاعه على سبيل المزاح وقالت: "أنت تقول هذا رغم أنك لم تنجح فى طهو أى شىء من قبل".

"لهذا اخترعوا خدمة توصيل الوجبات للمنازل. لن تحتاجى للطهو إن تزوجت دانكان من المؤكد أن لديه طهاة كثيرين".

ضربته بدرجة أشد من الضربة الأولى وقالت: "لا داعى للتدخل فى أمور مستقبلية قد تحدث أو لا تحدث، ولا أظن أن لديه طاقماً من الطهاة". ثم عبست للحظة وفكرت أنه بلا طهاة ولكنها تساءلت كيف علمت ذلك دون أن يخبرها.

"أرى أنه أرسل لك المزيد من الزهور، وصار هناك الآلاف منها فى الصالة".

قالت له: "بل دستتان من زهور الزنابق، كانت رائحتها رائعة جداً، يبدو أنه من نوع الرجال الذين يحبون تلك اللفتات الكريمة الرقيقة".

تنهد كارتر ونظر بضيق نحو نافذة المطبخ وقال: "لقد رأت جوزى الزهور ورمقتنى بنظرة ذات مغزى، يبدو أنها تريد الزهور منى وأن أفعل مثله. يجب أن أحضر الزهور الأسبوع القادم وكأن الفكرة نابعة منى".

"لن أتعاطف معك، كان يجب أن تفكر من تلقاء نفسك فى إحضار الزهور لها".

"لقد أحضرت لها وجبتها المفضلة منذ أيام، وكان يجب أن تعترف بالجميل لولا أن تغلب علىَّ بغابات الزهور التى يداوم على إرسالها".

"لقد ابتعت لها وجبات رخيصة، هذا شىء غير رومانسى

بالمرة".

ابتسم لها وقال: "حسناً، إذا نحيت جانباً كونه ثرياً للغاية، وبعد مقابلتى له مرة واحدة، أقول لك إننى معجب به أكثر من روى".

"لم تحب روى أبداً، ولم تقل لى معلومة جديدة".

تحرك فى مكانه وأشار بإصبعه بشكل أخوى إشارة الواثق بنفسه ثم قال: "ومن كان على حق؟".

قلبت عينيها وقالت: "أنت، بالطبع، اصمت الآن، كما أننى حصلت على أثمن هدية من زوجى الفاشل". ثم نظرت لابنتها التى فتحت الباب فجأة وركضت نحوهما.

"لقد حضر العم ديف يا أماه !".

عرفت فيبى على الفور بمجرد دخوله، وعندما رأت وجهه ظل وجهها بلا تعابير محددة وهى تنهض ثم قالت: "أريد أن أتحدث إلى ديف على انفراد يا كارتر لمدة دقيقة واحدة، أدخل كارلى للمنزل وأشغلها بأى شىء".

"حسناً، أهلاً يا ديف".

لم يتصافحا أو تتلامس ذراعاهما أو حتى يحدث تربيت متبادل على الظهر، بل تعانق ديف وكارتر. وهو ما يجعل فيبى تبتسم فى كل مرة يحدث فيها ذلك. كان تعانقاً قوياً وودياً من أب لابنه. "اعذرنى أنا وكارلى، سنترككما لأننى يجب أن أغلبها فى ألعاب الفيديو حتى أثأر لهزيمتها الساحقة لى".

ركضت كارلى للمنزل وقالت: "وكأنك ستغلبنى!".

قال ديف: "يبدو عليك التحسن".

"نعم، قيل لى ذلك مرات ومرات. ماذا حدث؟أخبرنى".

"لقد عقدوا اتفاقاً أريد أخبارك به بنفسى يا فيبى. كانت هناك ضغوط كثيرة من جماعات عليا والنائب العام و ....".

"لا يهمنى ذلك". ثم جلست لأنها شعرت بالحاجة إلى الجلوس وقالت: "كيف عاقبوه؟".

"بالفصل الفورى من العمل، ولم يدفع غرامة، وأخذ ينادى بأنه برىء من الهجوم البسيط ...".

كررت وراءه: "الهجوم البسيط!". كانت مستعدة لتلقى

الصدمة لكنها مع ذلك شعرت بالذهول.

"على أية حال إنها عقوبة ثلاثية: تم فصله وسيظل تحت المراقبة وسيخدم المجتمع لمدة عشرين ساعة ويتلقى دروساً إجبارية فى التحكم بالغضب".

"هل سيكتب على السبورة مائة مرة: أعد بأننى سأكون فتى طيباً؟".

"أنا آسف يا فيبى". انحنى أمامها ووضع يده على ركبتيها وقال: "كان الاتفاق سيئاً، أرادت الجهات العليا التكتم على الواقعة، لكن يمكنك رفع قضايا مدنية ضده وسأقف بجوارك، ولست الوحيد من زملاء القسم الذى سيفعل ذلك".

"لن أعرض عائلتى لذلك. وللأمانة لا أعلم هل أنا مستعدة للخوض فى هذا أم لا". ثم أغلقت عينيها وذكرت نفسها أن كل الاتفاقيات ليست بالضرورة منصفة أو تسوى الحسابات القديمة، وتابعت: "لقد فعل ما فعل، والجهات العليا تعلم ذلك"، ثم تنهدت وتنفست الصعداء قبل أن تنظر لعينى ديف مرة أخرى وأردفت: "لن يكون شرطياً بعد الآن، الباقى لا يهمنى، يكفينى أنه لن يكون شرطياً، فهذا ما يتطلبه الأمر، وهذا هو المسار الصحيح، أنا راضية بهذا العقاب ولن أطمع فى المزيد".

"أنت أفضل منى تسامحاً يا طفلتى".

"كلا، أنا متضايقة وبشدة أيضاً، لكنى سأتعايش مع هذا. ستتناول اللحم المطهو بالسكر وفطيرة المارينج بالليمون، بينما سيظل آرنى ميكس مكبلاً بالخزى والعار لفترة طويلة من حياته".

أومأت لـ"ديف"مرة أخرى وقالت: "نعم، يمكننى التعايش مع ذلك".

مرحلة التفاوض

"يا له من عذاب أن يتعين عليك الاختيار بين الحب والواجب".

ـ من فيلم "منتصف الظهر"

١١

حتى بعد مرور السنوات، كان دانكان يجد أن الاجتماعات شيء غريب، وخاصة ما تتضمنه من ارتداء الزى الرسمى وتقديم الاقتراحات والعطاءات والمناقصات والتقارير، وتناول القهوة وحلوى الدانيش وتوجيه الشكر للآخر على وقته الثمين الذى منحه لك، ثم السياسات والأوامر الفورية الواجبة التنفيذ.

ربما لهذا السبب لم يؤسس لنفسه مكتباً فعلياً ثابتاً حتى الآن؛ لأنه إن فعل ذلك لن يهرب من الاجتماعات المتلاحقة، حيث إن المكتب يعنى وجود فريق عمل يكلف بمهام محددة بشكل منتظم. وإن كنت أنت المدير، فهذا يعنى أن تأتى لهم بالمهام وتكلفهم بها وغالباً ستقرأ عدداً كبيراً من التقارير عن المهام قبل وبعد وأثناء الاجتماعات، ثم تحضر اجتماعات أخرى خاصة بالمهام .

إنها دائرة مفرغة لا تنتهى.

يستلزم وجود المكتب وجود أقسام وألقاب ومكاتب وحجرات، وصاحب العمل يحدد الألقاب فى الهيكل الوظيفى مثل مساعد تنفيذى أو مساعد إدارى أو نائب رئيس مجلس الإدارة للتسويق والمبيعات. مثل هذه الأمور ستجعله يسهر فى العمل حتى وقت متأخر من الليل.

ألح عليه فينياس عدة مرات كى يتخذ لنفسه مقراً كمكتب أو شركة، لكن دانكان كان يعده فى كل مرة أنه سيفكر فى الأمر ثم يتردد كثيراً .

كان يحب أن تتم مقابلات العمل فى أية حانة أو مطعم، وإن لزم الأمر ولا مفر منه، فى مكتب فين، وهو فى رأى دانكان بمثابة مركز الاجتماعات. وذلك لأن مقابلة الناس فى مكان لا يملكه يجعل الأمور أقل رسمية ويجعل الناس يتحدثون بصراحة وحميمية أكثر أثناء تناول شراب الشعير فى حانة، مقارنة بالجو الرسمى الخانق لاحتساء المياه المعدنية فى قاعة اجتماعات.

وجد دانكان أيضاً أنه من المثير أكثر أن يذهب لمن يريد مقابلته، لا أن يجعله يأتى إليه، فهذا مفيد أكثر على مستوى العمل والعلاقات. حيث إن البقاء فى منزل من يقابله أو مقر عمله أو ورشته، أو مهما يكن المكان، يجعل الناس فى حالة راحة نفسية أكثر، مما يسهل مهمة تنفيذ أهدافه أو إبرام الصفقات مع الآخرين.

اتباعا لهذه الفلسفة، كان ينطلق فى جولات مكوكية من اجتماع على الإفطار فى مقهى بوسط المدينة، إلى مسرح منوعات صغير ومرح فى الحى الجنوبى، ثم يختتم جولته فى منزل مهمل ومتواضع فى الحى الفيكتورى.

فى كل حالة مما سبق، كان يشعر بأنه ينجز فى أعماله الكثير ويستغل وقته جيداً بما يحقق له قدراً أكبر من الاستفادة مقارنة باستدعاء الناس وكل الأطراف المعنية لأى مشروع قادم فى مكتب خانق ويظل هو قابعًا خلف مكتب ويختنق لدرجة التفكير فى الانتحار قفزاً من النافذة مثل جو الذى حاول الانتحار.

بينما يتجه بسيارته لشارع جونز، تمنى أن تسير الأمور على ما

يرام كما حدث فى آخر اجتماعات اليوم.

فكر فى تغيير موعد زيارته، وأن يجعلها مفاجئة عندما تعود فيبى من عملها، لكن بدا ذلك كأمر ماكر وخادع بعض الشىء، ورغم أنه لن يكون مخطئًا فى ذلك، ولكنه خمن أنها ستحقق فيه كالشرطة.

أوقف سيارته وسار بنشاط تحت خمائل الأشجار الملتفة الجميلة.

أراد أن يرى فيبى ويواعدها لا أن يقوم بمجرد زيارة مفاجئة للاطمئنان عليها حيث إن هذا هو نوع الزيارات التى قام بها طوال أسبوعين.

ظل يفكر فى انتظار الوقت المناسب للمواعدة. ربما كان هناك غموض فى هذه المسألة؛ فلم تعرف فيبى بعد كيف تصف علاقته بها، لكنه لا يمانع فى هذا.

بل إنه لم يصل يوماً لأى وصف لشخصيته، ولم يكن يجد غضاضة فى ذلك أيضاً.

لكن الشىء الوحيد الذى يعرفه ومتأكد منه إزاء فيبى هو أنها تعرضت لصدمة نفسيه قوية، وتعمل حالياً على اجتيازها. لا داعى ولا جدوى فى دفعها للمواعدة وهى مهزوزة وفى حال توتر حاد ناجم عن الصدمة.

كانت لديه خططه الخاصة، وكان يحب دوماً وضع الخطط كما يحب تعديلها وتغييرها تماماً وتحويلها من مجرد أفكار إلى واقع ملموس.

كانت لديه خطط نحو فيبى.

لكن فى الوقت الحالى لديه خطط لشىء آخر تماماً.

قبل أن يسير نحو الممر المؤدى لمنزل آل ماكنامارا، لمح السيدة صاحبة الكلب الصغير الغريب عبر الطريق المرصوف بالقرميد. كانت أنشوطة الكلب اليوم ذات خطوط باللونين الأحمر والأبيض، لكى تتماشى مع لون القبعة ذات الحافة الواسعة التى كانت تضعها على رأسها. شعر بأن القبعة تلائم رداءها الناصع البياض وحذاءها الأحمر.

أخذ الكلب الصغير يلهث فى سعادة وهو يشم كلبة وردية اللون ومليئة بالزغب من نوع"البودل"، وحول رقبتها طوق ذهبى يجرها منه رجل زنجى بدين جداً يرتدى بدلة ذات خطوط زرقاء.

كانت السيدة النحيلة تثرثر أثناء سيرها مع الرجل البدين

وهما يسيران تحت ظل شجرة بلوط ضخمة خضراء، بينما يحاول الكلب الخالى من الشعر مغازلة الكلبة الوردية.

قال دانكان لنفسه إنه يحب مدينة سافانا جداً.

دق جرس الباب وتأمل فى إعجاب إصيص الزهور فى الشرفة الأرضية أثناء انتظاره. تذكر أن إيفا هى من تملك موهبة فى البستنة ورعاية الحدائق وتساءل لو استطاع إقناعها بأن...

ابتسم لـ إيسى عندما فتحت له الباب ثم قال: "أهلاً، هل لديك وقت تضيعينه مع أحمق مثلى؟".

"لست بأحمق، ولدى الوقت دوماً للرجال الوسيمين".

تطورت علاقته بالأم إلى درجة أنه يقبلها على خدها عندما يقابلها، وكانت هي أيضاً تقبله على خده، وكان يشتم رائحة خفية لعطرها.

تساءل فى نفسه لماذا تتعطر وتتجمل وتتأنق كل يوم عند الاستيقاظ طالما أنها لا تغادر منزلها قط؟

"كيف عرفت أننى أطهو كعكاً؟"، اتسعت ابتسامته لهذا السؤال وقال:

"ما نوع الكعك؟".

"بالشيكولاته".

"رائع، أحقاً؟تصنعينه من البداية؟ من الجيد أننى حضرت لأتذوقه لتختبرى جودته لدى الآخرين".

"لنبدأ فى ذلك، لن تعود فيبى قبل ساعتين".

ثم أضافت وهى تقوده للمطبخ: "ذهبت إيفا لقضاء بعض المهام، وستمر على المدرسة لتصطحب كارلى للمنزل بعد بروفة المسرحية المدرسية. ستلعب كارلى دور إحدى أختى سندريلا فى مسرحية"سندريلا"، فهى تحب تمثيل أدوار الشر حيث تكون قيادية وحقيرة!".

"مثلت فيما مضى فى المسرح المدرسى دور الضفدع. لم أكن ألعب دور الضفدع الذى يتحول لأمير الأحلام، بل كنت أقوم بدور ضفدع يتجشأ عندما يأتى دوره بإشارة من ممثل آخر، كانت أسعد لحظة فى حياتى".

ضحكت وقادته نحو مائدة المطبخ وقالت له: "من المؤكد أن والدتك كانت فخورة بك".

لم يرد على تلك العبارة. ما الذى بوسعه أن يقوله؟وبدلاً من قول أى شىء، شم الرائحة الذكية فى الهواء وقال: "يا لها من رائحة جميلة".

"سأحضر لك بعض الكعك الساخن من الفرن، هل تريد معه لبناً أم قهوة؟".

"الكعك باللبن يذكرنى بأيام المدرسة، كم أنت رائعة كالأم الحنون".

شعرت بالسعادة واحمر وجهها وقالت: "يا لك من ساحر، ترى ما الذى فعلته اليوم من مهام؟".

"التحدث مع الكثير من الناس لمعظم الوقت. وكنت أتمنى أن ينتهى اليوم بسرعة حتى آتى وأتحدث إليك. لقد فحصت بناية أنوى شراءها فى الحى الفيكتورى، وليست بعيدة عن الحرم الجامعى لكلية سافانا للفنون والتصميم".

بالكاد كانت تتذكر شكل الحياة خارج المنزل. كان العالم الخارجى بالنسبة لها مجرد متاهة من الخطوط والمربعات فى عقلها. قالت: "أحقاً؟ أى نوع من البنايات؟".

"مبنى متهالك حقاً، مثل منزل سيدة ثرية من العصر الفيكتورى وتعرضت للإفلاس. مازال بإمكاننا رؤية رونق المكان وبهاءه وجماله رغم الإهمال". أمسك كعكة وتناولها، ثم نسى كل شىء فى إحساسه بلذة عارمة غمرت حواسه.

"يا إلهى!يا للذة! هل تتزوجيننى؟"

هذه المرة لم تضحك فقط، بل كانت ضحكاتها قهقهة وقالت:

"إن كنت ستتزوج من امرأة لمجرد أنها طاهية مخبوزات جيدة فأنا مندهشة عن عدم محاولة كل نساء المخابز العمل لوقت إضافى لجذب انتباهك لهن". مدت يدها فى طبقه وتناولت كعكة ولمعت عيناها ثم أضافت: "إنها لذيذة حقاً".

"هلا سمحت لى بأن آخذ المزيد من الكعك معى للمنزل؟لن يرضينى مذاق أى حلوى أخرى بعد الآن!".

"بالطبع".

ذهبت للفرن وأخرجت صينية منه، وأدخلت صينية أخرى كانت قد أعدتها لكى تنضج.

"فقدت حبل أفكارى من فرط نشوة مذاق الكعك. كنت أتحدث عن بناية بالقرب من الحرم الجامعى".

"نعم، تفكر فى إصلاحها بعد شرائها؟".

بعد تذوق الكعك الساخن، ارتشف اللبن البارد، وشعر بلذة متناهية وقال: "الأمر متوقف عليك".

رفعت حاجبيها فى حيرة وهى تبتعد عن الفرن ثم قالت: "أنا؟".

"بالطبع أفكر فى شرائه وإصلاحه، لكن فى ذهنى أريد تحويله لمتجر"، ثم تناول كعكة أخرى وأشار لها بيده: "الآن أعرف بماذا تفكرين".

"بالطبع لا، فأنا حائرة لدرجة أعجز معها عن التفكير".

"حسناً، قد يفكر الآخرون أن سافانا بها مليون متجر، ولا شك فى ذلك، لكن الناس يحبون التسوق، ولا شك فى ذلك أيضاً، أليس كذلك؟".

"نعم، أنا أحب التسوق عبر الإنترنت".

تناول كعكة أخرى وتابع: "بالتأكيد، وأنا أفكر فى استغلال قرب المكان من كلية الفنون والتصميم، لأفتتح متجراً لبيع المشغولات اليدوية والفنية". همت بأن تتحدث لكنه قاطعها قائلاً: "ستقولين إن لدينا متاجر كثيرة فى المدينة لبيع المشغولات اليدوية والفنية".

"نعم ... على ما أظن".

"حتى الطراز الحديث الفخم ليس بجديد على وجه الخصوص؛ فكلها متاجر حديثة جداً، هل تفهميننى؟".

"بالكاد". ثم هزت رأسها وضحكت مرة أخرى قائلة: "إن كنت تستخدمنى يا دانكان كصدى ورد فعل لأقوالك، فهذا يسرنى؛ لأننى لا أفهم فى العقارات والمواقع والمتاجر هنا، فأنا لا أغادر المنزل أبداً".

"لكنك تعلمين عن الفن والحرف اليدوية". تناول كعكة ثالثة حتى وإن أصابته بالغثيان قبل أن يستطرد قائلاً: "أى عن إبداعها وصنعها وبيعها".

أشارت بيدها له قائلة: "هل تعنى الكروشيه؟ إنها مجرد هواية أحصل على المال منها لأدفعه فيها، وبيع أعمالى جاء مصادفة".

"حسناً، ماذا إن جربت فكرتى؟ لدىَّ فكرة مدهشة، ألا تودين سماعها؟ لدىَّ أفكار كثيرة دوماً ولا أنفذها لعدم قدرتى، لكن الآن

يمكننى تنفيذها. لا داعى للاستعجال، سأشرح لك كل شىء".

"أتفهم ذلك".

"الفكرة هي أعمال فنية وحرفية ويدوية بأيدى أهل سافانا. فن أهل سافانا الخاص". كرر الجملة وضاقت عيناه ثم أردف قائلاً: "ثم نبتكر اسماً مناسباً للمتجر. سأكتب ذلك الآن، فنون يدوية من سافانا". ثم دون ما يريده فى الهاتف الجوال، فى خاصية المفكرات والمذكرات وقال: "فن يبدعه أهل سافانا ويعرض ويباع فى منزل بديع خشبى من طابقين يرمز للمدينة، أعرف رجلاً يصنع أثاثاً يعد من التحف، وسيكون هناك مدخل عظيم وفنى للمنزل، وأعرف امرأة تصنع مشغولات وتحفاً من تشكيل الحديد، ويمكننا أن... لقد سبقت أفكارى". قال عبارته الأخيرة عندما وجدها تحدق إليه فى دهشة.

قالت: "هل تريد بيع إنتاجى من الكروشيه فى متجرك؟"

"بل المئات منه يا إيسى، بل حمولة مئات الشاحنات منه، يجب أن ينتشر فى كل مكان، وتصنعى أشياء مثل ماذا تسميها؟ مفارش تحت الأطباق والأكواب، ومفارش الموائد وأغطية الأرائك، والأسرة. لقد أخبرتنى أنك تصنعين مفارش الأسرة، أليس كذلك؟ ماذا عن مفارش المائدة وما شابه؟ وماذا عن الملابس؟ الأوشحة و...".

"نعم، لكن ...".

"سنجهز حجرات البناية مثل المنزل، وسنجعل بها حجرات نوم وقاعة للسفرة وصالات، وبالتالى سنعرض إنتاجك بهذه الطريقة. سنبيعها فى جو مناسب لكل منتج، أغراض الأطفال فى حجرة الأطفال، والوشاحات والسترات فى خزانات ملابس. ويمكنك مواصلة البيع عبر الإنترنت إن أردت بالطبع، ولكننا سنطور الأمر".

"رأسى يدور فعلياً". وضعت يدها على جانب من رأسها وكأنها تثبتها وأردفت قائلة: "لماذا تظن أن بإمكانى القيام بذلك؟".

"أنت تفعلين ذلك بالفعل وستواصلين عملك عدا التغليف والشحن، وفقاً لإرشاداتك بالطبع، تعالى معى لدقيقة". ثم أمسك يدها وقادها لقاعة الطعام.

"ماذا تسمين هذا؟".

حدقت فى ألوان المفرش الفاتحة وقالت: "مفرش السفرة".

كانت قد صنعته بنفسها لمائدة السفرة.

"حسناً، إن صنعت مثله كم ستتقاضين من المال؟".

بدأت تحسب الحسابات، لأنها قامت بعمل مفرش مماثل لعميلة فى الماضى ومفارش عديدة قصيرة عبر السنوات، وحسبت السعر قدر المستطاع بدون آلة حاسبة وأخبرته به .

أومأ لها دانكان وحسب حساباته السريعة وقال: "سأعطيك صافى ربح أكثر من هذا بنسبة ١٥٪، وسأحصل أنا على ربح كاف".

ابيض لون خديها ثم اكتسب لوناً أحمر دافئاً، ثم أمسكت المفرش وقالت: "١٥٪ أكثر؟ هل تريده الآن؟ سأغفله لك".

ابتسم لها وقال: "بل احتفظى بهذا، وفكرى فى صنع المزيد منه، فلتصنعى كل ما تريدينه وأكثر، سأحتاج وقتاً لترميم المبنى، لكنى أضمن لك أننا سنربح الكثير بحلول الكريسماس القادم وموسم التسوق الذى يشهده". ثم صافحها وقال: "هل تقبلين أن تكونى شريكتى؟".

اعتبر دانكان اليوم رائعاً، فقد كان يجلس فى شرفة منزله فى السابعة مساءً ويستمتع بعشاء بسيط من البيتزا وشراب الشعير، بصرف النظر عن أى شىء حدث قبل ذلك.

سيضىء بعض الشموع ليضفى لمسة جميلة ويبعد عنه الحشرات. كان يسند قدميه العاريتين على مسند أقدام من البوص، وترك التلفاز مفتوحاً فى حجرة المعيشة، وجلس بزاوية محددة بحيث يشاهد مباراة كرة السلة من خلال النافذة إن أراد، أو يسمعها وهو يحدق فى الأفق المظلم.

لقد نال كفايته اليوم من مقابلة الناس، ورغم كونه اجتماعياً، فإنه يقدس وقته الذى يقضيه بمفرده ويستمتع به. وكان يحب سماع صوت المباراة، ولكنه يعشق الإنصات لأصوات الليل .

كان يحب صوت مرور الرياح وصفيرها عبر الأشجار، وأصوات الحشرات، لأن الموسيقى اللانهائية المتواصلة للحشرات تطربه وتؤنس وحدته. كان فى موقع جيد الشرفة والمقعد ومسند القدمين كان هذا أفضل وقت من العام ليفكر فى أى أمور تشغل ذهنه أو يقرر أن يدعها ولا يفكر فيها نهائياً.

شعر بالإغراء لكى يظل مع إيسى فى المطبخ حتى تعود فيبى

من عملها. لماذا لم يفعل ذلك؟إنه لا يزورهم كثيراً حتى لا يسبب لهم الضيق. المسألة كلها تتعلق بالتوازن وطريقة تفكيره، وإثارة فضول فيبى التى يهتم بها حتى تنحى طريقة تفكيرها جانباً.

كما أنه كان يشعر فى كل مرة يراها فيها أنه يريد معانقتها، لكنه يفكر فى صدمة ما تعرضت له من أحداث فيعترف بأنه لا داعى للاستعجال، فالأمر لم يصل لمرحلة العناق بعد.

انتهى من تناول شريحة بيتزا، وفكر فى تناول شريحة أخرى، ثم لمح سيارة قادمة وسمع صوتها. اندهش ورفع حاجبيه عندما رأى أن السيارة ليست عابرة بل فى طريقها إلى منزله .

لم يتعرف على السيارة، لكنه تعرف على المرأة التى خرجت منها. شعر بأن وجودها معه الآن أفضل طريقة لإنهاء اليوم بدلاً من شراب الشعير والبيتزا.

"أهلاً يا فيبى".

عندما دلفت للشرفة، حركت شعرها للوراء بأصابعها وقالت: "يا دانكان، كنت مارة على الجسر قبل أن يخطر ببالى أنك قد تكون غير موجود بالمنزل، ثم تأخر الوقت وفات أوان الرجوع، لكنك هنا على أية حال".

"أنا أتواجد هنا كثيراً، فأنا أعيش هنا".

"لقد ذكرت هذا من قبل".

"هل تريدين بعض البيتزا وشراب الشعير؟".

"كلا، شكراً".

رفع حاجبيه مرة أخرى اندهاشاً من لهجتها الرسمية وقال: "تفضلى بالجلوس".

"بل أفضل الوقوف، شكراً. أريد أن أسألك عما فعلته مع أمى".

"حسناً، لقد طلبت يدها للزواج على سبيل المزاح، لكنها تجنبت الإجابة على طلبى، ربما لم تأخذه مأخذ الجد، فاستقررت على أخذ بعض الكعك".

"أتساءل إلى أى مدى تأخذها أو تأخذ نفسك مأخذ الجد".

"لماذا لا تقولين صراحة إنك متضايقة منى، ونناقش الأمر".

"لست متضايقة، بل قلقة".

قال لنفسه إن هذا هراء. وكان يعلم أن المرأة الغاضبة عندما تقف هكذا فى شرفته، فإنها تكون على استعداد. قال لها: "على أى شىء؟".

"تشعر أمى بسعادة غامرة وإثارة كبرى من العمل الذى تحدثت معها عنه".

"لا تريدين لها أن تشعر بالإثارة ؟".

"كلا، أريدها أن تتجنب الإحباط والصدمة والجروح".

قال بصوت بارد كالشراب الذى تركه: "ما النتيجة الطبيعية للشعور بالإثارة لمشروع ناقشناه، وهو على ما أتذكر لا يشملك".

"لكن تشغلنى حالة أمى الذهنية. لقد ناقشت عملك فى شراء مكان ما وتحويله لمتجر وأنها ستشترك معك. من حقك أن تدير عملك كما تريد لكن...".

"شكراً جزيلاً لك".

بدأت تهدأ ثم عادت لتقول: "لكنك بلبلت مشاعرها بخططك وتصميماتك والتحدث عن مساعدتها لك وإعطائها نسبة من المال. ماذا يحدث لها إن غيرت رأيك أو لم ينجح المشروع، أو أنك وجدت لعبة أكثر إثارة ؟".

"ولماذا سأغير رأيى ؟".

"ألم تبتع حانات ثم بعتها؟".

قال لها مصححاً كلامها: "بل جزءاً منها فقط".

"ثم ابتعت حانات أخرى، ولا أعلم ماذا أيضاً". هل كان هذا هو لب المشكلة؟ أنها لا تعلم، وأنه سيأخذ الأم لطريق لا تعرفه الابنة؟ قالت له: "تقفز من مشروع لآخر ومن فكرة لأخرى، وهذا يروق لك، لكن لن يروق لأمى التى تحب الاستقرار"

"إذاً الخلاصة من كلامك أننى فى رأيك غير جدير بتحمل المسئولية ولا يعتمد على أمثالى".

"كلا، لا أقصد ذلك"، ثم تنهدت وتنفست الصعداء وحاولت تخفيف غضبها والتركيز على مصدر القلق: "بل أقصد أنك متقلب المزاج يا دانكان، وهذا جزء من شخصيتك الجذابة.

وبإمكانك تحمل نفقات ذلك، وليس لأنك ثرى فقط، بل لأنك لا تتحمل مسئولية أسرة مثلى وتفعل ما تريد أينما ووقتما تريد كما ترغب وتشتهى".

"هل تقصدين أننى مهمل ؟"

"كلا، بل قلت إنك متقلب المزاج، وأعنى ما أقوله. لست بمهمل، ولكن أمى ضعيفة و...".

"بل أمك مدهشة، لقد أخبرتها أنها بحاجة للراحة. لكن فى الحقيقة، يجب أن تمنحيها أنت تلك الراحة، هل تظنين لأنها لا تبارح المنزل مطلقاً أنها لن تكون رائعة؟".

"كلا، اللعنة"، تطورت المناقشة لأمور خارج نطاق القضية التى تريد مناقشتها، ولذلك دفعت شعرها للخلف وحاولت العودة للموضوع الأهم قائلة: "لكنها رغم روعتها ضعيفة من أثر جراح الماضى وتقلبات الزمن عليها".

"لن أعرضها للأذى مطلقاً".

"لن تقصد ذلك بالطبع. لا أعنى ذلك، لكن إن لم تنفذ مشروعك لأى سبب ولم تشتر المنزل...".

"لقد اشتريته اليوم".

لم تجد جواباً، لقد أوقفت عبارته تدفق كلماتها، كما ظن دانكان، ولم يتحدث هو بعد ذلك، بل احتسى جرعة من الشراب وأخذ يراقبها عندما ترك الزجاجة على المائدة.

قالت له: "حسناً، لقد اشتريته. لكن ماذا لو أن الأمر لا يستحق تكلفة إصلاحه؟".

"يا إلهى، ماذا لو ركبت بساط الريح أو امتطيت أجنحة الجن وطرت بها إلى كوبا؟ يمكنك الوقوع فى فخ الافتراضات إلى ما لا نهاية، وكل هذا الهراء لا يعنى أى شىء، دائماً ما أنهى كل ما أبدأ فيه، لست بأحمق؟".

"لم أقل إنك أحمق أو حتى أعنى ذلك"، لكن هناك شخصية مهمة تعد مصدر قلق لها."لكنك فاجأت أمى بمفاجأة ضخمة، وأنا أضع فى الاعتبار كل المتغيرات، وأحاول التوصل لسبب إقحامك لها فى مشروعاتك. لا أفهم ما الذى تحاول أن تقوم به. ما الذى تريده

منها ومنى؟".

همس لنفسه وهو ينهض واقفاً: "لقد اختلط الأمران بالنسبة لها"، ثم قال: "هل تظنين أننى أستغلها للتقرب إليك؟هل تريدين معرفة ماذا أريد منك؟".

"نعم، لتبدأ من هذه النقطة".

أمسك بها على حين غرة قبل أن تنتهى من كلمتها الأخيرة. اللعنة على انتظار الوقت المناسب، فليذهب إلى الجحيم. كان متضايقاً لدرجة لا تسمح له بانتظار أى شىء. وفجأة داهمتها آلام مبرحة من كتفها المصاب.

تراجع هو للوراء عندما سددت له قبضتها. صاح: "اللعنة!".

قالت له: "آسفة، أنا بخير، مجرد حركة خاطئة سببت لى الألم فقط لا داعى للتوقف...".

"أوه، أنت مازلت مجروحة، لن أزعجك وأنت جريحة ... حسناً دعينى لمدة دقيقة لكى أهدأ".

سار جيئة وذهاباً لمدة دقيقة وقال: "لقد ضايقتنى بلا عذر فعلى، لكنى سأتقبل الأمر".

"لا داعى للأعذار، كان الأمر متبادلاً".

"بغض النظر عن أى شىء. على أية حال، ينبغى أن يجيب ذلك عن السؤال الذى مازلت أحاول أن أتذكره بالضبط، حيث إن عقلى مشوش الآن. النقطة الثانية تخص...".ثم آثر الصمت واكتفى بالتحديق فى وجهها.

لقد وجدها مازالت واقفة ومستندة على العمود وشعرها مبعثر وخداها ورديان.

قال: "ياه، تماسكى جيداً، لا داعهى للعبث معك وأنت فى مرحلة النقاهة. أنا آسف، كنا بمفردنا والضوء خافت والجو... حسناً، فلنغلق هذا الموضوع الآن".

"أنت رجل غريب يا دانكان".

"سمعت الناس يقولون ذلك عنى دوماً. أنا أريدك، وأسهر كل الليالى أفكر فيك، وأنا لا أمانع فى السهر رغم أننى أحب النوم أيضاً، لكن هناك أموراً تسبب لى الأرق منها أنت يا فيبى".

"شكراً، لكن..".

"لنعد لموضوعنا الأساسى، لقد أوضحت لك أننى لا أستغل والدتك للوصول إليك، فكرى فيها وفى مدى روعتها، وفكرى فى نفسك وفى دانكان"

"معك حق تماماً، كنت مخطئة، كم أكره نفسى الآن، لكن عذرى، كما تقول، هو أننى أحبها جداً".

"نعم، أفهم، من حسن حظك أن لديك أماً مثلها".

حركت فيبى شعرها بأصابعها وشعرت بأنه يعنى ما يقوله حقاً. لقد أدرك قيمة أمها كامرأة.

"أعرف ذلك، الكثيرون قالوا لى أنها عبء كبير، لكنك لا تقول مثلهم، وأنا آسفة على سوء الظن".

"لا عليك، سررت بفرصة الحديث معك"، ضحكت، فقال: "هل تريدين شراب الشعير؟".

"كلا، فأنا سأقود السيارة. من فضلك يا دانكان لا تسئ فهمى، أعرف أن لديك حانتين يمكننى رؤية ذلك. وربما تمتلك شركة لسيارات الأجرة، أو شركة لخدمات السيارات، أو شيئاً من هذا القبيل. قد تكون ممتلكاً مثل هذه الشركات بالفعل، لا أعرف بالتحديد، وربما لا تمثل هذه الشركات إلا جزءًا بسيطاً فقط من الشركات التى تديرها. لا أعرف كيف تدير هذه الأعمال، ولا أعرف كذلك مدى قدرتك على إدارة متجر للمشغولات الفنية".

"دعى الأمر للزمن، كما أننى لن أتولى إدارته بنفسى، بل أفكر فى شخص فى ذهنى سيتولى الأمر، لا تظنين أنه يمكننى تحمل خسارة مائتى ألف دولار على نزواتى".

"كلا، لم أقصد ذلك، فكرت أنك ستدير الأمر جيداً، لكنى قلقت على سعادة أمى المفرطة حتى لا تتحول لصدمة".

"هل كانت سعيدة عندما تعرفت على روبن".

فركت عينيها وقالت: "لم أفكر فى هذه الأمور قبل أن أسرع بالمجيء إلى هنا لأعنفك".

قال لها بهدوء: "يسهل استثارة غضبك".

"فى كثيرة من الأحيان على ما أظن، وهذا واضح. لقد اتضحت

الرؤية لى الآن بفضلك، ولولاك لما فهمت الأمر، ولم تكن أمى لتحظى بفرصة الشعور بتجربة أمر جديد ومثير فى حياتها".

"لم أكن لأعرض عليها الشراكة إلا وأنا متأكد من الربح الوفير لى ولها".

"لم أدرك حسن نواياك، ولذلك جئت بسرعة لأعاتبك على محاولة اللعب بمشاعرها، لكنى لست نادمة على مجيئى لأننا تحدثنا معاً".

ابتسم ببطء وقال: "ومتى ستثقين بى تماماً وتقبلين دعوتى لتناول الغداء قريباً".

لمست شعره بأناملها وكانت تحب شكله وملمسه الذى يبدو وكأنه مبعثر من رحلة سريعة بسيارته الفارهة، وقالت: "سرعان ما ستدون ممرضتى الخاصة تقريرها وتسمح لى بحرية الحركة".

"لا بأس فى الانتظار قليلاً. ولماذا لا نتواعد يوم الأحد القادم؟ يقيم أحد أصدقائى حفل شواء على الغداء. هذه فرصة لندرس طباع بعضنا البعض عند الاحتكاك بالآخرين، قبل أن نمارس طقوس الحب بشوق جارف".

"حسناً، قبلت دعوتك".

"سأصطحبك الساعة الثانية ظهر يوم الأحد القادم".

"حسناً، أحتاج الآن للعودة لمنزلى"، ثم رفعت رأسها وقبلته بنعومة فى عذوبة على خديه وقالت: "أتمنى أن تسهر الليلة بسببى".

رآها تسير مبتعدة عن المكان وتنظر خلفها نحوه وتبتسم له ابتسامة ساحرة. علم أنه غالباً سيسهر بالفعل.

وما إن ابتعدت بسيارتها حتى عاد هو للجلوس فى نفس المكان، ووضع قدميه على مسند القدم المبطن، وتناول البيتزا الباردة وشراب الشعير الدافئ، وأخذ يفكر فى أحداث اليوم المثيرة.

١٢

جاءت المكالمة الساعة السابعة وثمان وخمسين دقيقة. كان الفتى الذى اتصل ذكياً للغاية، لم يفزع ولم يحاول لعب دور البطل، بل استخدم عقله وقدميه وركض مسرعاً من المنزل فى جوردونستون، وقفز فوق الأسوار بين الحدائق الخلفية الجميلة حتى عاد لمنزله لكى يصل للهاتف ويتصل بالشرطة.

لقد ذكر الأسماء والعنوان وملابسات الموقف. استمعت فيبى فى طريقها للحى الشرقى من سافانا إلى إعادة المكالمة المسجلة وقالت إن الفتى لديه مقومات واستعداد لأن يكون ضابطاً جيداً.

كانت المكالمة كالتالى: "جعلهم السيد برينكر يجلسون جميعاً حول مائدة المطبخ، زوجته السيدة برينكر وجيسى وآرون وحتى الرضيعة بينى على مقعدها العالى، ومعه مسدسان، وجسى تبكى،

يجب أن تساعدوهم".

حصلت فيبى على المزيد من المعلومات، فأسرعت بالسيارة مع سايكس نحو الحى الجميل. كان محتجز الرهائن هو ستيوارت برينكر، عمره ثلاثة وأربعون عاماً، ويعمل أستاذاً فى الجامعة، وهو والد لثلاثة أطفال هم جيسيكا ستة عشرة عاماً، آرون اثنا عشر عاماً، وبينيلوبى عامان، انفصل مؤخراً عن زوجته بعد زواج دام ثمانية عشر عاماً واسمها كاثرين وعمرها تسعة وثلاثون عاماً، وتعمل مدرسة للتربية الفنية.

بعد عشرين دقيقة من المكالمة، سارت فيبى عبر الحواجز حول محيط المنزل المنكوب. وكان حول الحواجز كالعادة عدد كبير من الصحفيين والإعلاميين يصيحون فى اتجاه فيبى، لكنها تجاهلتهم وأشارت لأحد الضباط قائلة:

"الملازم ماكنامارا والمحقق سايكس، مفاوضا الشرطة. ما هو الموقف بالضبط؟".

قال الضابط: "هناك أربع رهائن محتجزون، من بينهم ثلاثة أطفال دون سن الرشد، وقد جعلهم المحتجز يجتمعون فى حجرة المعيشة الآن". ثم أشار للمنزل الأبيض المنتظم، وكان حوله نباتات الأزاليا ذات الزهور الوردية والبيضاء فى الحديقة الأمامية. تابع الضابط: "لقد أغلق كل الستائر على النوافذ ولم نشاهد أى شىء، ومعه مسدسان، لكنه لم يطلق النار. ظل أول ضابط اتصل به يتحدث إليه مراراً وتكراراً. علمت منه أن المحتجز مهذب جداً، لكنه لا يقوم بالكثير من الاتصال فى اللحظة الراهنة. يوجد معنا الطفل الذى تحدث فى الهاتف ليبلغ الشرطة مع أمه".

نظرت إليه فيبى فرأت فتى مراهقاً ذا وجه معتاد لمن هم فى سنه جالساً على الأرض ورأسه بين يديه، وأمه بجواره تضع ذراعها بحزم على كتفيه ووجهها باهت وشاحب للغاية.

قالت فيبى: "سايكس؟".

"نعم، لقد اتصلت به الآن، إنه على الخط".

اتجهت فيبى نحو فريق الاتصالات على حافة الطريق الداخلى المحيط بالمنزل بينما سار سايكس نحو الفتى. قالت فيبى: "الملازم

ماكنامارا، مفاوضة الشرطة".

كانت المعلومات تتدفق بسرعة الآن. أحاطت قوات العمليات الخاصة بالمنزل وأخلت المنازل المجاورة من السكان، وتمركز أفراد القناصة كل فى موقعه.

قال لها الضابط الذى كان مع محتجز الرهائن على الهاتف: "إنه لا يتحدث كثيراً، حاولت إبقاء الخط مفتوحاً معه. يبدو متعباً، وحزيناً لا غاضباً. كان منفصلاً عن زوجته بناء على طلبها كما قال. وفى آخر مكالمة، شكرنى على الاتصال قبل أن يضع السماعة".

"حسناً، كن مستعداً". درست ملف ملابسات الحادث والموقف جيداً وحوار الضابط مع محتجز الرهائن، ثم أخرجت مفكرتها وهى تلتقط السماعة وقالت: "لنعاود الاتصال به".

رفع السماعة بعد الجرس الثالث وكان يبدو على صوته الإعياء الشديد: "من فضلكم هل هذا الاتصال ضرورى؟ أريد قضاء بعض الوقت مع عائلتى دون مقاطعة فى هدوء".

"السيد برينكر؟ أنا فيبى ماكنامارا، المفاوضة من قسم شرطة سافانا. أريد مساعدتك. كيف حال الجميع معك؟ هل كلهم بخير؟".

"نحن جميعاً بخير، شكراً لك. والآن من فضلك أتركينا وشأننا".

"أفهم حاجتك ورغبتك فى البقاء مع عائلتك، يبدو أنك تحبهم كثيراً".

"بالطبع، أحب عائلتى، ويجب أن يظل أفراد العائلة معاً".

"أفهم أنك تريد الاجتماع بأسرتك. لماذا لا تخرجهم الآن؟ اخرجوا كلكم معاً. دع سلاحك الآن يا سيد برينكر واخرج مع عائلتك".

"لا يمكننى فعل ذلك، أنا آسف جداً".

"ألا تخبرنى بسبب رفضك؟".

"هذا منزلى، وهذه هى الطريقة الوحيدة لكى نكون معاً، وفكرت وخططت لذلك جيداً".

دونت فى المفكرة أنه خطط لذلك ليس بشكل مندفع وأنه ليس

غاضباً بل حزيناً. قالت له: "تبدو منهكاً ومتعباً".

"فعلاً، أنا متعب جداً. لقد بذلت أقصى ما فى وسعى، ولكن لا يبدو أن هذا كاف. من المرهق جداً ألا تؤدى بما يكفى".

"أنا متأكدة من أنك بذلت قصارى جهدك، ألا تتفق معى أنه من الصعب التفكير فى اتخاذ قرارات وأنت مرهق وحزين. أريد مساعدتك يا سيد برينكر على حل المشكلة حتى تتخذ القرار السليم لعائلتك".

"لقد قمت بطلاء حجرة المعيشة، واختارت كيت اللون، ولم أحبه كان أصفر ساطعاً أكثر من اللازم وتشاجرنا حينها. هل تذكرين ذلك يا كيت؟تشاجرنا بشأن اللون فى حجرة معيشة، وتغلبت على رأيى، وطليته باللون الذى اختارته وكانت محقة فالجو مشمس بفضل هذا اللون، كانت زوجتى على حق".

دونت فيبى: "حجرة المعيشة مكان احتجاز الرهائن". ثم أحاطت العبارة بدائرة فى مفكرتها وقالت: "لقد دهنتها بنفسك؟ أنا فاشلة فى اختيار الدهان المناسب، لا يمكننى مزج الألوان جيداً. هل عشت مع عائلتك لفترة طويلة هنا؟".

"نعيش هنا منذ عشر سنوات، وهو مكان مناسب لتربية الأطفال. هذا ما فكرنا به، فالجيران طيبون والحى هادئ والمدارس ممتازة. كنا بحاجة إلى منزل أكبر لكن....".

"لقد كبرت عائلتك". قالت فيبى لنفسها إنه يكرر كلمة"عائلة"عدة مرات، وقررت التركيز عليها: "كم عدد أطفالك؟"."لدينا ثلاثة أطفال. لم نخطط لمولد بينى، لم نكن نملك الكثير من المال ...".

"وهى أصغر بناتك إذاً؟ كم عمرها؟".

"عامان".

سمعت فيبى صوت طفلة تقول بحماس: "أبى!".

"هل الصوت الذى سمعته هو صوتها ؟"سمعت بكاء ونحيبًا مكتومًا من برينكر فأردفت قائلة: "تبدو طفلة جميلة. لدى ابنة صغيرة عمرها سبع سنوات وأتساءل كيف مرت السنوات بسرعة وكبرت، وأحبها أكثر من أى شىء فى حياتى، ولكنها تشغلنى حقاً،

يبدو أن عائلتك تشغلك حقاً".

"لقد بذلت كل ما فى وسعى، ولا أعرف لماذا لم يكف هذا. لو كنت حصلت على درجة الأستاذية كى أحصل على وظيفة دائمة من عملى بالجامعة كنت سأكسب من المال ما يكفى لنحصل على منزل أكبر".

"تبدو مثبط الهمة، لابد أن الأمر صعب جداً. أليس كذلك؟ لديك ابنة أكبر سناً، اسمها جيسى، ولديك أيضاً فتى أصغر منها اسمه آرون، معك زوجتك كيت كذلك. من المؤكد أنك فخور بهم، لكنهم يتطلبون العمل الكثير، وأنا أتفهم ذلك، ويتطلبون كذلك الكثير من القلق".

"كنت أحتاج لتثبيت عملى كأستاذ جامعى، كنت بحاجة لمنصب دائم مجز. كنت أود أن تفهمنى كيت".

لاحظت أنه كان يستخدم زمن الماضى وفى صوته نبرة يأس وهذه علامات تنذر بالخطر. قالت له: "ما الذى كنت تريدها أن تفهمه يا سيد برينكر؟".

"لم أتمكن من القيام بما هو أكثر من ذلك. لقد بذلت أقصى ما فى وسعى ولم أفلح. أنا الزوج والأب المسئول عن نجاح حياتى مع عائلتى، لكن كل شىء ينهار والمركز لا يحمله".

تمنت ألا تكون قد أخطأت عندما قالت له: "عبارتك الأخيرة بيت شعر للشاعر الإنجليزى "ويليام باتلر ييتس". أليس كذلك؟".

بعد برهة من الصمت الثقيل قال: "نعم أتعرفين بعض قصائد الشاعر ييتس؟".

"نعم أعرف بعضاً، وأعتقد أنه من الحقيقى فعلاً أن الأمور تنهار فى بعض الأحيان، أو تبدو كذلك، والمركز لا يجمع شتاتها المبعثر، لكن يمكن أيضاً إعادة إصلاح الأحوال، ويمكن دعم المركز ليحمل الأمور بشكل مختلف، ما رأيك؟".

"بمجرد تهاوى الأمور فلا سبيل لإصلاحها، لن تكون الأمور كسابق عهدها".

"فعلاً، لكنها ما زالت موجودة".

"لقد انهارت عائلتى".

"لكنها مازالت موجودة يا سيد برينكر، وسمعت عن حبك لكل أفرادها ولن أصدق أنك ستلحق بهم الأذى أو تؤذيهم بإيذاء نفسك. أنت الأب المسئول".

"إن أباً فى أيام عطلات نهاية الأسبوع فقط ليستحق الموت لا الاعتراف به".

"أرى أنك مثبط العزم وحزين، لكنك لست مستعداً للتوقف عن المحاولة. لقد دام زواجك مع كيت ثمانية عشر عاماً ولديكما أطفال رائعون. لا يجب أن تتوقف عن محاولة إصلاح الحال، فأنت تحبهم كثيراً".

"لكنها لم تعد تريدنى، فما أهمية ذلك؟لقد عشنا حياتنا كلها معاً، وأعتقد أن علينا أن ننهيها معاً هنا فى منزلنا، سنموت نحن الخمسة معاً".

قالت لنفسها وهى تدون فى المفكرة: "أعتقد أن علينا أن ننهيها معاً". شعرت هذه المرة بأن الأمر دخل فى منعطف خطير، فقالت: "لتخرجوا معاً، أنتم الخمسة معاً يا سيد برينكر، أطفالك يمكننى أن أسمع بكاءهم الآن. أنت وزوجتك أبوان ومسئولان عن سلامة الأطفال".

"لم أعد أعرف ماذا أفعل".

"انظر لأطفالك يا سيد برينكر، وانظر لزوجتك، لا شىء أغلى عندك منهم، انظر للحوائط الصفراء. أنت من منحهم هذه الحجرة المشرقة، حتى إن ظننت فى البداية أن اللون غير مناسب. دع سلاحك الآن يا سيد برينكر ودع عائلتك تخرج. لقد ذكرت أنك بذلت كل ما فى وسعك، وأنا أصدقك، وأصدق أنك ستفعل ما هو لصالحكم الآن وتدع سلاحك وتحضر زوجتك وأطفالك للخارج".

"ماذا سيحدث؟ لا أعلم ماذا سيحدث".

"سوف نساعدك وعائلتك. هلا خرجت معهم الآن؟هذا أفضل شىء لصالحهم".

"لن أموت بدونهم".

"لست مضطراً للموت، هلا تركت سلاحك الآن من فضلك؟".

"أنا آسف جداً".

"أعلم ذلك، هلا أنصت لى يا سيد برينكر ؟".

"نعم، نعم".

"دع سلاحك وابتعد عنهم، هلا فعلت ذلك ؟".

"نعم، أنا آسف، حسناً".

كتبت ما يلى: "سيخرج ويسلم نفسه"، ثم أشارت لفريق العمليات الخاصة قبل أن تتابع: "سيكون كل شىء على ما يرام. هل تركت سلاحك؟".

"نعم، على الرف العلوى حتى لا تصل إليه بينى".

"كان ذلك أفضل شىء تقوم به، أريدك أن تخرج من الباب مع أسرتك. ولا تخف. لن يؤذك أحد، ولكن ارفع يديك لأعلى لتظهر لهم أنك تركت السلاح وقمت بما هو صواب. سيكون هناك شرطة بالخارج لكنهم لن يؤذوك، هل تفهم ذلك؟".

"لا يمكننى التفكير الآن".

"لا بأس، هلا أخرجت عائلتك من فضلك؟".

"لا يمكننى رفع يدى وأتحدث فى الهاتف فى نفس الوقت".

أغلقت عينيها وسحبت نفساً عميقاً وقالت: "لا بأس، لماذا لا تعطى السماعة لكيت الآن؟ثم تخرجون كلكم معاً".

"حسناً، تحدثى معها يا كيت".

قالت السيدة عبر الهاتف بصوت متحشرج: "يا إلهى!نحن فى طريقنا للخروج، ليس معه سلاح. من فضلكم لا تطلقوا النيران، لا تؤذوه!".

عندما خرجوا سرت قشعريرة فى جسم فيبى عندما سمعت بكاء الطفلة الصغيرة ونداءها لوالدها.

كان يحتسى الشاى المثلج والمحلى بالنعناع الطازج فى ما يعتبرها بمثابة ورشة. أخذ يشاهد فى التلفاز التغطية الإعلامية لأزمة الرهائن فى حى جورد ونستون.

تمنى لو أن كل الرهائن قد قتلوا.

لم يعبأ بشأن آل برينكر فهم لا يعنون أى شىء بالنسبة له، لكن لو كان أستاذ الجامعة قتل أسرته ثم انتحر، لكانت فيبى فى مأزق حرج وموقف لا تحسد عليه.

وهو ما يستحق مشاهدته فى التلفاز.

لكن إذا حدث وتلقت هى ضربة عنيفة كهذه فلن يحظى هو بفرصة للانتقام منها على طريقته.

حتى لو كان الموقف قد تأزم فستخرج من الأزمة بسهولة، حتى إن أفسدت الأمر وأطلق الرجل الرصاص على ابنته الصغيرة المنتفخة الأوداج التى ظهرت صورتها عبر التلفاز عشرات المرات.

لن تلام على ذلك، حتى وإن كانت بالفعل تستحق اللوم.

جلس على مقعده الخشبى فى الورشة ومع كوب الشاى وسمع النداء لكل سيارات الشرطة على جهاز الإرسال بينما يتناول إفطاره، وشعر بمعنوياته ترتفع للغاية، وتوقع أن حمام دم كهذا، رجل وزوجته وأطفاله، سيحظى باهتمام إعلام كبير.

كان على حق، لقد شاهد فى تلفاز ورشته التغطية الإعلامية من قلب الأحداث فى بث مباشر .

رأى فيبى تسير فى خطى سريعة أمام الكاميرا وتتجاهل الصحفيين ومراسلى الإعلام بطريقتها المغرورة التى توضح كم تشعر هى بأهمية نفسها.

فكر فى أنه يريد إطلاق الرصاص على رأسها. لقد فكر ولطالما حلم بذلك مثل الأستاذ الجامعى الذى كان يريد قتل كل عائلته بالرصاص.

لكن هذه طريقة سهلة وسريعة للغاية، رصاصة واحدة وينتهى كل شىء.

كانت لديه خطة أفضل بكثير.

ترك التلفاز مفتوحاً. وعادة كان يحمل معه المذياع واللاسلكى، لأن التلفاز يشتت انتباهه عن العمل فى الورشة، لكنه قام بعمل استثناء هذه المرة وترك التلفاز مفتوحاً.

زم شفتيه فى غضب عندما أعلن المذيع فى التلفاز أن آل برينكر فى أمان وأن السيد برينكر اللعين استسلم بهدوء.

همس لنفسه وهو يترك المفك: "لقد نزعت فتيل الأزمة مرة أخرى، أليس كذلك؟ إنها عائلة لطيفة تسكن فى حى هادئ. إنه مجرد أحمق يريد لفت الانتباه لمشكلته. نجحت مرة أخرى يا فيبى، أليس كذلك؟".

اضطر للتوقف وترك أدواته؛ لأن الغضب العارم الذى تملكه الآن جعل يديه ترتعشان. لقد اشتاق لتدخين السيجارة الآن، لكنه أقلع عن التدخين، إنها مسألة إرادة قوية وأسلوب عملى.

أراد أن يكون دمه بارداً وجسده قوياً وتفكيره سليماً وحاذقاً عندما يأتى وقت الانتقام.

ذكر نفسه بكل هذا، ولذلك أغلق عينيه وحاول بكل قوته أن يهدئ نفسه.

فتح عينيه فقط عندما سمع صوتها فى التلفاز ونظر إليها وعيناه يتطاير منهما الشرر.

قالت فيبى لمراسله التلفاز: "لقد سلم ستيوارت برينكر نفسه فى هدوء ولم يؤذ أطفاله أو زوجته".

"كمفاوضة رهائن يا ملازم ماكنامارا، كيف أقنعت الأستاذ الجامعى برينكر بالاستسلام للشرطة؟".

"أنصت إليه جيداً".

قذف كوب شاى على التلفاز، وتحطم الكوب عليه قبل أن يدرك أنه تركه من يده. تساقطت قطرات الشاى الأصفر على وجه فيبى على شاشة التلفاز.

قال لنفسه إنه سيعمل على ذلك، وسيتحكم فى نفسه؛ لأنه لن يفلح فى الانتقام إذا كان متسرعاً. ابتسم عندما رأى نهيرات من الشاى على وجهها على شاشة التلفاز وتخيلها أنهاراً من الدماء.

ولأن المشهد أعجبه، التقط أدواته مرة أخرى ليواصل عمله عندما كفت يداه عن الارتعاش من الغضب.

وعاد لمواصلة عمله فى إصلاح الساعة.

"أعجبنى بعضهم أكثر من البعض الآخر".

بعد موعد العمل، جلست فيبى مع ليز لاحتساء الشراب فى حانة سويفتيز. كان الجو مبكراً جداً للموسيقى، فجلستا فى ركن هادئ كان بمثابة واحة للاستقرار والتخلص من ضغوط اليوم.

"ماذا؟".

همت فيبى بالكلام ثم هزت رأسها بالنفى وقالت: "لم أقصد التحدث عن التسوق والأحذية".

قالت ليز: "اشتريت حذاء منذ أسبوعين، وهو حذاء رياضى خفيف ولونه كجلد النمر، ولا أعلم لماذا اشتريته. على أية حال لنتحدث عن هذا لاحقاً، ماذا عن الحادث؟لقد تحدثت كثيراً مع ضحايا الاغتصاب من النساء؛ والأطفال. وأحياناً يكون ذلك صعباً مع بعضهم أكثر من البعض الآخر. هل اكتسبت هذه المهارة أم أنها متأصلة فيك؟ إذن كيف تصرفت اليوم".

"تقصدين الأطفال؟ لا يجب أن تفكرى فى الأطفال كأطفال بل كرهائن. لكن ...".

"لكنهم أطفال".

"نعم، وفى هذه الحالة كان أساس التفاوض أن أهدئه بتذكيره كم يحب أطفاله، وكان هذا واضحًا فى صوته".

"والسؤال هو: كيف تعرضين حياة من تحبينهم للخطر وتضعينهم تحت تهديد السلاح؟".

"لأنك محطمة نفسياً من الداخل. لم يكن مختلاً عقلياً أو مجنوناً، لم يكن حتى غاضباً، لم يكن ينتقم أو يعاقب. ويمكن أن يكون الأمر أكثر عرضة للتفاقم والاشتعال عندما لا يكون متعلقاً بالعقاب والانتقام. هذا جانب يجعلنى أتعاطف معه، كان الرجل من صوته يجعلك تعلمين أنه على حافة الهوة، ولا يعتقد أنه سينجو ويمكنه التراجع أو أنه يستحق فرصة أخرى".

"ولكن لماذا يقحم أسرته فى الأمر؟".

"كان يشعر بأنه بلا قيمة بدونهم، فهم جزء لا يتجزء من تكوين شخصيته. لم يكن يريد أن يموت بدونهم وبالتالى ...". شربت جرعة من الكأس وتنهدت ثم تابعت: "انتهى كل شىء على ما يرام الآن، كان مريضاً بالاكتئاب لأكثر من عام، وأفلت منه زمام

الأمور، وتعرض عمله وحياته الزوجية للخطر. كانت الزوجة تريد منزلاً أكبر، وأرادت الابنة الكبرى سيارة خاصة بها، ثم يخفق فى تثبيت عمله فى الجامعة. وبدلاً من المقاومة والعراك أصيب بالاكتئاب وغرق فيه حتى أذنيه، وظلت الزوجة منشغلة برعاية الأطفال والمنزل لأن الاكتئاب منعه من مغادرة الفراش. ثم ملت منه فطلبت الطلاق، ولذلك قال لى: "الأمور تتهاوى والمركز لا يحمل أى شىء". لقد شعر بأنه لا يمكنه استعادة زمام الأمور".

"لقد منحته فرصة ليجرب مرة أخرى".

"نعم، حسناً، لم يكن هناك مصابون أو قتلى، السر فى أن تنصتى جيداً".

قالت ليز: "نعم، عملنا يشمل الإصغاء الجيد". ثم رشفت جرعة من الشراب.

قالت فيبى: "هل كنت تتمنين العمل بالشرطة؟".

"كلا، كنت أتمنى أن أكون مطربة ونجمة روك أند رول".

"من منا لم تحلم بذلك فى طفولتها؟".

ضحكت ليز وقالت: "كنت أعمل فى فرقة موسيقية فى الجامعة لمدة عامين".

"أحقاً؟ ما الذى كنت تفعلينه؟".

"العزف على آلة القرب". ثم أشارت ليز بإصبعها إلى حنجرتها وأردفت: "كنت أحب عازف جيتار بجنون، وكانت لدينا خطط لحياتنا معاً، وكانت من نوع الخطط التى تضعينها فى سن العشرين ولا تحدث، كانت خططاً كبرى ومبهجة. كنا نفكر فيها كثيراً".

قالت فيبى وهى تتنهد: "ما أجمل أيام الجامعة، ثم ماذا حدث لعازف الجيتار؟".

"خذلنى. لا، هذا ليس دقيقاً. لقد هجرنى بسرعة بعد أن تعرضت للاغتصاب".

"أنا آسفة".

"كنت أصف سيارتى فى ساحة انتظار السيارات عندما هجم المغتصبون علىَّ وكانوا ثلاثة أشخاص، كان اثنان منهم يضحكان كالمجانين، ومن الواضح أنهم تناولوا جرعات كبيرة من المخدرات،

وقاموا بجرى حتى مؤخرة الشاحنة، وتناوب اثنان اغتصابى، وكان الثالث يقود السيارة، ثم تركانى له لكى يأخذ دوره. لا أعلم عدد مرات اغتصابهم لى، لأننى تعرضت للإغماء بعد الجولة الأولى، ثم ألقوا بى على قارعة الطريق. ثم التقطتنى سيارة من ماركة "كروزر" وأنا فى حالة هيستيريا وملابسى ممزقة وفى حالة صدمة وأعانى من نزيف، أى فى حالة من الانهيار التام. ثم اصطحبونى للشرطة".

احتست جرعة لتبلل حلقها الجاف ثم أردفت قائلة: "حسناً، ألقى القبض على الجناة، ثلاثتهم، وأدليت بأوصافهم، وعرضوا صفوف المجرمين علىَّ، وكان أصعب موقف فى حياتى هو التعرف عليهم من خلال الزجاج. تركنى صديقى عازف الجيتار لأنه لم يتحمل الصدمة ولم يطق النظر نحوى والتعامل معى. قال إن هذا فوق طاقته. لم أعد بعدها أرغب فى أن أكون عازفة أو مطربة".

"كم سنة كانت عقوبة هؤلاء الأوغاد؟".

قالت: "مازالوا فى السجن حتى الآن". ثم ابتسمت ليز لأول مرة وقالت: "يا لهؤلاء الأوغاد الحمقى، لقد عبروا بى بسيارتهم داخل حدود "ساوث كارولينا"، ما يعنى أنهم اغتصبونى فى ولايتين، بالإضافة إلى أنهم يحملون كوكايين معهم فى الشاحنة. كانوا جميعاً من أرباب السوابق، وكان اثنان منهم لا يزالان تحت المراقبة بعد أن كتبا تعهدات فى الشرطة بحسن السير والسلوك. على أية حال، تركت الفرقة الموسيقية واتجهت لعالم تنفيذ القانون الساحر".

"خسارة للموسيقى ومكسب للشرطة".

"لنكف عن هذا الحديث، أخبرينى عن صديقك الوسيم، ما مدى علاقتك به؟".

"لست متأكدة من اسم أو شكل محدد للعلاقة". استندت فيبى وهى تفكر على المائدة بذراعيها وسندت ذقنها على كتفها وأردفت قائلة: "أنا محاطة بمشاكل العمل وأسرتى وآثار جراح زواجى الفاشل، وهو رجل وسيم وجذاب للغاية".

"لاحظت ذلك، وما مدى علاقتك به؟".

ضحكت فيبى بدهشة وقالت: "تصرين على المعرفة".

"الحب واحد من أعظم متع الحياة، خذيها نصيحة من امرأة

مثلى ترى أشكالاً أخرى بشعة للحب. لكن إن كنت تريدين عدم إفشاء أسرارك...".

قالت فيبى بصوت منخفض وهى تشعر بأنها لم تجلس مع صديقه فى سنها منذ فترة طويلة: "فى الواقع، ليلة أمس ...".

ثم أعطتها صورة مكثفة لما حدث بينها وبين دانكان فى منزله.

"لقد توقف؟كنتما منسجمين فى الشرفة الأرضية فى وضع مثير جداً، ومع ذلك توقف ؟".

"لو لم أحرك ذراعى وأصيح من الألم لتطور الأمر بيننا"، ثم حركت ذراعها المصاب بحرص لتختبر مدى حركته وقالت: "ما رأيك ؟".

"شىء مثير ورومانسى، كم رجلاً فى الحياة سيكون رقيقاً مثله؟".

"أحتاج لشهادة من الممرضة الخاصة تثبت كفاءة الحركة لكل أجزاء جسمى المصابة لكى نواصل ما بدأنا معاً، وهى بالمناسبة زوجة أخى".

"هلا تركت لى هذا الرجل بعد أن تملى منه؟كلا، أنا جادة يا فيبى، بعد إنهاء العلاقة سأحاول لفت نظره لى".

"سأفكر فى الأمر، سأعود للمنزل الآن لرعاية ابنتى، لكن فى جلستنا التالية سنناقش حياتك العاطفية".

"أنا مستعدة فى أى وقت، ويمكننا أن نتناول الفول السودانى أثناء الحديث عن ذلك فى غرفة الراحة فى القسم غداً، ربما لدى فتاك الوسيم صديق يريد صديقة".

"سأسأله".

"أخبريه أننى متاحة".

خرجت فيبى من سيارتها بينما كانت لورلى تيفانى تسير مع كلبها السخيف للغاية، وكان طوقه هذه المرة وردياً كلون الحلوى، لكنه يتناسق مع لون رداء السيدة تيفانى مع لون حذائها ذى الكعب العالى وقبعتها الصغيرة المستطيلة بلا حافة، والسترة ذات

الحزام على الوسط والبنطال القصير تحت الركبتين والضيق على فخذيها.

"مساء الخير يا سيدة تيفانى. كيف حالك وحال كلبك ماكسميليان دوفرى؟".

أخفضت نظارتها المرصعة بالماس المزيف المصنوع من الزجاج لكى تحدق إلى وجه فيبى وقالت: "سنستمتع بالتمشية فى الحديقة معاً، هل أنت ذاهبة للمنزل؟".

"نعم، هذه الأيام أتأخر كثيراً".

"لقد استعدت سيارتك كما أرى".

"بالفعل، حتى الآن، ولكنى أخشى أننى مضطرة للتخلص منها لاحقاً فى أقرب وقت".

"ذات مرة، تخلص عمى لوسيوس من سيارة من طراز كاديلاك ديفيل، بركابها، فى حقل فول الصويا خارج مدينة ميكون، أو هكذا يقولون".

"همم، لابد أن ذلك كان عملاً شاقاً بالنسبة له".

"هذا هو العم لوسيوس كما ترين لم يعترض أبداً على أن تتسخ يداه بالعمل. بالمناسبة، رأيتك اليوم فى التلفاز".

"حقاً؟ كانت مجرد مشكلة بسيطة فى جوردنستون".

"كاد المجنون يقتل عائلته كلها فى منزل به ثلاث حجرات نوم، لقد شاهدت البرنامج الإخبارى. وبما أنك ستظهرين فى التفاز يا عزيزتى فيجدر بك أن ترتدى الزى المناسب، وستفى الألوان الفاتحة اللامعة بالغرض، وأحمر الخدود. لا ينبغى أن تظهرى فى التلفاز وأنت مرهقة، أليس كذلك؟".

يا للغرابة، شعرت فيبى بالفعل بالإرهاق وهى تقف على الرصيف، بينما كان الكلب يتبول بكميات كبيرة على جذع شجرة البلوط الكبيرة وقالت: "معك حق، ولكنى لم أتوقع ظهورى فى التلفاز".

هزت إصبعها السبابة الملىء بالخواتم قبل أن تقول: "تذكرى ذلك واحملى معك أحمر الخدود دوماً وستكونين على ما يرام، وعندما تظهرين كثيراً فى التلفاز، ستجدين زوجاً، فالرجال

يحبون المرأة حمراء الخدين".

"سأتذكر ذلك. تمتعى بنزهتك مع ماكسميليان دوفرى".

واصلت سيرها عبر الرصيف وشعرت بأنها ستحتمى فى المنزل العاقل نسبياً من جنون العالم الخارجى، وسمعت السيدة ستيفانى تصيح من خلفها: "عمت مساء يا فيبى!".

نظرت خلفها ورأت رجلاً يسير بالقرب من المكان، رأته يطرق على طرف قبعته المستديرة كتحية للسيدة تيفانى، وكانت الكاميرا معلقة على كتفه الأيمن ومستقرة على خصره الأيسر على المعطف الأسود. ظنت فيبى بتراخ أنه مجرد سائح، لكنه يبدو مألوفاً لها إلى حد ما.

بما أنه رجل، حاولت تيفانى لفت نظره نحوها ومغازلته بنظراتها فى صمت.

شعرت فيبى بالرغبة فى الضحك من حركات تيفانى وواصلت سيرها. استدارت ولم تر الرجل وهو يستدير ويرفع الكاميرا ويلتقط لها صورة. استدرت عندما شعرت بقشعريرة تسرى فى ظهرها، وكان هو يسير بشكل عابر ومعتاد، وسمعته يصفر أثناء سيره بأغنية حزينة وبطيئة ومألوفة، كما بدا هو نفسه مألوفاً لها.

لم تعرف لماذا سبب لها صوت صفارته قشعريرة اجتاحت جسدها.

١٣

لـن تشـعر بالذنب لأنها سـتمارس نشـاطاً خـارج المنـزل بعيداً عن عائلتها ليلة الأحد. لن تشـعر بوخزات الضـمير، ظلت تكرر لنفسها هـذه العبارة طوال اليـوم، بداية من اللحظة التى قفزت فيها كارلى إلى فراشـها ليلـة الأحد لتظـل لبعض الوقت فى أحضـانها كعادتها صباح كل أحد.

قبلتها فيبى أثناء العناق فى شـعرها واشـتمت رائحته الجميلة، حيث كان مغسـولاً بالشـامبو ليلة أمس، وشـاهدتا معاً فيلم أطفال عـن الفتـى الشـقى الـذى حطم رءوس الدمى بمديـة أبيـه قبل أن يكتشف أمره ويتلقى عقاباً قاسياً يناسب شناعة جرمه.

كانت رأسـاهما على نفس الوسـادة والأنفان متلامسـين، وعبرت كل منهما عن استيائها وفزعها من الجـريمة الشنعاء لقطع رءوس الدمى.

تساءلت فيبى ما الذى فعلته لتحصل على ابنة مثالية وغالية مثل كارلى؟كيف لا يتسنى لها قضاء كل لحظات فراغها يومياً مع فتاتها المدهشة الساحرة الصغيرة؟

وكالعادة، تشاجرت فيبى وكارلى فى وقت لاحق ذلك الصباح حول مسألة احتياج كارلى بشدة لصندل وردى على شكل فراشة، كانت قد رأته فى كتالوج التسوق الخاص بجدتها. تساءلت فيبى كيف يمكنها المجازفة بترك صورة الصندل الضئيل الحجم تقع فى يد ابنتها لمدة عشر دقائق .

لن تشعر فيبى بالذنب.

ألن تذهب كارلى لحفل عيد ميلاد صديقتها بوبى المفضلة حالياً فى الحديقة الخلفية لمنزلها؟ألم تتطوع إيفا بتوصيلها ثم إحضارها للمنزل بعد انتهاء عملها فى متجر الزهور؟

ماذا عن الأم؟ حسناً، ستكون منشغلة بتصميم أشكال جديدة بالكروشيه والخيوط وتنظيم أدوات الخياطة. لن تلاحظ أى شىء، حتى لو ذهبت فيبى فى رحلة ليوم كامل واحد لمكان بعيد فى عطلة نهاية الأسبوع.

لم يكن هناك داع للشعور بالذنب.

لكنها تعانى من وخزات الضمير الآن رغم كل شىء وهى تتلمس خصلات شعر ابنتها الزاهية الجميلة، وتساعدها على انتقاء أجمل دبابيس الشعر. حاولت مقاومة وخزات الضمير وهى توافق كارلى على اختياراتها لألوان الدبابيس ـ بعد رفض العديد من الدبابيس ـ لكى تلائم الزى الذى ستخرج به.

تعانقتا أثناء الوقوف عند المدخل الخارجى للمنزل، ولوحت فيبى لـ"إيفا"وابنتها الصغيرة المولعة بالموضة بينما انطلقتا بالسيارة لقضاء يوم العطلة.

دخلت فيبى إلى المنزل وأخذت تبحث عن أمها، ووجدتها فى حجرة الجلوس مع الكمبيوتر الخاص بها، وكانت تضحك وهى تضغط على أزرار لوحة المفاتيح.

أدركت فيبى أن والدتها تتحدث كتابةً مع إحدى صديقاتها عبر الإنترنت؛ حيث إن الإنترنت هو الصديق المخلص للمصابين بفوبيا

الخوف من مغادرة المنزل. مالت فيبى على مقبض الباب وهى تراقب حركة أصابع الأم على لوحة المفاتيح فى رشاقة، وشاهدت عينيها تلمعان من السعادة والمتعة.

كانت شبكة الإنترنت إحدى الطرق الآمنة لأمها لتبقى على اتصال بالعالم الخارجى. ومع ذلك، كانت جاراتها تحرصن على زيارتها، هذا فضلاً عن اتصال صديقاتها القديمات بها. ليس هذا فحسب، بل كانت إيسى تدعو مجموعة من النساء على حفل شاى، ويعلم الله أنها كانت تستمتع بها بهذه الصحبة دائماً، وهو ما جعلها هى وإيفا تنظمان حفل عشاء من آن لآخر.

بالطبع، يزور أمها الكثير من الناس؛ فأهل الجنوب يحبون كل ما هو غريب عن طباع الناس، وتعد حالة إيسى بالنسبة للكثير من أهل سافانا، ممن يعرفون آل ماكنامارا، حالة غريبة ومثيرة.

كانوا يقولون: "إيسى ماكنامارا؟ كانت تحمل اسم إيسى كارتر قبل زواجها من بنيدكت ماكنامارا، وترملت قبل أن تصل إلى سن الثلاثين. يا لها من مأساة! لم تخط أية خطوة خارج منزل آل ماكنامارا فى شارع جونز منذ أكثر من عشر سنوات. فليباركها الرب. أحياناً تخرج حتى المدخل عند الباب الأمامى للمنزل، ومازالت جميلة، وجذابة، ورشيقة جداً".

بالطبع لم يشاهد أحدهم إحدى نوبات الفزع التى تنتاب إيسى، أو يشاهد صراعها لتستجمع شجاعتها لتقف فى الشرفة. لم يرها أحد وهى تبكى فرحاً وعرفاناً بالجميل عندما طلبت منها زوجة ابنها الموافقة على إقامة حفل زواجها هى وكارتر فى المنزل .

فليبارك الرب جوزى زوجة كارتر، وكذلك شبكة الإنترنت أثناء انشغالها بها. على الأقل تجلب الإنترنت لها العالم كله بين يديها طالما لا تستطيع الخروج له.

توقفت أصابع إيسى عن الحركة عندما لاحظت فيبى وقالت: "مرحباً، هل تحتاجين لأى شىء يا حبيبتى؟".

"كلا، كلا، كنت أريد فقط أن أخبرك أننى سأمارس بعض الرياضة ثم أستعد للخروج".

ابتسمت إيسى وظهرت غمازتاها وقالت: "مع دانكان ؟"

"نعم، إلى حفل شواء فى منزل أحد أصدقائه".

"تمتعى بوقتك ولا تنسى إخراج الزهور التى وضعتها فى الثلاجة الاحتياطية".

"لن أنسى".

صاحت إيسى: "ارتدى الزى الأخضر". فاستدارت فيبى ثم أردفت إيسى: "لأنه يظهر كتفيك الجميلين. لقد بذلت جهدًا خارقاً فى الرياضة لتبرزى جمالهما".

حدقت فيبى نحوها وقالت: "هل أضع أحمر الخدود ليعجب بى أى رجل ويتزوجنى؟".

"ماذا؟".

"لا شىء، سأمر عليك لتتحققى من مظهرى قبل الخروج".

هربت من مواصلة هذا الحوار بالذهاب إلى حجرة الأدوات الرياضية الصغيرة، وقضت ساعة فى التمارين العنيفة القوية وليتصبب منها العرق.

لاحقاً، وأثناء استحمامها، تساءلت هل تمارس الرياضة العنيفة يومياً منذ شهور كبديل للهرب من الكبت العاطفى الذى تشعر به. لقد بدأت تمارس الرياضة بعنف أكبر ولوقت أطول منذ ستة أشهر، أى منذ آخر مرة كانت مرتبطة فيها عاطفياً بأحدهم.

ثم تداركت خطأها وهى تغسل شعرها بالشامبو، لقد كان ذلك منذ ثمانية شهور. أم كانت عشرة شهور كاملة ؟

يا إلهى. هل مر أكثر من عام على ذلك؟ حركت شعرها المبلل للوراء وهى تحاول أن تعد الشهور المنقضية، ثم بدأ القلق يساورها.

كانت على علاقة عاطفية آخر مرة مع ويلسون، الذى كان جار صديق ابن إيفا التى رتبت المواعدة بينهما وضغطت على فيبى حتى تقبل، ثم اتضح أنه رجل لطيف كما تذكر فيبى. كان لطيفاً وله ابتسامة خجولة وذقن صغير، وكان يحب موسيقى الريف وكرة القدم، وكان على وشك الطلاق من زوجته.

استمتع كلاهما بصحبة الآخر وتواعدا عدة مرات، وقضت معه فترة ممتعة، كما تذكرت فيبى، كما كان فتى لطيفاً للغاية.

بعد ذلك تصالح مع زوجته وعاد إليها، وفرحت لأنه كان سعيداً بذلك، وسمعت أنه أنجب منها طفلاً و ...

انتظرى، اللعنة! خرجت من البانيو وأمسكت الفوطة ولفتها حول جسدها المبلل وأخذت تفكر فى ظروف انفصالها عن ويلسون اللطيف.

تذكرت أن ذلك حدث بعد عشية العام الجديد، وهو ما جعل جسدها يرتعش وينتفض.

"يا إلهى! لم أرتبط بعلاقة عاطفية مع أحد منذ خمسة عشر شهراً! ما خطبى؟". سارت نحو مرآة الحمام ومسحت بخار الماء منها لكى تتأمل وجهها وأردفت: "عمرى ثلاثة وثلاثون عاماً ولا أرتبط بعلاقة عاطفية مع أحد منذ خمسة عشر شهراً! ماذا دهانى؟".

ضغطت بيدها على بطنها وقالت ماذا لو جفت عاطفتها؟ لم يكن ذلك ليهمها كثيراً، لكن الذكرى جعلتها تشعر بالرعب ومدى التحول فى حياتها.

ماذا سيحدث لو أحبت دانكان، وبالتالى تترك تدريباتها الرياضية العنيفة (التى صار من المؤكد الآن أنها بديل للعاطفة)؟ سيزداد وزنها ويترهل جسدها وتصاب بالكسل.

ثم سيختفى انجذابه لها. ألم يعلق من قبل على جمال جسدها؟ أليس كذلك؟ وعندما يترهل جسدها ويزيد وزنها، لن ينجذب إليها وسيرسلها لصالة الألعاب الرياضية فى منزلها لكى تمارس الرياضة بشكل أكثر عنفاً.

ثم تعود للرياضة كبديل للعاطفة، ثم تقابل رجلاً آخر يجعلها تدع الرياضة ثم يتركها لتعود للرياضة، وهكذا، فى دورة لا تنتهى، حتى تموت مع عاطفة جافة داخلياً وجسم رياضى ممتاز خارجياً.

اللعنة! إنها بحاجة للعلاج النفسى.

سرت بمظهرها فى المرآة ولفت الفوطة حول شعرها، قبل أن تمد يدها لتمسك بكريم الجسم المرطب الذى لا تستخدمه سوى للمناسبات الخاصة. يجب أن ينتهى عهد الظمأ العاطفى الذى دام لمدة خمسة عشر شهراً.

ذكرت نفسها بأنها لا تحب العلاقات العابرة مع أى رجل، فهى ليست عاهرة وهذا واضح تماماً. فلطالما رفضت تودد زملائها من

الشـرطة ومن أعضـاء كادر النيابـة والمحامين وغيرهـم؛ لأنها تعلم أنها إن ارتبطت عاطفياً مع شخص من محيط عملها، فإنه سينفضح أمرها للجميع، مما يقلل من فرص تعرفها على الرجل المناسب.

وفى الحقيقة، كانت هى التى قامت بالمبادرة للفت انتباه ويسلون اللطيف إليها، لأنها كانت معجبة به ومستمتعة بمواعدته والخروج معه. وقبل عشية العام الجديد، لم تعرف رجلاً منذ ...

كلا، كلا، لـن تحصـى شـهور الحرمـان العاطفـى قبـل لقائهاب"ويلسون"وإلا ستصاب بالجنون.

كانـت تنتقـى مـن تريـد إقامـة علاقـة معـه فحسـب وهـذا فى صـالحها، أليـس كذلك؟ كانت تنتخـب وتنتقى من تواعـده، وتدقق الاختيار أكثر فيمن سترتبط به عاطفياً؛ فلديها كبرياؤها وقيمها، والأهم من ذلك مراعاة مشاعر ابنتها.

لكنهـا تفكـر الآن كثيراً فـى الحـب وتسـتغرق فـى التفكير فيه أثناء الاسـتعداد لحفل شـواء يوم الأحد. يا للأسى؟هذا الأمر يدعو للرثاء.

نظـرت لنفسـها نظرة متفحصـة ومتأنية مرة أخـرى فى المرآة. سـواء كان الأمر يدعو للرثاء أم لا، ستضـع المزيد من أحمر الخدود وترتدى الزى الأخضر اللعين.

اسـتغرقت وقتـاً أطول من المعتاد لكى تتزيـن، ولكن ليس بطول الوقت الذى تسـتغرقه كارلى المولعة بالموضـة وهى ذاهبة لحفل فى الحديقـة الخلفيـة لمنـزل إحـدى صـديقاتها، لكنـه وقـت أطول من روتينهـا اليومـى المعتـاد فـى الاعتناء بجمالهـا. كانـت أولى مكافآت جهدهـا لتزيين نفسـها هى ابتسـامة كبيرة من إيسـى عندما وقفت فيبى أمامها فى حجرة الجلوس.

كانـت إيسـى قـد تركت الثرثـرة عـبر الإنترنت وبـدأت تمارس الرسـم، ولكنهـا توقفت عندمـا ظهرت فيبـى بأناقتهـا وبهائها أمام الباب وقالت لها: "ما رأيك؟".

"رائع، تبدين فى غاية الروعة يا فيبى!".

"ألم أبالغ فى هندامى وزينتى؟".

"كلا، إنـه زى بسـيط يـا حبيبتـى، ومثـالى لحفل شـواء فى يوم

الأحد، ومظهره ممتاز عليك. تبدين فى أفضل صورة ومثيرة جداً فى الوقت نفسه".

"هذا هو المزيج الذى أردته بالضبط للانطباع الذى أود تركه لدى الآخرين. سيكون دانكان هنا خلال دقائق على ما أظن، سأذهب لإحضار الزهور من الثلاجة. هل تحتاجين لأى شىء منى قبل أن أخرج؟".

"كلا، شكراً، تمتعى بوقتك".

"سأفعل. سأعود قبل موعد نوم كارلى ولكن ...".

"إن لم تعودى قبل ذلك، سأصطحبها للفراش أنا وإيفا، لا أريدك أن تقلقى بشأن الوقت".

وعدت فيبى نفسها بأنها لن تقلق بشأن الوقت ولن تنظر إلى الساعة، وستدع كل الأمور تسير حسب إيقاعها الخاص، وستستمتع بوقتها وبمعرفة أن مظهرها رائع ومثير فى هذا الزى الأخضر الأنيق الذى يكشف ذراعيها وظهرها، لقد بذلت مجهوداً عنيفاً فى الرياضة لتبرز جمال جسدها.

نزلت عبر السلم ودخلت إلى المطبخ الصيفى. فى أيام العمة بيسى، كان هذا المطبخ يستخدم يومياً بشكل روتينى، وخاصة للحفلات الفخمة التى كانت تقيمها ببذخ، ولتعليب وحفظ الخضراوات وإعداد الوجبات البسيطة فى ليالى الصيف الحارة. والآن، يستخدمونه من فترة لأخرى بشكل عشوائى، ولكن الثلاجة الثانية كانت دوماً متاحة وجاهزة لتخزين المشروبات الباردة الزائدة. أخرجت فيبى من الثلاجة زهور الزنبق الصفراء كلون الزبد، وكانت قد اختارتها من الحديقة كهدية لمضيفتها صاحبة حفل الشواء.

قررت أن الليلة ستكون رائعة، ثم استدارت لتتأمل بإعجاب زهور الحديقة التى تعبت إيفا فى رعايتها.

حدقت فيبى وفتحت فمها عندما وجدت جثة فأر أسفل درجات السلم، وذلك قبل أن تصبح: "يا إلهى!"

اضطرت لكتمان التقزز وانحنت لتنظر إليه عن قرب. لا شك فى أنه فأر ميت، لكنه لا يبدو كأنه قد دهس كما توقعت. خمنت أن القطة أمسكته وتلاعبت به حتى ملت منه وتركته فى الحديقة

كهدية غير مرغوب فيها للجيران.

إن كانت ستخمن سبب موته، فستقول إنه الزنبرك الحاد لمصيدة الفئران جرح رقبته. تراجعت وارتعشت من الفكرة .

قالت: لابد أنها مزحة سخيفة من أطفال الجيران أن يلقوا بفأر ميت عبر الحائط من سور الحديقة.

عادت لداخل المنزل وبحثت عن علبة أحذية قديمة وأحضرتها مع المكنسة اليدوية، وأدخلت الفأر بالمكنسة داخل العلبة وهى تقاوم شعورها بالتقزز، ولم تخجل من نفسها وهى تبعد عينيها عن الجثة وتحمل العلبة لصندوق القمامة.

ارتعشت وهى تعود من صندوق القمامة إلى داخل المنزل بسرعة، وغسلت يديها بدقة الجراحين قبل العمليات وهى توصى نفسها طوال الوقت ألا تكون سخيفة، فهى لم تلمس هذا الشىء البشع.

بالكاد استقرت على مقعد داخل المنزل حتى سمعت جرس الباب، وهدأ من روعها ابتسامة دانكان الكبيرة الساحرة الأخاذة التى تدل على إعجابه بمظهرها.

"أهلاً، تبدين رائعة!".

"أهلاً بك".

"هل هذه الزهور لى؟".

وضعت الزهور بين مفصل ذراعها وهى تغلق باب المنزل خلفها وتقول: "بالتأكيد لا، بل لمضيفتنا أو مضيفنا صاحب الدعوة، لم تحدد لى أرجل هو أم امرأة؟".

"بل مضيفة. كيف حال كتفك؟".

"إنه يتحسن شكراً لك". ثم رمقته بنظرة تدل على تذكرها لما حدث بينهما فى منزله وأردفت قائلة: "إنه يتحسن لدرجة أننى مستعدة لممارسة المصارعة".

"أثناء عملى فى الحانات، كنت أعرف فتى روسياً ذراعاه نحيلتان للغاية ولم يهزمه أحد فى المصارعة، ولا أظنه كان يدفع ثمن ما يحتسيه من شراب". فتح لها الباب ثم أردف وقال: "بالمناسبة، عطرك رائحته رائعة".

قالت: "بالفعل".

ثم ضحكت ودخلت إلى السيارة، ومالت نحوه قائلة: "أخبرنى عن صديقتك التى ستستضيفنا".

"إنها أفضل صديقة لدى، إنها رائعة وعظيمة، ووالدة أفضل أصدقائى، وهو بالمناسبة المحامى الخاص بى".

"يا للروعة، أفضل أصدقائك هو محاميك".

"قابلت فين لأول مرة عندما كنت أعمل سائق تاكسى، ومن النادر أن يستقل أهل سافانا تاكسياً كما تعلمين بما أنك تعيشين هنا، وكنت عائداً للخط عند الهيلتون لأترك التاكسى بعد الوردية لأن الجو كان ممطراً، ورأيته ورآنى وأشار لى وقال إنه يريد الذهاب للمحكمة وإنه فى عجلة من أمره. ولاحقاً، علمت أنه محامى تحت التمرين وطلبوا منه إحضار أوراق مهمة. على أية حال، أوصلته وعندما فتح محفظته ليدفع لى وجدها خاوية".

"يا إلهى!".

"وشعر بالإحراج الشديد، وأحيانًا يحاول الناس خداعك بهذه الحيلة الرخيصة، ويلفقون هذه القصة أو غيرها. لكن لدىَّ مقياس جيد للناس، وعلمت أن إحراج هذا الرجل حقيقى، واعتذر لى كثيراً، وكتب اسمى ورقم التاكسى من رخصة القيادة، وأقسم أنه سيأتى إلى فى شركة سيارات الأجرة ليدفع الأجرة والبقشيش. ثم تركته يمضى لحال سبيله".

قالت فيبى وهى مستمتعة: "قصة محتملة الحدوث فعلاً".

"تركته يمضى وقلت إننى لن أراه مجدداً، من الصعب أن يأتى لشركة سيارات الأجرة بسبب أجرة لا تتجاوز الثمانية دولارات".

"ولكن؟".

"نعم، ولكن عندما انتهت ورديتى ليلاً وجدته قد جاء وأعطانى عشرين دولاراً، واندهشت لمجيئه وللبقشيش السخى لأنه أعطانى عشرين دولاراً فى توصيلة لا تستحق سوى ثمانية دولارات. أخبرته أن عشرة دولارات تكفينى، وشكرته لأنه أصر على دفع العشرين دولار ولم يتراجع عن موقفه، فقبلتها ودعوته على الشراب فى الحانة بالعشرة دولارات الزائدة".

"ومن يومها صرتما صديقين حتى الآن".

"نعم".

"توضح القصة معدنكما الأصيل". نظرت حولها لترى أنهما فى حى سكنى راق فى شوارع وسط المدينة وقالت: "لقد نشأت هنا حسناً، قضيت جزءاً من طفولتى هنا. كان لدينا منزل لطيف على الجانب الآخر من شارع كولومبوس درايف".

"هل هذا يثير ذكريات جميلة أم مؤلمة؟".

"أوه، كلاهما، لكنى كنت أحب هذا الحى، واختلاط الطرز والمنازل والأطفال هنا فى كل مكان".

توقف عند ممر مزدحم بالفعل لمنزل جميل على طراز الحرفيين، وله حديقة أمامية كبيرة ومنسقة ومهذبة الحشائش وبها أحواض زهور على الحواف. قال دانكان: "أنا أيضاً أحب هذا الحى".

دار حول السيارة ليفتح لها الباب ويتناول يدها، بينما سمعت هى صيحات وصراخ الأطفال، والهدير المنتظم لمحرك آلة جز الحشائش، وشمت رائحة زهور الفاونيا ورائحة اللحم المشوى على شواية الحديقة الخلفية.

لقد نشأت فى جو مشابه ومماثل لهذا، فى أولى سنوات عمرها، ثم تغيرت حياتها تماماً.

انفتح الباب الزجاجى الأمامى بصوت قوى وبهيج، وخرجت من المدخل عند البوابة امرأة سمراء جميلة وجذابة وكانت فى الشهور الأخيرة من الحمل وبطنها منتفخ، وشعرها معقود على شكل جدائل طويلة رفيعة لامعة.

انطلق ولد من خلفها يرتدى أغطية واقية على ركبتيه وصاح وهو يقفز نحو دانكان: "دانك! دانك! التقطنى!"ثم اندفع نحوه فى الهواء.

بدا على دانكان أنه معتاد على هذه اللعبة والتقط الولد فى الهواء وقلبه رأساً على عقب وقال: "هذا الكائن الغريب الذى ترينه الآن يا فيبى هو إليس".

"كيف حالك يا إليس؟".

"رائع! افعلها ثانية يا دانك".

قالت السيدة السمراء: "دع دانكان يدخل يا إليس تايلر قبل أن

تتقافز حوله".

رغم أن الولد كان مقلوباً رأساً على عقب، فإنه حرك عينيه فى كل الاتجاهات وقال: "حاضر يا أمى". ثم ابتسم ابتسامة واسعة عندما تركه دانكان على الأرض برفق.

قال الولد: "ادخل يا دانكان، لدينا فطائر بالكرز، تفضلى بالدخول يا سيدتى"ثم انطلق إلى الحديقة الخلفية.

قالت السيدة: "يحب ابنى الترحيب بالضيوف. لابد أنك فيبى، أنا سيليا. أتمنى أن تكونى جائعة". ثم رفعت خدها ليقبله دانكان وتابعت: "أعلم أنك جائعة".

قال دانكان: "كم فطيرة بالكرز لديكم اليوم ؟".

"انتظر قليلاً". ثم صاحت للجميع وهى تصطحبهما إلى داخل المنزل: "لقد حضر دانكان!".

أدركت فيبى أنها عائلة كبيرة جداً، بكل الأحجام والأعمار: رضع، أطفال، مراهقين، رجل عجوز يسمونه العم والتر، رجال، نساء، وضجيج منزلى حميم.

كان معظمهم مجتمعين فى الحديقة الخلفية ومنتشرين على المقاعد وعلى الحشائش، ويطارد بعضهم الأطفال ويدفعونهم على الأرجوحة الحمراء الكبيرة الزاهية. وقف رجلان عند الشواية لإعداد الطعام، وأخذوا يراقبون الدخان المتصاعد منها بمتعة كبيرة وكأنها صورة مثيرة فى مجلة .

قدرت فيبى أن المنزل يحوى خمسة أجيال مختلفة، لكن مركز القوة الجاذبة هى السيدة التى تشرف على الشباب ممن يجرون مائدتى الطعام معاً ليكونوا بهما مائدة واحدة كبيرة.

كانت تبدو سيدة مريحة وحنوناً، وكأنها تدعو كل طفل لحضنها ليرتاح ويشعر بالأمان. كان وجهها الرشيق وعيناها الغائرتان وأنفها القوى وكذلك فمها الممتلئ مع الخصلات السوداء المتناثرة الطويلة، كلها أوصاف توحى بمدى روعتها كأم رؤوم .

كانت تضع يديها على خصرها الممتلئ المستدير، وكان هناك كلب أصفر كبير يركض وراء قط رمادى بسرعة، فضحكت للمنظر وتراجعت برأسها للوراء واهتز جسدها الممتلئ من الضحك.

ثم توجهت للرجل العجوز وتحدثت معه بلغة الإشارة، فأدركت فيبى أنه أصم. ضحك الرجل وأشار لها أيضاً .

التف ذراع دانكان على كتفى فيبى، وعندما نظرت له مبتسمة رأت أنه ينظر للمرأة الضاحكة، وفى وجهه علامات الحب المتناهى غير المشروط، وكذلك فى عينيه الزرقاوين.

جال بخاطرها فجأة أن تلك اللحظة فريدة من نوعها فى الحياة، وشعرت بالرعب قليلاً، هذا ليس مجرد حفل شواء فى الحديقة الخلفية .

كان عليها أن تقاوم رغبة استبدت بها فى أن تركض كالقطة عندما قادها دانكان إلى الأمام وقال: "هذه الأم بى !".

احتضنته بى أولاً وطوقته بذراعيها فى عناق قوى، وعندما تركته تحسست خديه قائلة: "مازلت نحيلاً وأبيض البشرة".

"وأنت مازلت حب حياتى".

ضحكت وترجرج جسمها من شدة الضحك، ونظرت نحوه بحنان ثم استدارت لتنظر نظرة متفحصة نحو فيبى .

"هذه فيبى ماكنامارا أيتها الأم بى، وهذه فيبى يا بياتريس هيكتور".

"تسرنى مقابلتك سيدة هيكتور، شكراً لك على استضافتى".

غمزت لدانكان وقالت: "لقد أحسنت أمها تربيتها". ثم قالت لفيبى: "مرحباً بك هنا، هل أحضرت لى الزهور؟أنا أعشق الزنابق فعلاً، شكراً لك". ثم تناولتها بين يديها كالطفل الصغير فى المهد وأردفت: "يا لها من زهور فاتنة. أحضرى المزهرية الزرقاء يا تيشا لوضع الزهور، تلك المزهرية التى أهدتها لى آرنيت فى عيد الأم، ستجدينها عن يمين الخزانة تحت طبق التقديم الكبير، إنها مناسبة للزنابق".

جاءت تيشا الفتاة المراهقة لتناول الزهور، وقدمتها بى لـ"فيبى"، فنظرت نحوها تيشا بنظرة ثاقبة وكأنها تقيمها ثم نظرت لدانكان بشوق.

قالت بى: "العم والتر أصم نتيجة إصابته فى حرب كوريا". ثم أشارت له باسم فيبى فضحك وأشار لها فقالت: "إنه يقول إنك

أجمل من آخر فتاة اصطحبها دانكان النحيل الأبيض إلى هنا".

ابتسمت فيبى وأشارت له بالشكر بلغة الإشارة وقالت: "أعرف بعض الإشارات بلغة الصم والبكم مثل"شكراً"و"وداعاً"و"أهلاً".

"يمكنك التحدث معه بشكل عادى فهو يقرأ لغة الشفاه إن تحدثت إليه مباشرة وببطء، لكنه غالباً ينام لمعظم الوقت. هذه زوجة ابنى الثانى فين وتدعى لو ...".

صاحت لو وفيبى فى نفس الوقت: "أعرفك !".

"أنت الملازم ماكنامارا".

"وأنت لوزى هيكتور، من وزارة العدل، يا له من عالم صغير!".

"يبدو أنه كذلك، تقابلنا من قبل بالفعل، أهلاً بك فى منزل حماتى".

"بما أنكما تعرفان بعضكما البعض، أحضرى شراباً لـ"فيبى"وقدميها لباقى العائلة". ثم رفعت وجهها نحو الموائد وقالت: "يجب إحضار الطعام على المائدة هنا".

قالت فيبى لنفسها إن هذه فرصة سانحة لتشغل نفسها حتى تندمج مع الجو الاجتماعى، فقالت: "هلا سمحت لى بالمساعدة؟"."لا يحمل الضيوف الأطباق هنا، فهذا للعائلة، احضر المقاعد يا دانكان".

"حسناً يا سيدتى، هل أحضر الشراب لفيبى أولاً؟".

قالت لو: "سنهتم بهذا الأمر". ثم قادت فيبى بعيداً عنه وقالت: "ماذا أحضر لك؟".

قالت فيبى لنفسها إن الشراب سيجعلها أكثر جرأة فى الموقف الاجتماعى، فقالت: "أى شىء متاح".

انتهى الحال بـ"فيبى"بكأس مثلج من شراب الكروم الأحمر وعدة أسماء كثيرة اضطرت لترتيبها أبجدياً حتى تتذكرها.

ثم سارت مع لو عبر الحديقة ذات أحواض الزهور المبهجة على الحواف والشجيرات الكثيفة. قالت لو: "لم أظن أن فيبى التى تحدث عنها دانكان هى نفسها الملازم من وحدة الرهائن والأزمات فى قسم شرطة المدينة. أنا آسفة لسماع ما حدث لك منذ أسبوعين".

"أنا بخير الآن".

"حسناً، تبدين بخير. يروق لى زيك. دعينى أقدمك لخبراء الشواء. هذه فيبى ماكنامارا، وهذا أخو زوجى زاكرى، وهذا زوجى فينياس. احترسا لأنها شرطية".

"بل أنا خارج وقت عملى الآن". ثم رفعت كأسها نحو وجهها لكى تتجنب الدخان المتصاعد بكثافة من الشواية.

قال زاكرى: "هلا توسطت لى لعدم دفع مخالفات السرعة؟"، ولكن فين سدد له قبضة فى ذراعه وقال: "لا تكترثى له".

"أنا لا أمزح، حصلت تيشا على مخالفتين أول هذا العام". ثم أرسل زاكرى ابتسامة واسعة إلى فيبى وقال: "لنتحدث عن هذا الأمر بعد أن تتناولى الدجاج المشوى من يدى، وهكذا سترضين عنى".

قالت فيبى: "دجاجك؟".

قال فين: "أيها الولد، إنك لا تستطيع حتى أن تسلق بيض هذه الدجاجة، أليس كذلك يا لو ؟".

"فعلاً".

قال زاكرى لـ"فيبى"وهو يشير إليهما بإبهامه: "لا مهرب منهما، فكلاهما محام".

قالت فيبى: "المحامى ذو المحفظة الخاوية ؟".

ضحكت لو ضحكة عالية وقالت: "لن تتخلص أبداً من تلك الحكاية القديمة، أبداً !"ثم هزت كتفيها ووسطها وحركت إصبعها نحو زوجها.

قالت فيبى: "القصة توضح إحساسه القوى الداخلى بمعنى الشرف". فابتسم فين ابتسامة واسعة كشفت عن أسنانه البيضاء.

قال لزوجته: "تعجبنى فيبى، دعيها لى وارحلى".

صاحت فتاة صغيرة ذات ضفائر عند أذنيها وهى تركض نحوهم: "أمى! القط هيرو لم ينزل من أعلى الشجرة! اجعليه ينزل".

"سينزل عندما يستعد لذلك، قومى بتحية السيدة ماكنامارا يا ليفر".

"أهلاً وسهلاً، كيف حالك ؟".

"أنا بخير، كيف حالك أنت ؟".

"لم يهبط قطى من فوق الشجرة".

"القطط تحب الأماكن العالية".

"لماذا ؟".

"لتشعر بأنها أعلى منا".

"لكن ويلى قال إن القط سيقع وتتحطم رقبته ويموت".

قالت لو: "تعرفين يا ليفى أنه قال ذلك ليغيظك". ثم شدت ضفيرة ابنتها وأردفت: "انتظرى حتى نعد الغداء ونضع الدجاج على المائدة، وسيهبط القط بسرعة ليتناول طعامه. اذهبى الآن للاغتسال، لأنه حان وقت الطعام".

قالت الطفلة لـ"فيبى": "هل أنت متأكدة من أن القط يحب البقاء فى مكان مرتفع؟".

"بكل تأكيد". ثم شاهدت الفتاة تركض مبتعدة فسألت: "كم عمرها؟".

"ستكمل عامها السابع فى شهر يونيو القادم".

"لدىَّ طفلة عمرها سبع سنوات أيضاً".

صاحت الأم"بى"عبر الحديقة: "ألم تنتهوا من الشواء بعد؟!"

قال الرجلان: "أوشكنا على الانتهاء يا أمى". وشرعا فى وضع الدجاج المشوى على طبق التقديم.

كان هناك مع الدجاج سلاطة بطاطس ولوبيا وفول وكرنب وخبز من الذرة وسلاطة الكرنب. مر بـ"فيبى"عدة أطباق يمنى ويسرى، وانطلقت المشاحنات بروح الدعابة والنكات والمزاح والمداعبات مع مرور الأطباق. سمعت فيبى قصصاً عن تاريخ العائلة، وظهر دانكان فى كثير منها. سادت أصوات صياح الأطفال وتذمرهم وشكواهم من بعضهم البعض، وانتقل الرضع بين الأيادى مثل الأطباق.

قارنت فيبى بين موقفها الحالى وحال عائلتها الصغيرة محدودة العدد، وسيادة الأصوات الأنثوية وقت الوجبات فى منزل آل ماكنامارا. يا لـ"كارتر"المسكين، دوماً لا يسمع صوته.

لم يكن فى عائلتها رجل عجوز فى حفلة شواء فى الحديقة ينام

من كثرة الضجيج على مقعده، أو طفلان يتبارزان بالذرة.

خرجت فيبى من تيار تفكيرها وثرثرت مع سيليا عن أطفالها كان لديها طفلان وحامل فى الطفل الثالث. ابتسمت فيبى إلى ليفى التى بادلتها الابتسام عندما هبط القط من الشجرة ليتناول نصيبه من الطعام.

تناقش دانكان مع فين بحماسة عن كرة السلة، وكان حوارهما غير الهادئ يشمل تحريك الشواء والملاعق لتأكيد الأفكار وتبادل الإهانات، فتجاهلهما الجميع.

عندما تماديا فى الإهانات، أدركت فيبى أنهما ليسا مجرد صديقين، بل هما أخوان أيضًا، مهما كان اختلاف الخلفية الثقافية والنشأة ولون الجلد. كانا أكثر من أخوين، كان شجارهما وتراشقهما بالكلمات يشبه مشاحنات الإخوة إخوة الدم والقلب.

أدركت أنها فى حفل شواء مع عائلة دانكان.

هذه ليست لحظة مهمة فحسب، بل لحظة تاريخية بالنسبة لها.

قالت بى: "هل أنت قريبة الآنسة إليزابيث ماكنامارا التى كانت تعيش قبل وفاتها فى شارع جونز ؟".

انقطع حبل أفكار فيبى ونظرت إلى عيون بى الغائرة مباشرة وقالت: "نعم، إنها عمتى. هل كنت تعرفينها ؟".

"بل أعلم الكثير عنها".

شعرت فيبى بشد فى عضلات الكتف لأن نبرة بى فى الحوار أوضحت لها كم كانت لا تحب العمة بيس، كانت عادة أهل سافانا أن يكرهوا كل أفراد عائلة من يكرهونهم.

قالت بى: "كنت أعمل كعاملة نظافة عند السيدة تايدبير فى شارع جونز، حتى ماتت منذ اثنى عشر عاماً تقريباً".

"لم أعرف عنها سوى اسمها فقط".

صاحت بى: "كانت فى خصام مع الآنسة ماكنامارا، عمتك".

"نعم أذكر العداوة بينهما، شىء متعلق بلجنة نادى البستنة تقريباً". كان صراع بين العائلتين قد حدث قبل انتقال فيبى للمنزل. وبمرور الزمن انقطعت الصلة بين العائلتين، ولم يكن مسموحاً لمن يعيش فى منزل آل ماكنامارا بأية علاقة مع آل تايدبير.

"كنت أنظف لدى السيدة تيفانى رغم وجود خدم خاص بها، لكنها كانت تستعين بى وقت الحفلات والولائم. هل مازالت على قيد الحياة ؟".

استرخت فيبى مرة أخرى وقالت: "نعم، ومازالت ترتدى ألواناً زاهية". شعرت بأن هذا الموضوع أخف وطأة من موضوع عمتها.

"كانت متزوجة للمرة الرابعة عندما كنت أعمل لديها".

"تزوجت مرة واحدة بعدها وتسعى حالياً للسادس".

"لكنها لم تغير اسمها أبداً رغم كل متاعب زيجاتها، واحتفظت باسم تيفانى.

قالت فيبى: "إنه اسم زوجها الثانى، مهما تعددت زيجاتها فإنها تحتفظ باسمه لأنه يجلب سمعة شهيرة كما تقول".

اهتزت شفتا بى وقالت: "لم تحب عمتك السيدة يتفانى، أليس كذلك ؟".

"لم تحب أحداً أبداً فى حياتها ... كانت امرأة مختلفة".

"شخصياتنا لا تتغير أبداً، رأيت أمك عدة مرات، أنت تشبهينها تماماً".

"إلى حد ما، لكن ابنتى صورة طبق الأصل من جدتها".

"لابد أنها جميلة جداً، أرسلى تحياتى لأمك".

"سأفعل، وأظنها ستسر لسماع ذلك، فهى مغرمة بـ"دانكان".

"نحن جميعاً هنا نحبه أيضاً". مالت نحوها أثناء شجاره مع فين وقالت: "ما مدى علاقتك به؟".

قالت فيبى تحت تأثير الشراب أو بسبب شعاع عينى بى الغائرة: "دانكان؟ مازلت أريد أن أحدد طبيعة علاقتى به".

ضحكت بى ضحكة عالية بسعادة وربتت على كتف فيبى بيدها الغليظة وقالت: "لقد أحضر إلى هنا فتيات كثيرات قبلك".

"أتوقع ذلك بالفعل".

"لكنه لم يحضر فتاة أعجبتنى أبداً من قبل إلا اليوم".

احتست فيبى جرعة أخرى من كأسها وقالت: "أوه، إذاً لقد اجتزت الاختبار بنجاح؟".

ابتسمت بى ودقت بيدها على المائدة وصاحت: "هيا، لنحضر

حلوى الآيس كريم والفطائر، لكن لنرفع الأطباق من المائدة".

أثناء مشاركة الجميع فى رفع الاطباق، قالت بى لـ"فيبى"وهى تنظر إليها: "لماذا لا تشاركيهم فى رفع الأطباق من المائدة ونقلها للمطبخ ؟".

فهمت فيبى أنها تعتبرها الآن من العائلة.

أنهت فيبى الليلة بوداع دانكان أمام مدخل منزلها وقالت: "لن أتمكن من دعوتك للدخول". شعرت بخدر لذيذ يسرى فى جسدها عندما صافحها دانكان وضغط على يدها برفق ثم أردفت: "هذه عبارة سطحية تعنى أننى لن أصطحبك للداخل بسبب وجود أمى وابنتى".

قال لها: "إذن متى اللقاء ؟"ثم ضغط على يدها مرة أخرى مما عذبها وعذبه، وقال: "وأين؟".

أشارت نحو المنزل وقالت: "أنا ... لا أعرف. أنا لست صعبة المراس ولا أتصنع الخجل، فأنا أكره هذه الكلمة، بل ليس هنا بسبب أمى وابنتى، الأمور هنا معقدة".

"لماذا لا تتناولين العشاء معى فى منزلى ؟".

أخيراً.

"هل ستطهو بنفسك ؟".

"كلا، سأطلب بيتزا جاهزة حتى تتفرغى لى".

"أحب البيتزا".

"إذن متى؟".

"لا يمكننى غداً .. مضطرة إلى ..."كانت بحاجة إلى وقت للتفكير بالطبع، يجب أن تكون عملية وحريصة فقالت: "ليلة الثلاثاء، سآتى لك بعد وقت العمل طالما ...".

"طالما لم يحاول أحد الانتحار من فوق السور أو يحتجز الرهائن، فهمت، إلى اللقاء يوم الثلاثاء، ماذا تريدين مع البيتزا؟".

"اجعلها مفاجأة لى".

"أخطط لذلك، إلى اللقاء، ليلة سعيدة يا فيبى".

"حسناً، انتظر". طوقت رقبته بذراعيها وودعته وداعاً حاراً ثم تابعت: "حسناً".

دخلت منزلها مباشرة قبل أن يجن جنونها وتفعل شيئاً مثل اصطحابه معها إلى داخل المنزل. شعرت بإثارة كبيرة جراء وداعه الحار لها. اعترفت أنها تترقب بكل شغف حلول يوم الثلاثاء القادم وبكل حماس.

لم تذكر متى كانت آخر مرة شعرت بالدوار والانجذاب العاطفي تجاه أي رجل ولم تذكر من هو. كل ذلك يخبرها عن مدى الكبت الذى كانت تعانيه طيلة الشهور الماضية.

سمعت صوت التلفاز فى حجرة العائلة وسمعت أيضاً ضحكات كارلى، عرفت أن موعد نومها لم يحن بعد، وأرادت لحظة واحدة أو اثنتين بمفردها قبل أن تنضم إليهم فى الحجرة بعد أن تختفى من وجهها الابتسامة السعيدة التى أشعرتها بأنها بلهاء.

ولأنها كانت ليلة جميلة، فتحت فيبى النافذة فى حجرتها، وسرعان ما سيتم غلق كل النوافذ بإحكام لتشغيل مكيف الهواء وصد هواء سافانا الحار صيفاً.

قررت تبديل ملابسها وارتداء ملابس النوم قبل الانضمام لعائلتها أمام التلفاز.

كانت تخلع ملابسها حتى صارت بملابسها الداخلية عندما سمعت صوت الصفير. جاء الصوت من النافذة المفتوحة، مما جعلها تشعر بالبرد وسرت قشعريرة فى جسدها.

إنه نفس الصفير، لنفس اللحن، للرجل صاحب الكاميرا. استحضر ذهنها ذكرى صورة الرجل الوحيد على شاطئ النهر فى شارع ريفر، ليس من المعقول أن يكون نفس الرجل، أليس كذلك؟ شعرت برغبة قوية فى رؤية هذا الرجل، فارتدت الروب وفتحت باب الشرفة ونظرت عبر الشارع، لكن الصفير كان قد توقف.

لم يكن هناك أحد يسير على الرصيف الأبيض العريض لشارع جونز.

١٤

دائمـاً ما تذكرها الأصـوات النسـائية بأصـوات الطيور السـعيدة. سمعت فيبى هذه الأصوات المرحة كالتغريد صادرة من المطبخ وهى تتجه صـوبه لتتناول قهوتها الصـباحية. تعجبت فى دهشة وسعادة مـن سـماع صـوت كارلى العالى الحاد السـريع، لكنهـا لاحظت أن ما يجرى ليس الروتين المعتاد لصباح يوم الاثنين.

كانـت الطفلة تحب المدرسـة حقـاً، لكن نادراً مـا كانت تحب أول يوم دراسى فى الأسبوع.

لكـن عندمـا دخلـت فيبـى المطبـخ ووجـدت ابنتها تقـوم بعرض أزياء، فهمت سـر سـعادة ابنتهـا وحالتها المزاجية العالية، فلا شـىء يسعدها أكثر من ارتداء ملابس جديدة.

كانت تسـير كعارضة الأزياء وتستعرض سترة من اللون الأزرق

الباهت من نسيج رقيق جعل فيبى تشعر بأن السترة مصنوعة من السحاب، بطريقة التفافها حول كتفى كارلى وذراعيها وخصرها.

وعندما استدارت كارلى استدارة عارضة الأزياء التى تدربت عليها، ورأت أمها صاحت:

"انظرى يا أمى!لقد طرزت لى جدتى هذه السترة الجميلة!".

قالت فيبى: "أنها رائعة". ثم وضعت طرف إصبعها على كم الرداء وشعرت أن ملمسه كالسحابة واردفت: "أنت تدللينها أكثر من اللازم يا أمى".

"هذه مهمتى، لكن الرداء مجرد عينة، هذا ما أطلق عليه اسم إعلان السوق. سأصنع بعضاً منه للكبار، لكنى قلت سأبدأ بمقاس الأطفال".

"قالت جدتى إنها ستصنع لى حقيبة من نفس اللون".

قالت إيفا وهى تعطى القهوة لـ"فيبى": "استسلمى يا فيبى، لن تتمكنى من هزيمتهما، ماذا لو تناولت إفطاراً ساخناً؟".

"كلا شكراً، تكفى شطيرة واحدة".

قالت لها إيفا وهى تمد لها سلة مليئة بالكعك: "ماذا عن واحدة من هذا؟لقد خبزتها هذا الصباح".

تناولت فيبى واحدة وقضمت منها وقالت: "أنتما بهذا تفسدان كارلى. تناولى إفطارك يا كارلى، سأوصلك للمدرسة فى طريقى للعمل".

"من المفترض أن نوصل بوبى وشيرلين اليوم أيضاً". كانت فيبى تعلم ذلك فى مكان ما فى ذاكرتها، فقالت: "حسناً، أعلم ذلك".

قالت إيفا: "يمكننى توصيلهم بدلاً منك".

"كلا، لا داعى، شكراً. بالمناسبة، دعانى دانكان للعشاء غداً، أرجو ألا يكون هناك مشكلة".

رأت فيبى أن إيسى وإيفا تتبادلان النظرات التى توضح تفهمهما للموقف من خلف كارلى التى كانت تضع رقائق القمح فى الطبق.

"ماذا هناك؟".

قالت إيسى وهى تبتسم ببراءة: "لا شىء، بالطبع لا توجد مشكلة فى هذا، أنت مدينة لى يا إيفا بخمسة دولارات".

قالت فيبى: "هل تراهنتما علىَّ ..."، ثم لاذت بالصمت لأن عينى كارلى كانتا مثبتتين عليها ومليئتين بالتساؤلات قبل أن

تقول: "هل هو رفيقك الآن يا أمى؟".

"أنا كبيرة الآن، ولا تصلح معى هذه التسمية".

"لكن أم صديقة لى تسمى سيلين لديها صديقان فى وقت واحد، وتتبادل أوقات الخروج معهما لدرجة أنها تنسى مع أى واحد منهما خرجت بالأمس".

"سرعان ما سيعلم الرجلان أنها تواعدهما فى نفس الوقت ويعاقبانها. لا داعى لتكرار هذا الكلام السخيف، سأتناول العشاء مع مجرد صديق وليس رفيقًا". قالت لنفسها إنها ربما ترتبط بعلاقة عاطفية حميمة معه.

ولكن ثمة أمرًا ما يقلقها الآن.

قالت إيفا: "أفتقد إحساس أن يدعونى أحد على العشاء، ونجلس متقابلين لمدة ساعتين ونتحدث. هل ستذهبان لمطعم أنيق وفخم؟".

قالت لها: "كلا، سنأكل بيتزا".

"هذا شىء لطيف ويليق بالصداقة الحميمة".

قالت كارلى بحماس وترقب وبصوت حاد: "أنا أحب البيتزا".

شعرت فيبى بالذنب، ثم قالت لنفسها إنها ستشبع نفسها عاطفياً أولاً ثم ترضى ابنتها بسهرة أخرى كنوع من التعويض. قالت لابنتها: "حسناً ...".

قالت إيسى لتسعفها: "نحن لدينا ليلة أسبوعية لتناول البيتزا معاً كما تذكرين". ثم أمسكت إناء العصير وصبت منه فى كوب كارلى وهى تبتسم ابتسامة العارف ببواطن الأمور .

قالت فيبى لنفسها إن أمها أنقذتها من الإحراج بتصرف جيد، وقالت لها إيسى: "لابد أن ندعو دانكان للعشاء لاحقاً لتردى له الدعوة يا فيبى".

"أوه ... أنا ..".

"أعنى عشاء عائلياً، لقد ذكرت لى أنه دعاك المرة الأخيرة عند من يعتبرهم عائلته. يجب أن تردى الدعوة له، اسأليه عن الليلة المناسبة بالنسبة له".

"سأفعل". قالت لنفسها إن الأمر يزداد تعقيداً ولا تعلم لماذا. ألا تتمكن امرأة ناضجة من إقامة علاقة عاطفية بسيطة ؟

الإجابة كانت بالطبع "كلا" وخاصة مع وجود أم وابنة وسيدة في مقام الأخت الكبيرة يعشن معها في نفس المنزل.

"إنه إفطارك يا كارلي، لا نريد التأخر على المدرسة. أريد أن أسأل هل تعرفان أي جار جديد انتقل لهذا الشارع؟".

قالت إيفا وهي تصب المزيد من القهوة لـ"فيبي": "جاءت ميري ابنة ليزيت ومورجان لزيارتهما ومكثت معهما ويبدو أن "الزيارة" المزعومة هي حيلة لإخفاء انفصالها عن زوجها الذي يخونها. كما أحضرت ديلي بورتر مربية فرنسية لأطفالها التوأم، فليكن الرب في عونها على هؤلاء الأشقياء!".

قالت إيسي: "وهل ستعود ديلي للعمل ؟"

"كلا، لكن المربية الفرنسية ستثقف أطفالها كما قالت، مما سيمنحنها أيضاً بعض الوقت للعمل الخيري التطوعي. لكن الجميع يعلم أن عملها التطوعي هو التسوق ستة أيام في الأسبوع".

"كلا، أعني هل انتقل رجل جديد للحي؟".

ضحكت إيفا قائلة: "هل ستواعدين رجلين في وقت واحد ؟".

هزت فيبي رأسها بالنفي وضحكت للفكرة وقالت: "بالطبع لا، ظننت أنني رأيت وجهاً جديداً في المنطقة فقط، هذا هو كل شيء". قالت لنفسها إنها حتى لم تر وجهه إلى الآن، ثم تابعت: "كان يصفر بلحن أعرفه، وعلق بذهني ولكنني لا أعرف اسمه".

همهمت فيبي بنفس اللحن فقاطعتها إيسي قائلة: "إنه لحن موسيقى تصويرية لفيلم قديم اسمه "في منتصف الظهيرة". تعلمين أنني أحب مشاهدة الأفلام القديمة، وهذا اللحن للموسيقى التصويرية من هذا الفيلم، بطولة "جاري كوبر" و"جريس كيلي" وكانت البطلة رائعة وجميلة حقاً، وكان البطل وسيماً للغاية وكانت تغني بصوت رخيم ورائع أغنية "لا تهجرني يا حبيبي".

"معك حق، هذا هو الفيلم الذي كانت به الأغنية واللحن، يا له من لحن قديم لأن يصفر به أحد اليوم، حسناً". قالت لنفسها إن هذا يفسر جزءًا من لغز هذا الرجل الغامض، ثم قررت طرد باقي الوساوس من رأسها وقالت: "لنتحرك الآن يا كارلي".

بمجرد دخولهما السيارة، قالت فيبي لـ"كارلي": "هل يضايقك

خروجى مع دانكان أو غيره بالفعل؟".

"كلا، لكن لماذا تخرجين معه مادمت تقولين إنك أكبر من علاقة صداقة وأن يكون لديك رفيق من الرجال؟".

لقد أصاب السؤال الهدف مباشرة. قالت فيبى: "أعنى أن مصطلح"رفيق"لا يناسب امرأة ناضجة وكبيرة مثلى". امرأة مطلقة ومعها طفلة،"بل أعنى أنه مجرد صديق فقط".

"أم سيلين كانت تتباهى برفاقها من الرجال، وكانت تعرف ثلاثة رجال فى نفس الوقت و ....".

"أنا لست مثلها، ولا أوافق على أن تتحدثى عن أمور الكبار هكذا".

"لكن أم سيلين تحكى لصديقاتها وسيلين تسمعها وتحكى لنا".

سحبت فيبى نفساً عميقاً وبدأت تقود السيارة وقالت: "هل سيلين متضايقة من سلوك أمها؟".

"كلا، فهى تحب جليسة الأطفال التى تجلس معها وعمرها خمسة عشر عاماً، وتشاهدا التلفاز معاً وتضعان الماكياج، كما أن رفاق الأم يجلبون لها الهدايا ويذهبون لأماكن فخمة وأحياناً يصطحبونها معهم".

ضحكت فيبى قائلة: "فهمت قصدك وتفكيرك الآن، أنت فتاة مادية لا تفكر سوى فى متع الحياة".

سمعت كارلى هذه الكلمات قبل ذلك من فيبى وابتسمت وقالت: "لا أطلب الهدايا لكنى لست طماعة إن أردت الذهاب لأماكن فخمة وأنيقة أليس كذلك؟تقول جدتى إن علىَّ أن أشكر من يعطينى أية هدية حتى إن لم ترق لى، وهذا هو السلوك المهذب، أليس كذلك ؟".

"أنت لئيمة جداً ومتحذلقة، يا كارلى آن، مما يجعلنى فخورة بك".

عادت فيبى من مهمة إقناع شخص كان يوشك على الانتحار بالعدول عن قراره، وتحولت محاولة الانتحار إلى حركة سخيفة تدعو للرثاء لجذب الانتباه، لتجد سايكس يلوح لها من أمام حجرة الضباط.

"هناك محقق من النيابة ينتظرك فى مكتبك أيتها الملازم".

"محقق من النيابة العامة فى مكتبى ؟".

"نعم، جاء منذ خمس دقائق".

"شكراً". كان يجب أن تعرف أنه سيأتى، لكن هذا لن يقلل من سخافة الأمر.

كان المحقق بلاكمان أبيض الشعر وأسود البشرة وفى الخمسينات من العمر ولديه بطن كبير، ووجهه أحمر وممتلئ وله يدان نحيلتان وجافتان.

"آسفة يا سيدى المحقق لأننى تركتك تنتظر. هل حجزت موعدًا سابقًا معى اليوم ؟".

"لم تجعلينى أنتظر، أردت الحوار معك بشكل غير رسمى حالياً. إن كنت تحبين الحوار الرسمى سأرتب لذلك الأمر".

تظاهرت فيبى بالأدب والسلوك المهذب لنساء الجنوب، والذى كان يسعفها فى هذه المواقف وقالت: "لا أعلم إن كنت أفضل ذلك أم لا، الأمر متعلق بأن أحصل على فكرة عامة عن الموضوع الذى سيدور حوله الحوار".

"إزاء اتهامات وأقوال الضابط ميكس ضدك".

"لم يعد ضابطاً الآن كما تعلم جيداً".

"كان كذلك عندما اتهمك كما تعلمين جيداً، أتمنى أن تكونى قد شفيت من جراحك".

"نعم شفيت تماماً، شكراً لك؟وطالما أننا نتحدث بشكل غير رسمى، هلا احتسيت بعض القهوة ؟".

"كلا شكراً، لا أريد شيئاً. هل أوقفت ميكس عن العمل قبل أن يهاجمك؟".

"نعم".

"وما أسباب إقدامك على هذه الخطوة ؟".

ثبتت على وجهها ابتسامة تدل على التعاون وقالت: "هل تريد نسخة من ملف الواقعة؟لقد لخصت فيه هذه الأسباب".

قال لها: "لدىَّ نسخة بالفعل".

ابتسمت أكثر وقالت لنفسها إنه عجوز لئيم وقالت: "إذاً ماذا؟".

"يعترض ميكس على أسباب إيقافه عن العمل".

تراجعت للخلف فى مقعدها وأزالت الابتسامة من على وجهها وقالت بنبرة حادة: "يعلم كلانا أنه انتظرنى فى الظلام وهاجمنى، وتعلم الاتفاق المبرم، وأن أرنولد ميكس لديه مشاكل مع السلطة والتعامل مع الرتب الأعلى وخاصة من النساء، علاوة على مشاكل التحكم فى الغضب. لماذا نناقش هذا الأمر الآنَ ؟".

ظلت عينا بلاكمان تركزان على عينيها وقال: "إنه يتهمك بإقامة علاقة مع كابتن ديفيد ماك فى، رئيسك".

بالكاد كبحت جماح غضبها العارم حتى لا تتفاقم الأمور التى يجب أن تهدأ بسرعة وقالت: "قال ذلك لى فى مكتبى وفى وجهى مباشرة".

"أليس هناك علاقة شخصية بينك وبينه ؟".

"نعم، بكل تأكيد، علاقة شخصية وأفلاطونية، منزهة عن أى أغراض دنيئة. أعرفه وأحترمه منذ عشرين عاماً، وإذا نظرت لتاريخ عملى ستعرف كيف تعرفت عليه".

"لقد تركت العمل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية لتعملى تحت إمرته".

"فعلت ذلك لأسباب عديدة ومتنوعة، وليس منها ما هو ضد اللائحة أو سبب غير إخلاقى. لقد عملت فى هذا القسم لمدة سبع سنوات وسجلى ناصع البياض، وسمعتى وسمعة كابتن ديفيد ماكفى فوق مستوى الشبهات. هذه اتهامات باطلة من ضابط سابق سيئ السمعة يكلله العار، والذى كان رد فعله لتأديبى له هو أن يضربنى ضرباً مبرحاً".

نفخ بلاكمان الهواء من خديه وكانت أول علامة يفعلها بوجهه الصارم كما لاحظت فيبى، وقال لها: "أظنك تجدين الحوار كريهاً".

"كريهاً؟ أيها المحقق بلاكمان، هذا الحوار يبدو لى كشرطية وكأمرأة ممقوتاً وبغيضاً".

"لاحظت ذلك. قال ميكس إنك راودته عن نفسه فاستعصم ورفض، فانتقمت منه وأسأت استغلال سلطتك".

قالت لنفسها إنها سمعت كفايتها من الإهانات، وقالت: "سمعت هـذه الشـائعات الحقيرة، لم أحـاول حتى التودد إليه بأى شـكل من الأشكال، يمكنك أن تصدقه أو تصدقنى، لك الخيار فى ذلك، أعرف أن آل ميكس وتاريخهـم القديم فى الشـرطة يمارسـون الضـغوط على النيابة لتواصل التحقيق".

"هناك شكاوى محررة ضدك وضد ماك فى".

"فكر فى مصـدرها، وفكر فى خدمة ماكفى للمدينة لأكثر من خمسـة وعشرين عاماً، ولا يستحق سـجله الناصع البياض اتهامات من حقير كآرنى ميكس ...".

"أيتها الملازم ...".

"لم أنتـه مـن حـوارى بعـد، ضـع مـا سـأقوله فى تقريـرك عن حـوارك معـى، ففى رأيى المهنى والشخصـى أن ميكس حقير وكاذب يحـاول إخفاء سـلوكه الإجرامـى المخزى بتدمير سـمعة رجل طيب وشرطية ممتازة مثلى".

ثـم نهضـت قبل أن تتابع: "اخرج من مكتبـى، فلدى الكثير من العمـل. وإن أردت الحـوار معـى ثانيـة، فسـيكون الحـوار رسـمياً فى حضور المحامى الخاص بى".

"الأمر متروك لك".

"بالتأكيد هو كذلك، وداعاً يا سيد بلاكمان".

اعترفت فيبى على مضض بعد مرور خمس وأربعين ثانية أنها متضـايقة فعلاً وتشـعر بالإهانة إلى درجة يستحيل معها العمل، أو حتى التظاهر بأنها تعمل.

أمسكت حقيبتها وخرجت من المكتب بخطوات واسعة وقالت بعد أن رأت نظرات الفضـول لدى الضـابط: "لقد أضاع وقتى الثمين". ثم قالت للسكرتيرة الجديدة: "سأعود بعد ساعة".

كان يجب أن تسـير بمفردها؛ فهى تعرف نفسها جيداً وتعلم أن الهواء الطلق والتمرين بالسـير بخطوة سريعة هى الأمور اللازمة لهـا لكى تهدئ أعصـابها. سـارت بسـرعة قبـل أن تقـول أو تفعل أى شـىء قد تندم عليه لاحقاً، وغادرت المبنى مباشرة، وكأنها تهرب من فيبى الشرطية إحدى شخصياتها المتعددة.

ليتهـا اختـارت عملاً أسـهل مثـل مجال علـم النفس، ألم تفكر فيه من قبل؟ لكن رغم هذا، كانت تفكر فى أن تصـبح شرطية طوال سنوات الدراسة والخيارات المتاحة.

كانت تعلم أن عملها مصدر قلق لأمها وسبب لها ليالى من الأرق أكثر مما ينبغى، وأنه عمل لا يصلح لأم بلا زوج لطفلة تحتاج إليها. لم يكـن خيـاراً ذكياً فعـلاً، فلديها أسـرة تعولها وكانت سـتعولها إن عملت فى أى عمل معتاد بدلاً من سـهر الليالى فى عملها كشـرطية الذى يحرمها من وقت أطول مع أفراد أسرتها.

الآن مـا الـذى جنته مـن عملها؟أن يتهمها الرجـل الذى تعدى عليها بالضـرب بأبشع التهم؟أن يتم استجوابها على اتهامات باطلة وجراحها لم تندمل نهائياً بعد؟

لقد تقبلت من قبل عدم تصعيد الأمر للمحاكم وقبلت الاتفاق وعدم التشهير وحفظ ماء الوجه حتى لا تضطر للذهاب للمحكمة وتكرر سرد كل الأحداث مرة أخرى.

لكن كيف ستقبل ما قيل لها اليوم؟

سألت نفسها هل هناك خيارات الآن؟اتجهت لميدان "شيبوا" وقالت إنها قد تقدم استقالتها فحسب، لكن هل من المعقول أن تخسر اثنى عشر عاماً من التدريب والخبرة والعمل الشاق؟

بوسـعها أن تطلـب تحقيقـاً موسـعاً عـن الواقعـة بشـكل رسـمى وتفضح الجميع على عكس من لا يريد التشهير، وتتذكر أن الكرامة أقل أهمية أحياناً مما يجب أن يحدث.

جلسـت علـى أريكـة خشـبية كالتـى جلـس عليها "فورسـت جامب" لكى ينتظر الحافلة فى الفيلم.

همست لنفسها: "اللعنة على الجميع".

لكنهـا الآن صـارت هادئة. مـن الجيد أنها قالـت كل ما بداخلها للوغد بلاكمان عندما كانت عصبية، لقد وقفت وأظهرت له أنه لن يتعـدى على حقوقها، ولا بأية سياسـة أو عائلة عريقة فى الشـرطة وما تتمتع به من علاقات، أو أى شخص يتصدى لها.

سـوف تدعه يعبث ويبحث عن أخطائها، فليس لديها ما تخفيه ولم تخطئ.

كانت ستعود للعمل، لأن هذا ما يجب أن تفعله، ولم يكن الخيار الوحيد المتاح، بل هذا هو ما تريده حقاً.

لكنها ستجلس هنا لمدة خمس دقائق مثل "فورست جامب" وتشاهد العالم يدور من حولها، فمهما كان العالم مضطرباً ومشوهاً، فإنها فى النهاية تنتمى لهذا العالم.

لاحظت فيبى أن هناك امرأة قد جلست على الأريكة بجوارها، كانت ترتدى قبعة شمس بيضاء صغيرة تخفى تحتها شعرها البنى الجميل المتجعد. كانت تضع أحمر شفاه بلون الخوخ المثير وكان فمها ممتلئاً ومعبراً، وتخفى أرجلها الطويلة تحت رداء شفاف وخفيف لونه أبيض، وأضافت لعناصر إثارتها صندلاً كعبه عال وله رباط طويل.

غالباً ما يزور سافانا نجوم هوليوود، لكن مازال من الغريب وغير المعتاد أن تجلس على أريكة بجوارك فى الحديقة "جوليا روبرتس" الممثلة، وخاصة أن "جوليا" لها تفاحة آدم بارزة ويدان كبيرتان حقاً.

قالت المرأة بصوت هادئ وبطيء وعال ورنان، كأى امرأة من الجنوب فى سافانا: "أتمنى ألا يزعجك جلوسى إلى جوارك؛ فهذا الحذاء يسبب لى آلاماً مبرحة فى قدمى".

"لا أمانع على الإطلاق فى جلوسك هنا. وبالمناسبة، حذاؤك رائع".

رفعت قدميها لتظهر لها جمال الحذاء، وحركتهما يمينًا ويسارًا وقالت: "شكراً جزيلاً لك! رأيت الحذاء فى متجر جيزبيل ولم أقاوم فكرة شرائه. لدى نقطة ضعف للموضة والتسوق، منذ أن رأيت الحذاء فى نافذة العرض شعرت بأننى لن أعيش بدونه".

ابتسمت فيبى وتذكرت كارلى؛ لأن ابنتها سوف تتفهم هذه المشاعر جيداً.

"لكن الحذاء لا يصلح للسير. وبالمناسبة، أنا لست جوليا روبرتس". رفعت النظارة الشمسية الأنيقة وقالت: "يظن الكثيرون أننى هى، فأنا أشبهها فى الكثير من الصفات".

"بكل تأكيد".

"عدا أنها متزوجة ولديها أطفال رائعون، وأنا لم أتزوج بعد".

غمزت بعينيها وقالت وهى تمد يدها بالمصافحة: "أنا مارفلا ستار".

"وأنا فيبى ماكنامارا".

"أعتقد أننى رأيتك من قبل يا فيبى أتذكر أننى رأيت شعرك الرائع، رأيته من قبل. أنا أسير عبر الحديقة يومياً تقريباً، والحديقة بالقرب من قسم الشرطة كما تعلمين".

"بالطبع أعلم ذلك".

"أحب رجال الشرطة بزيهم المميز، وخاصة عندما يركبون الخيول". ثم تنهدت مارفلا بتشوق وقالت وهى تميل نحو فيبى وتضع يدها على قلبها: "أنا بلا صديق الآن، وأعمل فى ملهى ليلى يسمى "شيفو"، هل ذهبت إليه يا عزيزتى ؟"

"كلا".

"يجب أن تذهبى إلى هناك ليلاً لتشاهدى العرض. ونظراً لعملى على مسرح العروض، أنام بالنهار وأستيقظ ليلاً، لكنى أتمشى فى الحديقة عصر كل يوم". ثم وضعت يدها فى حقيبتها الكبيرة وأخذت حلوى بونبون الليمون وقالت: "هلا تناولت الحلوى معى ؟".

"شكراً".

تناولتا الحلوى كصديقتين منذ زمن طويل وشعرت فيبى بتحسن لم تشعر به طوال اليوم.

قالت مارفيلا: "هل تعيشين هنا ؟".

"كلا، أعمل هنا، أنا شرطية فى قسم هذا الحى".

قالت مارفيلا وهى تطرق بخفة على ذراعها: "لا تمزحين!هل تقولين الصدق؟أريد أن أرى سلاحك".

شعرت فيبى بالسعادة والمتعة وهى تظهر لها الشارة والسلاح حول خصرها عن طريق رفع السترة، فصفرت مارفيلا فى إعجاب.

"يا إلهى، أهناك شرطية بمثل هذا الجمال. لم أكن لأخمن ذلك، لكن المظاهر خادعة وما بداخل الإطار الخارجى هو المهم".

"نعم، كلانا يعلم ذلك".

"ألا تعرفين شرطياً. يحب مواعدة امرأة مثلى".

"إن لم يجدك أى شرطى، ستكون خسارة كبيرة له".

"يا لك من فتاة لطيفة!".

"إن صادفت شرطياً يجب مواعدة أمثالك من النساء، فسأرسله إلى ملهى"شيفو"وستتولين أمره".

"إنها الحقيقة الراسخة يا عزيزتى فيبى".

وبينما كانت فيبى جالسة فى مكانها، قام هو بالتقاط صور لها. يا لها من مكافأة!لم يتوقع رؤيتها الآن تتمشى نحو الميدان وحدها مرة أخرى. لكن ها هى، وعيناها خلف النظارة الشمسية. تمنى لو رأى عينيها، لكن لا يزال الأمر مفاجأة غير متوقعة، كان يتمشى بلا هدف، وفجأة ظهرت هى أمامه.

كانت تسير بسرعة كمعظم الأمريكيين؛ خطوات سريعة طويلة مع اهتزاز الخصرين. كانت مثيرة بزى الشرطة، وهو متأكد من هذا، كان من دواعى سروره أن يراها تسير غاضبة جداً.

تساءل هل أعجبتها الهدية التى تركها لها أم لا، من سوء حظه أنه لم يبق ليرى رد فعلها عندما رأت الفأر الميت.

لكن مع كل هذا، سيحظى بوقت كاف معها ليعرفها ويراها وتراه وجهاً لوجه.

لم يعرف ما الذى كانت تثرثر فيه هى والمرأة غريبة الأطوار بجانبها، لكن توقفها لكى تتحدث معها أعطاه الوقت لالتقاط المزيد من الصور، ولا شك أنها لن تنتبه له وهو يلتقط الصور لانشغالها بالحديث.

عندما قامت وسارت مبتعدة، أرسل لها قبلة فى الهواء وقال: "أراك لاحقاً يا حبيبتى".

انتظر ديف حتى قرب نهاية وقت العمل ليستدعى فيبى. كان يتحدث عبر الهاتف عندما دخلت مكتبه، فأشار لها بالجلوس وهو يقول فى الهاتف: "سأتولى هذا الأمر. أقدر لك ذلك، سأعاود الاتصال بك".

ثم وضع السماعة ودار بمقعده قليلاً نحو اليسار وهو يتفرس وجهها وقال: "سأتحدث معك لمدة دقيقة، فمن المؤكد أنك تريدين

العودة للمنزل بسرعة".

"أداء الفروض المدرسية مع كارلى بمثابة اختبار لأعصابى وصبرى وعدم اليأس. بحلول يوم الإجازة، يكون الأمر سهلاً، لكن مع بداية الأسبوع نسقط ضحايا يومى الإجازة لنبدأ من جديد. هل هناك مشكلة أيها الكابتن ؟".

"هل جاء لك محقق من النيابة العامة؟".

"نعم".

"علمت أنه ضايقك للغاية".

"نعم".

"لن يؤدى هذا لأى شىء يا فيبى. فكما تعلمين، آل ميكس لديهم اتصالاتهم وأصدقاؤهم لدى الشرطة ومجلس المدينة، ومن المهم لهم الحفاظ على ماء وجههم".

"إذاً نتلقى أنا وأنت اللطمات على وجهينا ونسكت".

"آسف على إهانات المحقق لك التى زادت من جراحك، لكنك ستتكيفين مع الموقف كعهدى بك".

"فكرت فى الاعتزال والعمل فى مجال علم النفس كمعالجة نفسية أو مستشارة مشاكل الزواج". توقفت عندما شاهدت شفتيه ترتعشان ثم أردفت: "لكنى فكرت فى سجلى هنا ولفظت الفكرة وفكرت فى اللجوء لساحر الفودو لإلقاء بعض اللعنات على آل ميكس، مازلت أوازن بين مزايا وعيوب مثل ذلك التصرف".

"دعينى أعلم عندما تقررين ذلك، الأمر بمثابة دخان بلا نار يا فيبى، مجرد شائعات".

"لكن الدخان يترك آثار الاتساخ والبقع، وقد يقتل. ألم تنتبه لحوار الرقيب ميكس ؟".

"لقد حاول إخافتك فقط. لقد جعل ابنه حارس أمن كعمل بديل عن الشرطة، وهذه إهانة كافية لآرنى، ووالده الذى رأى تاريخ عائلته فى الشرطة ينهار ببشاعة على يد ابنه الطائش، ويحاول تسوية الأمر لإنقاذ ماء وجهه".

دار بمقعده مرة أخرى عندما لاذت هى بالصمت وقال: "مادمت ملتزمة بموقفك، فلن يتمكن من أن يؤذيك مهما حاول،

عودى للمنزل وانسى الأمر، يكفى مواجهة فروض المدرسة وجدول الضرب والقسمة المطولة".

قالت لنفسها إنه لا داعى ولا طائل من النقاش، وخاصة فيما يتعلق بحقها وموقفها، فقالت له: "اليوم يكون لدى كارلى واجب المفردات وهى ماهرة فيه، ولا تحب تدخلى فى واجبها. ماذا ستفعل أنت ؟".

"سأنتهى من عملى وأعود للمنزل لاحتساء شراب الشعير وتناول عشائى بمفردى".

"لماذا لا تتناول العشاء معنا و ..".

توقفت عندما رأت تعابير الرفض الحازم على وجهه وشعرت بالحزن والغضب يعتملان بداخلها وقالت: "هل ترفض من أجل شائعات غبية وسخيفة؟ألن نكون أصدقاء بعد الآن ؟".

"بالطبع نحن أصدقاء ولا شيء سيغير ذلك أبداً. لكن للمصلحة العامة، من الأفضل ألا نظهر معاً خارج نطاق العمل يا فيبى حتى تنقشع الشائعات والدخان، وعندما ينتهى لن يلطخ سمعتنا يا فيبى".

"إذاً سأفكر جدياً فى موضوع سحر الفودو".

ابتسم لها بطريقته المعهودة الهادئة التى تنم عن الصبر، والتى تحبها جداً وتعتمد عليها وقال: "لنؤدى عملنا على أكمل وجه. وبالمناسبة، أديت عملاً رائعاً فى إحباط محاولة الانتحار فى الجامعة اليوم".

"كانت قضية وهمية. ذكر التقرير أن الطالبة فى الجامعة المشتركة حبست نفسها فى حجرة نومها وكان معها سكين ومسدس وعلبة حبوب، وعندما أقنعتها بالخروج بعد التفاوض، لم يكن معها سوى مقص المانيكير ومسدس صغير بلا رصاص وعلبة أسبرين".

"كان من الممكن أن يكون معها سكين كبير ومسدس محشو بالرصاص وعلبة سم، وأنت تعلمين ذلك، ورغم ذلك أقنعتها بالخروج، وهذا هو المهم. عودى للمنزل الآن".

شعرت وهى تخرج وتسير نحو سيارتها بأنها تعتمد على

نجاحاتها فى عملها لكى تواصل الحياة.

قررت إيفا أنه من الغريب جداً أن صديق فيبى الذى سيتناول معها العشاء الليلة استدعاها ليقابلها فى هذا المكان.

لم تكن متأكدة من سبب موافقتها على مقابلته الليلة، ربما أخلاقه أو الفضول، أو سحره وجاذبيته الأخاذة، ربما كل هذا. اعترفت بذلك أثناء سيرها فى المكان المحدد فى شارع ويتيكر.

قررت ألا تذهب بالسيارة؛ فإيجاد مكان لها بمثابة كابوس، ولن تتمكن من التفرج على واجهات المتاجر من داخل السيارة بكل تأكيد.

كانت تحب الفرجة على واجهات المتاجر جداً وهذا ما يدلل ويفسد كارلى، كما تعترف دوماً بينها وبين إيسى.

على أية حال، المكان ليس بعيداً، وسافانا رائعة وجوها بديع فى أبريل.

كانت تعشق هذه المدينة ومنزل آل ماكنامارا كان منزلها بالفعل فى قرارة نفسها، أكثر من منزلها الخاص الذى تحبه، والذى يقع فى حى شاتهام الغربى، وكانت الحياة فيه مثالية كما تظن مع زوجها الناجح وابنها الصغير اللطيف، وحتى كلبها الذهبى الصغير البديع.

لكن بعد ذلك انهارت المثالية بعد خيانة زوجها لها عدة مرات، بينما لم تكن تعلم هى، وكذبت كل الإشارات الدالة على خيانته، وصارت هذه الإشارات كصفعات على وجهها.

وبالتالى، عادت لمنزل آل ماكنامارا بدون زوجها والكلب. كانت تفتقد الكلب، كما كانت تقول لنفسها وهى تستمتع بذلك، وكانت ممتنة أن لها مكاناً تؤوى إليه وتكون نافعة لها وللآخرين ولابنها حيث يمكنه العيش بأمان.

كانت تتمنى ميتة بشعة لزوجها الخائن، كأن يموت فى حادث سيارة مشتعلة أو قطار يصدمه، كانت تدعو عليه دائماً بهذا.

وكان ذلك سيشعرها بكثير من التحسن.

غرقت فى بحر أفكارها وكادت تتجاوز المنزل، مكان اللقاء.

"يا إيفا!".

توقفت ونظرت إلى دانكان القادم من سلم منزل متهالك قديم.

نسيت متعة الفرجة على واجهة المتاجر وقامت بتقييم الرجل الماثل أمامها بحسها الأنثوى، وقالت لنفسها إنه لا عجب فى افتنان فيبى به، فهو عينة مثالية للذكور، ببنية جسمه القوية وشعره المبعثر وابتسامته الساحرة الأخاذة.

ورغم أنها تعرف أنها ليست خبيرة فى عالم الرجال، فإنها كانت تعلم من هيئته أنه سيكون رجلاً ممتعة صحبته جداً بالنسبة لـ"فيبى"، ولأية امرأة أيضاً.

قالت له: "أنا آسفة، كنت شاردة الذهن قليلاً. هل هذا هو المنزل الذى اشتريته والذى أخبرت إيسى عنه؟".

نظر للمنزل وكأنه ينظر لأقرب أقاربه الذى يحبه وقال: "نعم. يحتاج إصلاحه لعمل كثير".

"بالتأكيد".

كانت نصف النوافذ مغلقة بألواح الخشب، والشرفة الأرضية لدى الباب الأمامى متهاوية الأركان مثل طقم أسنان قديم، والدهان أو ما تبقى منه منفلت من الخشب بلون أصفر باهت يدعو للغثيان.

قالت له: "العمل هنا مناسب تماماً لك".

"هذا نصف متعته، وأردت التحدث معك بشأن ذلك".

"عن ماذا؟".

"ألقى نظرة عن قرب، درجات السلم سليمة". سحب يدها وقادها لأعلى السلالم وقال: "كلها درجات سليمة بنائياً، لكنها تحتاج لترميم بسيط فقط لتصبح كالجديدة".

"بل الأمر يحتاج لمعجزة يا دانكان لتجديد كل هذا المكان".

"حسناً، سيحتاج لترميم كثير، لكن لدىَّ أفكار كثيرة فى هذا الشأن، وخاصة تنسيق الحديقة الجميلة. حديقة منزل آل ماكنامارا بديعة، وعلمت أنك التى اعتنيت بها".

"أقوم بمعظم العمل فيها". ثم سحبت زجاجة مياه معدنية من

حقيبتها وقدمتها له.

"هل تحملين الماء فى حقيبتك؟".

"يمكننى افتتاح محل خردوات بما أحمله من أشياء كثيرة صغيرة فى حقيبتى، لا أعلم كيف يسير الرجال بمجرد الجيوب فقط، هلا أخذت الزجاجة؟معى غيرها".

"كلا، شكراً، كنا نتحدث عن البستنة".

احتست جرعة من الماء ولاحظت الأعشاب والحشائش الضارة التى نمت وطغت وتشابكت بشدة فى الحديقة الأمامية وقالت: "فعلا، إيسى تساعدنى قليلاً كل فترة، وفيبى بالكاد لديها متسع من الوقت لنزع الحشائش الضارة كل فترة، لكنى أقوم بمعظم العمل لأننى مغرمة بالبستنه".

"أنا أيضاً أحب البستنة".

نظرت إليه وهى تبتسم ثم قالت: "أحقاً ؟".

"اكتشفت حبى للبستنة عندما بدأت أمارسها فى المنزل الذى أعيش فيه. لست سيئاً فى البستنة، لكنك أفضل منى بكثير، ولذلك فكرت فى أنك ستساعديننى هنا.

نعم، أفكر فى أننا سنبدأ من الصفر فى هذه الحديقة. لقد امتلأ المكان بالأشجار الميتة والمتخشبة التى لا تطرح الزهور، والحديقة مليئة بالأعشاب التى يجب إزالتها، وعلينا تأسيس تربة جديدة للنباتات المزهرة الكبيرة الحجم. ربما يمكننا زراعة صفصاف أو أزهار صغيرة على هذا الجانب، ولبلاب على تعريشة هنا".

شعرت إيفا بالحيرة وتفحصت المنزل البائس وقالت: "لا أرى أية تعريشة هنا".

"أعنى التعريشة التى أعتزم بناءها هنا. أو شجرة ضخمة لأننى أحبها". أخذ يهز النقود المعدنية فى جيبه وهو يتخيل المشهد ثم تابع: "ونضع أصص النباتات فى كل مكان وعند النوافذ، وهناك مساحة صغيرة فى الحديقة الخلفية، وسأبنى فيها شرفة أرضية صغيرة لها سقف وبها مقاعد ومناضد صغيرة، وما إلى ذلك، وسأضع فراشين ليبدو المكان كمنزل مألوف وأشجار صغيرة فى أصص وهكذا، هل يمكنك مساعدتى؟".

"أنا أشعر بالحيرة، هل تريدنى أن أنسق الحديقة؟".

"بل أريد استئجار خدمتك لتنسيق الحديقة".

توقفت الكلمات فى حلقها واحتبس الهواء، فتجرعت إيفا جرعة كبيرة من الماء ثم قالت: "يا دانكان ... لماذا تظن أننى يمكننى أن أتولى مشروعاً كهذا؟ لست منسقة حدائق متخصصة، كل ما أفعله هو قليل من البستنة كهواية لا أكثر".

فكر دانكان أنه نفسه يفعل القليل من البستنة، لكن إيفا لديها موهبة كبيرة فى البستنة تضاهى موهبة إيسى فى التطريز؛ فكلاهما يبتكر أعمالاً فنية ممتازة. قال لها: "لا أريد مهندسين لتنسيق الحديقة بالمعنى المفهوم. لا أعنى أننى ضدهم، بل أريد شيئاً يبدو منزلياً ويدوياً لكنه كبير ويلفت النظر، وفريد من نوعه، أريده كما فعلت فى منزل آل ماكنامارا. هذا ما أريده هنا، ولدىَّ صور".

التقط ملفاً من حقيبة أوراقة التى كانت على درجات السلم وأعطاها إياه قائلاً: "لدى هنا صور للمنزل والأرض كل شىء كما هو فى الشرفات، وهكذا. لدى فكرة أساسية عما أريده هنا، ليست أفكاراً مدونة بعد بل هى لا تزال فى ذهنى، وكذلك لدىَّ ميزانية محددة لإتمام ذلك".

تمكن الفضول منها، ففتحت الملف وقلبت صفحاته حتى وصلت لصفحة الميزانية، ثم قالت: "سأجلس على درجات السلم هنا".

قال لها: "لا مانع"، ثم جلس معها. كان يحب الجلوس على درجات السلم أو جذع شجرة مقطوع فى المدينة ويشاهد الحياة تتحرك من حوله، كان راضياً بذلك أثناء صمتها لعدة لحظات.

"يا لك من رجل لطيف حقاً يا دانكان، لكن لديك مشكلة ذهنية صغيرة". وعندما ضحك هزت رأسها بالنفى وأردفت قائلة: "لا تقدم مشروعاً كبيراً كهذا لشخص غير موثوق فى خبرته مثلى".

"كلمة "كبيراً" هذه نسبيه، ولدىَّ مشاريع كبرى فى أماكن أخرى، سنتحدث عنها لاحقاً. أريد أن يبدو هذا المكان كمنزل". أراد أن يراه كل الناس كذلك، ثم أردف قائلاً: "هذا ما أريدك أن تقومى به فى الحديقة، وأنا أعلم القليل من البستنة و ......".

ضحكت ساخرة ووخزته بإصبعها وقالت: "أخبرنى باسم ست

نباتات فى حديقة ماكنامارا".

"حسناً، هناك إصيص حجرى فى الشرفة الأرضية به عباد الشمس وزهور القبس الحمراء الداكنة واللبلاب والألوسون الحلو". ثم ذكر باقى الأنواع والشجيرات وأحواض الزهور.

أخذت تتفرس وجهه الآن وضاقت عيناها خلف عدسات النظارة الشمسية وقالت: "هل دونت كل هذا وحفظته ؟".

"أنا ملاحظ جيد للأشياء، وخاصة إذا أثارت اهتمامى. فكرى فى الأمر، لدى مهلة أسبوعين قبل أن أبدأ فى ترميم المنزل. لديك وقت كاف للتفكير فى أفكار جديدة وسوف نجمع أفكارك وأفكارى، و ..."، نظر لساعته وأجفل وجهه فزعاً وتابع: "يجب أن أرحل الآن، ستأتى فيبى للعشاء فى منزلى الليلة، يجب أن ....".

همست له: "يجب أن تعود للمنزل بسرعة. أما أنا، فسأجلس قليلاً هنا لأدرس المكان إن لم تمانع".

"ليس لدىَّ مانع بالتأكيد. ادرسى المكان كما يحلو لك". ثم قام واستدار ودرس المنزل مرة أخرى وقال لها: "فكرى جيداً فى الأمر".

"سأفكر بتمعن".

بعد أن ركب سيارته وانطلق بعيداً، جلست تفكر فى أنه رجل مختل عقلياً، ثم قامت وتفحصت المنزل وسارت بحرص حول الشرفة الأرضية المتهاوية.

فكرت فى الحديقة الخاصة فى منزلها فى شاتهام، كانت تحب تحويل أية حديقة إلى تحفة فنية، كانت تفكر فى كيفية إحضار التربة والسماد والمخصبات وما إلى ذلك، وكيف ستحفر وتغرس الزرع وتحول المكان لصورة مبهجة. فعلت هذا فى حديقة منزلها دون أن تدرى أن زوجها الشرير سيتركها ويترك جنتها التى زرعتها بيدها بكل جهد.

ألن تقوم بعمل مبهر إن هى أصلحت هذه الحديقة؟إن اقتلعت كل الحشائش والأعشاب الضارة وحولت المكان القبيح ذا النباتات الميتة إلى مكان جميل، فستشعر بالسعادة والرضا، لأنها ستفعل هذا لمجرد نشر الجمال فى المكان.

نعم، قررت أن تفكر جيداً فى عرض دانكان.

١٥

كادت تقنع نفسها بالعدول عن فكرة الذهاب إلى منزل دانكان، وهذا بالطبع سيكون ضرباً من الجنون. أرادت حقاً الذهاب إليه للانتهاء مما بدآه فى الشرفة الأرضية عند مدخل منزله منذ بضع ليالٍ.

لكن شخصية فيبى العاقلة تحاورت وتجادلت مع شخصية فيبى المتعطشة للعاطفة وجانب العقل تغلب على جانب الاحتياج العاطفى فى عدة نقاط أثناء طريق عودتها من العمل للمنزل ثم عملية الاستعداد للموعد وتغيير الملابس، وحتى الآن وهى تقود سيارتها حتى ممر السيارات فى الجزء الذى يشبه الجزيرة أو الواحة من منزله هذه الليلة.

كان يجب أن يتعرفا أكثر على بعضهما البعض، فهو رجل مثير ويروق لها كثيراً ولا جدال فى ذلك، لكن لماذا العجلة؟ لماذا لا تتحلى بالعقل وتشعر بالأمان أكثر وتواعده عدة مرات فى أماكن عامة قبل أن تسرع الخطى إلى منزله حيث لا يكون هناك مفر من العواقب؟

أخذت المرحلة الجدالية تتفاقم فى رأسها مرة أخرى. كان يروق لها وتستمتع بصحبته ومنجذبة إلى وسامته وجسده للغاية. كانت فى الثالثة والثلاثين من عمرها.

لكن ما الذى تعرفه عنه حقاً تحت ظاهر الأمور؟ كل ما تعرفه عنه أنه نوع من الرجال يستخدم سحره الخاص كسلاح ليجذب الفتيات اللاتى من السهل الإيقاع بهن كل أسبوع فى منزله، ربما كان هو النسخة الذكورية لوالدة سيلين صديقة كارلى فى المدرسة، ويواعد عدة نساء فى وقت واحد وهى إحداهن.

وما الفرق فى ذلك بحق الجحيم، ألا يمكنها أن تواعد رجلاً بدون المطالبة أو التوقع منه ألا يواعد سواها؟ إنها تستحق بعض المتعة والصحبة والعاطفة فى حياتها الشخصية.

لذلك أرغمت نفسها على عدم التفكير فى الانسحاب.

لقد تدخل فى حياتها وحياة عائلتها أكثر من اللازم، جزء من شخصيتها العاقلة يستشعر ذلك بسخرية وشك، لقد أشرك أمها بشغل الحياكة وإيفا بالبستنة فى عمله. ما هى حيلته التالية؟ شراء متجر أحذية لابنتها كارلى؟

بالطبع هذا ضرب من السخف، ورد فعل مبالغ فيه من جانبها، فهى تحمى عائلتها أكثر من اللازم، وبالتأكيد لم تعتبر أمها وإيفا سلوك دانكان والفرص التى أتاحها لهما بمثابة تدخل فى حياتهما الخاصة. إنها تعرف مقدار موهبتهما الفنية، وكل ما فعله هو توفير قناة لتحويل الهواية لعمل مربح.

لكن المشكلة أنها تشوه أى أفعال يقوم بها وكذلك علاقتهما بأكملها إلى أشكال متعددة، وتختار منها ما تضايق به نفسها بدلاً من الاسترخاء والاستمتاع بالفرصة وباللحظة الراهنة.

كما أنها الآن اقتربت جداً من المنزل ولا وقت للتراجع كبلهاء

حمقاء متوترة تريد العودة للمنزل بسرعة.

سيتحدثان معاً ببساطة عما يحدث وعن العمل الذى يريده لـ إيفا، وسيتناولان البيتزا ويحتسيان الشراب ويتحدثان ككبار ناضجين عن أى موضوع فحسب.

إن لم ترض شخصية فيبى العاقلة بهذا، فلتخرج من السيارة وترجع إلى المنزل.

وعندما دخلت لمر سيارات منزله، تذكرت أول مرة دخلت فيها المنزل عندما كانت مصابة بصدمة مروعة، وتذكرت ثانى مرة بعد الغروب، لكن رؤية المنزل الآن فى وضح النهار وبكامل قواها العقلية الآن، كانت بمثابة تجربة مختلفة تماماً.

كان منزلاً رائعاً، له نوافذ طويلة وحواف بيضاء منحوتة فى تباين مع لون الأزرق الباهت كلون البحر للخشب والشرفات المنتظمة، والأناقة القوية للمدخل ذى الأعمدة البيضاء عند الباب الأمامى حيث تأججت عاطفتهما وتحولت مناقشتها معه إلى هباء.

وها هو سحر زهرة نبات الأرملة التى تجعلها تتخيل أنها تقف لترى بركة الحديقة كأنها نهر.

وبالطبع، هناك الحدائق الساحرة المتدرجة فى العلو والانخفاض، وبها جداول وبحيرات وبرك وطرق متعرجة. اعترفت أن لديه حساً فنياً وذوقاً كبيراً فى الحدائق وأنه يفهم فى البستنة، وإلا فقد قام باستئجار فريق كبير من منسقى الحدائق ذوى الحس المرهف. وهى نفس النتيجة، لكنه ليس مضطراً للزراعة بنفسه والحفر والتقليم والتهذيب ونزع الحشائش الضارة لكى يقدر قوة الطبيعة وجمالها.

كانت النتيجة هى حديقة أشبه بالجزيرة أو الواحة المدهشة الرائعة، المشمسة والتى توفر الظل فى الوقت نفسه. وكانت الحديقة أيضاً مليئة بروائح الزهور العطرية، والخضرة والألوان، وكلها محيطة بمنزل مدهش يبدو عظيماً لكنه أيضاً مريح فى الوقت نفسه.

الأمر يحتاج منه إلى رؤية خاصة فنية ليصل لكل هذا!

سارت عبر الممشى وهى مستمتعة بالإحساس الرومانسى الحالم، وتمنت أن يتناولا البيتزا والشراب ويتحدثا فى الشرفة الأرضية فى هذا الجو الدافئ الرطب وسط الروائح الذكية التى يثيرها النسيم فى الحديقة.

فتح لها الباب قبل أن تصل إليه، ووقف عند الباب الذى أحاط به كإطار أبيض لصورة وراقبها وهى تسير نحوه.

قالت بصوت عال وهى تسير نحوه: "أشعر بأنه كان ينبغى أن أرتدى رداء أبيض فضفاضاً وقبعة لها حافة كبيرة، مثل السيدة التى قابلتها بالأمس وتشبه جوليا روبرتس وأعتقد أنها أجرت جراحة لتتحول إلى الجنس الآخر، لقد تحدثنا معاً بالأمس وتعارفنا، لكنى كنت أريد تزيين قبعتى بزهور البنفسج وشرائط ملونة".

"على أية حال، أنت تبدين رائعة الجمال هكذا الآن، حتى لو لم تكونى أنت على حد علمى قد أجريت جراحة تحول".

"ربما تكون قد أجرت مثل هذه الجراحة بالفعل. لم أسألها لأننى كنت قد عرفتها منذ فترة وجيزة جداً، وعلاقتى بها ليست وطيدة بما يكفى لسؤالها".

"على أى حال يعجبنى رداؤك".

"شكراً لك"كان زيها يصلح بالأحرى لاجتماع مجلس الآباء والمعلمين فى المدرسة. لكن فى هذه اللحظة، كان الزى القطنى البسيط يبدو مثالياً. قالت له: "هل كان يومك مشحوناً؟".

"هذا أمر نسبى". مد لها يده ليتناول يدها ولكى يدخلها إلى جواره.

لم تلاحظ حركته التالية، لاحقاً قالت إن غريزتها ضللتها كامرأة وشرطية. لكن فى تلك اللحظة وظهرها مستند للباب، لم يكن الوقت مناسبًا للتفكير. لم يكن هناك مجال لذلك. وضعت يديها حول كتفيه كإشارة له ليتوقف أو يتمهل وينتظر قليلاً، لكنها فى النهاية أحاطت رقبته بذراعيها.

نسيت أمر التمهل والانتظار.

تحركت يده لتتحسس شعرها وكتفيها وقوامها بمهارة وخبرة جعلتها تصرف فكرة التمهل والانتظار عن ذهنها، وتواصل

النشوة.

اختفت شخصية فيبى العاقلة من ذهنها.

كانت رائحته جذابة ومثيرة وملمسه أفضل بكثير خشناً وذكورياً. صار جسدها هو المتحكم فى حركاتها وسكناتها الآن.

لم يكن ليتوقف عما يفعله سوى بتهديدها له بسلاحها. لكن سمع عن بعد صوت حقيبتها تسقط على الأرض محدثة دوياً مكتوماً.

تحسست ذراعيه القويتين ثم ارتعش جسدها وانتشرت رائحتها، كأنها تدعوه لمواصلة النشوة. وتخدر إحساسه بالعالم الخارجى من حولهما.

حانت اللحظة الحاسمة. أوه ابحق السماء الم تعرف هل قالت هذا ذهنياً أم بصوت عال، تخبطت بداخلها المشاعر الجياشة بسرعة جداً وجعلتها تترنح، لم يعد هناك مجال للمقاومة أو للتعقل أو حتى الاكتراث للنجاة.

شعرت أخيراً بمنابعها التى كانت قد جفت وبردت.

لا قيود، لا تعقل، مجرد عاطفة خالصة. أمسك بيديها فوق رأسها وكأنه يقيدهما.

قال لها بصوت متهدج: "كانت تلك اللحظة من دواعى سرورى الذى هو ضعف سرورك على الأقل".

ضحكت بصوت متهدج وتراجع هو للخلف ببطء وتفرس وجهها أثناء تحريكه لشعرها بإصبعه. ثم قال: "كان لدىَ ترتيب مختلف فى البداية لهذه السهرة".

بالكاد استعادت توازنها وعقلها لكى تفكر فى كلامه. يا إلهى، كم كانت تحب لون عينيه. قالت: "ماذا تعنى ؟".

"كما تعلمين، كان الترتيب هو احتساء الشراب ثم تناول البيتزا فى الشرفة الأرضية والسير فى الحديقة والحوار أثناء العشاء، ثم أدركت أن ما سيمنعنا من الاستمتاع بذلك هو التفكير فى تأجج العاطفة، مما سيفقدنى شهيتى".

مرر يده فى شعرها وهو يتحدث مما جعلها ترتعش مرة أخرى ثم قال: "هذا من جانبى، لكنى فكرت فى أنك ترغبين فى الشىء

نفسه، ولا أريد إفساد استمتاعك وشهيتك، هذه ليست معاملة لائقة للضيوف".

"فهمت، لقد أفرغنا عاطفتنا عند باب منزلك حتى لا تكون وقحاً".

ابتسم لها وقال: "بكل تأكيد، هذا أكثر تعقلاً. هل استعدت نشاطك الآن ؟".

"أظن ذلك".

تراجع للخلف ونظر للأرض وانحنى لكى يلتقط حقيبتها وقال: "أوه، آسف".

ضحكت وقالت: "لا عليك، لم تكن هناك حاجة ماسة لإحضارها".

"يمكننى إصلاحها".

"لا داعى، شكراً، سأذهب للحمام مدة دقيقة".

"حسناً، بكل تأكيد".

أخذت حقيبتها وقالت: "سأعود بعد دقيقة".

كان وجهها مكسواً بالحمرة وعيناها منعمتين بالارتواء وشعرها مبعثراً، وشعرت بالرضا والإشباع.

عندما خرجت لم يكن هو فى المدخل، نادت باسمه وبدأت تتجول فى المكان. أجاب نداءها من حجرة مجاورة للمطبخ، شعرت بأنها قاعة الحفلات فى منزله. كان المكان مليئاً بالمقاعد الوثيرة وبه ركن كبير وقديم للشراب ولوحات كبيرة لإعلانات مجلات قديمة. كان كل شىء فى الحجرة جميلاً ومنظماً.

كانت هناك مائدة لأوراق اللعب، وكانت تبدو قديمة مثل ركن الشراب ومعها منضدة ذات أدراج كثيرة مليئة بأدوات اللعب، وهناك ماكينة توزيع حلوى أيضًا.

قالت له: "هذا يبدو كناد للرجال".

جاء من ركن المشروبات بكأسين من الشراب وقال لها: "نوعاً ما، هل أنت جائعة؟".

"بالتأكيد".

ابتسم بسرعة وشعر بالرضا وقال: "هذا جيد لأننى اتصلت

لأطلب البيتزا وطلبت إحضارها بعد نحو ساعة. فكرت فى أنك تحبين تناول كأس من الشراب فى الخارج، ربما فى الحديقة وتشاهدين غروب الشمس".

"هذا بالضبط ما أريده".

خرجت بصحبته عبر الباب الفرنسى الزجاجى إلى الشرفة الخلفية الأرضية، ونظرت للمكان حولها واحتست رشفة من الشراب وقالت: "يا له من شراب معتق. والمكان هنا أشبه بجنة الأحلام، أليس كذلك؟"

"لقد شغفت حباً بهذا المكان عندما رأيته وشهدت بناءه وإعداد حدائقه".

سارت نحو الرواق وقالت: "إذاً .. لماذا لم تستأجر خدمات فريق كامل من منسقى الحدائق ليعتنى بالمنزل الذى اشتريته وتريد تحويله لمتجر؟".

"هل تحدثت إلى إيفا؟".

"نعم وهى مرعوبة وتشعر بالإثارة الكبيرة كما حدث لأمى".

"حسناً، لقد صممت خطة للحديقة، لكن ليس بالمعنى المفهوم، بل مجرد تصورات، ثم بمساعدة فريق كبير تطورت الفكرة وتغيرت حتى تحولت الحديقة إلى تصميمها الحالى كما ترين".

استدارت فى مكانها ببطء وأردفت قائلة: "فهى مبهجة، والشكل غير الرسمى لها يضيف لسحرها".

كان ينظر نحوها فقط ويقول: "ووقوفك فى الحديقة يضيف لسحرها أيضاً".

انحنت له بشكل ساخر وقالت: "يا لك من فارس شهم".

"إن كنت كذلك لذكرت شيئاً رومانسياً عن الزهور".

"يكفى ما فعلته لـ إيفا".

"أجل، لا تظنى أن لدىّ الوقت لأخطط لتنسيق حديقة المتجر، سأستأجر خدماتها لأن المكان يحتاج إلى لمسة نسائية، وليس إلى لمسات خبراء تنسيق الحدائق المحترفين، وهى تفهم ما يجب عمله وكيفية عمله، بحيث يقول الناس عندما يرونه: "إنه بيت من سافانا فعلاً". وأرجو أن تفعل فيه ما فعلته فى منزلكم فى شارع

جونز، هذه الحديقة هنا مليئة بالأسرار".

دفع بيده البوابة الحديدية المزينة ورأت فيبى فى الحال ما جعلها تفهم ماذا يقصد بالأسرار. كانت واحة داخل واحة، جزيرة داخل جزيرة، مفعمة بالهدوء والسكينة والهمسات الحالمة للطبيعة، وبها بركة صغيرة تطفو على سطحها أزهار الزنبق، وبها تمثال كبير لملاك ذى جناحين.

سارت نحو مقعد صغير من الرخام الأبيض المقوس وجلست وقالت: "يا له من مكان ساحر خلاب، تصميمه عمل رائع".

"لا أمانع فى تقبل الأعمال الرائعة ولا العقول المتشككة، مثل عقلك. ولا أمانع أيضاً فى التربح من كونى حكماً جيداً على الناس والمشروعات التى تصلح لهم".

"هل اخترت الشخص الخطأ من قبل؟".

"قليل جداً، لكن إيفا ليست منهم".

"لن تكون منهم، لديها منزل فى حى شاتهام الغربى كانت تعيش فيه أثناء زواجها، وابتكرت فيه أفضل أشكال تنسيق الحدائق، وكتبوا عن عملها فى حديقتها فى مجلة"منازل الجنوب"و ... كنت تعلم ذلك بالطبع، أليس كذلك ؟".

تحركت غمازتاه وقال:

"ربما قرأت شيئاً عن ذلك".

"أنت أذكى أكثر مما تبدو، وهذه مجرد مجاملة".

"وأنت أيضاً ذكية". ثم مال نحوها وتابع: "هل تريدين التمشية قليلاً، ربما حتى رصيف البحرية؟".

"نعم، أود ذلك".

كان المكان يزخر بالطرق المرصوفة بالحجارة والأشجار الكبيرة والتعاريش والأصص النحاسية المليئة بالنباتات الخضراء، مع أصوات النسيم الذى يحرك الزجاج والأجراس المعلقة فى الأشجار محدثاً موسيقى مبهجة.

كانت الشمس تميل نحو الغروب، والبركة تحولت فى ضوء الغروب إلى ألوان لامعة. وكانت فيبى ترى من رصيف البركة منازل أخرى وحدائق عن بعد، وما تصورته فتى يافع يجلس عند

الشاطئ وصنارته فى الماء.

"هل تمارس الصيد هنا ؟".

"أنا فاشل فى الصيد، أفضل الجلوس هنا مع كأس من الشراب وأدع غيرى يصيد بدلاً منى".

استدارت ولاحظت المسافة الطويلة التى سارا عبرها وقالت: "المكان ممتد بأكثر مما تخيلت". ثم لاحظت لمعان مياه حمام السباحة فقالت: "الديك الكثير لتحافظ عليه وتعتنى به، لكن يصعب علىَّ تخيلك كرجل من الريف، لماذا لا تحكى لى قصة حياتك السابقة؟".

"لكنها قصة غير مثيرة".

"ربما بالنسبة لك، ليس بالنسبة لى".

"ربما ليست مثيرة لكلينا".

"لكنك أثرت فضولى ولم تشبعه بعد، ولن أرضى بتخيل الأمر. أشعر بأنك بنيت هذا المنزل من أجل امرأة حب من طرف واحد مثلاً، وقلب محطم وتركتك من أجل رجل آخر".

"ليس لهذه الدرجة".

انتهت من الشراب وقالت: "أنا آسفة، كانت تلك مزحة سخيفة، هيا نعود للمنزل، ما رأيك؟ لا نريد ألا يجدنا عامل تسليم البيتزا، أحب تناولها فى الشرفة أو فى الحديقة".

سارا عبر الرصيف وقالت: "ألن تخبرنى لمن بنيت هذا المنزل؟".

"لأمى".

"أوه !"سمعت تردد أصداء التعاسة العميقة فى صوته، لكنها لاذت بالصمت.

"أعتقد أن هذه ليست بداية القصة. لقد ولدتنى أمى وهى فى السابعة عشرة من عمرها، وكان والدى بالكاد أكبر منها ولسبب ما قرر أو قررت هى استمرار الحمل. بالطبع كان تفكيرًا سليمًا، لكن كان الزواج قراراً خاطئًا لكليهما؛ كانا يتشاحنان ويتشاجران طوال الوقت رغم أنهما كانا يمكثان مع بعضهما البعض أقل وقت ممكن. كان هو كسولاً، وكانت هى غير مخلصة له، وكان هو مدمن خمور،

وهي لم تحسن إدارة المنزل. كان منزل آل سويفت بشعاً ومليئاً بالمشاجرات".

"من الصعب أن ينشأ طفل في ظل هذه الظروف".

"نعم، حقاً، لكن كانت تلك صفاتهما بالفعل ولا سبيل لتغييرها. كان عمري عشرة أعوام عندما هجرنا أبي وترك المنزل.. كان قد ترك المنزل عدة مرات وعاد، وهي أيضاً كذلك، لكن في هذه المرة خرج ولم يعد".

"هل تعني أنك لم تره أبداً مرة أخرى".

"لم أره إلا بعد سنوات طويلة. تضايقت أمي من هروبه جداً وكانت تنتقم بالتعرف على رجال آخرين. كنت أتساءل عدة مرات هل كانت تعبأ وتكترث لي أم لا، كنت أسبب لها المشاكل لأشعرها بوجودي. كنت غالباً أتشاجر مع أطفال الحي واشتهرت بسمعتي كطفل مشاغب ومثير للمشاكل لمدة خمس سنوات".

لم تعلق ولو بكلمة واحدة، بل رفعت يدها وتحسست بأناملها جرحاً غائراً صغيراً عبر حاجب عينه.

"نعم، هذا الجرح من الشجار، لكنه ليس كبيراً".

"جذب انتباهي من أول وهلة رأيتك فيها. يا للتناقض، جرح هنا وغمازتان هنا". ثم وضعت أناملها على غمازتي شفتيه وتابعت: "أنت رجل مليء بالتناقضات يا دانكان. ماذا حدث في العام السادس لك كطفل مشاغب في الحي؟هل فقدت اللقب؟".

"أنت ذكية حقاً. تشاجرت مع فتى أقوى مما يبدو عليه مظهره وتصارعنا كثيراً".

"وبعد ذلك صرتما صديقين حميمين كما يقولون في الأمثال؟".

"أكره أن يتنبأ الناس بكلامي، لكن هذا ما حدث بالفعل. أثناء عراكنا، كنت أريد الحفاظ على لقبي كأكبر مشاغب في الحي، لكن والد الطفل فصلنا عن بعضنا البعض، واقترح علينا ممارسة رياضة الملاكمة كتفريغ لطاقتنا... كدنا نقوم بذلك بالفعل، كدنا نرتدي قفازات الملاكمة ونتلاكم مثل الرجال. كان والده ملاكماً، ولا عجب في أن جيك كاد يحطم ضلوعي".

"ومن الذى فاز فى حلبة الملاكمة؟".

"لا أنا ولا هو، لم يتطور أمر العراك ولم نتلاكم، جرنى والد جيك لمنزله مع ابنه ونظفنا وضمد جراحنا فى حوض المطبخ، بينما أعدت زوجته حقيبة ثلج لجروحنا وأكواب عصير الليمون. هل شعرت بالملل من قصتى؟لقد حذرتك قائلاً إنها طويلة".

"لم أسأم منها بعد".

"حسناً، سأحضر كأساً آخر لكلينا". أخذ كأسها واسترخت هى على السور وانتظرت حتى عاد بكأسيهما مرة أخرى.

"أين توقفت؟".

"فى مطبخ عائلة جيك، وعصير الليمون".

"بعد ذلك نلنا كفايتنا من اللوم والتقريع والعتاب، كانت أول مرة أتلقى تعنيفاً كهذا، لم يفعله أبواى ولا المعلمون، لم أكن أكترث لتقريعهم حينئذ، وأدركت أن كونى مشاغب الحى يعرضنى للضرب بشكل منتظم ومستمر، وما الجدوى من ذلك؟ لم تكترث أمى لعودتى كل ليلة ووجهى ملىء بالدماء والجروح، وبالتالى تركت دور المشاغب".

"كم كان عمرك حينئذ؟ نحو خمسة عشر عاماً؟".

"تقريباً".

"هذه سن صغيرة للحظة تنويرية كهذه، وأنا أتفهم حالتك جيداً".

نظر فى عينيها قائلاً: "كنت أعلم ذلك".

"هذا يجعل بيننا أموراً مشتركة، لقد انتقلت لمنزل آل ماكنامارا بعد منزلى، وهى قصة أخرى سأرويها لك فى يوم آخر، ماذا فعلت بعد اعتزال البلطجة ؟".

"حصلت على وظيفة لإرضاء أمى بكل السبل، وفى الوقت نفسه لأحظى بهدوء بعيداً عن المشاحنات".

قالت له: "اختيار موفق"لكنها شعرت من صوته بأن هذا لم يرق لأمه فأردفت قائلة: "ما نوع الوظيفة؟".

"مساعد نادل فى المطعم مهمته رفع الأوانى والأطباق والأكواب من الموائد، وكنت أعطيها نصف ما أربحه كل أسبوع، وكان ذلك

جيدًا، لكن العلاقة بيننا ظلت كما هى، وهكذا كان الحال لأم بلا زوج تحيا فى شظف العيش، ولا تعيرنى أى اهتمام، كما أنه لم يكن لديها وقت لى بسبب علاقاتها".

صمت لبضع دقائق حين غرد طائر على الشجرة قبيل وقت الشفق، ثم قال: "كما تعلمين، لم تكن الحياة سهلة لأم بلا زوج أو عائل".

"أعلم ذلك تماماً".

"عندما بلغت من العمر ثمانية عشر عاماً، قالت لى إننى يجب أن أستقل عنها فى سكن آخر، وفعلت ذلك، ومر الوقت وصرت سائق تاكسى حتى تعرفت على فينيس ذى المحفظة الفارغة الذى حكيت لك قصته. بتعارفى، عليه تعرفت على عائلته. كان والده متوفى مات عندما كان فين طفلاً ليصبح مثلى تماماً بلا أب، لكن والدته كانت تعتنى به جيداً، وبى أيضاً".

فكرت فيبى فى الأم بى ويديها الكبيرتين وعينيها الواسعتين ثم علقت: "رغم أنك لم تطلب ذلك؟".

"رغم ذلك. وأيضاً رغم أنها كان لديها أبناء كثيرون، لكنها اهتمت بى جداً كأبنائها رغم حياة الفقر وكثرة أطفالها. لكن هذا ما حدث".

دق جرس الباب وقال دانكان: "لابد أنه عامل تسليم البيتزا، سأتأخر لبضع دقائق. إن كان تيتو، فهو يحب الثرثرة".

"حسناً".

احتست كأسها ببطء وتأملت الحدائق وقت ظهور النجوم فى السماء. لقد صمم المنزل والحدائق، بكل هذا الجمال لكى يجعل أمه تهتم به، لكنها فهمت أنه أخفق فى هذا الهدف رغم كل شىء.

تساءلت لماذا ظل يعيش فى المنزل رغم الذكريات المؤلمة.

عاد بصندوق البيتزا وطبقين فوقه وبينهما فوط الطعام.

"سأعد أنا المائدة بينما تنهى لى قصتك".

"حسناً، اقتربت القصة من نهايتها".

أشعل الشموع بينما وضعت هى الأطباق والفوط على مائدة المصنوعة من جريد النخيل. استطرد قائلاً: "بعد فوزى فى

اليانصيب والاحتفال بالأمر ليومين متواليين، كان أول ما فعلته عندما أفقت هو أننى ذهبت لمنزل بى وأحضرت زجاجة معدنية صغيرة كأنها قنينه الجنى وطلبت منها حكها وأنا سأمثل دور الجنى وسأحقق لها ثلاث أمنيات".

قالت فيبى برقة قبل أن تجلس على المائدة: "كم أنت لطيف".

"كنت أظننى ماهراً جداً، لكنها وافقت وقررت أن تتمنى ثلاث أمنيات: أول شىء هو ألا أنفق أموالى بحماقة وأتذكر أن لى عقلاً فذاً، وثانى أمنية كانت أن أجعل نفسى رجلاً مهماً ومحترماً. ضحكت كثيراً لأننى كنت كالبالون المنفوخ الذى أوشك أن ينفجر، ثم ضربتنى على ذراعى على سبيل المزاح وقالت لى إن أردت إسعادها بإحضار أى شىء لها فستكتفى بحذاء أحمر بكعب ذى أصابع مفتوحة ومقاس كبير حتى تذهب به لدار العبادة كل يوم أحد".

"لابد أنك تحبها كثيراً بما يفوق الوصف".

"هذا حقيقى، وصممت على الحفاظ على وعدى وحققت لها الأمنيات الثلاث. كان أسهلها الحذاء الأحمر. أما عدم كونى أحمق ومسرفاً فكان صعباً، كنت أوزع مبالغ كبيرة على الناس وأشعر أننى مهم حتى أدركت مدى حماقة ذلك".

"لست أحمق على الإطلاق".

وضع قطعة من البيتزا على طبقها ثم وضع قطعة أخرى على طبقه ثم قال: "أكون أحمق أحياناً. ابتعت هذه الأرض لأمى وبنيت المنزل، لأننى سمعتها تتمنى الخروج من المدينة وأردت تنفيذ رغبتها حتى أصبح مهماً لها. بالطبع أثناء بناء المنزل والحديقة، كنت أتولى كل نفقاتها وجعلتها تترك منزلها الصغير لآخر فخم أثناء بناء هذا المنزل. عاد والدى للظهور فجأة وطالبنا بذكاء بمبلغ بسيط لا يتعدى خمسة وعشرين ألف دولار، وكنت ذكياً ولست ساذجاً وقتها، فأعطيته المال وجعلت فين يحرر اتفاقاً ويتعهد فيه بألا يطالبنى بالمزيد، واشترط عليه أنه إن حاول إزعاجى والاتصال بى سعياً وراء المزيد فإننى سأقاضيه بتهمة التحرش، إلى آخر ذلك من الألفاظ القانونية. لم يكن والدى غبياً ليفعل ذلك، فأخذ المبلغ واختفى من حياتى إلى الأبد ولم أره بعد ذلك".

"هل شعرت بالألم من ذلك؟".

"كان يجب أن أشعر بالألم، لكن ذلك لم يحدث حقاً". تناول شريحة البيتزا واحتسى كأس الشراب وأردف قائلاً: "أحضرت أمى إلى هنا بعد انتهاء المنزل تقريباً، وكان من السهل رؤية أن الأمور ستسير على ما يرام، وأخبرتها أنه منزلها وأننى سأنهى بناءه وفقاً لذوقها ولن تضطر للعمل أبداً بعد ذلك".

"سارت عبر الغرف الفارغة وسألتنى لماذا اعتقدت بحق الجحيم أنها ستعيش هنا فى منزل كبير جداً. أخبرتها أن تنتظر حتى اكتمال بنائه وسيكون لديها خدم وحشم وطهاة وأى شىء تريده. استدارت ونظرت نحوى وقالت: هل تريد أن تقدم لى ما أريده بالفعل؟ اشتر لى منزلاً فى لاس فيجاس وأعطنى خمسين ألف دولار، هذا كل ما أريده.

لم أفعل هذا على الفور، بل ظللت أحاول إقناعها بالعدول عن الفكرة وتغيير رأيها والانتظار حتى اكتمال بناء المنزل. أحضرتها للمنزل مرة أخرى بعد اكتماله واكتمال الحدائق وتأثيث بعض حجراته حتى تراه بشكل كامل".

لمست فيبى يده برقه وقالت: "لم يكن هذا ما تريده".

"بالطبع، كانت تريد خمسين ألف دولار ومنزلاً فى لاس فيجاس فقررت مقايضتها وعقدت معها اتفاقاً: ستمكث فى المنزل ستة أشهر وإن لم تغير رأيها سأعطيها منزلاً فى أى مكان تريده ومائة ألف دولار. قبلت الاتفاق، وبعد ستة أشهر بالضبط اتصلت بى حزمت حقيبتها وأحضرت معها سمسار منازل لاس فيجاس بعد أن اختارت المنزل بالفعل. كان يجب أن أحول مبلغ مائة ألف دولار لحسابها فى البنك وأتولى شراء منزل لها. قررت التوقف عن محاولة استمالتها ونفذت رغبتها وجعلت فين يحرر لها اتفاقاً بعدم التعرض لى أو محاولة ابتزاز المال منى فوقعت على الفور وأخذت ما تريده ورحلت ولم أرها حتى الآن".

"منذ متى؟".

"منذ خمس سنوات. عملت فى حانة وتعرفت على رجل ثرى وتزوجته بعد أن أقنع والدى بتطليقها وتزوجت منذ عامين".

"وتعيش أنت هنا الآن".

"كان مـن العار ترك مكان بديع كهذا، كنت سـأبيعه لكنى وقعت فى غرامه، والحكمة التى تعلمتها من الحياة هى أنك قد لا تحصل على ما تريد، وسـواء كان هذا منصـفاً وعادلاً أم غير ذلك، فلا يهم، المهم أن تسعى لأهداف أخرى".

أدركـت كـم من الرائع أن يحدث كل هذا فى ليلة واحدة؛ إشـباع عاطفى وإشباع الفضول لمعرفة شخصيته وفهمه بشكل أفضل.

"لا داعى للقول إنها لا تستحق ابناً مثلك".

"كانت تستحق المشاغب لا المليونير".

"هل اشـتريت منزلاً للأم بى؟ ذلك الذى تناولنا به العشـاء يوم الاثنين الماضى ؟".

"نعـم، كهديـة من جميع أولادهـا وأنا منهم منذ ثلاث سـنوات، ولم تقبل أن يكون هدية منى وحدى، هل ترين الفرق؟".

"نعم، ماذا عن جيك؟ماذا حدث له؟".

"صار مقاولاً مع والده الذى اعتزل الملاكمة. وبعد بضع سنوات من اليوم الذى غير مجرى حياتى معهم، صار جيك من كبار رجال الأعمال الآن".

وضـعت بكل سـعادة قطعة أخرى من البيتزا على طبقه وقالت: "أنا متأكدة من ذلك؛ فلديك مهارة اختيار الناس".

وضع يده على يدها وقال: "أعلم ذلك، وباستثناء بعض الحالات النادرة التى خاب فيها أملى، فأنا أختار الناس بطريقة ممتازة".

١٦

كان الهواء مليئاً بالأصوات والرنين والطقطقة ليلاً عندما سار دانكان مع فيبى حتى سيارتها وقال لها: "حسناً ... ماذا عن رحلة بالقارب الشراعى فى ليلة قادمة ؟".

"سيكون هذا رائعاً فى ليلة قادمة. من الصعب بالنسبة لى أن أفتقد أمسيات كثيرة فى المنزل. أضف إلى ذلك أن حظك رائع لأن قسم الشرطة لم يستدعنى قبل أو أثناء أية أمسية معك".

استدارت ومالت نحو سيارتها ثم تابعت: "أنت تعقد الأمور على نفسك، فأنت لا تواعد شرطية فقط بل أماً أيضاً".

"أحب التعقيدات المثيرة، وخاصة عندما أفكر فى تسهيلها". ثم مال نحوها وقبلها وقال: "سوف نلتقى إذن فى ليلة قادمة".

"حسناً". أمسكت باب السيارة لكنها استدارت باندفاع قائلة:

"لماذا لا تأتى للعشاء معنا فى أى يوم من هذا الأسبوع؟لن يكون الأمر بلا تعقيدات، لكن أمى وقعت فى غرامك بالفعل".

"أحقاً، إذاً لو فشلت فى إيقاعك فى حبى، فسوف أحاول معها". حرك بيده شعر فيبى خلف أذنها وطرق على قرطها الذهبى برفق وقال: "فأمك تصنع حلوى مدهشة".

"هذا شىء أكيد، ماذا عن يوم الخميس للعشاء؟هذا سيجعلهم يهتمون بالأمر كما يجب لكن بدون إزعاجى بالتفاصيل".

"موافق على يوم الخميس".

قالت وهى تُميل رأسها: "ألن تتحقق من جدول مواعيدك؟".

قال: "بل سآتى يوم الخميس".

قالت: "حسناً، سأرحل قبل أن تغرينى بالبقاء الليلة فى منزلك، وليس هذا بالخيار المتاح لى". ثم ربتت على كتفه عندما هم بالحديث وأردفت قائلة: "سننتظرك يوم الخميس الساعة السادسة". ثم ضحكت وهى تركب سيارتها وتابعت: "إنه يوم دراسى لابنتى".

"لا بأس طالما أننى لن أؤدى واجبات المدرسة. قودى سيارتك بحرص يا فيبى، لا تفكرى بى أثناء القيادة، بل عندما تعودين للمنزل، وإلا ستفقدين تركيزك وتخرجين عن مسار الطريق".

قادت سيارتها وهى تضحك كما توقع هو أو هكذا تخيلت وخاطرت بفقدان التركيز لأنها فكرت فيه وفى كل ما قاله لها.

كان مثيراً وممتعاً ومريحاً رغم، كما أنه ممتاز من الناحية العاطفية، أنها ليست خبيرة فى أمور العاطفة، لكنها ليست جاهلة بها تماماً، لقد تزوجت لبضع سنوات وتعرف كل شىء عنها.

لكنها لم تشعر بالحب بكل هذه القوة والمشاعر الجياشة من قبل. كانت التجربة مع دانكان متميزة ومختلفة.

كان دانكان رائعاً من الناحية العاطفية، ولم يكن يفكر فى نفسه فقط، كما كان الحال مع زوجها السابق روى، وهى التجربة المريرة التى عزمت فيبى على عدم تكرارها مع أى شخص آخر مهما كانت الظروف.

لم يتخل دانكان عن أصدقائه بعد أن صار ثرياً، بل صار فين

محاميه، وجيك مقاول بناياته. كان مخلصاً لأصدقائه، والإخلاص صفة مهمة لها جداً.

رغم إخلاصه وصدقه وبساطته، لم يكن الثرى التافه كما تخيلته، الخالى من الهموم والمتاعب، بل إنه ذو ماض أليم.

كان ماضيه مليئاً بالجراح، ترى كيف تغلب عليها؟ إنها خبيرة فى مسألة جراح الماضى وكتمها، لم يعتبر دانكان آلامه مصدر فخر له مثلما يفعل الكثيرون. ربما كان يفكر فيها من وقت لآخر مثل فيبى، لكنه لم يجعلها تتحكم فى حياته.

ربما كان يتغلب على أحزانه بشكل أفضل منها.

هل ساعدته أمواله؟ بالطبع، فهذه هى الحقيقة، لكنها شعرت بأنه كان سيتغلب على أحزانه حتى لو كان فقيراً. كل ما فعله المال أنه أطلق العنان لطموحاته، أو جعله يدرك أن لديه طموحات يريد تنفيذها.

كانت لديها طموحاتها الخاصة الكثيرة، وحققت معظمها، لكنها تشك فى بقائها مع رجل واحد لفترة طويلة مهما كانت قدراته العاطفية إن لم يكن لديه أهداف وطموحات.

لكنها لا تعلم الكثير عن أهدافه وطموحاته، مجرد حانتين ومشروع متجر، ربما مجرد قطرات فى بحر ثروته، ما الذى يفعله أيضاً؟ ما الذى يريده أيضاً؟ ما الذى يريد أن يفعله فى الحياة؟

تنهدت وهى تدرك أنها تحاول تحليل الأمور لتفهمها ولم تفلح كالعادة.

لكنها اعترفت أنها عادة جعلتها مفاوضة ممتازة، وإن كانت هى العادة نفسها التى دمرت حياتها العاطفية فى الماضى وذلك على العكس من حياتها العاطفية حالياً.

لماذا إذاً لا تستمتع برفقته فحسب؟ لماذا لا تدع علاقتهما تسير بشكل طبيعى ولا تحاول توجيهها فى أى اتجاه؟ ولكن لم يكن ذلك بالأمر الهين بالنسبة لها، لكنها ستعمل على ذلك على أية حال.

سيأتى للعشاء يوم الخميس، وربما سيبحران معاً فى قاربه الشراعى قريباً، وسيتواعدان كثيراً ويستمتعان بالبقاء معاً وليكن ما يكون بعد ذلك.

"أجل، فليكن ما يكون".

وقفت بالسيارة أمام منزلها وتشككت فى أن حالتها النفسية ستتحسن. ستتفقد ابنتها، ويجب أن تكون فى فراشها الآن. ربما ستعد فيبى الشاى لتحظى ببعض الوقت الحميم مع إيفا وأمها.

همهمت فيبى بلحن جميل وهى تغلق باب السيارة وتسير عبر الرصيف.

بالكاد نجحت فى كتمان صراخها عندما قفزت للوراء فى فزع. سواء كانت شرطية أم لا فهى امرأة، وأية امرأة ستصرخ إن رأت ثعباناً طوله قدمان ممددًا على عتبة السلم المؤدى للباب الأمامى.

وضعت يدها على قلبها وقالت لنفسها: من المؤكد أنه لعبة من المطاط، وأن أطفال الجيران فعلوا ذلك ليفزعوا منزلاً مليئاً بالنساء بحيلة سخيفة.

الأحمق جونى بورتر من منزل آل آبركورن إنه أشقى طفل فى الشارع. ستتحدث مع أهله ليؤدبوه، وسوف تتحدث معه بقسوة و ...

لاحظت عندما اقتربت أنه ليس ثعباناً من المطاط، بل هو ثعبان حقيقى وسمكه كرسغ يدها، ويبدو ميتاً وهذا واضح بدون فحصه. ربما كان نائماً فقط.

تراجعت بمقدار قدم ومررت يدها فى شعرها وركزت بصرها على الثعبان لترى هل سيتحرك أم لا. سواء كان حياً أم ميتاً، لا يجب أن يظل هنا. إن كان ميتاً فمنظره بشع، وإن كان حياً، فقد يتسلل للمنزل إن استيقظ.

جعلتها بشاعة الفكرة تذهب لسيارتها بسرعة وهى تتلفت للثعبان ولحقيبة سيارتها عدة مرات على التوالى، وتمنت بالفعل من كل قلبها لو أن سلاحها معها لأنها ماهرة فى التصويب، وكانت ستصيبه مهما تملص منها.

ثم أمسكت مظلتها وهمست قائلة: "لا أريد القيام بذلك. اللعنة لكن للضرورة أحكام".

ما هو الخيار المتاح؟هل تستدعى الجيران أم تتصل بكارتر. هل ستقول له أمسك الثعبان النائم أو الميت، ثم تشكره على ذلك؟ يا إلهى.

ابتلعت ريقها وهى تتقدم للأمام بحرص فى خطوات صغيرة،

وركزت بصرها وأغلقت عينيها جزئياً وهزت الثعبان بطرف المظلة.

تغلبت عليها الصرخة هذه المرة، صرخت وتراجعت للخلف ودق قلبها بعنف. ظل الثعبان القبيح الأسود كما هو بلا حراك. وبعد هزه مرتين، أيقنت أنه ميت .

"حسناً، كل شيء على ما يرام، لا داعي للتفكير. لأتخلص منه فحسب. أوه يا! إلهي!".

أدخلت طرف المظلة تحت الجثة وثبتت يدها بكل جهدها حتى لا يسقط الثعبان من المظلة عندما رفعته. لكنه سقط مرتين. وأخذت تسب وتلعن وتقفز للوراء كما لو كانت تقفز على جمر النار. أدركت أن الإمساك به بماسكة فحم المدفأة سيكون أفضل، لكنها إن دخلت فلن تتمكن من الخروج، ولا تريد إفزاع عائلتها.

تمكنت بصعوبة في النهاية من حمله بالمظلة عبر البوابة الجانبية وحتى الحديقة، وشعرت بالغثيان وكادت تضحك في هيستيريا لكنها كتمت مشاعرها بصعوبة، ثم ألقت بالثعبان والمظلة الجديدة في سلة المهملات وأغلقت الغطاء بإحكام.

لابد أن هناك قانوناً ضد وضع الزواحف الميتة بدون غطاء آمن في سلة المهملات، لكنها ستتجاهل ذلك، فلقد بذلت كل ما في وسعها.

ستتصل بشركة القمامة أو حتى ترشو عمال القمامة لكي يخلصوها من جثة الثعبان.

تراجعت عن سلة المهملات، ولم تحملها قدماها لأبعد من درجات السلم المؤدية إلى الشرفة الخلفية للمنزل، حيث تركت نفسها تسقط من فرط التعب. اللعنة على القطط. ستبحث عن تلك القطة اللعينة التي تسبب هذه الفوضى العارمة بقتلها الأشياء وترك جثثها أمام منزلها.

لكن هل هناك قطة كبيرة لتحمل ثعباناً بهذا الحجم في سافانا؟ بالتأكيد لا، الأمر كله مزاح أطفال سخيف، من أمثال جوني بورتر.

لم تعد ترغب في احتساء الشاي المثلج أو الاشتراك في ثرثرة النساء مع الأخريات، فنهضت وهي تنوي أن تأوي مباشرة إلى

فراشها.

سمعت الصفير نفسه عندما وصلت للباب وارتعش جسدها. وهذه المرة، شعرت بالرجفة تسرى فى بطنها مباشرة.

لقد أحرز نصراً مبهراً! لم يستمتع من قبل بهذا القدر من المتعة طوال حياته، لقد نزلت دموعه من فرط كتمان الضحك، واضطر لمسحها أكثر من مرة حتى تتضح الرؤية بالكاميرا ذات العدسة الخاصة بالرؤية الليلية.

اللعنة، لقد قفزت بشكل مضحك(كانت ستموت من الرعب. لقد آلمته ضلوعه من فرط كتمان الضحك بأن حوله من قهقهة إلى ضحكات بسيطة.

اضطر للقول إنها أشجع مما توقع رغم قفزتها المروعة، لكن الأمر ظل مثيراً وممتعاً بالنسبة له.

كان حظه رائعاً لأنه صادف هذا الثعبان الأسود وهشم رأسه بالفأس، لقد أحسن استخدامه، لكنه ندم وكان يريد أن يحتفظ به حياً ليرى كيف ستواجهه فيبى.

إنه متأكد الآن من أنها لن تنام حتى منتصف الليل، وأنها بمجرد أن تنام سوف تحلم بالثعابين.

ماذا عنه؟ سيسرع للمنزل ليحمض الصور ويضحك من قلبه ثم ينام كالطفل فى مهده.

لم تنم جيداً، ظلت آلاف الاحتمالات تداعب تفكيرها، لدرجة أنها انتظرت بعد الفجر بقليل لتتصل بكارتر.

رفعت جوزى زوجته السماعة واعتذرت لها فيبى، ثم زمجرت جوزى فى ضجر. بعد ذلك جاء صوت كارتر الناعس عبر الهاتف.

"آسفة جداً يا كارتر، كان يجب أن أتصل لاحقاً فى وقت مناسب".

"فات الأوان".

"أنا آسفة حقاً، لكن يجب أن تأتى حالاً لترى شيئاً مهماً".

"ما هو؟عروس البحر أم سمكة لها ثلاثة رءوس؟أم سيارة فخمة اشتريتها لى كأخوة ومحبة؟وإلا ...".

"كف عن الوقاحة يا كارتر، هناك شىء خطير. انهض من فراشك وارتد ملابسك وتعال حالاً. لا أريد أن أوقظ أحداً آخر فى المنزل، لذا وافنى فى الحديقة، مفهوم ؟".

"حسناً يا مزعجة، أحضرى لى معك بعض القهوة".

قالت لنفسها إنه سيأتى رغم استيائه، وارتدت ملابسها بسرعة وسارت على أطراف أصابعها لتحضر القهوة. جاءت بكوبين من القهوة وانتظرت كارتر فى الحديقة.

سمعت صوت الرعد فى عاصفة رعدية حدثت ليلاً، وكانت الحديقة مازالت مبتلة من المطر الذى جاء متقطعاً بغزارة، وكان الضباب يسد الأفق، لكنه سينقشع فى غضون ساعة أو ساعتين ويدع كل شىء ساطعاً.

احتست قهوتها وراقبت قطرات الماء تنزل من الأوراق الحمراء القانية من نبات الخوخ الذى زرعته إيفا العام الماضى.

سمعت وقع خطوات كارتر عبر البوابة، وكانت قد فتحت له الباب الحديدى قبل أن يصل إليه.

كان شعره مبعثراً من أثر النوم وعيناه ثقيلتين وكان يرتدى حذاء الركض القديم، وشعرت براحة كبيرة لمقدمه كمنقذ لها مما هى فيه.

حدق نحوها فى غضب وأمسك القهوة وقال: "أين الجثة ؟".

"فى سلة المهملات".

كاد يختنق من أول رشفة للقهوة وصاح: "ماذا؟".

أشارت إليها دون أن تقترب. وقالت: "فى هذه السلة".

"هل قتلت أحداً يا فيبى؟هل تريدين منى دفن الجثة فى حديقة إيفا؟".

أشارت للسلة مرة أخرى ولم يكترث كارتر ورفع الغطاء واهتز كوب القهوة من يده عندما قفز خوفاً، مما أرضى فيبى قليلاً، لكنها شعرت بالتقزز عندما أخرج جثة الثعبان بيده وقال: "رائع".

قالت له: "هل أنت مضطر إلى ..."، ثم صرخت وتراجعت

للـوراء عندما اسـتدار وهو مبتسـم وحـرك الثعبان نحوهـا مازحاً: "توقف عن هذا اللعنة يا كارترا".

"لا يمكننـى مقاومـة ذلك، كيف تسـلل هـذا الثعبان عبر شـارع جونز حتى حديقة إيفا ؟".

"لم أجده فى الحديقة، كف عن اللعب به، كان ميتاً بالفعل على عتبه الباب".

"مـاذا كنت تفعل هنا؟"كان يخاطب الثعبان وهو يدير رأسـه له وكأنه حى!

"ربمـا قتلته قطة، وكان هناك فـأر ميت منذ أيام فى الحديقة ... لكـن من الصـعب علـى أية قطـة قتل ثعبـان بهذا الحجـم، وربما لا و ...".

"لابد أنه قط جبلى ضـخم". ثم أظهر لها رأس الثعبان وأردف قائلاً: "قد يبتلع القط جزءاً من الجثة لكن لا يمكنه أن يدق رأسه لدرجة أنه يسويها بالأرض".

سحبت فيبى نفساً عميقاً وقالت: "نعم، شىء من هذا القبيل". ثم أحضـرت صـندوقاً فارغاً وتابعت: "ضـعه هنا وألقه فى القمامة ثم اغسل يديك قبل أن تلمسنى أو تلمس أى شىء".

وضعه فى الصندوق وألقاه فى القمامة وقال: "هل تقولين إنك وجدته على عتبه الباب؟".

لم يكـن يضـحك الآن، ممـا جعلهـا تشـعر ببعض الرضـا وهى تقول: "نعم. حضرت فى قرابة الحادية عشرة مساء أمس، ثم..".

"كنت فى موعد غرامى إذا كنت تريد معرفة التفاصيل".

"مع الرجل صاحب اليانصيب ؟".

"اسـمه دانـكان. نعـم كنـت معـه. علـى أيـة حـال، الجثـة كانـت موضوعة عن عمد أمام المنزل".

"ربما فعل ذلك طفل يلهو".

"أشك فى جونى بورتر، إنه أول المشتبه بهم".

"هل تريدين منى التحدث معه؟".

"كلا، سـأتولى الأمر، لكن لم أكن لأسـتخرج الثعبان لأضعه فى الصندوق وحدى".

وضعه في القمامة وأغلق الغطاء وقال بتهكم: "هذه فائدة الأخوة. يا لك من مسكينه يا فيبى".

"لا تلمسنى قبل غسل يديك!أنا أحذرك !".

"أريد أن أربت على كتفيك لأطمئنك !".

"إن لمستنى، سأركلك وألكمك". ثم رفعت قبضتيها وكأنها متحفزة للعراك وتابعت: "تعلم أننى أغلبك".

"لم تختبرى قوتى منذ فترة، أنا أمارس الرياضة بانتظام".

"هيا ادخل واغسل يديك، شكراً على مجيئك لإنقاذى فى الفجر".

قادته للمطبخ حيث غسل يديه فى الحوض وقالت: "هناك احتمال يدور فى رأسى يا كارتر، لم يكن الطفل الماكر جونى بورتر هو الفاعل".

حدق نحوها قائلاً: "هل تظنين أن الأمر أخطر من هذا ؟".

"نعم، ليس مقلب أطفال، بل رسالة تهديد، ولكن ...". فكرت فى موضوع الدمية المشوهة ثم تابعت: "سأتحدث إلى جونى بورتر لكن ... لدىَّ فكرة غير مريحة .. شك رهيب يراودنى. أريدك أن تراقب المنزل بعد عملك دون أن تدخل، لمدة ساعتين من الخارج، حتى أعود أنا من عملى، ثم أتولى أنا ذلك، مما سيسهل الأمر و ...".

"سأفعل يا حبيبتى، لكن إن كنت قلقة ...".

قالت: "بل يراودنى شعور غير مريح، لم يصل لمرحلة القلق بعد، كما أن كل هذا يذكرنى ...".

"بما كان روبن يفعله معنا". جفف كارتر يده. وزم شفيه من ألم التذكر وتابع: "كان يفرغ الهواء من إطارات السيارة ويرش السم على الزهور التى زرعتها أمى خارج المنزل".

ربتت فيبى على ذراعه وكانت تعلم أن الذكريات تؤلمه وقالت: "نعم، أشياء صغيرة وحقيرة، لو كان آرنى ميكس هو الجانى فأتوقع أن يسأم اللعبة بسرعة".

"أو ربما سيصعد الأمور". ثم لمس جروحاً تحت عينيها بطرف أصابعه، وكانت جراحها قد بدأت تختفى وقال لها: "ربما مازال يريد أن ينال منك يا فيبى".

"لكنه ليس من النوع الذى يفضل المواجهة المباشرة، وصدقنى يا كارتر، لن يفاجئنى، لست بلا دفاع كأمنا يا كارتر".

"لكنك ذهبت للمستشفى بسببه".

جذبت ذراعه ثم قالت: "لن ينال منى مرة أخرى. هذا وعد أكيد منى". هزت رأسها بالنفى عندما هم بالكلام وأردفت قائلة: "أمى قادمة، قل لها إنك كنت تركض وتوقفت لتتناول قدحاً من القهوة. لو سمعت بما حدث، فلن تخرج للحديقة أبداً بعد الآن".

كان يعلم أنها على حق، وحاول بكل جهده أن يرسم الابتسامة على وجهه عندما دخلت أمه للمطبخ وقالت: "يا إلهى، طفلاى معاً، يا لسعادتى !".

لم يتوصلوا إلى مصدر الدمية المشوهة فى القسم، كانت من الطراز القديم الذى لم يصدر مثله منذ ثلاث سنوات، ولا يبيعها أى متجر ألعاب فى سافانا. بالطبع، ربما وجدها الجانى فى أماكن بيع الأشياء القديمة. لم يكن الأمر ملحاً وقتها، لم يكن قسم الشرطة مهتماً أو لديه الوقت لمتابعة الأمر.

كان المشتبه به جونى بورتر فى رحلة مدرسية تستغرق أسبوعاً مع بقية زملائه فى المدرسة، مما برأ ساحته وأبعده عن دائرة الاشتباه.

من المؤكد أن هناك أطفالاً مشاغبين آخرين يمكن أن تشك بهم فيبى، ولكنها لم تتمكن من ذكر أحدهم على وجه التحديد. ولم تتمكن كذلك من التوصل لسبب يجعل أى طفل بما فى ذلك جونى بورتر نفسه يستهدف منزلها مرتين. علمت أن باقى الجيران لم يحدث معهم مقالب مشابهة.

ظلت تسير حول الميدان لتتعرف على صاحب اللحن الحزين بعد ساعات عملها، وهى ترهف سمعها فى الحديقة والميدان وشارع جونز. وكانت تراقب المنزل ليلاً من خلف أبواب الشرفة العلوية فى حجرتها، حتى ترى ما إذا جاء أحدهم ليترك لها "هدية" على الباب.

جلست وهى تضع نظارة معظمة فى حجرها، وشعرت بأنها بذلك تشبه السيدة سامبسون العجوز فى العمل الدرامى"جاستون ستريت"، والتى كانت تجلس قلقة وهى تراقب كل شىء وكل شخص من النافذة الأمامية لردهة منزلها .

إذا زادت درجة شعورها بعدم الارتياح، فستطلب من سيارة دورية الشرطة المرور عبر منزلها مرتين ليلاً وربما مرة أو مرتين نهاراً. وكان بالمنزل جهاز إنذار ممتاز أصرت عليه العمة بيس، وكانت تشغله وتتجول ليلاً قبل النوم للتحقق منه عندما ينام الجميع.

كان هناك شىء آخر تصر عليه العمة بيس.

كان رأيها: "لا خير يرجى من الناس، لكنكم أقاربى، لحمى ودمى، تكفينى صحبتكم ولا أريد معرفة أحد سواكم "!.

لكن بالتأكيد لم تكن الأم نافعة بما يكفى، هكذا تذكرت فيبى، لم تكن لها فائدة للعمة بيس سوى العمل كالعبيد فى منزلها مقابل سقف يؤويها وأطفالها.

كانت العمة بيس تحتقر كارتر للغاية بسبب كوابيسه المتكررة ونوبات فزعه بعد أحداث الترويع التى أثارها روبن، واعتبرتها علامة ضعف ورثها عن أمه وليس من عائلة ماكنامارا؛ لأن سليل ماكنامارا لا يهذى وهو نائم حتى إن كان طفلاً فى السابعة من العمر. لكن فيبى كانت بالنسبة لها شيئاً آخر، فمن خلال وقاحاتها وسلاطة لسانها فى الدفاع عن كارتر علمت العمة بيس أنها قوية الشكيمة بما يليق بسليلة آل ماكنامارا.

وبالتالى، اهتمت بها وجعلتها تأخذ دروساً فى العزف على البيانو، وهو ما أخفقت فيه، لكنها استمتعت بدروس الرقص، والتذوق الفنى والموسيقى، وجعلت فيبى ترتاد المتاجر والصالونات المناسبة وتسافر لأسبوع فى رحلة لباريس وتحضر حفلتها الأولى كآنسة، لكنها كانت حفلة مملة ومزعجة وتدعو للسأم جداً.

لكنها وافقت على كل هذا كاتفاق مع العمة بيس لتدفع مصاريف دراسة كارتر فى الجامعة. تحملت ليلة حفلة مملة فى باريس من أجل سنوات الجامعة الأربع لكارتر.

بالتأكيد رفضت بيس التحاق فيبى بكلية الشرطة، وبمكتب التحقيقات الفيدرالية، وتدربها فى الشمال بعيداً عنها وعن سيطرتها، لكن الغريب أنها وافقت على روى.

لكنها لاحظت ابتسامتها الساخرة الراضية عندما عادت فيبى لمنزل آل ماكنامارا وهى مطلقة ومعها طفلة.

"لا عجب فى طلاقك طالما اخترت العمل بالشرطة، على المرأة الاختيار ما بين العمل والزواج".

"كلا، هذا هراء، لا دخل لعملى بطلاقى".

شعرت فيبى حينئذ أن بيس تحتضر، لقد انكمش حجمها وصارت جلدًا على عظم منذ آخر مرة زارتها فيبى منذ عدة أسابيع، لكن ظلت عيناها تنبضان بالحياة والمرارة.

"لا ألوم روى على أنه تزوجك طمعاً فى المنزل؛ لأن الزواج للحصول على الإرث شىء معقول جداً".

"لا أريدك أن تتركى لى المنزل باسمى".

"لقد كتبته باسمك منذ سنوات، سأسمح لك بالاحتفاظ فيه بأخيك الضعيف وأمك المريضة".

اقتربت فيبى حينئذ من الفراش وقالت لها: "احترسى من التحدث بشكل غير لائق عن عائلتى".

رفعت إصبعها بضعف وقالت: "عائلتك وليست عائلتى، أنت الوحيدة التى أعتبرك من عائلتى، ولقد رتبت للأمر جيداً".

"حسناً".

ابتسمت بضعف بشفتيها النحيلتين الجافتين وشعرت فيبى أن لحمها يذوب فى عظامها، وهو المصير نفسه الذى لاقته الساحرة الشمطاء الشريرة فى الروايات.

"فلتهنئى بعائلتك فى المنزل بعد وفاتى، وسأموت قريباً، لقد صارت أيامى فى الحياة معدودة".

مهما كانت الظروف، شعرت فيبى بالألم والذنب نحوها وقالت: "أنا آسفة، أعلم أنك تتألمين، هل تريدين منى أى شىء؟".

"لازال قلبك رقيقاً، لا تقلقى فسوف يقسو بمرور الوقت، المنزل باسمك الآن؟لا تظنى أنك بعد وفاتى يمكنك تركه لأمك أو أخيك،

أعددت وصيتى بحيث لا تتمكنى من ذلك. جعلت كل ثروتى مكرسة للحفاظ على المنزل، ستعرفين التفاصيل من المحامى. لن تحصلى على أموالى، فهى مخصصة للمنزل فقط، هل هذا واضح؟".

"لا أريد منزلك ولا أموالك".

"هذا من حسن حظك، لأنك لن تحصلى على سنت واحد، ولا عائلتك، بل هى مخصصة للحفاظ على المنزل، وبموتك سينتقل المنزل لأبنائك إن حافظت على الشروط، وستعيشين هنا إن أردت أن تستمر أمك هنا، ستسكنين أنت أيضاً هنا. لن يتم تحويل المنزل لمتجر أو مطعم أو متحف، بل سيظل منزل آل ماكنامارا وستعيشين فيه".

لم تهددها بيس الماكرة بسلاح واضح كالسكين أو المسدس، وإنما كان سلاحها هم من تحبهم أكثر من نفسها.

"لا أريد أموالك أو منزلك أو موافقتك، هل تفهميننى؟ سأراعى عائلتى وابنتى كما أريد وليس بأوامرك".

"بل ستطيعيننى وإلا سأطرد أمك من المنزل، ولم تواتها الشجاعة لمغادرته منذ سنوات. أتظنين أننى لا أعرف مرضها؟إن طردتها ستصرخ من الفزع، وستحتاجين لحجرة مبطنة عازلة ضد الصوت حتى لا يسمع الناس صراخها، أليس كذلك؟".

"لماذا ستؤذينها؟لم تفعل سوى رعايتك وخدمتك كالعبيد. لقد كانت تعتنى بك وترعاك وتطعمك لعدة شهور منذ مرضك، لم تسبب لك أو لغيرك أى ضرر طوال هذه السنوات".

"كنت سأحترمها إن حاولت إيذائى، لكنها لن تظل فى المنزل إن غادرته. إن خرجتِ سأطردها، لقد حصلت عليكم معاً، ويمكننى طردكم معاً".

"لقد قلت هذا مراراً وتكراراً".

قالت بيس بابتسامة نحيلة: "هذه المرة أنا جادة، وقد أنفذ وعيدى".

أفاقت فيبى من ذكرياتها واهتزت بشدة. ظنت أنها سمعت نفس الصفير المألوف؟ هل كانت تتخيل؟

لقد كانت تراقب بالنظارة المعظمة كل الشارع والحديقة وحول المنزل ولم تجد أى شىء.

فركت عينيها وربتت على رقبتها .

لم تعرف كم يوماً عاشت العمة بيس بعد هذا الحوار الأخير معها على فراش الموت؟ ربما بضعة أسابيع بائسة وصعبة، حيث ظلت نائمة تحت تأثير الأدوية وظلت تهذى كالمحمومين.

لكنها كانت فترة كافية لتعرف فيبى من المحامين ومن وديعة المال والوصية والوثائق أن هناك أموراً فى الحياة غير قابلة للتفاوض.

لم تتمكن من التحاور مع العجوز البائسة بعد ذلك.

وها هى، بعد مرور السنوات، تجلس فى المنزل وتراقب كل ما حوله.

ويبدو أنها ستظل هكذا دائماً.

١٧

كان لدى راز جونسون شيء ما ليثبته، وسيثبته اليوم، ولكن كبار رجال العصابات كانوا يظنون أنهم سيتحكمون بأرضه ومنطقته ويؤذون رجاله، ويجتاحون منطقته في غرب المدينة ويقومون بإهانته في منطقته.

كلا، سيتعلمون كيف يحترمونه.

يرقد أخوه حالياً في المستشفى وقد يموت. لقد انتزعوا من بطنه رصاصات الغدر والخيانة من رجال العصابات، ولذلك سيسعى لأرضهم ومنطقتهم من أجل الانتقام.

وكان تيبون أخوه قد أمره بالتراجع لأنه لم يرتق بعد لمستوى القتال بين العصابات، لكنه لو تركه يساعده لما كان قد أصيب ويحتضر الآن في المستشفى .

كان راز يعلم ما يجب أن يفعله: العين بالعين والسن بالسن. الانتقام هو الحل.

سار بسيارته عبر شارع"هيتش"حيث يقع مقر الأعداء. سرق السيارة، وخلع زى عصابته بلونه الأزرق وتركه على المقعد المجاور؛ حيث إنه لم يكن يريد أن يعرف أفراد العصابة أنه من عصابة بوص إذا حدث ورآه أحدهم فى الشارع، وذلك حتى يتسنى له الاستعداد والتأهب للانتقام الرهيب.

سيتسلل إليهم خلسة .

لقد التحق بعصابته بعد مشاجرات دموية. ورغم مركز أخيه الكبير فى العصابة، كان عليه إثبات جدارته. كان بارعاً فى القتال بيديه وقدميه، وكان عليه عدم الاستسلام.

كانت لديه موهبة سرقة السيارات، ويمكن الوثوق به فى صفقات المخدرات لأنه غير مدمن لها، لكنه لا يجيد القتال بالسكاكين والمسدسات.

قال تيبون إنه لا يجيد استخدام المسدسات وهذا سبب آخر لاستبعاده بالأمس.

لكنه يحمل الآن مسدساً عيار ٤٥ مللى نصف أوتوماتيك يخفيه تحت طيات ملابسه، ولن يهتز وهو يستخدمه لأول مرة.

سيقتل به من أطلق الرصاص على أخيه، سيرديه قتيلاً برصاصة بين عينيه، وسيقتل كل من سيعترض طريقة، وسيكون الدمار شاملاً.

سيفعلها فى وضح النهار، وسيرتدى زى عصابته. وإن قتل، فسيكون هذا حظه ولن يعترض.

كان فى السادسة عشرة من العمر.

توقف بسيارته عند متجر الخمور، كان يعرف أن كليب قاتل أخيه يستخدمه كستار لإخفاء مقره السرى الإجرامى حيث يعقد الصفقات المشبوهة ويتفوه بحماقات .

كان سيتسلل إليهم من الخلف، ويقتل الحرس، إن وجدوا، ثم يجتاز الباب ويضرب الملعون بالرصاص بين عينيه.

سيفخر به تيبون، وسيرغب أكثر فى النجاة عندما يعلم أن

أخاه قد انتقم له.

ارتدى قبعته وأمالها نحو اليمين فى فخر ووضع مسدسه فى حزام بنطاله، وشعر بثقل وزن المسدس عندما خرج من سيارته المسروقة.

كان قميصه الضيق أزرق وبه خطوط صفراء، وكان المنديل المزدان بالرسوم فى جيبه الخلفى أصفر ولامعاً، وهو اللون الذى يعبر عن زى عصابه بوص. سار بشموخ وإباء وحزن وغضب نحو شارع هيتش.

كان مستعداً لإحداث الدمار والقتل.

ربما ظهر ذلك على وجهه، لقد كان متعمداً أن يظهر ذلك. كانت ابتسامته المرعبة تكشر عن أنيابه، وتوضح مدى قوته، ورأى النساء يرينه ويفزعن ويهرعن لمنازلهن.

يجدر بكن أن تهربن أيتها العاهرات وتختبئن.

سار مختالاً نحو الزقاق القصير المؤدى إلى متجر المشروبات، وأخرج مسدسه الذى كان يدسه فى ملابسه. قال لنفسه إن الرعشة التى يشعر بها فى يده ردها إلى الإثارة، لا الخوف. وفى غضون ذلك، لم يفارق وجه تيبون، والحالة التى يرقد بها فى المستشفى مخيلته.

لا شك أنه ميت إكلينيكياً الآن، حتى رغم أنهم لا يزالون يضعون له أجهزة التنفس الصناعى. ثم تذكر والدته وهى تجلس إلى جوار فراشه لا تفعل ولا تقول شيئاً سوى التضرع والابتهال والدعاء إلى الله كى يشفيه، تخيل أنها تجلس الآن وقد امتزجت عبراتها بعبارات التضرع والدعاء.

ظلت هذه الصورة تداعب خياله وتدفعه للحركة والمضى قدماً فى خطته، وهم بالصياح ويده مثبتة على زناد المسدس.

لكن دفعه للتقدم أن الباب الخلفى كان بلا حراسة.

دق قلبه بعنف، ولم يكن يسمع سوى دقات قلبه عندما مر عبر الأسفلت الرخو بفعل حرارة الشمس، وعبر الأعشاب المتناثرة عبر الطريق. مسح العرق من فمه بظهر يده. إنه سيفعلها من أجل تيبون، ثم ركل الباب بكل قوة حتى انفتح محدثاً دوياً كبيراً.

انطلقت رصاصة من المسدس الذى دبت فيه الحياة فجأة، ولم يشعر بيده وهى تضغط على الزناد، وكأن المسدس انطلق من تلقاء نفسه وأحدث فجوة كبيرة فى الحائط بمقدار قدم أعلى المكتب ذى الحواف المعدنية. لم يكن هناك أحد يجلس على هذا المكتب، لم يكن هناك أحد ليتلقى الرصاصة بين عينيه.

اهتزت ذراعه عندما أخفض مسدسه وحدق فى الفراغ الماثل أمام عينيه فى الحجرة الخاوية على عروشها. سيقولون عنه إنه أحمق الآن ويسخرون منه، مما يجعل تيبون أحمق أيضاً، وهذا لن يكون ولن يحدث.

يجب أن يفعل شيئاً كبيرًا ورهيباً.

عندما ينفتح الباب الداخلى ويدخل أى رجل، سيعلم ما يفعل به.

كان المحقق ريكس من وحدة العصابات يوافى فيبى بآخر تطورات الحادث. قال لها: "محتجز الرهائن هو تشارلز جونسون الشهير باسم راز. تم إطلاق النيران، ولا يوجد مصابون حتى الآن، وهو يحتجز أربعة رهائن بالداخل".

"وماذا يريد ؟".

"الدم. كانت هناك معركة بالمسدسات بالأمس بين عصابة بوص من غرب المدينة، وهى عصابة راز، وعصابة لورد من شرق المدينة. تلقى أخو راز ثلاث رصاصات وحالته خطيرة فى المستشفى. يريد راز أن نأتى له بقاتل أخيه حتى لا يؤذى الرهائن، واسمه جيروم كليب ساجيت. وقال إنه سيطلق سراح الرهائن عندما نسلمه ساجيت".

"كم عمره؟".

"ستة عشر عاماً، وسجله الجنائى ناصع البياض. لم يرتكب أية جرائم من قبل، لكن أخاه الأكبر مجرم خطير".

"حسناً"درست فيبى سجل الحادث وحوار الشرطة مع راز، وفتحت حقيبة مائدة المطعم المعدة لإجراء الاتصالات مع راز، ثم قالت: "هل تحدثت معه عبر الهاتف مدة كافية؟"

"نعم، رغم أنه يرفض التعاون، وهو فى المرحلة الأولى. مازال يصر على طلباته وإلا سيقتل الجميع. حدد مهلة زمنية مقدارها عشرون دقيقة".

"حسناً". اتصلت به بنفسها ورد عليها من أول جرس.

"هل قبضتم على الملعون؟!".

"راز، أنا فيبى ماكنامارا مفاوضة من الشرطة؟".

"عليك اللعنة!".

لاحظت خوفه الذى يحاول إخفاءه بغضبه وقالت: "يبدو أنك غاضب، وأنا أتفهم ذلك، فلدى أخ أنا أيضاً".

"لا أهتم بك أو بأخيك أيتها العاهرة!أحضروا لى كليب لأقتله، وإلا سأقتل أحد الملاعين الذين بحوزتى هنا".

"سنحاول القبض عليه يا راز. والآن أخبرنى، هل الجميع بخير؟ هل يوجد من يحتاج رعاية طبية".

"بل أحضرى أكياس نقل جثث الموتى". كان صوته مرتفعاً من الرعب والغضب فى آن واحد.

"لم تؤذ أحدًا منهم بعد يا راز، أليس كذلك؟مازلنا نحاول إيجاد طريقة حتى تكون العاقبة فى صالح الجميع".

"لن يهدأ الأمر إلا بعد أن أقتل كليب، وعندما أفعل ذلك سينتهى كل شىء".

"أنا أعرف أنك تريد معاقبة من تظنه قد آذى أخاك".

"بل أنا متأكد، أخبرتنى أسرتى. هل تظنين أنهم كاذبون".

"أتعنى أن عائلتك رأت ما حدث لأخيك تيبون؟".

"نعم، وقُتل اثنان آخران، وتيبون بين الحياة والموت، ولابد أن أعاقب الوغد الذى فعل هذا به، أحضروه لى، أتسمعين؟ وإلا سيموت أحدهم الآن".

كتبت فيبى فى ملاحظاتها: "العائلة = العصابة، الفخر والانتقام". قالت له: "هل تريدنا أن نحضر لك الرجل لكى تنتقم منه بنفسك".

"كم مرة يجب أن أكررها؟".

"لا أريد إساءة فهمك يا راز، بل أحاول فهم علاقة هؤلاء

الرهائن بما حدث لأخيك. هل تظن أنهم متورطون فى الأمر ؟".

"لا يهمنى !".

"لكنهم أبرياء لا ذنب لهم".

"سيكون الدمار شاملاً، سأقتل أحدهم الآن. لا تظنى أننى أكذب أو أمزح".

"أعلم أنك تقول ذلك بصدق يا راز، لكنى أريدك أن تفهم أنك إن آذيتهم فلن يحل ذلك مشكلتك، ولن تحقق ما تريد. سأحاول الاتصال بالمستشفى وبالأطباء ممن يراعون أخاك، بالتأكيد تريد معرفة آخر تطورات حالته، هل رأيته اليوم؟".

جعلته يتحدث عن أخيه وينسى موعد التسليم الذى حدده، وكتبت: "التعلق بالبطل والمثل الأعلى؛ الولاء التام". عندما تحدث عن أمه وبكائها بجوار فراش أخيه، عرفت منه المزيد من المعلومات: "لا يوجد إخوة آخرون، ولا يوجد أب فى العائلة".

كتبت: "يجب إيجاد الأم والاتصال بها الآن". دونت هذا على ورقة ودفعتها فى يد ريكس.

"لابد أن جميعكم جوعى بالداخل، أليس كذلك يا راز؟ يمكننى أن أرسل إليكم بعض الشطائر".

"لدينا هنا كمية كبيرة من الشراب ورقائق البطاطس. أتظنين أننى أبله ولا أشاهد التلفاز؟لا أحد يدخل هنا سوى كليب".

"لن يدخل أحد إلا بموافقتك".

"قد أقتل الرهائن وقد لا أقتلهم. سأجعلهم ينبطحون أرضاً، تعبت من التحدث معك. عاودى الاتصال بى عندما تلقون القبض على قاتل أخى".

عندما أغلق السماعة تراجعت فيبى للخلف وقالت: "هل قبضتم على كليب؟".

"مازلنا نبحث عنه كلفنا بعض الأشخاص لاقتفاء أثره".

"لو استطعنا أن نخبر محتجز الرهائن أن ساجيت رهن الاعتقال، وأننا قبضنا عليه بالفعل، فقد يساعدنا ذلك على إنقاذ الرهائن. أخبرونى عندما تقبضون عليه".

نظرت للساعة البيضاء المعلقة على الحائط وكانت الساعة

الرابعة وخمسًا وأربعين دقيقة.
غالباً ستتأخر على العشاء.

كان دانكان مزهوًا بنفسه عندما دق جرس منزل آل ماكنامارا في شارع جونز، وزاد سروره عندما فتحت إيسي الباب وهي مبتسمة ابتسامة واسعة.

"يا إلهي! من هنا؟".

قال من خلف سلة كبيرة من زهور الخشخاش الحمراء: "خمني من أنا؟ أين أضع الزهور؟".

"اتركها لنفكر في هذا لاحقاً، يا لها من زهور جميلة! تفضل بالدخول في الصالة. لقد جئت في موعدك تماماً، رائع، أحضرت معك زجاجة شراب أيضاً؟".

"نادراً ما تتم دعوتي على العشاء في منزل به أربع سيدات جميلات وأنا الرجل الوحيد، إنها مناسبة متميزة بالنسبة لي".

"ولنا أيضاً". تناولت منه زجاجة الشراب وقالت: "لم تقابل زوجة ابني من قبل أليس كذلك؟ هذه جوزي، وهذا دانكان سويفت".

"إذاً بالمنزل خمس سيدات جميلات، يسرني مقابلتك".

قال كارتر وهو يحمل صينية من الشطائر الصغيرة وخلفه كارلي تحمل صينية أصغر: "الخامسة متزوجة بالفعل. كيف حالك يا دانكان؟".

"بخير، أهلاً يا كارلي".

"ستتأخر أمي، إنها مازالت في العمل".

"أظن ذلك، لكن هناك طعامًا كثيراً ليجعلني أنتظرها بدون قلق، لقد أحضرت لك هدية".

ثبتت عينيها مباشرة على الهدية المغلفة بغلاف أحمر فاتح في يده وقالت: "هدية؟".

"تذكار لمضيفتي الصغيرة، من ضمن كل مضيفاتي الكريمات

فى المنزل".

نظرت إليها جدتها فى صرامة فقالت بشكل رسمى: "شكراً لك"، ثم صاحت من السعادة. وعندما فتحت الهدية وجدتها حلية للشعر، كانت كباقة الزهور لونها أرجوانى وأبيض وبنفسجى، وتتدلى منها شرائط بيضاء ناعمة ورقيقة .

"إنها جميلة! تعجبنى كثيراً، شكراً يا عزيزى!". نسيت كل الرسميات واحتضنت وسط دانكان ثم تراجعت للخلف وهى ترقص فرحاً وقالت: "هل يمكننى ارتداؤها الآن يا جدتى؟ من فضلك، هل يمكننى ارتداؤها الآن؟".

"حسناً".

ركضت كارلى نحو حجرتها لكنها توقفت لتبتسم لـ"دانكان" من خلف ظهرها أولاً.

علقت إيسى بالقول: "يا لك من ماهر!".

"هكذا يقولون عنى".

بحلول الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة، اتصلت فيبى بالمنزل وقالت لـ"إيفا" إنها لا يجب أن تؤخر العشاء بسببها. حتى وإن تم احتواء الأزمة بأفضل الطرق الممكنة، فلا داعى لتأخير الجميع بينما تتعامل هى مع المحضر والأعمال الورقية الخاصة بالحادث.

كانت تحتسى قهوة مثلجة، وتشعر بالامتنان لأن هناك من استخدم مطبخ المطعم. جلست أمامها أوبال جونسون، والدة راز، لقد عثروا عليها بعد مدة طويلة بعد أن غادرت المستشفى وحجرة ابنها لتجلس وتدعو له بالشفاء وتصلى له فى مكان آخر.

جاءت إلى هنا فى مطعم يعج برجال الشرطة الذين يحاولون إنقاذ ابنها الثانى.

لقد أحرزوا تقدماً على الأقل. لقد رفض الاستسلام ورفض إطلاق سراح الرهائن، لكن فيبى لاحظت تغيير نبرة صوته والمفردات التى يستخدمها، وأدركت أن عزيمته بدأت تضعف.

"هل سيذهب ابنى للسجن؟".

قالت فيبى: "سيظل على قيد الحياة، فلم يؤذ أحداً حتى

الآن".

حدقت أوبال من نافذة المطعم فى الأفق وهى تفكر كانت نحيلة جداً وكان وجهها الأسمر مليئًا بالبقع البيضاء من فرط البكاء لعدة ساعات، وعيناها متعبتين من القلق. قالت: "لقد بذلت كل ما فى وسعى وقمت بكل شىء وعملت فى وظيفتين ليذهب أطفالى للمدرسة وينشأوا نشأة دينية، لكن فرانكلين انضم لعصابة خطيرة، وأخذ تشارلى معه. لم أتمكن من منعهما من الانضمام لعصابة بوص". نطقت اسم العصابة بتقزز.

"يا سيدة جونسون، سنبذل قصارى جهدنا لإنقاذ ابنك وكل من معه، وبالتالى ستتاح له فرصة أخرى".

نظرت إلى عينى فيبى بعينين خاليتين من الأمل وقالت: "كانا يظنان أنهما سيصيران رجلين كبيرين إن انضما للعصابات وتاجرا بالمخدرات وقتلا الناس".

"سأتحدث إليه الآن مرة أخرى". ثم مدت يدها للمائدة وربتت على يد أوبال ثم قالت: "لا تخافى".

"هل لديك أطفال يا آنسة؟".

"نادينى فيبى. نعم، عندى طفلة فى السابعة من عمرها".

"الأطفال دوماً مصدر قلق لقلوب الأمهات، لكنهن دوماً يحببن أطفالهن مهما تسببوا لهن من الأذى".

"لنحاول فقط إنقاذ ابنك الأصغر". حاولت فيبى الاتصال به مرة أخرى لكنها توقفت عندما اندفع ريكس نحوها .

"ألقينا القبض على ساجيت، وهو متهم بحيازة سلاح ومخدرات، وجدنا بسلاحه رصاصات مطابقة لنوع الرصاصات التى أصابت فرانكلين جونسون، وسيوافينا خبير الأسلحة بتفاصيل أكثر".

نظرت فيبى فى عينى أوبال وقالت: "حسناً هذا جيد، هذا جيد جداً. أريدك أن تساعدينا يا سيدة جونسون، لقد قبض على من أطلق الرصاص على ابنك الأكبر، وسيعاقب، ويجب إقناع تشارلى بأن هذا يكفى، وأنه يجب أن يستسلم لنا الآن".

اتصلت به فى متجر الكحوليات الذى يحتجز فيه الرهائن، ووجدت الإرهاق فى صوته بدلاً من التحدى، فشعرت بأنها علامة

جيدة وقالت: "لدىّ أخبار جيدة يا راز".

"هل أفاق أخى؟".

"كلا، حالته لم تتغير، وهذا يعنى أنها لم تتدهور للأسوأ، إنه قوى، أليس كذلك ؟".

"لا أحد أقوى منه".

"جيد، ولقد قبضوا على كليب".

"هل قبضوا على الشيطان اللعين؟".

صاحت أوبال: "لا تتحدث بهذه اللغة مع السيدة!هل تسمعنى؟".

"لقد أطلق الرصاص على تيبون، ويستحق ذلك !".

رفعت فيبى يدها لتشير لها بالصمت عندما همت بالكلام وقالت: "والدتك حزينة يا راز، فهى قلقة عليك وعلى أخيك تيبون. يجب إصلاح الأمر للجميع، الشرطة قبضت على كليب وسيسجن و ...".

"بل أحضروه لى !".

"أعلم أنك تريد رؤيته، وسأرتب لك هذا اللقاء إن تركت مسدسك وخرجت، سأوصلك إليه فى القسم لتراه خلف القضبان".

"بل أريده هنا لأقتله".

"تبدو متعباً يا راز، كان يوماً طويلاً للجميع. أود أن أخبرك أنهم وجدوا مسدساً مع كليب، وبه نفس نوع العيار النارى الذى أطلقه على أخيك. إنهم يعكفون الآن على إجراء اختبارات على الرصاصات، وإذا ثبت أنها نفسها التى استخدمت فى إصابة أخيك، فستوجه له تهمة الشروع فى القتل. هل تعلم مدى العقوبة التى تنتظره خلف القضبان؟سيظل رهن الاعتقال لعدة سنوات، وربما يقضى عقوبة السجن مدى الحياة. لو كان أخى هو من أصيب هكذا، لوددت أن يحكم على الجانى بعقوبة طويلة كهذه".

"سيحترق فى نيران جهنم !".

"فعلاً، سجن ولاية جورجيا أشبه بجهنم أيضاً. قالوا لى إنه كان يختبئ منك. ترى ماذا يكون رأى عصابته عندما تعلم أنه كان يختبئ".

"هل تكذبين بحق الجحيم ؟".

صاحت أوبال: "أخبرتك ألا تستخدم هذه اللغة البذيئة! إنها تقول الحقيقة، كنت هنا عندما جاءوا وأخبروها بالأمر. قبضوا على قاتل أخيك، اخرج الآن من فضلك؟"، ثم بدأت في النحيب والبكاء وأردفت: "لا أريد أن يقتل ابنى الثانى !".

"لا تبكى يا أمى، أريد أن أقتله كما قتل تيبون".

قالت فيبى: "السجن أسوأ من قتله، لقد فقد كليب سمعته الآن وفقد ماء وجهه، وأثبت أنه جبان وسيتلقى جزاء فعلته أعواماً عديدة فى السجن. والدتك تحتاج إليك يا راز، وتريدك أن تترك سلاحك وتخرج. أظهر لها أنك لست جباناً، بل تمتلك الشجاعة والجرأة لتخرج من هنا".

"هل ستجعلينني أرى قاتل أخى فى السجن كما قلت ؟".

"نعم، أتعهد لك بذلك".

"هل سأذهب لنفس السجن مثله؟".

"كلا، ليس معه، لم تؤذ أحدًا يا راز حتى الآن، وهذا يجعلك أفضل منه. لو خرجت الآن سيكون هناك فرق كبير".

"كيف سأخرج؟".

أشارت فيبى لفريق العمليات الخاصة حتى يؤمنوا عملية الاستسلام ويتولوا المسألة جيداً ثم قالت: "دع سلاحك أولاً ... لا نريد أن يكون معك سلاح عندما تخرج، فهمت؟".

"هل معكم أسلحة بالخارج؟".

"نعم، سيكون رجال الشرطة مسلحين. لكن لا تقلق، لو رفعت يديك لأعلى ليرى الجميع أنك بلا سلاح أثناء خروجك من الباب، فلن يحدث لك شيء. أثبت أنك لست جباناً واخرج بمفردك من الباب مباشرة رافعاً يديك لأعلى، هل فهمت؟هل ستفعل ذلك؟".

"حسناً، سأخرج، سأغلق الهاتف".

"أراك فى الخارج يا راز".

وضعت فيبى السماعة ثم نهضت: "فلنخرج"، وتناولت ذراع أوبال واصطحبتها نحو باب المطعم، وقالت لها: "سيخرج ابنك. انصتى جيداً، سيشهرون سلاحهم نحوه عندما يخرج، لكن لا تقلق،

سيعتقلونه فقط ولن يؤذوه، لكنها الإجراءات المعتادة".

فحصت فيبى بنظرها بعض النوافذ والأسطح ورأت أفراد العمليات الخاصة. لم تكن فيبى لتجازف بإخراج أوبال من المطعم حتى إلقاء القبض على راز، ولم تكن لتجعلها فى بؤرة الحدث فقالت: "انتظرى هنا مع الضابط لبضع دقائق. سأعود لإحضارك لتقابلى ابنك، سأرى إلى أى سجن سيأخذون تشارلى".

"شكراً لك على كل ما فعلته من أجلى".

تحركت فيبى بسرعة لترى واجهة متجر الخمور. تنفست الصعداء عندما انفتح الباب ورأت الفتى يتقدم ويداه مرفوعتان لأعلى.

فجأة انطلقت النيران. شاهدت جسد الفتى يترنح ويسقط مضرجاً فى دمائه. صرخت وتقدمت نحوه بينما احتمى العشرات من أفراد الشرطة خلف الساتر .

ثم دفعها أحدهم لتنبطح أرضاً وسمعت صياحًا يطن فى أذنيها من داخل المتجر: "لا تطلقوا الرصاص !".

كان مشهدًا رائعًا، لكنه سهل ويدعو للازدراء فى الوقت نفسه. لا يوجد أسهل من التنكر كشرطى وكأنك معهم وتتسلل وتنفذ الخطة، ولا أسهل من إيجاد موقع جيد وتنتظر الفرصة السانحة.

لقد ضيعت هذه العاهرة الوقت فى التحدث مع الفتى القذر حتى يخرج.

لقد كان يستحق الموت، فالعصابات بمثابة وباء على المدينة.

كان من السهل أن يقتلها معه، لكن هذا أفضل، لقد أنجز شيئاً وسيرى عواقبه عليها.

لم يكن يدرك مدى روعة الأمر، لماذا انتهى الأمر سريعاً؟

لقد ترك زى الشرطة والسلاح واختفى وسط الجماهير المفزوعة ثم هرب وسط الهرج والمرج.

لكن ليس قبل أن يرى فيبى تقفز وتسرع نحو الفتى المقتول وتنحنى عليه أمام متجر الخمور.

لكنه كان ميتاً بالفعل، فهو لم يخطئ فى التصويب.

ستتهافت الصحافة على الخبر، أخذ يفكر فى ذلك وهو يتجه نحو سيارته فى الحى الغربى حيث تركها. سينال الصحفيون بأقلامهم من العاهرة ماكنامارا التى أخرجت الفتى ليتلقى وابلاً من الرصاص الذى مزق جسده.

سيبتاع بعض الشراب والطعام ويعود للمنزل ليشاهد الأخبار، لتقر عيناه بالأنباء السعيدة.

عندما عادت فيبى للمنزل، سمعت أصوات الحضور فى الصالة، وعلمت أن العشاء انتهى منذ فترة طويلة وتم غسل الصحون، وأن الجميع يجلسون للمسامرة الآن.

وجدت الجميع يحتسون الشراب والقهوة فى الصالة. دارت الكؤوس والآنية الثمينة التى تحوى الشراب اللذيذ على الجميع.

كلها كؤوس وأوان فخمة ورثوها عن إليزابيث ماكنامارا .

كانت فيبى تريد الذهاب مباشرة لحجرتها لتؤوى إلى فراشها، أو تقبع تحت الفراش. لكنها لم تتمكن من ذلك، لم تكن لتفعل ذلك الآن، فسارت نحو الصالة.

كان كارتر يروى لهم قصة فكاهية علمت ذلك من حركات يديه. ولطالما كان هو منبع القصص المسلية فى وقت الولائم، وتمنت فيبى لو أصبح كاتباً، لكن عمله فى التدريس يلتهم كل وقته، فلم يتمكن من تنمية هوايته فى سرد القصص.

كانت جوزى جالسة بجواره تضحك وتحرك عينيها. كان من الرائع أن ترى كم تحب زوجها وكم يحبها هو بشدة، وكأنهما متزوجان حديثاً.

حتى الأم تبدو عليها السعادة والسلام والطمأنينة. كان عالمها مليئاً بمن يدخل عليها السعادة. وكانت إيفا جالسة على ذراع المقعد الذى تجلس عليه الأم، وهى تحتسى القهوة فى كأس ثمين قديم.

أما كارلى الصغيرة، فكانت تجلس على الأريكة بجوار دانكان، ووجهها مشرق بابتسامة جميلة وهى تتحدث إليه (ربما وقعت فى

غرامه على ما يبدو.

بدا دانكان سويفت وكأنه مرتاح وفى منزله تماماً. كان يستند بظهره على الأريكة ومسترخيًا ويفرد ذراعيه ورجليه، ويغمز بعينه لـ"كارلى"وكأن بينهما سرًا كبيرًا.

كم المسافة بين هذا المنزل وشارع هيتش؟

كيف يكونان عالمين متباعدين ومنفصلين رغم قرب المسافة بينهما؟

كان دانكان أول من رآها بعينيه اللامعتين، ثم بدا عليه القلق البالغ بسرعة. هل حالة فيبى واضحة إلى هذا الحد؟

نهض وسار إليها قائلاً: "هل أنت بخير؟".

قالت بصوت ممتزج باليأس تردد فى جميع أرجاء الحجرة: "كلا، لم أصب بأى مكروه، لكن حالتى النفسية سيئة. آسفة لأننى لم أحضر على العشاء".

صاحت كارلى: "لقد قضينا وقتاً ممتعاً جداً يا أمى! قال دانكان إن ..."صمتت كارلى فى ذهول عندما رأت الدماء على ملابس أمها. رأت فيبى عينى ابنتها الزرقاوين تنظران فى ذهول إلى الدماء.

كان لديها زى احتياطى فى قسم الشرطة، لكنها جاءت للمنزل وعلى ملابسها دماء تشارلى جونسون.

"ليست دمائى. أنا بخير، لم أصب بسوء، لكنى بحاجة إلى حضن كبير منك الآن".

ثم انحنت فيبى لتتلقى كارلى فى حضنها.

ظلت منحنية فى حضن ابنتها وشعرت بالامتنان لأن طفلتها معها فى أمان بين ذراعيها، فى حين أن غيرها من الأمهات فقدن أبناءهن.

تراجعت فيبى وقبلت كارلى على وجنتيها، ثم نهضت ونظرت لأمها الواقفة بوجهها الشاحب ويديها المتشابكتين بقوة.

قالت فيبى: "لم يحدث لى شىء، هذا أولاً. انظرى نحوى يا أمى، لم يحدث لى شىء، لا شىء على الإطلاق، هل يشعرك هذا بالاطمئنان؟".

"حسناً يا ابنتى".

"صب لأمى بعض عصير الليمون يا كارتر. اجلسى يا أمى، آسفة لأننى أحب مشاركة أسرارى مع كارلى بدونك، آسفة على عدم اتفاقنا على الحدود هنا فى التعامل معها. أنا نفسى أحتاج لمشروب أقوى من الليمون".

سارت إيفا نحوها وأمسكت ذراعها بحنو وقالت: "سأحضر لك كأساً من الشراب وبعض الطعام، اجلسى أنت أيضاً".

"يجب أن أجلس فعلاً. سأفعل، سأبدل ملابسى أولاً". ثم قالت لـ"كارلى": "سأعود حالاً".

نظر دانكان إلى إيسى بينما صعدت فيبى لحجرتها وقال: "اعذرينى يا إيسى ولا تمانعى، لكنى سأصعد لحجرة فيبى".

لم ينتظر الإذن ولحق بـ"فيبى"على السلم.

"سأبدل ملابسى فقط".

"لا أريد مغازلتك كما تظنين، فأنت مرهقة".

"كان يومى فى العمل سيئاً جداً، كان سيئاً للغاية. لا يمكننى التحدث عنه الآن، سأتحدث عنه دفعه واحدة لكن لاحقاً".

"سأظل فقط إلى جوارك، لا داعى للكلام".

دخلا حجرتها وأخرجت من خزانة ملابسها بنطالاً قطنياً وخلعت بنطال الشرطة الملطخ بالدماء ووضعته فى سلة الملابس المتسخة وقالت: "سيكون على أمى أن تصنع معجزة علمية لتخرج بقع دماء الفتى المسكين من ملابسى". ثم فركت عينيها اللتين كانتا على وشك إسقاط دموع الحزن، وقبل أن يحتضنها دانكان ابتعدت للخلف وهزت رأسها بالنفى.

"كلاً، لا داعى للأحضان المخففة للآلام الآن، ولا داعى للدموع. سأؤجل دموعى، لأن أمى قلقة بشأنى، وستظل قلقة حتى أنزل إليها".

"لنعد إليهم إذاً".

نزل معها وكانت إيفا قد وضعت بالفعل صينية طعام وكأساً من الشراب لها.

"من المؤكد أنه ستظهر أو ظهرت بالفعل أنباء الحادث فى نشرة الأخبار فى التلفاز. حدث الأمر فى شارع هيتش، وهو متعلق

بالعصابات والرهائن. كان الفتى يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، وكان مضللاً وغاضباً، وحزيناً. تفاوضت معه لوقت طويل حتى خرج وترك الرهائن، وقلت له إنه إن خرج سيكون في أمان. خرج كما شرحت له، بلا سلاح ويداه لأعلى، ولكن شخصاً ما قتله رمياً بالرصاص. قتلوه وهو يسلم نفسه رافعاً يديه لأعلى. كانت أمه قريبة من موقع الحادث وغالباً رأت ما حدث".

سألتها كارلى: "هل سيكون بخير؟".

قالت فيبى: "كلا يا عزيزتى، لقد مات". ثم همهمت: "قبل أن أصل إليه".

"لماذا قتلوه؟".

"لا أعلم". تحسست شعر كارلى وانحنت لتقبله وقالت: "لا أعلم فحسب، ولا نعلم السبب أو الجانى، حتى الآن. سيتحدث التلفاز عن الحادث، أريدكم أن تعرفوا كل شىء عما حدث".

"أتمنى لو لم يحدث ذلك".

"وأنا أيضاً يا طفلتى".

احتضنتها كارلى وقالت: "ستشعرين بالتحسن إن تناولت شيئاً من الطعام، لقد كنت دوماً تقولين ذلك لى".

بدأت عن عمد فى تناول طعامها. ولم تدر ما هو، ولم تشعر بمذاقه، لكنها تناولته بهمة ونشاط قبل أن تقول: "هذا ما قلته مراراً، وكالعادة أنا محقة فيما قلته. والآن ليكف الجميع عن القلق، أخبرونى عما فعلتموه الليلة من أمور ممتعة".

"لعب دانكان والخال كارتر على البيانو كثنائى عازف".

"أحقاً؟".

"نعم، كما قال الخال كارتر، وكان الأمر ممتعاً أن يعزف الثنائى مقطوعة جميلة وممتعة، وذكرت العمة جوزى نكتة الدجاج".

"أوه، ليس مجدداً".

قال دانكان وهو يرسم ابتسامة مصطنعة على شفتيه: "ولكن النكتة أعجبتنى". لقد أدرك أن فيبى بحاجة إلى مثل هذه الابتسامة. إنها بحاجة إلى أن يعود الجميع لحالتهم الطبيعية.

"قال دانكان إننى مدعوة معك على نزهة فى قاربه الشراعى

يوم السبت إن وافقت على الذهاب. هلا ذهبنا من فضلك يا أمي؟ لم أركب قاربا شراعياً من قبل أبداً".

"إذاً لقد أهملنا هذا الجزء من تربيتك. لا مانع عندي في الذهاب".

"رائع!".

"لكن حالياً حان وقت النوم، لتؤوي لفراشك الآن، لقد تجاوزت موعد نومك".

"لكنَّ لدينا ضيوفاً الآن".

"ولدينا طفلة مؤدبة ومهذبة تضحي بنفسها. يا لي من أم! الآن قولي للضيوف تصبحون على خير وسآتي إليك بعد دقيقتين في فراشك".

وقفت كارلي وسارت بخطى متثاقلة في أرجاء الحجرة، ونظرت بالتماس نحو الجميع ليتدخلوا ويمنعوا الأمر. لم يتحدث أحد فقالت: "أتمنى لو مكثت معكم أكبر وقت ممكن، لكن شكراً على حضوركم على العشاء".

"شكراً لك على استضافتي. لدينا موعد يوم السبت أليس كذلك؟".

اختفت علامات الحزن من وجهها وقالت: "حسنا، وداعاً، تصبحون على خير".

بمجرد انصراف كارلي، تركت فيبي الطعام وقال دانكان: "يجدر بي الانصراف الآن".

تبادل الجميع الاعتراضات المهذبة والشكر المتبادل والقبلات على الخدود والتصافح باليد.

قالت فيبي: "سأوصلك للخارج".

كان شعوراً رائعاً أن تقف بالخارج في الهواء الطلق، وأن تستنشق هذا النسيم العليل. اعتذرت له بالقول: "أنا آسفة لأنني أفسدت ليلتكم".

سارا نحو سيارته وأحاط كتفيها بذراعه وقال: "لا تفكري في الأمر بتلك الطريقة، لا تكوني قاسية على نفسك".

قالت وهي تتجه إليه وقد بدأت تظهر مشاعرها المكبوتة: "كان أمراً فظيعاً." ثم صمتت لحظة مالت بعدها نحوه لتقول: "لا أعرف كيف سأخرج المشهد الفظيع من رأسي. ربما لا يجب

أن أنساه، لا أعرف كيف حدث. يقول البعض إن الشرطة هى التى قتلت الفتى، ونحن نقول إننا نشك فى أحد أفراد العصابة المنافسة. وجدنا السلاح أداة الجريمة، كان مسدساً عيار ٤٧ مللى، وليس من أسلحة الشرطة. لقد قام الجانى بقتل الفتى فى ثوان، وأصيب أحد الرهائن. سيكون بخير لكن ...". سحبت نفساً عميقاً وقالت: "لا داعى للخوض فى هذا الحوار الآن".

"يمكنك التحدث معى فى أى وقت تحبين".

"سأتحدث معك فى الأمر بعيداً عن المنزل". ثم نظرت لمنزلها وأردفت قائلة: "فى أى وقت مناسب ... إلى اللقاء يوم السبت".

"سآتى لاصطحابك وكارلى الساعة العاشرة صباحاً، ما رأيك؟".

"كان لطفاً كبيراً منك أن توجه لها الدعوة، لكنى لا أريدك أن تكون مضطراً إلى ......".

وضع إصبعه على شفتيها وقاطعها بالقول: "لا داعى للشكر، ولا داعى للقلق. إن لم تفلح علاقتى معك ومع أمك، فسألقى بشباكى على الفتاة الصغيرة، ربما أتزوجها بعد خمسة عشر عاماً!".

"بل ليس قبل عشرين عاماً على الأقل".

ضحك وهو يقول: "يا لك من عنيدة! لكن هذا سيزيد من حماستى تجاهك. أرأيت أن لدىَّ خيارات متعددة إزاء سيدات المنزل؟ أراك يوم السبت يا فيبى".

"حسناً، وسأحضر معى كمية كبيرة من كريم واق للشمس لى ولابنتى، فبشرتنا حساسة نحن ذوات الشعر الأحمر".

أشارت له كوداع وهو يرحل بسيارته ثم وقفت قليلاً فى الهواء الطلق، وبعد قليل سارت حتى سلم الباب الأمامى وجلست على السلم. بالطبع، كان يجب أن تدخل وتضع ابنتها على الفراش وتراعى أمها فى حالة إصابتها بالفزع، لكنها مكثت قليلاً فى مكانها .

جاء كارتر لها ولم يقل أى شىء، بل جلس بجوارها وتناول يديها بين يديه .

جلسا معاً لفترة أطول.

١٨

لم تكن فيبى مخطئة فيما ذكرته عن الضجة الإعلامية التى ظلت تحتل شاشات التلفاز، وصفحات الجرائد والإنترنت. صار تشارلى جونسون بموته رمزًا للعنف بين العصابات، والعنصرية ضد السود والزنوج، وفساد جهاز الشرطة وعدم كفاءته. ويتوقف ذلك على الزاوية التى تنظر بها للأمور فى أى وقت.

تجنبت عشرات المكالمات من المراسلين وتلقت لأول مرة فى حياتها العملية تهديدات بالقتل.

ثم حقق معها أفراد النيابة مرة أخرى.

أقنعها ديف بالخروج معه لتناول غداء سريع، ووجدها تعبث فى كوب الشاى المثلج قبل الأكل فقال: "كيف حالك الآن؟".

"مازالت صورته تطاردنى ذهنياً وهو يخرج مستسلماً، وكنت

أقول لنفسى: عمل جيد يا فيبى، ممتازة، ثم أسمع صوت الرصاص ويهتز جسده كالدمية، ويموت على الفور".

هـز رأسـه قائلاً: "لقد أديت عملاً جيـدًا بالفعل. فلنتحدث عن هذا بوضوح".

"لكـن المفاوض جزء مـن فريق يا ديـف، كما علمتنـى، والفريق خذل الفتى والرهائن والجميع".

"هناك شىء ما قد فشل وأخفق، لسنا متأكدين ما هو بالتحديد، لكنك لست جزءًا منه على أية حالة. قتل الفتى وهناك رهينة جريح ولم يطلـق أحـد رجـال الشـرطة رصاصـة واحـدة، والسـلاح الـذى وجـدوه كأداة جريمـة لا يخصـنا. وعلـى أية حال، الخطـأ علينا لأن ثمة خطأ قد وقع أثناء تسلل الجانى أو أثناء إخلاء المنطقة".

"كان هناك المزيد من العنف بالأمس بين عصـابات غرب وشـرق المدينـة، لقد اسـتغلوا حـادث مقتل الفتـى كذريعة لمزيد مـن القتل. كما أن وسـائل الإعلام تسـتغل الفتى كمادة إعلامية سواء بتضخيم الحـدث أو التقليـل مـن شـأنه، وربطـوا الحـادث بالعنصـرية ضـد الزنوج، وكأن البيض قتلوا الفتى الأسود. العنصرية جزء من تفكير العصـابات لكـن لا دخـل لهـا بالحـادث، لم يقتل تشـارلى جونسـون بسبب لون جلده، كما أنه لا يستحق الموت هكذا بتلك الطريقة".

صـمتت عندمـا اقـترب النـادل لتقديم الشـطائر التـى طلباها وقالت له: "مات فرانكلين جونسون هذا الصباح".

"أعلم ذلك".

"فقدت أوبال جونسون ولديها. مات طفلاها، الأول ليس بسببنا علـى الأقل ظاهرياً، وقبضـنا على قاتله. لماذا؟ ترى هل كنا سـنفعل ذلك بهذه السـرعة لو لم يذهب تشـارلى لمتجر الخمور بالأمس؟ لا أعلم الإجابة، وهذا يزعجنى".

"لا أعرفهـا أنـا أيضـاً، لكننا نؤدى واجبنـا بأكبر قدر ممكن من التفانـى والإخلاص فـى العمـل، أنا وأنـت، وننقذ أكبـر عدد ممكن وقت الأزمات يا فيبى. وكل أزمة حالة خاصة بذاتها".

تناولت قطعة بطاطس من الطبق الذى جاء مع الشطائر وفتتتها لقطع صغيرة وقالت: "لقد أخبرته أنه سيكون بخير إن خرج".

"لم تخطئى، كان يجب أن يسير كل شىء على ما يرام، وكان يجب أن يكون مقبوضاً عليه الآن ومحاميه يحاول التماس العذر له لدى المحقق. كان الخطأ من فريق العمليات الخاصة، وسنحدد هذا الخطأ، وسيتم التحقيق فى كل دقيقة من الحادث وكل حركة وكل أمر. وأثناء ذلك، علينا مواجهة غضب الرأى العام، والعلاقات العامة والكابوس الإعلامى الذى يضخم الأمور ويوصل الناس لحالة الغليان والتخريب والحرق والشغب. ستحضرين مؤتمراً صحفياً مع رئيس وحدة العمليات الخاصة يا فيبى، وستلقين خطاباً قصيراً وستجيبان معاً بعد الإدلاء بتصريح موجز عن أسئلة الصحفيين، هذا ضرورى رغم أنه سيكون لوقت قصير".

رفعت يدها قبل أن يقول أى شىء آخر وقالت: "هذا سيوفر واجهة إعلامية مضادة، فأنا بيضاء ورئيس وحدة العمليات الخاصة زنجى، وأنا مدركة لأهمية المؤتمر ومشاركتى فيه، وسأؤدى دورى. متى سيعقد المؤتمر؟".

"الساعة الثالثة".

أومأت له وقالت: "حسناً، هذا سيعطينى وقتاً للذهاب لشارع هيتش. أريد معاينة مسرحى الجريمة، كليهما".

وقفت عند النافذة التى انطلقت منها النيران، والتى تعج الآن بفريق التحقيق الخاص بمسح موقع الجريمة. كانت نافذة ضيقة وصغيرة على طراز النوافذ ذات الضفتين كالأبواب، كانت فى الطابق الثانى من مبنى على مقربة من متجر الخمور.

وفقاً للتقارير، لقد تم إخلاء المبنى من سكانه بواسطة فريق العمليات الخاصة، والتى تمركزت على السطح وفى الدور الثالث. لم يدخل أو يخرج أحد من المدنيين فى المبنى.

لكنها ليست المرة الأولى التى يتم فيها تأمين أماكن دون سواها.

أدركت فيبى أنه من المؤكد أن القناص الذى قتل الفتى كان يتمتع بزاوية رؤية جيدة، من خلال النافذة، كانت ستكون أفضل

من السطح أو الطابق الثالث .

خاصـة إذا كان الهدف فتى غير مسـلح سـيظهر فى العراء دون سـاتر ولـن يتحـرك، ويرفـع يديـه لأعلـى مستسـلماً، مجـرد هدف مثالى ليمزقه الرصاص.

قـال المحقـق سـايكس من خلفها: "تسـكن هنا أم بـلا زوج تدعى ريانا كورتس ولديها طفلان، ولد فى الخامسة وبنت فى الثالثة من العمـر، وليس لديها سـجل إجرامى. كانوا خـارج المنزل وقت إطلاق النار وفقاً للشهود، وكان صديقها خارج المكان فى عمله، وتأكدنا من ذلك".

أومـأت له فيبـى وقالت: "قرأت أقوالها، قالت إن هناك شـرطياً أمرها بالخروج وقادها للخارج، وجاء عدد كبير من رجال الشـرطة إلى البنايـة وخارجهـا كمـا قالت، وخرجت مع طفليهـا وذهبت لمنزل أختها على بعد بضع بنايات".

"ولا تتذكر هل أغلقت الباب أم لا، ولا حتى تركته مفتوحاً أم لا. قالت إن الأمر تم بسرعة وكانت خائفة".

قـال سـاكس مخمنـاً: "إذاً جـاء الجانـى متنكراً فى زى شـرطى واقتحم المنزل، وكان مسلحاً".

"مسـلح؟ لا شـك فـى ذلـك، لأن مـن المسـتحيل أن تكـون هنـاك أم لطفلـين بحوزتهـا سـلاح عيار ٤٧ مللـى. إذاً جاء الجانى مسـلحاً وهدفه محدد وواضح، فلماذا لا يتنكر كشرطى ؟".

"كان هنـاك أعضـاء مـن عصـابة لورد فـى المبنى وسنفحصـهم جيداً".

شـعرت فيبى بأن هذا لن يفيد، فلقد قتل تشـارلى فحسـب. ثم تماسـكت وسـيطرت على مشـاعرها وقالت لنفسـها إن مـا حدث قد حدث ولا داعى للاسـتغراق فى الحزن، وحان وقت إصـلاح ما يمكن إصلاحه .

تجولت فيبى عبر الشقة التى كانت محتوياتها مبعثرة وقالت: "كيف عرف القاتل أن تشارلى جونسون بالذات هو الذى كان بداخل المبنى؟".

"ربمـا لم يقصـده هو، بل أى فرد من عصـابة بوص فحسـب".

"حسناً كيف علم ذلك؟هل رأى تشارلى يدخل.ويرتدى زى عصابته، ويمكث عشر دقائق بالداخل قبل أن يحتجز الرهائن؟ هل حضر بسرعة لهذه الشقة عندما أبلغ الناس الشرطة عن إطلاق النيران فى متجر الخمور؟قالت السيدة إنها رأته يعبر الشارع قبل دقائق من إطلاق النيران".

"ربما رآه القاتل أو سمع كلام الناس عن مجيئه لأن الكلام يتناثر بينهم، ثم أحضر سلاحه وكان محظوظاً لأنه وجد مكاناً مناسباً له كقناص".

"سنرى من قام بإخلاء المبنى ونراجع المكالمات الهاتفية التى تمت بعد إخلاء المكان، وهناك احتمال بأن القاتل قد تلقى مكالمة هاتفية، ليأتى فى الوقت المناسب. ثمة احتمالات بأن يكون قد تلقى هذه المكالمة من هاتف خلوى، ولكن لا يمكن التحقق من ذلك".

توجهت إلى النافذة فى حجرة نوم صغيرة، التى بدا واضحاً أنها مخصصة للأطفال. وجدت أنها من هذه الزاوية تستطيع أن ترى المطعم، حيث كانت تجلس وهى تحاول إقناع تشارلى بالاستسلام أمس. قالت: "أتساءل كم مجرماً يمكنه مقاومة الرغبة المتأصلة فيهم لقتل أفراد الشرطة؟ هل يمكنهم مقاومة تلك الرغبة حتى يخرج الهدف المنشود، أو يتم إخراجه؟ لا أظننى أتفهم ذلك. لكن لماذا لم يقتل أفراد الشرطة بعد قتله للفتى؟ وبالتالى كان سيقتل أكثر ويتسبب فى فوضى أكبر ويحقق سعادة أكبر لنفسه. لكن الرصاصة التى أصابت أحد الرهائن كانت طائشة، يا له من شىء غريب، أليس كذلك؟".

زم شفتيه وقال: "يا له من لغز صعب، هل السبب هو انتقام العصابات من بعضها البعض؟".

"عندما أعرف سأخبرك".

استجوبت كل سكان البناية وملأت حقيبتها بالملفات والأقوال وهى فى طريقها للمنزل. حرصت فيبى على أن تعود للمنزل قبل حلول الظلام.

أرادت أن يكون كل أفراد عائلتها داخل المنزل قبل غروب الشمس، فى حالة تصعيد أعمال العنف فى المدينة ليلاً، وفى حالة إن لم تمنع المسافة بين شارع جونز وشارع هيتش من انتشار العنف فى شارع منزلها.

كسرت قاعدة ظلت تطبقها بصرامة طوال سنوات عملها: وضعت سلاحها فى رف عال فى دولابها وتركته معداً لإطلاق النار ومحشواً بالرصاص .

بمجرد أن ذهبت كارلى لفراشها لكى تنام، فحصت كارلى كل أبواب المنزل وتأكدت من أنها موصدة بإحكام وتحققت من جهاز الإنذار، وبعد ذلك ذهبت لحجرة مكتبها وفتحت التلفاز بصوت منخفض لكى ترى أهم الأحداث فى الأخبار، ثم بدأت تقرأ الملفات والتقارير وأقوال الشهود.

عندما رن هاتفها الجوال، ردت وهى شاردة الذهن: "هنا الملازم فيبى ماكنامارا".

"وأنا دانكان سويفت، كيف حالك يا عزيزتى؟".

جعلتها فكرة أن يناديها أحد "يا عزيزتى" تبتسم وهى محاطة بتقارير عن مسرح الجريمة والرسومات التخطيطية والملفات. قالت: "أهلاً يا دانكان".

"كنت فقط أتأكد من أنك تتذكرين موعدنا غداً على القارب الشراعى. ستكونان من ضمن طاقمى على القارب".

"نعم أتذكره، لكننا لن نعمل كبحارة فى قاربك. إن سحبت كلامى ولم نذهب ستخاصمنى كارلى لمدة طويلة".

"الخصام سلاح قوى جداً ويجعلنى أصالح من يعاملنى به".

"معلومة جيدة لى".

"ومن الغباء منى أن أعترف بها. على أية حال، تقابلت مع فين لاحقاً وسيأتى معنا مع عائلته، إن لم تمانعى بالطبع".

"بالطبع لا أمانع على الإطلاق، ستسعد كارلى بوجود طفلة من سنها. رغم حبها لى لكنها ستشعر بالملل منى على القارب بعد قليل". تركت عملها ونهضت وسارت نحو باب الشرفة وتابعت: "يبدو أن نزهة القارب ستتحول إلى حفلة على ما أظن".

"علمت أنك قضيت وقتاً عصيباً، رأيت كل شيء في التلفاز في الأخبار عصر هذا اليوم. هل أكون تافهاً وسطحياً إن قلت إن صورتك في التلفاز كانت مثيرة جداً لي".

ضحكت وقالت: "نعم، وشكراً لك. كان أمراً مريعاً وفظيعاً يا دانكان".

"إذاً لماذا لا آتي إليك لأخفف عنك؟ وسأكون لطيفا في حجرتك التي سأتسلل إليها !".

تخيلته بسذاجة وهو يتسلق شرفتها ليصل لحجرتها وقالت: "يا إلهي! يبدو هذا رائعاً. لكن لا داعي له. هل أنت في منزلك؟أقصد جزيرتك؟".

"نعم، كان لديَّ بعض الأعمال، لكني في منزلي. أنجزت بعض أعمالي لكن يمكن تأجيل ما تبقى منها. لماذا لا آتي إليك ونشاهد فيلماً رومانسياً معاً؟"

"أود أن أفعل أموراً كهذه، لكن لا تأت للمدينة الليلة، فهناك أعمال شغب. ابق في منزلك حتى لا تسوء الأمور". فصلت الإنذار عن منطقتها حتى تفتح باب الشرفة وقالت: "الجو دافئ الليلة. ليس حاراً بل دافئ، وهذا جيد؛ فالحرارة تهدئ أعمال الشغب".

"ماذا لو أخبرتك أنه بجانب كونك مثيرة، فلقد تعاملت بشكل ممتاز في المؤتمر الصحفي؟ من لم ير اهتمامك بالأمر فهو أعمى".

"إذاً الكثير من الناس من العميان. هل أبدو متشائمة ؟".

بعد هنيهة قال لها: "ما الذي ترتدينه الآن ؟".

"ماذا؟".

"أنا أحاول أن أخرجك من الاكتئاب، ما الذي ترتدينه الآن؟".

"أوه، هممم"نظرت لبنطالها وشعرت بأنها لن تثيره فقالت: "ليس الكثير، مجرد ملابسي المنزلية القصيرة التي ابتعتها من متجر فخم".

"رائع، وهل تضعين أية روائح ؟".

"مجرد عطور فقط في أنحاء متفرقة من جسدي".

"رائع جداً".

"ماذا عنك؟ما الذى ترتديه؟".

"خمنى".

"بنطالاً أزرق من الجينز، مغسولاً مئات المرات حتى فقد لونه، والأزرار مفتوحة بإهمال".

"يا إلهى، هذا حقيقى، هل أنت ساحرة متصلة بالجن؟".

ضحكت بصوت ينم عن الاستمتاع والاسترخاء، ثم جلست وشعرت للمرة الأولى بأن قلق وتوتر الأربع والعشرين ساعة الماضية قد ذهب بلا رجعة، وقالت: "يا إلهى، لا يجب أن أخرج بملابس كهذه وأستند على سور الشرفة. ماذا سيقول الجيران عنى؟".

"أنت رهيبة يا فيبى!".

"يا عزيزى، هذه هى البداية فقط".

فى الصباح، كان من السهل أن تترك العمل وتجعله يحتل المرتبة الثانية من حيز تفكيرها؛ لأن الاقتراب كثيراً من الموت والحزن يجعلان المرء يقدر زرقة السماء والشمس فى يوم جديد، ويقدر كذلك ثرثرة الأطفال التى تنم عن الإثارة.

وهذا ما عبرت عنه كارلى دفعة واحدة عندما رأت القارب الشراعى للوهلة الأولى.

"إنه كبير!إنه جميل!سنقضى أحلى الأوقات!".

قال دانكان: "حسناً. هيا نبدأ".

"لكن أين الأشرعة؟لقد ذكرت أنه قارب شراعى".

"الأشرعة مرفوعة الآن، سنفتحها عندما ننطلق فى عرض البحر". ثم انطلق على متن القارب ومد يده لـ"كارلى"ليساعدها على الهبوط إلى متن القارب قائلاً: "هيا بنا، مرحباً بكم على متن قاربى".

"هل يمكننى أن أشاهد محتويات المركب؟".

"بكل تأكيد".

قفزت فيبى إلى القارب وقالت: "لكن لا تلمسى أى شىء".

ثم قالت لدانكان: "يا له من قارب كبير وجميل بالفعل، لا أعلم

كيف ستقوده".

"لم ينقلب بـى رأسـاً على عقب إلا أربع مرات فقط! أنا أمزح. كنت أرغب دوماً فى الإبحار بقارب شراعى، وكنت معتاداً على المجيء إلى هنا لمشاهدة القوارب. وعندما قررت امتلاك قارب، أخذت دروساً مكثفة فـى قيادته حتى لا أغرق بعد تحقيق حلم حياتى بامتلاك قارب. لكن يجب على الأطفال ارتداء سترة النجاة من باب الاحتياط، وكذلك بيف".

"ومن هو بيف؟".

قال دانكان وهو يشير إليه: "ها هو!".

نظرت فيبى إلى فين وزوجته وابنتهما الصغيرة القادمين من رصيف الميناء، وكان يركض أمامهم كلب بطوق له أقدام قصيرة ووجهه مألوف من نوع البولدج.

"هذا هو كلب فين، فكرت فى أن وجود كلب على القارب سيضفى رونقاً خاصاً، إن أغفلنا لعابه".

بدأ الكلب وكأنه معتاد على حياة البحر وقفز نحو القارب وهز ذيله حتى انحنى دانكان وتحسس جسده.

قالت لو: "يا له من يوم مثالى للإبحار، سأستمتع بالتراخى والكسل. أهلاً فيبى، تسرنى صحبتك لنا".

قالت فيبى: "وأنا أيضاً، أهلاً يا فين، أهلاً يا ليفى".

صاحت كارلى: "كلب صغير !"ثم جاءت من الكابينة الأرضية وتحسست الكلب وقالت: "يا له من كلب رائع!ما اسمه؟هل يمكننى إحضار كلب مماثل يا أمى؟".

قالت فيبى: "ابنتى خجولة جداً، سامحوها".

قالت ليفى وكانت أكثر خجلاً من كارلى: "اسمه بيف ويحب أن يتحسس الناس بطنه".

ابتسمت كارلى وتحسست بطن بيف الذى شعر بالسعادة وقالت: "هناك بالأسفل سرائر ومقاعد وموائد ومطبخ وحمام وكل شيء، هل تريدين رؤيتها؟".

"رأيتها من قبل".

"لنشاهدها مرة أخرى مع بيف".

نظرت ليفى لأمها وقالت: "حسناً".

نزلت مع كارلى التى قالت: "حذاؤك جميل. سأجربه، ويمكنك تجربة حذائى أيضاً".

شعرت فيبى بجمال تجربة الابتعاد عن رصيف الميناء فى القارب الذى يمخر عباب الماء، بينما الفتاتان تعبثان وتثرثران فى مقدمة السفينة، فى حين يجلس الكلب على مقعد خشبى على يمين السفينة ولا يبدو شكله ذا رونق، وكان يرفع رأسه المضحك نحو السماء.

لكن هذا لا يقارن بمشهد فرد الشراع ودفع الهواء له، ما جعل فيبى ترفع رأسها هى أيضاً.

قالت لو: "ربما نحتسى بعض الشراب". ثم قدمت الكأس لفيبى وجلست بجوارها.

"يا إلهى الابد أننا فى الجنة. ألن يصيحوا بنا كى نفرد الشراع أو نرفع الصارى وما شابه من مصطلحات البحارة؟!".

"ليس قبل أن تتحرك الأرواح الشريرة. إن فين لا يعرف ماذا يتعين عليه أن يفعل إلا بعد أن يخبره دانكان أولاً، وترينه مع ذلك يتظاهر بمعرفة كل شىء". ثم ابتسمت ناحية الرجلين قبل أن تستطرد قائلة:

"هل تعرفين دانكان منذ فترة طويلة؟".

"نعم، أعرفه جيداً، وأحبه كثيراً كأخ لى. ولذلك، إذا أغضبته، فسأجد طريقة ما لإيذائك. وفيما عدا ذلك، سنكون على وفاق تام".

"هل يغضبه الناس كثيراً؟".

"ليس عدد كبير منهم يفعل ذلك، لكن هذا يحدث أحياناً؛ فهو رادار ممتاز للكشف عن شخصيات من حوله. كان متيماً بفتاة ولم أكن أطيقها، وكانت تسرد له القصص عن حياتها البائسة وعرفت كيف تستخلص منه بضعة آلاف من الدولارات ثم تركته".

"وماذا فعل لها؟".

حركت لو أصابعها وقالت: "إنه يتمتع بروح طيبة لكنه يمقت الكذب ولا يتحمله".

"هل تحذرينني يا لو ؟".

"هل تضايقت؟ هذا جيد، مما يجعلني أحبك أكثر بالفعل، وأحب ابنتك. رأيت المؤتمر الصحفى الذى ظهرت فيه بالأمس". رفعت لو حاجبيها فى دهشة عندما رأت وجه فيبى ممتقعًا وشاحبًا فقالت: "دعينى أوضح لك بداية أن الأمر بالنسبة لى لا يعنى أن هناك عنصرية من جانب البيض ضد الزنوج؛ فأنا محامية والحياة لدىَّ ليست إما أبيض أو أسود، بل خليط رمادى اللون. وثانياً، دانكان الأبيض جزء من عائلتى. وأظنك تعاملت مع الأمر جيداً رغم الصعوبات فى موقف حساس كهذا. هذا كل ما أردت قوله عن الأمر". نظرت لو لحذاء فيبى وقالت: "حذاؤك جميل. سأجرب ارتداءه لاحقاً".

ضحكت فيبى واسترخت واستمتعت بالرحلة البحرية.

تناولوا الغذاء على البحيرة واستمتعوا بالسباحة فيها، وشعرت كارلى بالإثارة عندما قادت دفة القارب لفترة.

عندما جاءت فيبى نحو دانكان عند مقدمة السفينة قال لها: "هل تستمتعين بوقتك ؟".

"سيكون أفضل أيام حياتى فى ذاكرتى الحالية".

"يمكننا أن نمد اليوم، ونبحر حتى منزلى ونجعل كارلى تنام من التعب لنبقى بمفردنا".

"ماذا عن بيف وباقى الأصدقاء؟".

صاح: "سوف نلقيهم فى البحر!". مال نحوها وهى تضحك وقال: "قولى إنك موافقة.

"لكنى أحبهم ولن أوافق؟".

"خشيت ذلك".

"لكنى سأدعوك للشراب فى حديقتى عندما توصلنا للمنزل".

"سأقبل دعوتك. انصتى ...".

قالت له: "ماذا؟"

"لا شىء".

اقتربت منهما كارلى ثم قالت: "تقول أمى إنها كبيرة بما يكفى ولا تحتاج لصديق من الرجال".

"كارلى ...".

قال دانكان معترضاً على احتجاج فيبى: "ما رأيك فى هذا؟".

قالت كارلى: "أعتقد أنك ستكون صديقها لأنك تخرج معها كثيراً، وقالت إيفا لجدتى إنها سعيدة لأن أمى تعيش لحظات رومانسية و...".

"كارلى، تناولى بعض الكعك لتغلقى فمك بأى شىء".

"لقد قلت إننى تناولت كفايتى من الحلوى".

"غيرت رأيى".

قالت فيبى وهى تشير لفين ولو: "كفا عن الضحك".

ثم قالت لدنكان: "وأنت أيضاً".

قال لها: "هل نحظى فعلاً بلحظات من الرومانسية؟إذاً، لنجعلها تدوم أكثر".

أخذ فين يصفر بالقرب من أذنيها، ما جعلها تنهض وتقول: "أعتقد أن هذا يكفى. سأذهب لتناول المزيد من الحلوى".

بعد أن ودعت دانكان عند انصرافه من منزلها، فكرت فى أمر الرومانسية، وشعرت بأن علاقتها به تعقدت، لكن لا جدوى من إنكار أنها تستمتع بالرومانسية معه.

لن تحلل الأمر لتصل لتسمية أخرى لعلاقتها به، لكنها ستستمتع بكل لحظة فى علاقتها معه حتى تنتهى.

خلعت ملابسها وشعرت بمدى روعة أن تأخذ دشاً ساخناً بعد قضاء يوم فى البحر. عندما رن هاتفها شعرت بأنه دانكان، وأنه يتصل ليخبرها بشىء يضحكها.

وعندما أمسكت الهاتف ووجدت اسم المتصل، شعرت بتقلصات فى معدتها ففتحت الخط وقالت: "أهلاً يا روى".

بعد أقل من عشر دقائق، هبطت السلم نحو المطبخ لتحصل على طبق الآيس كريم بطعم الشوكولاتة من الثلاجة.

كانت إيسى فى المطبخ عندما شرعت فيبى فى تناول الآيس كريم من الطبق الكارتونى مباشرة وقالت: "هل تشاجرت مع دانكان؟".

"كلا، ولا مع غيره. أردت تناول بعض الآيس كريم فقط".

قالت إيسى بحزم: "نبرة صوتك غاضبة، كما أنك لا تتناولين الآيس كريم إلا عندما تغضبين، بالكاد رحل دانكان من هنا و ...".

"قلت لك لم أتشاجر معه، فهو ليس محور حياتى. ولن أجعل أى رجل محور حياتى و .."ثم صمتت عندما شعرت بأن صوتها جارح كشظيات الزجاج المكسور.

قالت بهدوء: "أنا آسفة، فأنا حزينة للغاية". ثم تناولت المزيد من الآيس كريم وأردفت: "أحاول تهدئة نفسى بتناول الآيس كريم وإلا سأصب جام غضبى على من حولى، حتى إن اضطررت لتناوله حتى الغثيان".

أخذت إيسى ملعقة لتأكل بعض الآيس كريم ثم جلست وقالت لها: "ماذا حدث؟".

"اتصل بى روى، وقال إنه سيتزوج".

تناولت ملعقة أكبر من الآيس كريم ثم علقت: "أحقاً؟هل هى فتاة نعرفها؟حتى نعرف لمن نرسل خالص التعازى !".

"شكراً يا أمى، سيتزوج فتاة تدعى ميزى تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً، أتصدقين ذلك؟".

"مجرد فتاة عابثة، لا شك فى ذلك، ومسكينة أيضاً".

"لكنها من أسرة ثرية وسينتقل ليعيش معها فى"كان"أو"مرسيليا"، لا أتذكر بالضبط. لقد بدأت أذنى تطن لدى سماع الخبر. سيدير أملاك عائلتها فى فرنسا، ويقول لى ألا أقلق إن تأخر الشيك الخاص بنفقات ابنته نتيجة تغيير محل إقامته والبنك الذى يتعامل معه إلى آخره".

"لكنه كان منتظماً فى دفع نفقات ابنته".

"لأنها كانت تسحب تلقائياً من رصيده فى البنك دون أن يفكر فى الأمر، أو حتى فى ابنته". لم يعد صوتها غاضباً بل حزيناً وأردفت قائلة: "لم يسأل عن ابنته ولم يدعها لحفل زفافه".

"لم تكن ستحب الذهاب، وإن ذهبت فلن يروق لها الأمر".

"المهم أنه لم يفكر بها. أعلم أننى غاضبة من شىء لا فائدة منه، عدا أن الملعون سيتزوج امرأة تصغرنى بعشرة أعوام تدعى ميزى ولا يفكر فى ابنته مطلقاً".

"ماذا اعتادت جدتى أن تقول فى مثل هذه المواقف؟ حسناً، كانت تقول إن حيوان الظربان لا يغير رائحته النتنة أبداً. هذا المثل ينطبق عليه رغم أنه قديم. إنه غير مؤثر فى حياة ابنته وهى لا تفكر به، ويجب ألا تكترثى له مثلها".

"معك حق، أعلم ذلك، لم تحظ به كأب حتى تفتقده".

"لكنك عشت معه مدة كافية لكى تفتقديه".

شرد ذهنها وهى تحملق فى الآيس كريم ثم تناولت ملعقة أخرى، وقالت: "كنت فى وهم كبير. ربما هذا أسوأ. لن يغير طباعة أبداً، حتى لو كان ظرباناً، شكراً لك".

شعرت فيبى بأنه لم يستحق حتى غضبها، وصعدت لكى تستحم. جعلتها تلك المكالمة الهاتفية تتذكر لماذا كانت تعتبر الرومانسية منحدراً خطيراً، والأفضل هو الابتعاد عنها حتى لا يجرح أحد فى العلاقة.

ربما حان الوقت لكى تهدأ الأمور فى علاقتها بدانكان. لكن هل يتعين عليها فعل ذلك حتى فى يوم من أجمل أيام حياتها كهذا؟ لقد افترقا على موعد لاحق ولقاء قريب، لكنها كانت سعيدة بذلك، ستقول له إنها لا تريد سوى الصحبة فقط.

وأى رجل يعارض هذا؟

١٩

بناءً على طلبها، تلقت فيبى إخطاراً بموعد صدور تصريح دفن جثة تشارلى جونسون، وبعد أن علمت بذلك أجرت اتصالاتها لتعرف أين ومتى موعد العزاء.

قررت أن تنحى الرأى العام والإشكاليات الجدالية جانباً وتعزى الأم الثكلى وتبدى لها بعض الذى تستحقه. وستفعل هذا لفترة قصيرة وبدون إثارة الشبهات وجذب الأنظار لها، وكان موعد العزاء يتعارض مع موعدها مع دانكان فقررت إلغاءه لصالحه ولصالحها.

قررت أنه حان الوقت لتتركه قليلاً حتى تهدأ عواطفها نحوه، وحتى تفكر فى مسار هذه العلاقة.

اتصلت بـ دانكان ولكنها شعرت بارتياح عندما وجدت خدمة

البريد الصوتى.

سجلت الرسالة: "أنا فيبى يا دانكان. آسفة لأنى مضطرة لإلغاء موعدنا الليلة. لدىَّ شىء مهم، سأذهب لجنازة تشارلى جونسون الليلة". ثم شعرت بالذنب فهو لا يستحق منها ذلك، ثم قالت: "سنتحدث لاحقاً. حسناً، سأذهب إلى اجتماع الآن. وداعاً".

لم تلق فيبى باللوم على الشرطة لرفع حالة التأهب القصوى، وشعرت بأن الاجتماع هدفه العثور على كبش فداء لإخفاق الشرطة. وقررت أن تستعد تماماً للدفاع عن أفعالها إن لزم الأمر، وجلست فى الاجتماع مع المحققين وفريق الأزمات والعمليات الخاصة.

شهد الاجتماع العديد من الأسئلة وإجاباتها، وتم عرض المحضر الذى حررته فيبى وقت الأزمة وإعادة تشغيل شريط تسجيل حوارها مع تشارلى. أنصتت لصوتها وصوت المفاوض هاريسون وصوت تشارلى وأوبال والأوامر المتبادلة بين أجهزة الشرطة وفريق العمليات الخاصة.

قال رئيس الشرطة: "أوضحت الملازم ماكنامارا أن محتجز الرهائن قد وافق على الاستسلام وكان سيخرج بدون سلاح، وهذا ما تؤكده المعلومات التى بين أيدينا"، ثم رفع يده وتابع: "لم يتم إيجاد أى خطأ فى الاتصالات، ولم يطلق النار أى شرطى من فريق العمليات الخاصة".

صمت لبرهة عاد بعدها ليقول: "وجدنا سلاح الجريمة الذى تم إطلاق الرصاص منه، وهو ليس من أسلحة الشرطة أو فريق العمليات الخاصة. كما أن إطلاق النار قد تم من مكان لم يكن به رجال الشرطة، وكان هناك رجال من العصابة المنافسة يسكنون داخل حدود المكان أثناء الواقعة. تلك هى الحقائق، لكن يوجد غيرها؛ لأن حدود المكان تم اختراقها فى غفلة منكم، مما يطرح أسئلة أخرى: متى وكيف ومن؟ مما يعرض قسم الشرطة للانتقاد ورفع القضايا المدنية ضده".

قال هاريسون: "يجرى البحث عن الفاعل". وكان رجلاً ذا حضور طاغ وشكل قوى وصارم وصوته عميق ومنخفض يصلح لإلقاء الأوامر، وأردف قائلاً: "نحن نحقق مع كل فرد من عصابتى بوصى واللورد، وهى عملية طويلة قد تستغرق وقتاً يا سيدى".

نظر الرئيس لـ هاريسون مباشرة وقال: "ماذا عن كيفية الاختراق؟".

قام هاريسون وسار إلى الرسم التوضيحى وقال: "تم إخلاء المبنى من السكان الطابق تلو الآخر، ودخل فريق من الشرطة مكون من ثلاثة أفراد وتم إخلاء المدنيين إلى خارج الحواجز. ورغم أن هذا الموقع لم يكن مثالياً لتأمين وتغطية مكان أزمة الرهائن فقد انتشرت قوات الشرطة فى السطح والطابق الثالث وجنوب المبنى لتوفير أفضل مجال لرؤية متجر الخمور من الأمام، كما كانت هناك تغطية من الخلف والجوانب".

"أخلينا جميع المبانى، أو هكذا ظننا، وطوقناها جميعها برجال الشرطة الذين تمركزوا فى مواقعهم، كان هناك هرج ومرج فى كل مكان أثناء التفاوض، أضف إلى هذا التهديدات وإلحاح المارة بوابل من الأسئلة، وكانت هناك مشاجرة بين سكان بعض البنايات".

اعتدلت قامته واستدار نحوه وهو يقول: "من الممكن أن يكون الجانى قد تسلل فى أثناء المرحلة الأولى. والاحتمال الأرجح فى رأيى، أنه كان أحدهم داخل المبنى بالفعل؛ ثم شق طريقه متسللاً إلى الشقة بعد إخلائها من ساكنيها، واتخذ منها موقعه كقناص. كان الفريق معنياً فى المقام الأول بإجلاء المدنيين بشكل سريع وآمن فى الوقت نفسه. ولم يكن ممكناً فى هذه الظروف أن يتم نشر أفراد الفريق فى كل مكان ليتفقد كل ركن فيه. وعليه، كان من السهل على المتسلل أن يتوارى عن أعين الفريق".

"وهو مسلح بمسدس ٤٧ مللى؟".

زم هاريسون شفتيه وهو يقول: "أجل يا سيدى، هذا ما كان بالفعل".

لاحظت فيبى عبوس وجه ديف عندما قاطعت الحوار: "أيها الرئيس، ذكرت أن الأسئلة هى"من ومتى وكيف"، لكن مع احترامى

فإن أهم سؤال هو "لماذا؟". ربما كان المسئول هو أحد أفراد عصابة اللورد وخاصة أن السلاح غير مرخص ولا نعلم صاحبه، نظراً لنزع الرقم المسلسل للسلاح. لكنى عدت لمسرح الجريمة، ووقفت عند النافذة التى تم إطلاق النار منها وفحصت كل الرسوم والتقارير والأوامر".

قال رئيس الشرطة: "وكذلك أنا".

"إذن فأنت تعلم يا سيدى أن هناك عشرات من رجال الشرطة كانوا فى مجال ضرب النار للقناص، لكنه لم يطلق عليهم النار، ولم يصب أى شرطى عندما أطلق الرصاص على تشارلى جونسون، وأعتقد أنه لا أحد من فريق العمليات الخاصة سيخالفنى الرأى عندما أقول إن القاتل يجيد التصويب بدقة".

قال هاريسون استجابة لنظرات فيبى المتسائلة: "نعم، كان يعرف ما يريده بالضبط وما يفعله".

"كمفاوضة ودارسة لعلم النفس والسلوك الإنسانى، أقول إن القاتل لديه قدرة تحكم عالية فى نفسه. والسؤال هو لماذا قتل تشارلى جونسون رغم أنه ليس عتيد الإجرام وليس فرداً مهماً لدى عصابة بوص؟".

قال رئيس الشرطة: "ربما بدافع استهانته بزعيم عصابة اللورد ومطالبته بأن يستسلم له، وفى هذا إشارة إلى عدم احترامه لهم".

"هذا أمر متفق عليه. ربما ليكون عبرة لأمثاله، لكن كون أحدهم يخترق المبنى بسلاحه دون انتباهنا يعتبر فشلاً فى التخطيط، فالتخطيط ليس مجرد فرصة وحظ".

"هل تقولين إن الأمر به نظرية المؤامرة؟".

لاحظت الشك فى نبرة صوته، فهو سياسى أكثر منه رئيساً للشرطة كما تعلم هى، والسياسيون لا يهتمون بنظريات المؤامرة فقالت: "هذه مجرد احتمالات. ربما تم حث ودفع جونسون ليفعل ما فعله ثم يستغل أحد أفراد العصابة الفرصة ليخلق حالة من الفوضى والعصيان أو...".

صمتت عندما رفع لها الرئيس يده وقال: "نحن نحاول نزع فتيل الأزمة أيتها الملازم، ولا نضيف البارود إلى النار؛ فهناك

الكثير من الأسئلة بلا إجابة، والأهم الآن تحديد مسئولياتنا، وكل المحاضر والأقوال والأوامر توضح أنك تتحملين مسئوليتك، والآن"، توجه بكلامه لرئيس وحدة العمليات الخاصة وقال: "متى وقع ضرب النار...؟".

بعد انتهاء الاجتماع، توجهت فيبى لقاعة التدريب على إطلاق النار لكى تفرغ شحنات إحباطها. حددت هدفها ووضعت سماعات حماية الأذن وأطلقت الرصاص الفارغ.

تنهدت لفشلها فى التصويب وأعادت الكرة مرة أخرى.

قال ديف: "كنت دوماً لا تجيدين التصويب".

رأت معدلها، أخفضت سماعات الأذن وهزت كتفيها بلا اكتراث وقالت: "أنا فاشلة فى التصويب، فأنا لا أتدرب بشكل كاف".

"المفاوض الناجح لن يصل به الأمر لإطلاق النار وسحب سلاحه، لا أحد يجيد الحوار والإنصات مثلك، لذلك أتساءل لماذا تحدثت على هذا النحو فى الاجتماع؟".

"أنا أطرح الأسئلة كما علمتنى، حتى لا يكون التركيز على جزئيات غير مهمة مع نسيان أهم النقاط وإغفالها. ولا أفهم ماذا حدث هنا، ولا أقبل الحلول السهلة".

"هل لا تقبلينها أو تفهمينها لأنك قمت بواجبك؟ ألم يجل هذا بخاطرك؟ لقد تفاوضت بنجاح معه لكى يخرج ويسلم نفسه، لكنك فقدته وهذا ما يجعلك تشعرين بالذنب رغم أن الأمر ليس خطأك".

وفى أثناء حديثه، حدد هدفه وصوب وأطلق الرصاصة الفارغة، ودرست فيبى النتيجة وقالت: "أنت أيضاً لا تجيد التصويب".

"نعم، لكنك مازلت أسوأ منى. كيف كان نومك فى الأيام الماضية؟".

"أنام على فترات متقطعة، أعلم أعراض حالتى يا ديف؛ فأنا متوترة ومكتئبة ومنزعجة للغاية، وأعلم السبب. لكنى لا أعلم لماذا قتل الفتى؛ لهذا تحدثت فى الاجتماع على هذا النحو".

"الرئيس مجرد مفكر مبدع أو سياسى وليس شرطياً يا فيبى...".

"فكرت فى هذا أثناء الاجتماع. يبدو أن كلينا لديه صفات مشتركة غير عدم إجادة التصويب".

ضحك قليلاً وقال وهو يربت على كتفها: "حسناً يا صديقتى، إنه يقلق بشأن العلاقات العامة وإمكانية تحمل المسئولية القانونية والمدنية، ولا يكترث للفتى المقتول".

وضعت رصاصة فارغة أخرى وقالت: "أعرف وأقدر طموحاتك بالنسبة لى يا ديف".

أطلقت النار فاصطدمت الرصاصة باللوحة المعدنية محدثة صوتاً مدوياً لا يتناسب وصوته الهادئ عندما قال: "نعم، فأنت وكارتر بمثابة أبنائى، وأتمنى أن تحلى محلى عندما أتقاعد".

كان يريد دوماً أن يكون لديه أطفال، لكن زوجته السابقة لم ترغب فى الإنجاب. كانت فيبى تعلم ذلك دون أن يخبرها لأنها تعرفه جيداً، وبالتالى صارت مع كارتر بمثابة طفليه. قالت له: "تشعر بالقلق عندما أتفوه بما لا تريده أية رتبة عليا، وبالتالى أدمر مستقبلى المهنى، لكنى لا أهتم بذلك".

"يريد الرئيس إخماد الأمر، حتى لو ضحى بـ هاريسون وبك رغم عدم توافر أدلة تدينك. المنطق يا فيبى يؤيد نظرية أن الأمر متعلق بالعصابات. إنه يعتقد أنها لا تعدو كونها جريمة نزاع على السيادة بين عصابتين، وهذه هى النغمة التى سيظل يرددها".

حملت سلاحها وصوبت نحو الهدف مرة أخرى، ثم قالت: "ربما يقتنع شخص ما بخلاف هذه النغمة".

لاحقاً شعرت بأنها غبية لأنها ظلت تلح وتقاوم وأزعجت الجميع بلا طائل. السياسة والعلاقات العامة ستتولى الأمر. فكرت فى هذا وهى ترتدى زياً رمادياً لتذهب للعزاء بعدما شعرت بأن الأسود سيبدو جريئاً إلى حد ما ومصطنعاً أيضاً.

لم يكن لديها ما تضيفه فى سجل القضية المتخم بالملابسات المتنوعة، عدا أنها مكثت لبضع دقائق فى المطعم قبل التفاوض وبعد الأحداث الرهيبة أيضاً.

قالت لنفسها إنه لا أحد يحب اجتماعات الرئاسة فى أول يوم فى أسبوع العمل.

ستذهب لعزاء تشارلى وتنسى الأمر برمته بعد ذلك، ولن تعلق على أى شىء سوى ما تطلبه الشرطة منها، ولكن ليس لديها المزيد لتقوله.

عقدت شعرها للأمام حتى تبدو أكثر احتراماً لجو الحزن بما يتناسب مع اللون الرمادى لزيها أيضاً.

دخلت إلى الصالة حيث تجلس عائلتها. كانت الأم تمارس الكروشيه أمام التلفاز وكارلى تفترش الأرض وتقلب فى صفحات كتاب تلوين، وقلقت فيبى من الأمر لأنها كانت تشاهد صور الكلاب.

"سأخرج ولن أتأخر أكثر من ساعة".

"انتظرى يا أمى! انظرى! أليست كلاباً جميلة؟".

سارت نحوها فيبى لتمسك الكتاب، وكان مليئاً بصور الكلاب ذات الشعر والفراء، وكانت جميلة بالفعل وقالت: "كم هى جميلة فعلاً، لكنها تحتاج لرعاية وطعام وشراب وتمشية ونظافة وتدريب وعلاج و...".

"لكنك قلت بأن بإمكانى اقتناء كلب فى يوم ما؟".

"نعم، ولم يحن الأوان بعد". وبعد التماس كارلى بعينيها الزرقاوين قالت فيبى: "لست متأكدة بعد. لن نتحدث عن هذا الآن لأننى مضطرة إلى الذهاب فى الحال وهذا ليس قرارى وحدى؛ فأنا فى عملى طوال اليوم وأنت فى المدرسة، ويجب إشراك إيفا والجدة فى مسألة الكلب. بالمناسبة، أين إيفا؟".

نظرت لها إيسى بحيرة وقالت: "فى نادى الكتاب كما قالت على العشاء".

"بالطبع، قالت ذلك لكنى نسيت". اعترفت فيبى لنفسها بأنها كانت تكذب لأنها ظلت شاردة الذهن طوال العشاء، ولم تسمع أية كلمة بشكل عام، لقد كفت عن الاستماع الفعال، بل عن الاستماع بشكل عام، وحان وقت تعديل الأمور. قبلت ابنتها على جبينها وقالت: "كونى طيبة مع جدتك، سأعود قبل مرور وقت طويل".

وقبل أن ترحل، سمعت كارلى تقول بلهجة استمالة وتملق: "ألا تحبين الكلاب يا جدتى؟".

تمنت لو رأت ما قالته ابنتها مضحكاً، لكنها لم تفكر سوى فى أن كارلى ستستغل سيدات المنزل حتى يأتى كلب مزعج يقضم الأغراض ويصيح ليلاً ويبول فى المنزل.

لم تكن تكره الكلاب، لكنها لا تريد إضافة مسئوليات أخرى إلى مسئولياتها.

كانت تعلم أن إيفا تخطط لرحلة مصيف مع ابنها، وهى بالتأكيد تستحق إجازة منهم، وهذا يعنى أنها ستحل محلها فى التسوق والذهاب للبنك والمغسلة ونقل كارلى من وإلى المدرسة ومصالح لا تنقضى بلا نهاية طيلة عشرة أيام.

علاوة على رعاية أم مصابة بفوبيا مغادرة المنزل وطفلة فى السابعة من العمر ونشطة جداً، وبالتالى لم تعتبر نفسها بلا قلب عندما رفضت أن تضم الكلب إلى القائمة مسئولياتها المتنوعة.

لكنها بالطبع لم تكن لتتخلص من هذا الشعور بالقسوة بالكلية، ولذلك كان وجهها عابساً وهى تخرج من الباب الأمامى للمنزل.

كان دانكان عند أولى خطوات سلم المدخل وقال لها: "توقيت ممتاز!".

"ما الذى تفعله هنا؟ ألم تتلقى رسالتى الصوتية؟ أنا آسفة...".

"بل سمعتها، وسأذهب معك للعزاء".

"للعزاء؟"هزت رأسها بالنفى وأغلقت الباب من خلفها وقالت: "كلا، لن تصطحبنى. لماذا ستفعل ذلك؟ أنت لا تعرف القتيل".

"لكن أعرفك ولن تذهبى بمفردك، لماذا تذهبين بمفردك؟".

"أنا قادرة على حماية نفسى".

"هذا لا يمنع ذهابى معك. إن كان سيضايقك اصطحابى لك، لنتقابل هناك وكأننا لا نعرف بعضنا البعض، وتجاهلى وجودى، ولكنك لن تذهبى وحدك، هذا غباء، وأنت لست حمقاء".

أخرجت نظارتها الشمسية وارتدتها بسرعة وقالت: "حماقة،

شكراً لك على أية حال".

علـم أنهـا مسـتاءة ومغتاظة. لماذا أحـب فيها هذه الصـفة؟ قال لها: "حسناً، هل سنقضى الوقت فى المناقشة أم نسرع بالذهاب؟".

"لن أذهب لجنازة الفتى المسكين فى سيارة بورش وأسير بصحبة رجل ثرى يرتدى ملابس من نوع أرمانى".

تنحـى جانبـاً وأشـار إلى سـيارة سـوداء مـن نـوع سـيدان وقـال: "أولاً، هـذه ليسـت سـيارة بورش. ثانيـاً، هـذا الـزى مـن نوع"هوجوبوس"أو"كالفـين كلايـن". لا أفهم فى الموضـة، ربما هو من نوع"أرمانى". وقد أكون غنياً لكنى عشت فى بيئة مماثلة للفتى المسـكين ذى السـتة عشـر ربيعاً القصـيرة، ولم أعش فى منزل فخم فى جونز، وبالتالى لا تستخدمى أسلوب الإسقاط معى!".

حدقـت إليـه لبرهـة ثم قالـت وهى تهز رأسـها: "منـذ فتـرة لم أضـحك على شـىء يسـتحق الضـحك، والآن يبدو كلامك مضحكاً وسخيفاً".

صـارت نحـوه وجذبـت ياقـة سـترته مـن الخلـف لـترى نوعها وقالت: "إنها أرمانى، لا تستهن بأم فتاة خبيرة فى الأزياء".

"هذه نقاط فى صالحك".

شـعرت بالغيـظ والحنـق والهزيمـة، وبـدأت علامـات الغضـب تتصـاعد بداخلهـا وقالـت: "كلا، فى صـالحك أنت. شـكراً لك على فكـرة اصـطحابى، كنـت غاضـبة وحزينـة وأفـكارى مشوشـة لكنـى تجاهلت شيئاً واحداً ولم أذكره".

"ما هو؟".

"لسـت مسـئولة عـن الحـادث، لسـت متورطـة فـى قتـل الفتى، وبالمناسـبة لديـك سـيارة فخمـة سـوداء لامعـة مـن نـوع سـيدان ميدان".

"نعم فكرت أنها مناسبة، لكن سيارتى الأخرى أكبر حجماً، فأنا رجل والرجال يحبون السيارات".

وضـعت يدها على يده عند مقبض الباب وقالت: "كنت معتادة على الذهاب وحدى لدرجة أننى أتمسك باستقلاليتى. لم أكن أحب الذهـاب وحـدى للعزاء وأقـدر مسـاندتك لى الآن وتفكيرك العملى

فى شخصيتى".

مال دانكان نحوها ثم قال: "سأدرس شخصيتك جيداً".

كان العزاء عبارة عن منزل صغير، وكانت ساحة السيارات مليئة بالسيارات والناس. رأت فيبى الصحفيين على حواف المنزل، وكان بعضهم يحاول إجراء الحوارات فيما البعض الآخر يجرونها بالفعل.

قال دانكان: "لابد أن هناك باباً آخر للدخول".

كانت من أولويات فيبى الابتعاد عن الصحافة وكانت مستعدة لذلك بالفعل فقالت: "هناك باب جانبى، فحصت الأمر بنفسى. أعتقد أننى سأدخل وأخرج منه، لن أمكث لأكثر من خمس دقائق، سيكون هناك صحفيون لتصوير مندوبى الشرطة، وأنا لست بصفة رسمية هنا".

وجد مكاناً لصف السيارة فى الشارع ثم نظر إلى حذائها ذى الكعب العالى وقال: "فهمت ذلك، هل بإمكانك السير لمسافات طويلة بهذا الحذاء؟".

"هذا ما تفعله الفتيات، وأنا واحدة منهن".

عندما سارا على الرصيف وأمسك يديها، صاحت: "اللعنة!".

"ماذا؟".

قالت: "لا شىء، لا شىء". ثم حولت بصرها عنه.

بدأت تدرك كم هى تحبه. أدركت ذلك وهى فى طريقها للعزاء، يا للغرابة!

لم يكن ذلك منطقياً على الإطلاق.

"هل أنت متأكدة أنك تودين القيام بهذا يا فيبى؟".

لم تكن متأكدة، فهى ليست مستعدة لتحمل مسئولية كلب، فما بالها بمسئولية وقوعها فى حب رجل؟ لكنه لم يقرأ ذهنها ولم يكن يتحدث عن وقوعها فى الحب.

"نعم سأفعل ذلك، سأعزى أم تشارلى، والسبب هو أننى بحاجة إلى هذه الطقوس لأهدأ نفسياً. لن أواصل حياتى جيداً وأنا

غاضبة وحزينة، أنا أعانى من كبت هذه الانفعالات الآن منذ فترة طويلة".

دخلا بسهولة من الباب الجانبى، ولكن قبل أن تهنئ فيبى نفسها على تجنب الصحافة بالخارج وجدت مشكلة أخرى.

وجدت مجموعة من الناس فى صالة صغيرة، وما إن تحرك الباب حتى نظر الجميع إليها وأخذوا يحدقون فيها فى سكون تام وكأن على رؤوسهم الطير.

لاحظت فيبى أنها ودانكان ليسا الوحيدين من البيض؛ حيث كان هناك الكثير غيرهم رغم كثرة الزنوج. لكن من المؤكد أنهم شاهدوها فى التلفاز. رأت البعض يحدقون إليها لأنهم يعرفونها، ورأت الاستياء فى وجوه الآخرين.

كسرت هذا الصمت بسبب رجل طويل أسود قال بغضب: "لا مكان لك هنا! اغربى عن وجهى بحق الجحيم وإلا ...".

صاحت أوبال وهرعت للأمام، وبدت أكبر من عمرها الفعلى بعشر سنوات عندما رأتها فيبى فى المطعم، وقد غاصت عيناها فى جسدها النحيل ووجهها الشاحب وكأنها لن ترى النور أبداً بعد الآن: "لا تتحدث باسمى، لا تتحدث بالنيابة عنى أو عن ابنى".

"لكننا أسرة واحدة ومن حى واحد".

"هل ستتحدث عن عائلتى الآن يا أخى؟ أين كانت عائلتى عندما احتجت إليها؟ كنتما فى حى شارلوت، وليس فى هذا الحى، لا تتحدث بالنيابة عنى". ثم قالت بعد أن سحبت نفساً لتستجمع رباطة جأشها: "مرحباً أيتها الملازم ماكنامارا؟".

"آسفة على تدخلى يا سيدة جونسون. أردت التعبير عن عزائى لك وأسفى على تشارلى، ولن أمكث طويلاً".

احتضنتها أوبال وقالت بهدوء: "أشكرك على المجىء أيتها الملازم ماكنامارا، وعلى عدم تجاهلك لنا".

شعرت فيبى بالألم والحسرة وثورة عواطفها تمزق نياط قلبها وقالت: "لن أنسى أبداً ما حدث".

"من فضلك، هلا أتيت معى؟"أمسكت أوبال يد فيبى واستدارت، وكان الرجل الذى تحدث يسد الطريق فقالت له: "لا تجلب لنا

العار يا أخى، وإلا لن أرى وجهك ثانية".

"لكن ابنيك ماتا يا أوبال".

سارت عبر جمهور المعزين حتى الباب الأمامى وعقبت: "نعم، لقد ماتا، لكن لدى شيئاً ما أريد قوله".

كانت تشبك أصابعها مع أصابع فيبى المرتعشة عندما قالت فيبى: "أوبال ...".

قاطعتها أوبال: "ظللت خائفة من أمور كثيرة، لمعظم حياتى. ربما لو كنت أشجع من هذا لتغيرت أمور كثيرة لا أعلم بالضبط؛ فمن الصعب أن نناقش إرادة الرب، لكنى سأفعل شيئًا واحدًا ولن أخاف".

عندما خرجت من الباب الأمامى مع فيبى، تعالت صيحات الصحفيين وانطلقت عدسات المصورين. علمت أن الأولوية رقم واحد قد تم اختراقها بشكل صارخ، لكن هناك امرأة فقدت ابنيها تتعلق بذراعيها، فمن يهتم بالبروتوكول الآن.

ضغطت أوبال على يد فيبى وقالت بصوت جهورى: "لدىَّ ما سأقوله".

"لقد داومتم الاتصال بى وبأمى وفى منزلى ومقر عملى، ولم تحترموا خصوصياتى. لدىَّ حزن كبير وطلبت منكم احترامه، لكنكم أتيتم لمنزلى ومنزل أمى وأكثرتم الاتصال هاتفياً بشكل مزعج، هل تريدون معرفة ما الذى بداخلى من أفكار ومشاعر؟ لقد عرضتم المال لى لأتحدث لكم".

انهال عليها وابل من الأسئلة: "هل قمت؟... هل فعلت؟... هل لديك...؟".

اهتزت ذراع أوبال وهى ترتعش وتنظر إلى فيبى بعينيها السوداوين الغائرتين: "أيتها الملازم ماكنامارا".

همست فيبى: "لنعد للداخل يا أوبال. سأعود بك إلى الداخل لعائلتك".

"بل قفى معى هنا من فضلك حتى أنهى كلامى".

أغلقت أوبال عينيها وقالت بصوت عال ليغطى على ثرثرة الصحفيين: "لدىَّ ما سأقوله هنا بلا مقابل، واصمتوا إن أردتم

سماعه. قُتل ولداى".

سمعت فيبى فى الصمت التالى نحيب أوبال الخافت وهى تقول: "مات ولداى، تم إطلاق النار على كل منهما. لكن ثمة شيئاً آخر قتلهما قبل الرصاص، وهو أنه لم يكن لديهما أى هدف أو أمل فى الحياة. وكانا بدلاً من ذلك مفعمين بالغضب والكراهية واللوم، دون أن يكون لديهما هدف يهدئ من ثورتهما. كم تمنيت مساعدتهما، لكنى لم أتمكن من بث هذا الأمل فى نفسيهما".

"هل تريدون منى أن ألقى اللوم على أى شخص وأصرخ وألعنه وأشير له بأصابع الاتهام؟ لن يحدث ذلك، هل نلقى اللوم على العصابات؟ جزئياً. على الشرطة؟ جزئياً، وأنا أيضاً أتحمل جزءًا من اللوم، وكذلك ولداى المقتولان، وهناك من اللوم ما يكفى لإدانة الجميع، ولكن ليس ذلك ما يهمنى الآن".

ثم مسحت دموعها بمنديل ورقى من جيبها وأردفت: "لكنى أعلم شيئاً واحداً، أن هذه المرأة الواقفة بجوارى تحدثت لابنى وأنصتت له لساعات، وعندما أطلق الرصاص على ولدى ركضت نحوه لتنقذه، وعندما فتحت عينى وجدتها تحمل جثته، وهذا هو المهم".

"ليس لدىَّ المزيد لأقوله".

تجاهلت السيل العارم من الأسئلة واتجهت نحو الباب وجسدها يرتعش، وطوقتها فيبى بذراعيها حول كتفيها.

"سأجعلك ترين جثمان تشارلى الآن".

تحملت فيبى وزن أوبال وهى تساندها وقالت: "حسناً، هيا نراه يا أوبال". ثم سارا معاً نحو حجرة الجثمان.

شعرت فيبى بارتخاء ركبتيها عندما عادت للسيارة، وشعرت بمدى غرابة أن مفاصل الركبة تتحمل الاضطراب الانفعالى.

وضع دانكان يده على ذراعها وبدأ يدير محرك السيارة.

قالت له: "سأتصل بالمنزل". ثم جذبت هاتفها المحمول وذكرت نفسها بأنها ستندفع فى قرارها الآن كما كانت عادتها هذه الأيام.

قالت عبر الهاتف: "يا أمي، سأتأخر قليلاً إن لم تكوني بحاجة لي الليلة. نعم أنا بخير، أخبري كارلي أنني سأعود قبل موعد نومها وأقبلها قبل أن تنام. حسناً، وداعاً".

قال لها: "أين سنذهب الآن؟".

"لمنزلك، أريد أن أبتعد قليلاً".

"هذا يناسب خطة عملي اليوم!".

"جيد لأنه كان الشيء المفقود في خطة عملي أنا". صمتت لترتب أفكارها ثم قالت: "ما رأيك يا دانكان في رجل سيتزوج امرأة تصغره بأكثر من اثنى عشر عاماً تسمي"ميزي"؟"

"هذا يعتمد على طبيعة شخصيتها!".

ابتسمت بخبث وحدقت له من خلال نظارتها الشمسية وقالت: "ليست لدي أية معلومات عن شخصيتها".

"لكنها معلومة مهمة. من سيتزوج؟".

"والد كارلي".

"أوه!".

شعرت فيبي بأنه يعبر عن تعاطفه معها وأنه يريد معرفة المزيد: "أعلم أنني لا يجب أن أهتم لكني مهتمة. سأتغلب على الصدمة. وهذا مريح. سينتقل إلى أوروبا، وهذ ما يغيظني، وهو ما لن أتغلب عليه حتى رغم علمي أن هذا ضرب من الحماقة، ولا يهمني هل هو في أمريكا أم في أوروبا، ما يزعجني حقاً هو أنه لا يهتم بابنته ولا حتى يدعي ذلك".

"لكنه لو كان قريباً، لتمنيت أن يهتم بها في آخر الأمر".

أدركت أن هذا صحيح تماماً وقالت: "هذا صحيح، لم تتمكن أوبال من بث الأمل في ولديها عندما احتاجا إليه، وأنا لم أتخل عن الأمل".

"ما مشاعر كارلي إزاء ذلك؟".

قالت وهما يعبران الجسر فوق النهر والقوارب: "إنها لا تهتم، وصحتها النفسية أفضل مني".

"طبعاً فلديها أمها، كما أنها تعرف أنك تحبينها بالطبع، وهو ما يجعلها تتمتع بأساسيات الصحة النفسية".

تذكرت كم كان دانكان يفتقد حب أمه، لكنه أوجد هذا الأساس في دمج نفسه في عائلة تحبه، وقالت: "لم أخبرها بموضوع الزفاف، سأفعل عندما أهدأ، أعتقد أنه لم يكن ليخبرني بذلك إلا لكي أتوقع تأخير شيكات مصاريف ابنته. سيحول الدولارات إلى يورو والعكس، لا أعلم".

"هل أنت متضايقة من انتقاله إلى أوروبا؟".

"كلا، أنا متضايقة فحسب". ثم قالت مازحة:

"أنا لا أهتم بالمرأة التي فضلها عليَّ، فأنا أفضل منها".

"لابد أن زوجته الجديدة ستكلفه ثروة واهتمامًا ورعاية كبيرة".

"هذا مجرد أمل، لكن مزاجي الآن معتل وأشعر بالصراعات تملأ روحي، وأنني صرت امرأة عنيفة".

قال: "لا بأس عندي في تحمل امرأة حسناء مثلك".

ضحكت وقالت: "كم أنا ظمآنة يا دانكان، أدفع عمري لقاء جرعة من الماء".

"حسناً، لا تلحي".

أحضر الماء البارد وسكبه على ظهرها خلسة، فصاحت: "دنكان!".

قال لها وهو يبتسم في براءة: "ماذا؟ قلت إنك تريدين الماء".

ضاقت عيناها وقامت على ركبتيها وأمسكت الكوب وارتشفت جرعة كبيرة وضحكت وهي تقول: "كم هذا مضحك".

ثم سكبت ما تبقى من كأس الماء على رأسه.

٢٠

مالت فيبى على صدر دانكان وهو يقود حتى توقف عند باب منزلها وقالت له: "شكراً لك على الذهاب معى. وشكراً أيضاً على توصيلى للمنزل".

"العفو، ويمكنك الاعتماد علىَّ فى أى وقت".

"إذن فأنا مدينة لك بالمزيد من الشكر"ثم قبلته مرة أخرى وقالت: "أريدك أن تعرف أننى يجب أن أعود للمنزل فى وقت مبكر أكثر من سندريلاً".

تحسس أذنها بأصابعه وقال: "إن اشتريت لك حذاء زجاجياً، هل ستقضين ليلتك معى فى يوم ما؟".

ضحكت وخرجت من السيارة ثم قالت: "أتعلم أننى كنت أفكر

فى إنهاء علاقتنا التى لا أعرف كيف أسميها؟".

خرج من السيارة ووقفا للحظة وهما يتفرسان وجهى بعضهما البعض، ثم قال لها: "حقاً؟ ولماذا يتعين علينا إنهاؤها؟".

"أحاول تذكر الأسباب يا دانكان، لكنى أقاوم الانجراف نحو صدمة عاطفية".

"لن تحدث لك أية صدمة منى!".

شعرت بأنه فات الأوان وأنها وقعت فى حبه وقالت: "أنت تتغلب على الصدمات أفضل منى".

"لماذا تظنيننى كذلك؟".

"لا أعلم"

لمعت أنوار حديقة فورسايث، وكانت هناك ظلال وارفة للأشجار على امتداد الشارع، وعطرت زهور إيفا الجو الذى بدا حاراً. من خلال النافذة المفتوحة للسيارات المارة، كانت زهور الدلتا الزرقاء تبدو كالقلوب المحطمة التى لا تزال تنبض بالحياة.

ها هى فيبى تقف ناظرة إلى الرجل الوحيد الذى جعلها تتذكر التفاصيل الحميمة التى تغاضت عنها فى زحام الحياة، وبدت هذه التفاصيل كبؤر مضيئة فى منتصف حياتها.

شعرت بالضيق لأنها مضطربة وتريد إنهاء علاقتها به درءاً للصدمات العاطفية.

قالت له بسرعة: "هل تحطم قلبك من قبل؟كلا، لا تجبنى الآن، ربما هذه قصة طويلة ويجب أن أدخل بسرعة".

"اخرجى معى غداً ليلاً وسأخبرك بكل قصص قلبى المحطم".

"كم واحدة ستكون من وحى خيالك؟".

"اخرجى معى لتعرفى".

قالت له وهى تتنهد وتنظر للمنزل: "أنت مثالى كرفيق لى، مثالى أكثر من اللازم وأنا لا أستحقك. لا يجب أن نخرج معاً غداً، لن أخرج فى كل الليالى معك".

"اختارى ليلة واحدة".

"ألا تعرف أن النساء يتمنعن وهن الراغبات؟".

سار نحوها وقال: "أنا لا أعبث بك".

خفق قلبها بشدة وقالت: "أعلم ذلك و ... أنا ..."نظرت للمنزل مرة أخرى وأردفت: "الأسبوع الحالى سيكون صعباً، ستعرض مسرحية كارلى المدرسية ليلة الخميس وهناك إجازة من المدرسة يوم الجمعة و ...".

"هل يمكننى حضور المسرحية؟"ثم اقترب منها ولمس يدها ثم ذراعها، فارتعشت وتنهدت.

ضحكت وقالت: "صدقنى ستندم على ملل حضورك لمسرحية فى مدرسة ابتدائية".

"يبدو الأمر ممتعاً". ابتسم عندما شعر بتوترها وشعر بأنها أكثر النساء إثارة وتناقضًا وقال لها: "اسم المسرحية سندريلا، أليس كذلك؟وستلعب كارلى دور الأخت الشريرة".

"كيف عرفت ذلك؟".

"أخبرتنى إيسى. فى أى وقت بالضبط من ليلة الخميس؟".

"فى السابعة، لكن ...".

"السابعة موعد رفع الستار؟هل أقابلكم هناك أم آتى لاصطحابكم؟هناك مساحة تكفى لك ولكارلى وإيفا و ... بالتأكيد لن تحضر إيسى"، تدارك الأمر، فاختفت ابتسامته وهو يتابع: "من المؤكد أن هذا شىء صعب جداً عليها".

"نعم، صعب جداً، لكننا سنسجل المسرحية بالفيديو، لكن لن يكون الأمر مشابهاً لمتعة حضور العرض. إن أردت الحضور فعلاً - وهذا لطف كبير منك - فدعنا نقابلك هناك، فأنا سأوصل كارلى قبلها بساعة لتستعد بالملابس والمكياج إلى آخره. سأحضر لك تذكرة وأدعها لك عند منفذ بيع التذاكر، لكن لا تشعر بأنك مرغم على الحضور".

شعر بأنه لن يعوقه أى شىء عن حضور المسرحية وقال لها وهى تصعد السلم: "لم أذهب لمسرحية أطفال مدرسية من قبل".

"لكنك بالتأكيد مثلت فى مسرحية ما".

"مثلت دور ضفدع يصيح، وكذلك بالكاد أتذكر أننى مثلت دور ثمرة بنجر أو لفت، لكنها كانت تجربة بشعة ومؤلمة ومسحتها من ذاكرتى. هل لديكم خطط لعطلة نهاية الأسبوع؟".

"نعم، لم نحدد كل التفاصيل النهائية، لكن سنقضيه مع كارلى وصديقتها المفضلة لتلعبا وتمرحا معاً".

"رائع، أسدى لى معروفاً، لنذهب للملاهى؟هل سمعت عن الملاهى التى فتحت مؤخراً؟".

"نعم، ذهبنا إليها".

"هل أعجبت كارلى أم لا؟أنا أفكر فى الاستثمار فى تأسيس مدينة ملاهى جديدة وفريدة من نوعها. لماذا لا نذهب للملاهى لنعرف رأى الفتاتين؟".

حدقت إليه فى دهشة وقالت: "هل تريد قضاء يوم السبت فى الملاهى مع طفلتين؟".

"لماذا تظنين أنه لا توجد متعة فى ذلك؟ بل لو زاد عدد الأطفال ستزيد المتعة. حاولت إقناع فين بأن يجعل ليفى ابنته تأتى للملاهى معى برفقة بعض الأطفال الآخرين، ما رأيك؟".

سألته وهى تستدير باتجاه المنزل: "سيسعد ذلك كارلى كثيراً، لكن لماذا تريد إنشاء ملاه يا دانكان؟".

"للمتعة فى المقام الأول، و ... احترسى !"ثم جذبها من ذراعها للخلف.

ظهر فى ضوء المنزل، على الدرجة العليا من السلم، جثة أرنب ميت، وهناك دماء جافة حول فرو رقبته، وكان الدم يلمع بلون أسود على فرائه البنى.

صاحت فيبى: "يا ربى!ليس مجدداً، لا تلمسه بيديك يا دانكان؟!".

رفع دانكان الأرنب من أقدامه الخلفية وقال: "لكننى ألمس الأشياء بيدى لا بقدمى، ماذا تقصدين بكلمة"مجدداً"؟".

لأنها شعرت بالغثيان حولت نظرها عن الأرنب وقالت: "سأحضر حقيبة أو صندوقًا. اذهب به للحديقة وسأعود إليك فى الحال".

هرعت نحو المنزل، بينما رفع دانكان حاجبين وأخذ يفحص الأرنب بعينيه. وعرف وهو يفحصه أنه لم يتم دهسه بالسيارة على الطريق. كان قد ذهب للصيد لأول وآخر مرة فى سنوات مراهقته

مع أصدقائه.

كان يحب استخدام السلاح ويحب صوت إطلاق النار، لكنه لم يكن يستخدمه لقتل حيوانات من لحم ودم ويجعلها هدفاً للتصويب.

خمن أن الأرنب تم صيده برصاص من مسدس صغير، لكن لماذا قتله أحدهم وألقاه على عتبة منزل فيبى؟

حمله حتى بوابة الحديقة وجاءت فيبى مسرعة نحوه بكيس بلاستيك وقالت: "لنضعه هنا".

"أخبرينى، لماذا تجدين جثث حيوانات على عتبة منزلك ؟".

"لا أعلم، لكنى سأبنى مقبرة كبيرة لها إن استمر الأمر، لقد وجدت من قبل فأراً وثعباناً منذ أيام".

"هل تشاجرت بالكلام مع أحد أطفال الحى ؟".

"كلا، فكرت فى هذا الاحتمال من قبل، ولا أعتقد أن مشاغبى الحى من فعل هذا. هلا وضعته فى الكيس؟".

سمع فى صوتها نبرة يأس وتقزز فوضع الجثة فى الكيس وقال: "لتأخذيها للطبيب الشرعى، لقد قتلوه بالرصاص".

سحبت نفساً عميقاً وقالت: "سأتعامل مع الأمر فى الصباح، لتدخل وتغسل يديك".

فكر أنه سيدخل لكنه لن يهتم بغسل يديه مثلها.

تبعها للداخل وغسل يديه فى حوض المطبخ وقال: "هل لديكم شراب؟".

"كلا، نعم، لا أعلم".

بعد أن جفف يديه سار نحو الثلاجة ببساطة وفتحها، ووجد طعامًا صحياً: فاكهة وخضراوات طازجة بكميات كبيرة ولبن وزبادى ولبن منزوع الدسم. من يريد نزع الدسم من اللبن؟ سؤال سيطرحه لاحقاً.

لم يجد أى شراب، لكنه وجد زجاجة من شراب الكروم مفتوحة وقال لها: "أحضرى كأسين لنا".

"أوه، حسناً". دفعت شعرها للخلف وتوجهت إلى مكان الكئوس. رأى أنها لم تكن لتفعل ذلك لولا كرم أخلاقها وإحراجها منه؛ فقد

كان سيسعدها أن يجفف يده ويودعها ويرحل، حتى يتسنى لها الوقت للتفكير، وتتعامل مع الموقف بنفسها.

شعر بصعوبة الأمر عليها، لكنه ليس حساساً جداً مثلها.

صب الشراب لنفسه وجلس على المائدة الصغيرة، وعلم أن كرم ضيافتها سيدفعها إلى الجلوس معه.

قالت له: "شكراً لك على التعامل مع الأمر، أكره الاعتراف بأننى شعرت بالتقزز والهلع والفزع من فكرة أننى سأحمل الجثة بيدى".

"ومن تعامل مع الفأر؟".

"أنا. مع الكثير من الصياح والارتعاش المخجل. اتصلت بـ كارتر ليتعامل مع الثعبان؛ فهذا فوق مستوى تحملى".

"هل أبلغت الشرطة؟".

نفخت خديها وزفرت الهواء وقالت: "اعتقدت أن القطة تركت الفأر فى الحديقة، ولم ألق بالاً للأمر. وفكرت فى نفس الاحتمال عندما وجدت الثعبان، لكن كارتر قال لى إن رأسه مهشم، فتحدث مع والدة زعيم الغلمان الأشقياء فى الحى، لكنه ليس الفاعل، وليس هو أيضاً من وضع الأرنب، سأذهب به للقسم غداً لفحصه وتحرير محضر".

"هل لديك أعداء ليضايقوك مثل ميكس؟"

احتست بعض الشراب وقالت: "كم أنت لماح".

"لا يحتاج الأمر لمهارة يا فيبى، يبدو أن آرنى يحتاج للتوبيخ والتهديد".

علمت أنه لماح وأنه الآن غاضب جداً، فقالت بهدوء يخفى وراءه قدراً كبيراً من الحزم: "لا تعنى التوبيخ أو التهديد، وهذا لا يليق بك". صمتت ثم قالت بحزم:

"لا داعى لإظهار المشاعر الغاضبة الآن، سنعود إليها لاحقاً، لكن المسألة هى أنه إن كان آرنى ميكس يحتاج للتوبيخ، يجب أن يتم ذلك بشكل غير رسمى، إن تحدثت معه باسمى باعتبارك ..."

قال بجفاء: "هيا ابحثى عن اسم طالما لا يعجبك مصطلح صديقى أو رفيقى".

"على أية حال، لا أحب أن يرانى ميكس ضعيفة، لن أرضيه وأظهر له أننى متضايقة من أفعاله، هذا إن كان هو الفاعل".

"لكنك متضايقة بالفعل".

"أتمنى لو كان استطاعتى أن أقول العكس لكن ...".

"لكن ماذا؟".

احتست رشفة أخرى، فهى لم تعتد على التحدث فى أمورها الشخصية مع أحد، لكن الأولوية الآن تتمثل فى تأمين المنزل: "أظن أننى لاحظت من يراقب المنزل، سمعته يصفر مرتين".

"ماذا؟يصفر؟".

"أعلم أنه شىء غريب، لكن هناك وافد جديد فى الحى جاء بضع مرات وسار بجوار منزلى وهو يصفر. لو كان ميكس لعرفته، ولكنه شخص يسعى للانتقام، وهذا ليس أسلوب ميكس. ربما استعان بصديق له ليرهبنى، أو استئجر خدمات أحد الأشرار. لكنها مجازفة حمقاء وحقيرة منه".

"سأركله فى مؤخرته يوماً ما، إنه يستحق ذلك. سوف يصعد من تهديداته لك، أليس كذلك؟".

ركزت وهى تفكر فى أمان أسرتها وقالت: "بالطبع. أنا لا أقلل من شأن هذا الاحتمال. أول شىء سأفعله فى الصباح هو أن أبلغ الشرطة".

"سأبيت ليلى هنا، هل لديك حجرة إضافية أو أريكة ؟".

"شكراً لك على محاولة حمايتنا، لكن إن قضيت ليلتك هنا، فسأضطر لشرح السبب لهم، ولا أريد أن أسبب لهم القلق، وخاصة أمى، فهى تكتم الفزع منذ فترة طويلة منذ أن تعرضت للهجوم، ثم موقف إطلاق النار على تشارلى. لقد فزعت كثيراً من أجلى، ولم تخرج للحديقة منذ أيام. لا أريدها أن تفقد ذلك أيضاً".

فحص دانكان كأسه واحتسى رشفة كبيرة وقال: "لقد احتسيت كمية كبيرة من الشراب، لا يمكننى المجازفة بالقيادة حتى منزلى الآن. لن تسمحى لى بذلك بصفتك مضيفتى وشرطية تطبق القانون، لا يجب أن تشجعينى على ذلك".

ثم نظر إلى عينيها مباشرة، بعينيه الزرقاوين الصافيتين

اللتين أظهرتا أنه ليس ثملاً وقال: "الأمر بسيط يا فيبى، دعينى أقض ليلتى هنا".

"لا أعرف لماذا يظن الرجال أن النساء ليس بوسعهن حماية أنفسهن ومنازلهن".

ابتسم لها وقال: "الرجال أقوى من النساء دوماً".

طرقت بأصابعها على المائدة وقالت: "التنم فى حجرة ستيف ابن إيفا، لكن لا تستغل أنك ثمل وتتسلل لحجرتى، وإلا سأجعلك تقود سيارتك لمنزلك".

"حسناً، سأفعل هذا فى يوم آخر. هل لى أن أسألك سؤالاً رغم أنه ليس من شأنى؟".

"حسناً، بالتأكيد، لكنى سأقول لك إنه ليس من شأنك إن اخترت عدم الرد".

"هل تتلقى إيسى أى علاج؟".

تنهدت ثم قالت: "كانت تتلقى العلاج فيما مضى. ونظراً لصعوبة تلقى العلاج النفسى داخل المنزل لتعذر مجىء المعالج إليها، حتى رغم أنها تعانى من رهاب الخروج من المنزل، فإن معظم الجلسات كانت تتم عبر الهاتف. وكانت تتلقى جلسات أسبوعية بشكل منتظم لمدة معينة، ثم جربت الأدوية، واعتقدنا أنها تحرز تقدماً".

"لكن؟".

"شجعها الطبيب النفسى على الخروج لمدة عشر دقائق لمكان مألوف لها. اختارت حديقة فورسايث وقررت أن تسير حتى النافورة ثم تعود للمنزل. سارت بالفعل حتى المكان المنشود ثم انتابتها نوبة فزع رهيبة. كانت تخشى أن تعاودها نوبات الفزع على الملأ فتتعرض لإحراج كبير، أو أن يكون قد أُعد لها فخ بالخارج. كانت تخشى أيضاً أن تضل طريقها ولا تتمكن من العودة. ذهبت وراءها ورأيتها تسير، لكنها سبقتنى وغابت عن نظرى ووصلت لها بعد مدة من بداية نوبة الفزع".

تذكرت بكل وضوح فزع أمها والغربة التى تشعر بها فى العالم الخارجى، وتذكرت كيف كان قلبها يدق وهى تبحث عن أمها وكيف

قفزت فوق الرصيف والعشب لتبعد السائحين عنها.

"كانت تشهق وتعانى من صعوبة التنفس وتركض فى كل اتجاه. ثم وقعت، وكانت لحظة رهيبة لها. حاول الناس مساعدتها، لكنها خافت منهم أكثر وشعرت بالإهانة البالغة".

"أنا آسف".

"أعدتها للمنزل بعد أن احتضنتها وجعلتها تغمض عينيها وسرت بها حتى المنزل. ومنذ ذلك الحين، كانت حدود عالمها هى الحديقة. حدث هذا منذ أربع سنوات، ولم تعد للعلاج بعد الآن. وكلما ذكرنا لها العلاج تغضب بسرعة". ابتسمت فيبى وأردفت قائلة: "إنها بخير وسعيدة فى المنزل، لماذا لا أدعها وشأنها؟وقد كان، لا أعلم هل كان قرار إيقاف العلاج صحيحاً أم لا، لكن هذا ما حدث".

"بل كان قراراً صائباً، وأحياناً يتغير ما هو صواب مع الوقت، والمهم أنك اتخذت القرار المناسب وقتها".

فكرت فى ذلك بعد أن أرته الحجرة التى سيقضى ليلته بها وأعطته فرشاة أسنان وفوطة تنظيف كبيرة .

كان عنده حق عندما قال إن ما هو صواب يتغير مع الزمن؛ فما كان خطأ يصبح صوابًا إن لزم الأمر والعكس صحيح. لم تعرف هل علاقتها به خطأ أم لا، لكنها وقعت فى غرامه بالفعل.

غالباً وقعت فى حبه منذ أن رأته لأول وهلة، ثم غرقت فى حبه عندما زارته فى حانته وضحكت معه واستمتعت بالموسيقى. كان الوقوع فى حبه أمراً لا مفر منه أبداً.

الآن كان عليها أن تفكر فيما هو صحيح وتقوم به، بأسرع وقت.

شعر دانكان بأنه من السهل جداً إيقاظ رجل غير متزوج فى منزل من الحريم عن طريق وجبة إفطار كبيرة معدة بالمنزل وطازجة. ولم يضايقه تجمعهن حوله واهتمامهن الزائد به، وكأنه أمير متوج محاط بالجميلات، ويستمتع بالقهوة وعصير البرتقال المعد

للتو.

تعاملت إيفا مع الموقد وعلم من ملاحظته لحركاتها أن هذا هو الروتين اليومى. لكن بسبب وجوده أخرجت إيسى أفخم الأطباق ومعها فوط متناسقة الألوان.

وضعت إيسى القهوة باللبن فى إبريق والعصير الطازج فى إبريق آخر، وعلم دانكان أنها، رغم كثرة مهامها فى المطبخ، كانت تستمتع بوقتها مثله تماماً.

قالت إيسى: "لا تضايقى دانكان يا كارلى الآن، لم ينته من أول كوب قهوة بعد".

قال لها: "إنها قهوة رائعة".

قالت كارلى: "أريد رقائق الحبوب".

"كلا، لأن إيفا ستعد عجة البيض، لكن لا بأس بتناولك لرقائق الحبوب إن كان هذا ما تريدينه".

"لا أهتم بالعجة".

مازحها دانكان ودفع إصبعه فى ضلوعها. ورغم عبوسها، بدت جميلة للغاية فى زيها المكون من قميص أصفر ناعم وبنطال أزرق، وقال: "هل ستواجهين يوم عمل شاق؟".

حولت نظرها له وقالت: "أنا لا أذهب للعمل بل للمدرسة، كما أن لدينا اختبار رياضيات اليوم. أنا لا أحب الضرب والقسمة، كما أن الأرقام غير مهمة بالنسبة لى".

"ألا تحبين الأرقام؟ أحبها كثيراً، إنها جميلة".

"لا أحتاج إليها، أريد أن أكون ممثلة أو متسوقة شخصية".

"حسناً، تحتاج الممثلة لعد سطور دورها وحوارها".

شعر بالسرور الكبير عندما حدقت نحوه فى دهشة.

قالت: "الجميع يمكنهم العد بالأرقام".

"لكن بجمال الأرقام ستعرفين مقدار أرباحك، لتشترى مثلاً منزلاً فخماً . بعد أن تدفعى لوكيل أعمالك نسبته وتدفعى أجور الحرس الخاص حتى لا يضايقك صحفيو الجرائد الصفراء ويطاردوك، ثم تحصلين على مجموعة من الموظفين فى خدمتك، وتتصلين بالمتسوقة الشخصية حتى تأتى لك برداء لتتسلمى

الأوسكار".

فكرت كارلى وقالت: "ربما أكون متسوقة شخصية فحسب، فأنا خبيرة فى الموضة والأزياء".

"وما هى عمولتك؟".

عبس وجهها ثم قالت: "لا أعلم ماذا تقصد؟".

"أى حصتك من المبلغ الذى ستدفعه الممثلة لقاء الزى الذى ستبتاعينه لها من أرقى بيوت الأزياء؟ إن كان سعر الرداء خمسة آلاف دولار مثلاً، وعمولتك عشرة فى المائة، علاوة على أنها تريد حذاءً وحقيبة أيضاً، فكم ستكون عمولتك جنيها؟ لابد أن تعرفى كيف تحسبينها".

ضاقت عيناها وقالت: "هل تعنى أننى سأحصل كل مرة على المال عندما أشترى للنجوم ملابسهم؟".

"نعم، هذا يحدث كل مرة".

استنار وجهها بالاهتمام وكفت عن العبوس وقالت: "لا أعرف كيف أحسب النسبة".

"أنا أعرف، هل لديك ورقة؟".

عندما دخلت فيبى وجدت عائلتها تحيط بالمائدة والطعام الشهى من العجة اللذيذة والخبز الفرنسى المحمص الذى أعدته إيفا، بالإضافة إلى اللحم الذى يفتح شهية أى فرد .

تناول دانكان طعامه بيد وأخذ يحسب النسبة المئوية بيده الأخرى على الورق، بينما كانت كارلى تنحنى نحوه من مقعدها وشعرها يلمسه وهو يدون حساباته بسرعة.

"الممثلة بحاجة لقرط أيضاً".

"كم سيكون سعره؟".

"مليون دولار!".

"يا لك من متسوقة خبيثة !"ثم نظر لأعلى وابتسم وهو يقول: "صباح الخير يا فيبى".

"نحن نحسب النسبة المئوية يا أمى، وبالتالى سأعرف عندما أتسوق للمشاهير كم ستكون عمولتى، وصلت الآن إلى ستة آلاف دولار".

قالت إيفا: "ستجهز رداء ممثلة لتسلم جائزة الأوسكار، وبالتالى فهى بحاجة إلى رداء فخم".

"بالطبع".

"وبالتالى ستحتاج أيضاً لعدة أزياء لأنها ستظهر كثيراً".

ذهبت فيبى وقرأت القائمة التى دونها دانكان وقالت: "وستكون الممثلة مسرفة ومدمنة شراء".

قالت كارلى: "الأرقام ممتعة".

حدقت فيبى فى ابنتها وقالت: "لابد أننى فى عالم آخر، الأرقام فيه ممتعة وإفطار يحتوى على العجة".

قالت إيسى: "اجلسى، وضعنا طبقك فى الموقد ليظل ساخناً".

نظرت فيبى لساعتها وقالت: "لدىَّ القليل من الوقت بالكاد يكفى تناول بضع لقيمات"، ثم أخذت تكرر وهى تجلس بجوار ابنتها: "الأرقام ممتعة! لكنها لم تكن ممتعة عندما حولتها لك لأرانب وقطط وكلاب لتتعلمى الضرب".

"تصبح الأرقام ممتعة أكثر إذا تحولت لأموال".

قالت فيبى وهى تمسك قدح القهوة: "احترس من هذه الفتاة يا دانكان، فهى طماعة جداً".

"ستربح الكثير إن أتقنت الرياضيات فى عملها. كم أنت جميلة هذا الصباح يا فيبى، أجمل من عجة إيفا. لابد أننى أكثر الرجال حظاً فى سافانا بهذا المنظر فى المطبخ".

رفعت فيبى حاجبيها وقالت: "ما الذى وضعته فى العجة يا إيفا؟".

"مهما كان، سأتأكد من وضعه فيها كل مرة".

تناول رقائق الحبوب الباردة وأخذ يضعها فى قهوة بدون لبن. ولم يحلق ذقنه أو يستحم، وشعر بأنه على حافة الاكتئاب.

أراد استعادة غضبه وتصميمه على هدفه. كان يعلم أنه كان من الممكن أن يفقدهما أيام نوبة الاكتئاب، فلقد سبق أن فقدهما من قبل.

كان هناك دواء موصوف له، لكنه كان يفضل الطريقة الخاصة به لإزالة الاكتئاب وهى إيذاء فيبى. قد يخطئ بتصرف أرعن ويقتلها إذا زاد اكتئابه.

لقد تصرف برعونة عندما جاء بالأرنب بسرعة . كان يريد الاحتفاظ به فى المبرد قبل أن يتركه على عتبة الباب، ليبدو مرعباً أكثر عندما يلقيه على بابها فى سكون الليل.

كاد ينكشف أمره عندما أسرع بإحضاره لباب منزلها، مما ضايقه بشدة!

لم يؤذها قتل جونسون بالقدر الكافى، وكذلك لم يعاقبها رئيس الشرطة أو يضطهدها الصحفيون أو الجماهير. كما أن أم الزنجى اللعين جعلت من فيبى صديقتها الحميمة الجديدة! هذا بالإضافة إلى ذلك الحوار المثير للعواطف الذى أدلت به خارج العزاء والذى ظهر عدة مرات فى الأخبار وبرامج التلفاز. زاد اكتئابه جداً لأنه لم يتمكن من إيذاء فيبى بما يكفى.

لقد تسبب فى أن يجعل من فيبى بطلة كالأم تريزا، لا كعاهرة حمقاء طموح تسعى للشهرة.

لقد أخطأ عندما ترك الغضب يسيطر عليه ويذهب لمنزلها ليلقى جثة الأرنب مباشرة. كان ينوى إلقاءه فى الشرفة الأرضية، لكن الغضب جعله لا يحسن التصويب.

هم بالذهاب نحو الأرنب ليضعه فى المكان الذى يراه مناسباً. لكن عندما هم بالحركة، أنار أهل المنزل المجاور كل أنوار منزلهم.

شعر بالإهانة وهو يتوارى وسط الشجيرات لكى يختبئ من السيدة المجنونة وكلبها الذى يدعو للازدراء.

كان يعلم أنها تتمشى مع الكلب وقت الغسق كل ليلة، كان يعلم ذلك، لكنه لم يحسن استخدام معلوماته، بل ترك الغضب يسيطر عليه .

ماذا لو رأته السيدة المجنونة ذات الكلب السخيف؟لم يأت أوان ذلك بعد.

كان يريد قتلهما معاً وترك جثتيهما أمام منزل فيبى.

لكن لم يكن هذا هو الوقت مناسب.

كانت لديه خطة وهدف، وجدول زمنى.

سكن غضبه الآن، وغاب هدفه عن ناظريه بسبب إحساسه بالفشل الذريع. لقد ضيع وقته مع الفتى اللعين من عصابة "بوص" وجازف بنفسه وأضاع رصاصاته سدى وهباء.

لم يهتم بكل هذا.

نظر حول ورشته وكاد يبكى من فرط اليأس. لم يهتم بكل هذا، لقد فقد أمورًا مهمة بينما لم تفقد هى أى شىء، وهذا ما يثير حنقه.

كل ما يفعله هو ترك الحيوانات الميتة على باب منزلها.

كان يجب أن يقتل العجوز المجنونة وكلبها ويلقى بجثتيهما على باب منزلها ليرهبها حقاً.

تناول الحبوب المضادة للاكتئاب حتى يستعيد قدرته على التفكير بتركيز وعقلانية.

حان الوقت لإرهاب فيبى كما يجب. يجب أن يكف عن لعب الأطفال ويفعل شيئاً مؤثراً.

لم تفلح حركة قتل جونسون. إذن لابد أن ينجح شىء أو شخص آخر فى إرهابها.

قال الإخصائى الجنائى النحيل أوتيس بعدما فحص جثة الأرنب وهو يرتدى قفازه: "استخدم القاتل رصاصة واحدة لقتل هذا الأرنب، وهى كفيلة لأن ترديه قتيلاً فى الحال".

"رصاصة واحدة؟".

عبس أوتيس بوجهه نحو فيبى وقال: "نعم، هل تريديننى أن أشرح الجثة؟".

"نعم، حاول معرفة أكبر قدر من التفاصيل. هذه ليست مزحة عادية بل تهديد. أخبرنى بكل ما ستصل إليه عن نوع الرصاص والأرنب".

"حسناً، بكل تأكيد. ليست هناك أدنى مشكلة فى ذلك، سأوافيك بتقرير كامل".

عادت لمكتبها وحررت محضرًا مفصلاً بالواقعة ثم أعطت نسخة منه إلى سايكس وأخبرته بكل شيء.

"هل تريديننى أن أتحدث مع آرنى؟".

"كلا، ليس بعد. سأحتاج لمزيد من الأدلة قبل اتهامه، حاول معرفة كيف يقضى يومه، وهل مر بالحى الذى أسكن فيه أم لا. إنه متفاخر، وإن كان هو الفاعل لتباهى بذلك أمام من يعمل معهم أو يحتسى الشراب معهم".

"سأتحرى حوله".

"شكراً يا بول".

قالت فيبى لنفسها إن هذا أفضل ما تقوم به، لكنه ليس كل شيء.

عادت لمكتبها وكتبت ملفاً به كل التفاصيل، وخاصة مواعيد وتواريخ الوقائع ودونت فيه كل انطباعاتها.

الفأر. رمز. تمرد. وسرقة وهجران السفينة الغارقة.

الثعبان. رمز. الشر والتسلل ودمار الجنة.

الأرنب. رمز. الجبن والهروب.

ربما تبالغ فى تفسيرها النفسى للأمور، لكن الخطأ الناتج عن المبالغة فى الحذر أفضل من الخطأ فى إهمال الحذر.

الصفير يجعل الصوت خفياً ومجهولاً. ماذا تعنيه هذه الأغنية؟لا تهجرنى؟ من الذى تم هجره؟ ومن سيهجره؟

الفيلم كان عنوانه"فى منتصف الظهيرة". كان هناك فى الفيلم رجل يقف ضد الفساد والجبن (الجبن يساوى الأرنب، والفأر يعنى هجر أهل المدينة. الثعبان يعنى الفساد. يلعب الممثل كوبر دور مأمور المدينة ويقف وحده فى النهاية (سوف تستأجر الفيلم من نادى الفيديو) .

تساءلت هل الصفير متعلق بالفيلم أم بالأغنية فقط؟بحثت عبر الإنترنت ووجدت كلمات الأغنية وطبعتها لتضمها للملف الذى تجمع مادته.

كان وقت منتصف الظهيرة وقت انتهاء مهلة محددة للانتقام، أليس كذلك؟ إما أن تفعل أمراً فى الوقت المحدد، وإما أن تدفع

الثمن.

وقالت لنفسها إذا كان آرنى ميكس هو من يضايقها، فإنه لا يستخدم الرموز أو المعانى الضمنية؛ فهذا لا يتفق مع أسلوبه وشخصيته التافهة.

على أية حال، لا يزال عليها أن تكمل مادة الملف الذى تعده. وسيكون عليها أن تستأجر نسخة من فيلم"فى منتصف الظهيرة"وهى فى طريقها إلى المنزل.

مرحلة النهاية

"لا أعرف أى مصير ينتظرنى".

ــ من فيلم "منتصف الظهر"

٢١

لم يضايق دانكان صياح الطفلتين وحالتهما المزاجية التى تتبدل وتتغير فى لمح البصر، بل انسجم للغاية مع عالم الأطفال مما أدهشها وجعلها تتساءل ما إذا كان يتضايق أبدًا.

لاحظت أن ما فعله هو اللعب معهما كالمجنون، وشارك فى جميع الألعاب على اختلاف أنواعها: ألعاب فيديو، جولف مصغر، رمى الكرة فى الفتحات. ولاحظت كذلك أنه يستمتع جداً بكل لعبة كأى طفل، فى حين أنها ذهبت للملاهى كثيراً ولم تستمتع قط، حيث كانت تصاب فى كل مرة بالصداع والغثيان من الطعام وآلام القدمين.

شعرت بالأعراض الثلاثة معاً الآن وجلست على أريكة خشبية حتى ينتهى دانكان من لعبة "جولف الأبطال" وفقاً لتسميته لها.

كانت كارلى تحظى بأفضل وأمتع الأوقات فى حياتها، واجتمع الأطفال الآخرون حول دانكان وكأنه الفتى ذو الناى الذى يسحر الأطفال. تساءلت فيبى كيف يتحمل ساعات من سباق السيارات فى ألعاب الفيديو والكرة التى تلقى على المراوح الدوارة البلاستيكية بنفس القدر من المتعة ويبحث فى الوقت نفسه عن احتمالية الاستثمار فى مجال الملاهى.

جلست لو بجوارها وقالت: "كان يجب أن أطلى أظافرى. هذه الأماكن ترهقنى. لقد أقنعنى هذا الرجل بالمجىء كما توقعت".

"لكن فين يبدو متعباً أيضاً".

احتست العصير وقالت: "لم أقصد فين، فأنا أعرف كل حيله، أعنى دانكان. رغم أننى أعرف كل حيله لكنه نجح فى إقناعى بالمجىء إلى هنا".

أخذت فيبى تتفحصه من موقعها وهو يلهو مع الأطفال، وتذكرت كم استمتع للغاية بعرض سندريلا المسرحى فى مدرسة كارلى وأصر على دعوة كارلى على آيس كريم بعدها.

بالطبع كانت كارلى مغرمة به للغاية.

وها هو الآن يبدو مستمتعاً بالجولف المصغر وهو محاط بعدد كبير من الأطفال المفعمين بالإثارة.

قالت فيبى: "دانكان لا يبدو عليه التعب".

قالت لو وهى تخلع الصندل من قدميها اللتين تؤلمانها: "لو أراد لعاش هنا لبقية حياته. انظرى إليه، إنه ينهمك فى لعب الجولف على ذلك البساط الأخضر وكأنه المصنف الأول عالميًا فى اللعبة"تايجر وودز". الأطفال ينجذبون حوله كانجذابهم للآيس كريم، الذى أحذرك منه لأنه سيصر على دعوتنا عليه بعد انتهاء اليوم".

وضعت فيبى يدها على معدتها وقالت: "يا إلهى!".

"ولا يحب دانكان ممارسة الجولف العادى. حاول فين إقناعه به عدة مرات لكنه كان يختلق الأعذار ليهرب". ثم ضحكت بصوت عال، وتابعت: "مما يجرح كبرياء فين، وهو ما يهدف إليه دانكان".

تخيلت فيبى دانكان فى هذا الموقف وابتسمت وقالت: "إذن جاء

لكى يلهو ويلعب وليس ليفكر فى الاستثمار فى الملاهى".

"كلا، إنه يفكر جدياً فى إنشاء ملاه، ويوازن بين مزايا وعيوب المشروع".

زمت فيبى شفتيها وقالت وهى تتفحص دانكان وهو يتشاجر مع فين حول الجولف المصغر: "نعم، يمكننى رؤية ذلك".

قالت لو وهى توجه ضربة خفيفة لضلوع فيبى: "بل أعنى ما أقوله، سيعلم كم طفلاً وكم عدد البالغين الذين دخلوا الملاهى اليوم عبر الباب الدوار، وأى الألعاب حازت على إقبال كبير وأى الألعاب لم تحظ به. ومن المؤكد أنه سأل طفلتينا عن رأيهما، وكذلك الغرباء وأطفالهم، وبالتالى سيجمع الكثير من المعلومات قبل أن يحضر لنا الآيس كريم، ثم ينطلق وفقاً لهذه المعلومات".

"لكنه بالكاد يصلح لقالب رجال الأعمال".

ابتسمت لو بحب وقالت: "لديه قالبه الخاص".

"فعلاً"

"إنه شخصية مثيرة جداً".

"لاشك فى هذا".

"تقول أمى إنه مغرم بك للغاية".

"أحقاً؟ لدى معجبون كثيرون، لكنى أردت علاقة حميمة". ثم مالت نحو لو وقالت بصوت منخفض: "قلت لنفسى إننى أستحقها بحق الجحيم".

قالت لو بصوت منخفض أيضًا: "ومن منا لا يحتاج لذلك، هلا أخبرتنى بالتفاصيل المهمة؟"

"لاحقاً، لكنى لا أعلم هل أحبه بالفعل أم لا"، ثم أشارت لقلبها وقالت: "مشاعرى مضطربة هنا، لا أعلم هل أنا مستعدة للارتباط أم لا".

"لماذا؟ فأنت...".

أشارت لها فيبى براحة يدها لتصمت وقالت: "انتظرى، أنت متزوجة وسعيدة للغاية ولديك فتاة جميلة وكلب قبيح، وعائلة كبيرة، وعمل ممتع وذوق رائع فى الأحذية".

قالت لو بعد أن نظرت إلى الصندل بلونه النحاسى وكعبه

العالى: "أكيد، الحذاء هو أكثر الملابس إثارة".

"وأنا مطلقة ولدىَّ عمل يجعلنى أركض فى اتجاهات مختلفة طوال الوقت. ولدىَّ عائلة أحبها، لكن أساسات حياتى مضطربة ولدىَّ وقت لأكرسه لعائلتى وابنتى ومسئولياتى، ولن يحصل دانكان علىَّ فقط".

"أتظنين أنه لن يتحمل تعقيدات حياتك؟".

"لست متأكدة من رغبته فى ذلك أو سببها، فهو الآن مغرم بى وأنا أثير فضوله، والحب هو ما يجمعنا فى إثارة بالغة، لكن من الصعب أن يتحملنى وعائلتى يومياً. وهناك أمور غير قابلة للتغيير أو التعديل، لست مستعدة لذلك".

احتست لو المزيد من العصير وفكرت وقالت: "هل تحللين كل شىء هكذا وتختارين الجوانب السلبية؟".

"نعم، بحكم مهنتى على ما أظن. من الصعب أن أنظر للنواحى الإيجابية الخيالية. أنا أحاول فقط... وقد حاولت الابتعاد عن هذه العلاقة وقلت لنفسى لست مستعدة للارتباط العاطفى يا فيبى، حياتك مليئة بما يكفى، لا داعى لجرح قلبك مرة أخرى".

"هل الحب بمثابة انتحار؟".

"ربما هو كذلك، أو على الأقل الاستسلام وتقبل العواقب".

"أو حروب من الحياة المعقدة".

"بالضبط، يجب أن أعرف أين أضع قدمى فى أى موقف دوماً. وهذا شىء مزعج للغاية، لأننى لا أعلم إلى أى مسار تتجه علاقتى بـ دانكان".

"لا أعرف، لكن من الممتع أن تكتشفى بنفسك".

كانت المتعة مرهقة جداً، استسلمت كارلى للنوم فى المقعد الخلفى لسيارة دانكان وهو يوصلهم للمنزل.

"لابد أنها نائمة بعمق ولم تشكرك، لكنى أقول لك إنها حظيت بيوم رائع".

"وأنا أيضاً".

"لاحظت ذلك. ألعاب ورجال، لقد بدأت كارلى تقع فى هواك".

"وأنا أيضاً؛ فالشعور متبادل".

"لاحظت ذلك أيضاً وسأطلب منك إسداء معروف لى وأرجو أن تتفهم ذلك".

"بالتأكيد، هيا نذهب للمطعم".

"كلا، لا أريد أن أتناول المزيد من الطعام، بل أنا لا أمزح يا دانكان. أريدك لو أنهينا هذه العلاقة أن تقطع علاقتك بـ كارلى ببطء لتتكيف على ذلك، أعلم أنه موضوع شائك بعد يوم ممتع كهذا، لكن...".

"يبدو أن عقدة رالف مسيطرة عليك".

"كان اسمه روى. وربما معك حق، هذا جزء من مشاكلى، لكنك بالطبع أفضل منه".

"لو كان هذا حقيقيًا، لما طلبت منى شيئًا كهذا. أعرف شعور أن ينبذك الآخرون".

لمست ذراعه قائلة: "نعم، وأنا أم قلقة وأبالغ فى حماية ابنتى".

نظر نحوها قائلاً: "إنها محظوظة بك مهما كانت عيوبك".

هزت أصابع قدميها المتعبة عندما اقترب من المنزل وقالت: "لماذا لا تحتسى كأساً من الشراب معى فى الحديقة؟".

"هذا بالضبط ما خطر على ذهنى".

بعد أسبوع واحد، جلست فيبى فى حديقة منزل دانكان. كانت كارلى ستبيت ليلتها عند ليفى ابنة لو وفين؛ لأنها صارت ثانى أفضل صديقاتها، وبالتالى يمكن لفيبى أن تبيت عند دانكان الليلة.

مارسا السباحة فى حمام السباحة الخاص به، وتناولا العشاء. اقترب الوقت الآن من منتصف الليل. ولم يهتما! وظلت مستلقية على أريكة وسط الحديقة المزدهرة بالثمار والأشجار وتستنشق عبير الزهور والياسمين، وفى يدها كأس من الشراب، وكانت ترتدى مئزرًا قصيرًا شفافًا غالى الثمن جداً.

لكن إن لم تنفق المرأة أموالها ببذخ على مناسبة كهذه، فمتى إذن؟

مر الليل فى سكون وكان النسيم عليلاً بحيث يبعد الحرارة ولا يشعرك بالبرد، والقمر المكتمل يمر ببطء فى سماء مرصعة بالنجوم والسحب الخفيفة. وكانت مكبرات الصوت فى الحديقة تصدح بالموسيقى التى يشغلها دانكان.

احتست فيبى الشراب وفكرت فى تراخ فى المزيد من المتعة.

قالت له: "أشعر بأننى فى إجازة".

قال بتراخ مثلها: "إذن كان يجب أن أضع شمسيات مصفرة فى الكئوس وأرفع صوت الموسيقى".

"كلا، لا داعى، هذا يكفينى. لا يمكننى التحرك الآن من فرط الخمول والتراخى". ثم ابتسمت وقالت مازحة: "يجب أن تأخذ منى إيجار المكان!".

قال مازحاً: "بل أريد حقى بشكل آخر غير المال!".

"من دواعى سرورى أننا لم نخرج الليلة. لم أرغب فى الذهاب لأى ناد أو حانة أو سينما. أشعر بسعادة كبيرة لمجرد بقائنا هنا فى المنزل".

"إن النوادى والحانات ودور السينما لن تختفى. ولذا فمن الأفضل لاحقًا أن نبقى هنا فى المنزل".

"أخالك قضيت أسبوع حافلاً؟".

"نعم، إيفا تعمل بكل جهدها. فرغم جمالها، فإن بداخلها قوة عدد من الرجال. أعتقد أننى بحثت فى كل متاجر النباتات فى سافانا وكذلك أدوات الزراعة والتربة والنافورات الصناعية والتماثيل وحوض استحمام الطيور وعشش أكلها ومنازلها، وكل ما يخص الحدائق. لم تتركنى وحدى وأغفلت فكرتى أن أدعها تفعل ما تريد، وأخذت برأيى فى كل ما ابتاعته".

"قالت إنك اصطحبتها للبناية المهجورة التى تريد تحويلها لمساكن ومتاجر".

"نعم، حتى تتولد أفكار عن المشروع لديها، لكنها أرهقتنى. ما رأيك أن نبحر فى قاربى الشراعى فى الصباح؟ أعتقد أن بإمكاننا أن نبحر حول كل سافانا".

"فكرة ممتازة، كل شىء اليوم ممتاز!".

جلس بجوارها على الأريكة ومال نحوها ثم همس فى أذنها: "انتظرى قليلاً، فلا يزال هناك الكثير من الأمور الممتازة".

لم تشك فى لحظات السعادة القادمة بعد أن غمرها بحبه وقدم لها كل ما كانت تريده. تحسست بيديها مكان المائدة حتى تركت الكأس بالكاد، وبعد أن صارت يداها طليقتين بدأت تبعثر شعره بكلتا يديها.

شعرت بالنسيم يرطب جسدها والموسيقى تصدح فى جنبات الحديقة لتشعرها بالنشوة. رفعت رأسها للخلف وأخذت تستمتع بالنظر للبدر فوقها فى كبد السماء.

همس لها: "فيم تفكرين؟".

قالت بينها وبين نفسها: "أنا أحبك"، وقاومت بضراوة أن تتلفظ بهذه الكلمات وظلت محشورة فى حلقها.

شعرت بأنها كلمات مثيرة وتستحق أن تقال، فهى كلمات قوية، لكن المكان والزمان والحدث غير مناسبين لكى تقال الآن.

وبدلاً من ذلك، طوقت وجهه بيديها وقالت: "معك حق، لقد صارت الحياة مثالية أكثر الآن!".

قال لها: "لأننى معك...". ثم استدار ليقبل راحة يدها. وقبل يديها.

خفق قلبها بحبه أكثر بعد أن فعل ذلك وشعرت بالاضطراب وقالت: "لأنك معى؟".

نظر فى عينيها وقال: "فيبى...".

وفجأة، رن هاتفها الجوال.

قالت: "لابد أننى نحست اليوم! ظللت أقول إنه مثالى، لكن يبدو أنه سينتهى! ليتنى ما قلت إنه مثالى".

فكرت يا ترى من يتصل بها: أمها. كارلى. أخوها. انتزعت الهاتف وقالت: "هنا فيبى ماكنامارا". لم يهدئها صوت ديف إلا بعد أن تأكدت أن الأمر لا يخص عائلتها.

"المدفن العام لمدينة سافانا؟ أين؟" حفظت فيبى العنوان بدون قلم وورقة وقالت: "ماذا؟ تريد حضورى على وجه السرعة؟ أنا فى جزيرة ويتفيلد فى منزل صديق، سأحضر بأسرع ما يمكن. حسناً،

حسناً، سأنطلق فى خلال خمس دقائق".

هرعت نحو المنزل وهى تتحدث فى الهاتف وقالت له: "أخبره أننى فى الطريق إليه. كلا لا داعى". نظرت لدانكان الذى فتح لها الباب وقالت: "معى سيارة سريعة جداً، لكن ليس معى أدواتى، سأتصل بك عندما أصل".

ثم أغلقت الهاتف.

"أحتاج لاستعارة سيارتك".

"بالتأكيد، لكنى سأقود".

"لا يمكن أن أصطحبك معى فى عملى".

قال وهما يركضان عبر السلم إلى الطابق العلوى: "بل يمكنك".

خلعت مئزرها فى حجرته وبدأت ترتدى ملابسها وقالت له: "يا دانكان، هناك رجل مقيد بالأغلال فى المدافن وحوله حزام ناسف من القنابل".

"إن كان سيفجر نفسه، فآمل أن يكون قد حجز لنفسه مقبرة بالفعل، فمقبرة مدينة سافانا ممتلئة عن آخرها".

صاحت به وهى تواصل ارتداء ملابسها: "بل هو الرهينة، أو هكذا ما يدعيه، ويقول إن من قيده طلب منه الاتصال بالشرطة فى موعد محدد ويطلب حضورى بالاسم. إن لم أحضر إلى هناك بحلول الساعة الواحدة فسيفجر الرهينة ويقتله".

"هذا سبب آخر يدعونى لكى أقود السيارة، أنت لن تحسنى قيادتها مثلى. وأعرف الطرق أفضل منك. سأوصلك بسرعة، كما أنك لم تقودى سيارتك بسرعة من قبل". صاح بكلماته هذه عندما لمح فى عينيها أنها ستجادله لكى ترفض حضوره معها.

ارتدت حذاءها وقالت: "معك حق، هيا بنا".

كان محقاً لأنه سيقود سيارته بسرعة جنونية بينما هى تتصل بـ ديف لتدون ملاحظتها عن الموقف وتفكر بسرعة.

قال لها ديف عبر الهاتف: "يدعى أنه لا يمكنه أن يعطينا اسمه إلا بعد حضورك، كما أن من خطفه معه أسلاك القنبلة وأن بإمكانه أن يسمع كل شىء، فلديه سماعة وميكروفون".

"هل هو يكذب؟".

"لا أظن ذلك. سأكون هناك بنفسى بعد خمس دقائق، وتقييمى من واقع خبرتى أنه جاد فى تهديده. يقول الشهود إن الكدمات تملأ وجه وجسد وذراعى ورجلى الرهينة، ولا يعرف من الفاعل ومتى حدث ذلك وكيف ولماذا. يقول إنه لا يمكنه أن يتحدث إلا لك أنت".

"وفقًا لسرعة السيارة التى تنقلنى، سأصل خلال ربع ساعة. ما اسم شاهد القبر المقيد به؟".

قال ديف: "جوسلين أمبوسو ١٨٩٨ . ١٩١٦".

"غالباً هذا ليس عشوائياً. هل له علاقة أو مدلول محدد؟".

"جارى البحث فى هذا".

"هل علمت أية معلومات عن الرجل المجهول الهوية".

"إنه أبيض وفى منتصف الثلاثينات، وشعره بنى وجسده رياضى. ويبدو من لهجته أنه من أهل المدينة، ولا يرتدى أية حلى أو وشم، ومكبل بالأغلال من ذراعيه وقدميه بعمدان شاهد القبر. إنه عار تماماً سوى من سروال قصير، وحافى القدمين. فى حالة انهيار تام ويبكى كالطفل، ويرجونا ألا ندعه يموت، وأن نحضر له فيبى".

"هل سمانى باسمى الأول؟ هل يعرفنى؟".

"غالباً نعم".

"قل له إننى على وشك الحضور".

انحرف دانكان بالسيارة وأمسكت فيبى بعجلة القيادة وهى تقول: "دع الجميع يعلموا أننى فى الطريق". نظرت لساعتها وأردفت: "أعلم أن الموعد المحدد قد قارب على الانتهاء، تأكد من أن الشخص المجهول يعلم أننى قادمة بعد عشر دقائق يا كابتن".

"أنا حضرت لمكان الواقعة الآن، سأبقى الأمور تحت السيطرة حتى حضورك".

أغلقت الهاتف ونظرت لـ دانكان.

ثبت دانكان عينيه على الطريق وانطلق بسرعة مائة وعشرة كم/ الساعة، ثم قال: "ستصلين فى الموعد المحدد. هل تعاملت مع

موقف كهذا من قبل؟".

"كلا، ليس كهذا". ثم لاحظت الأنوار أمامها فاتصلت بـ ديف وقالت: "أرى سيارات الشرطة أمامى، أخبرهم حتى يفسحوا لى المجال والطريق، واطلب من أحدهم أن يقودنا لمكان الواقعة".

سار دانكان بالسيارة فى انسيابية عبر الطريق ومنعطفاته وانطلق للأمام مرة أخرى. ظهرت الأشجار المغطاة بالعثة والتماثيل المزينة تحت ضوء القمر. كان الجو خانقاً بسبب الحرارة وتكون الضباب الخافت، وكانت أضواء الكشافات تنير قمم الأشجار. توقف دانكان خلف سيارة الشرطة، لتقفز فيبى خارج السيارة.

صاحت بـ دانكان: "ابق هنا". وانطلقت فى الركض وسط شواهد القبور وتماثيل الملائكة المجنحة.

سار نحوها ديف بسرعة وجذب ذراعها وقال: "حدد فريق خبراء القنابل مسافة محددة للأمان ولن يتجاوزها أحد، وهذا غير قابل للنقاش".

"حسناً، هل تغير الموقف؟".

"جئت إلى هنا منذ دقيقتين فقط".

"إذن لنبدأ".

أخذت تسير ببطء الآن إلى الأمام. رغم الإضاءة الساطعة، ظلت هناك بعض البؤر المظلمة. ناولها أحدهم سترة أمان واقية وارتدتها بينما تتفحص فى الرجل الذى يبكى فى صمت وهو مكبل بالأغلال إلى جوار أحد القبور.

كان فوقه تمثال لملاك مجنح له وجه هادئ وجناحان مفرودان وهناك ناى معلق فى صدر التمثال.

كان الرجل يبكى أسفل التمثال وسط أصفاده وأغلاله ويدفن رأسه وسط ركبتيه. كان يجهش بالبكاء وسط الزهور الحمراء اليانعة، فقالت له: "أنا فيبى ماكنامارا". فرفع رأسه لأعلى نحوها.

تجمدت فى مكانها وصمتت فى دهشة عند الحبل المحاط بالقنابل. تجمدت تماماً ثم هدأت فجأة وصاحت بفزع رهيب:

"روى!".

أمسك ديف بمعصمها وقال: "يا إلهى! لم أر وجهه، ولم أتعرف عليه". لم يكن متأكداً هل سيعرفه أم لا، قال لها: "لا تقتربى أكثر من هذا يا فيبى". وصاح روى بضراوة فصاح ديف بصوت أعلى: "لا تقتربى!".

صاحت بفزع: "مفهوم! مفهوم! اهدأ يا روى. يجب أن تهدأ، تنفس بعمق واهدأ. حضرت الآن كما تريد". دونت على ورقة وهى تتحدث: "تفقد عائلتى، وضع حراسة حول منزلى، ستجد كارلى فى هذا العنوان...".

وكتبت العنوان الخاص بـ فين وأعطت الورقة لـ ديف وقالت: "سنكون بخير".

"سيقتلنى! سيقتلنى!".

"من هو؟".

"لا أعلم! يا إلهى، لا أعرفه. لماذا يحدث لى ذلك؟".

"هل يسمعنا يا روى؟".

"يقول إنه يسمعنا. يقول لى أن أخبرك أنه يعتبرك عاهرة حقيرة. قال لى أن أردد كلامه لك حتى لا يفجرنى!".

"حسناً، إن كان يسمعنى أخبرنى بما يريده".

"يقول إنه يتمنى لو يحشو جسدك بالقنابل يا عاهرة".

"هل يعرفنى؟".

قال وهو يبكى: "يقول إنك كلفته الكثير والآن حان دورك لتدفعى الثمن".

"ما الذى فعلته له؟".

"يقول إنك ستتذكرين. ساعدينى يا فيبى بحق السماء!".

"حسناً يا روى، اهدأ. دعنى أتحدث له، لابد أنه غاضب منى أنا. هلا أخبرتنى عن السبب؟".

"يقول ليس الآن.. لم يحن الأوان بعد".

"دعوتنى وقد حضرت. من المؤكد أنك تريد شيئاً ما منى، وتريد أن تخبرنى بأمر ما. اشرح لى لماذا...".

قال روى وهو يشهق: "يقول عليك اللعنة".

"يبدو أنك لا تريد التحدث معى بعد. هل يمكننى طرح الأسئلة

على روى؟".

"إنه يضحك ويقول لك تحدثى معه كما تريدين".

"كيف جئت إلى هنا يا روى؟".

"قادنى إلى هنا.. بسيارتى على ما أظن". كانت عيناه متورمتين من البكاء والضربات فى وجهه.

"ما نوع سيارتك؟".

"مرسيدس إيه ٥٥، ابتعتها منذ أسابيع".

كتبت نوع السيارة فى ورقة وحررت أمراً بضبط السيارة وقالت: "حسناً، هل جاء بك من حى هيلتون؟".

"لا أدرى، لقد وضعنى فى حقيبة السيارة ولم أر. لقد كممنى ووضع قماشاً على عينى. كنت قد عدت للمنزل ووقفت فى المرآب وفوجئت به يهددنى بالسلاح خلف رأسى".

وضع وجهه المجروح بين فخذيه مرة أخرى وقال: "جاء من خلفى وهاجمنى ثم ضربنى وأغمى علىَّ، ثم أفقت ووجدت نفسى مكممًا لم أر ولم أتمكن من التحدث وشعرت بصعوبة فى التنفس فى حقيبة السيارة".

تنفست الصعداء عندما مرر لها ديف ورقة مدوناً بها: "كل أفراد أسرتك فى أمان والشرطة تحرس المنزل".

قالت لروى: "منذ متى؟"

"لا أعلم".

"حسناً، كيف وصلت للمقابر؟".

رفع رأسه مرة أخرى وأخذ يهزها فى جميع الاتجاهات لينفض عنه الحشرات التى كانت تسير فوقه كما رأت فيبى، ثم قال: "سمعت صوت فتح السيارة لأجده يمسك برأسى وحاولت المقاومة رغم شعورى بالدوار، لكنه ضربنى على وجهى بشدة، فخرجت وأخذت أصرخ وأصيح بصوت مرتفع، لكن أحدًا لم يأت لنجدتى. تحدث معى وأنا مكمم الفم والعينين وأمرنى بما سأفعله. طلب منى الاتصال بالشرطة من هاتفى وحدد لى ما أقوله لهم. وقال لى لو ذكرت أى شىء آخر أو اتصلت بشخص آخر فسيفجر القنبلة لينسفنى".

قالت فيبى: "لم تره أبداً؟"ثم دونت اسم روى بالكامل وعنوانه ورقم هاتفه وكتبت تحت التفاصيل سؤال: "كم من الزمن مر وهو مفقود؟"ثم أحاطت السؤال بدائرتين وأعطت الورقة لـ"ديف".

"روى...".

كان يبكى ويشهق وينتحب وهو يصيح: "لم أفعل أى شىء! لماذا يحدث هذا لى؟".

صاحت به بصوت مرتفع ليكف عن الهيستريا: "لن يجدى هذا يا روى، هل تفهمنى؟ حاول أن تحتفظ بهدوئك، من المهم أن نتعاون لحل الأزمة. أريد أن أتحدث معه مرة أخرى إن كان مستعداً، وأتساءل هل له أن يعطينى اسماً لأناديه به حتى وإن لم يكن اسمه الحقيقى؟".

"أنا متعب.. أنا.. أوه كلا! كلا! لا تقتلنى من فضلك!". نظر روى للأغلال التى تكبله وقال: "يا إلهى.. حسناً.. نعم... يقول إنه مل من صياحى لأننى أحمق وغبى، وأنه سيفجرنى إذا واصلت الصياح".

"إن فجرته، فلن نعرف لماذا أردت حضورى الليلة. لماذا أنت غاضب؟ هلا أعطيتنى اسماً؟".

اصطكت أسنان روى وقال: "يقول لك، بالتأكيد يا فيبى، يمكنك أن تنادينى باسم كوبر".

جف حلقها وكتبت الاسم بوضوح وكتبت بعده اسم الفيلم"فى منتصف الظهيرة"، وقالت له: "حسناً يا كوبر، بما أننى لا أستطيع التحدث إليك مباشرة، فإننى لا أعرف كيف تشعر. هلا أخبرتنى ما هو شعورك؟".

"يقول لك إنه يشعر بالقوة والسيطرة".

"هل هذا مهم جداً بالنسبة لك؟".

"يقول لك بكل تأكيد".

"هلا رغبت فى السيطرة المباشرة وأن تتحدث معى وجهًا لوجه؟".

"يقول لك لم يأت الأوان بعد".

حدقت فيبى فى عينى روى اللتين اغرورقتا بالدموع، وأنصتت

لصوته المعذب وحاولت معرفة تفكير الرجل المجهول الذى يسمعها ويراها ولا تسمعه أو تراه.

"هلا أخبرتنى كيف نعرف بعضنا البعض يا كوبر؟".

"يقول لك إنه يريد أن يطرح عليك سؤالاً".

"حسناً، ما الذى تريد معرفته؟".

"هل تهتمين بهذا الأحمق اللعين؟".

قالت لنفسها إن السؤال خادع. فسواء قالت له إنها تهتم بروى أو لا تهتم به، فقد تثير كلا الإجابتين حفيظته. قالت له: "هل تقصد روى؟".

"يقول لك بالطبع يا عاهرة".

"إنه طليقى، ولا أريده أن يتعرض لأذى ولا أى شخص آخر. لم تؤذ أحداً بعد يا كوبر، دعنا نحل الأزمة بدون...".

"قولى ذلك إلى تشارلى جونسون، هل أعجبك مشهده وهو يتلقى الرصاص؟".

"هل تقول إنك قاتله؟!".

"يقول لك ألا تفهمين أيتها العاهرة الحمقاء؟ نعم أنا قاتله، أنت من قاده لموته. ولن يكون هذا الفشل المهنى الأخير لك، وهذا وعد منى". ثم بكى روى أكثر وقال وهو يرتعش تحت أجنحة تمثال الملاك: "من فضلك لا تقتلنى!".

"هل كنت تعرف تشارلى جونسون؟".

"يقول لك كلا، فهو مجرد فرد فى عصابة، لكنك جعلته يخرج ليسلم نفسه، أليس كذلك؟ جعلته يخرج بدون إيذاء الرهائن، لكنك أنقذت كل الرهائن الحمقى أليس كذلك؟".

"من الذى لم أنقذه يا كوبر؟ من تلك التى تحبها وفشلت أنا فى إنقاذها؟".

"يقول لك خمنى يا فيبى، وتوسلى لى لكى أسامحك حتى تنقذى نفسك".

"حسناً، أتوسل إليك لكى تسامحنى الآن. ربما لم أتمكن من إنقاذ عزيز لديك، سامحنى الآن. أخبرنى بما تريدنى أن أقوله وسأقوله".

"يقول انتهى الوقت.. كلا! كلا! من فضلك لا تقتلنى! سأخبرها! حسناً، يقول لك وداعاً يا فيبى".

"يا كوبر، لو أنك...".

انفجرت القنبلة وطارت فيبى فى الهواء بسبب اندفاع الهواء الساخن وهبطت على قبر أحد الغرباء.

كانت تعلم ماذا يتطاير فى الهواء فوق رأسها مباشرة ويتساقط على الأرض، أشلاء تمثال الملاك وقطع من الطين الممزوج بأشلاء روى المتناثرة هنا وهناك.

دارت برأسها آلاف الصور: أولى مقابلاتها مع روى فى إحدى الحفلات وابتسامته المشرقة لها، والحب الذى جمعهما. تذكرت أول يوم لهما بعد زواجهما، والرقص يوم الزفاف.

ثم فقدت وعيها.

سمعت من بعيد من يصيح باسمها.

شعرت بالكاد بـ دانكان يحملها ويركض بها ثم ينبطح بها أرضاً ويغطيها ليحميها، وسمعت بالكاد المزيد من الصياح ووقع الأقدام وأصوات الشرطة عبر اللاسلكى.

لم تقاوم لتنهض، لم يكن هناك ما يستدعى ذلك.

همست لنفسها: "يا إلهى! ما الذى فعلته؟!".

٢٢

طلبت منه فيبى أن يعود لمنزله، الأمر الذى أزعجه للغاية. لماذا تفعل معه هذا بحق رب السماء؟

سار دانكان جيئة وذهابا خارج حجرتها فى قسم الشرطة، ولم يتمكن من الجلوس، أو حتى الاستقرار، وتمنى لو فقد القدرة على التفكير. لسوء الحظ أنه استمر فى التفكير فى اللحظة الرهيبة التى انفجر فيها الرجل.

تناثرت أشلاؤه فى الهواء، قطع من اللحم والعظم كالضباب الأحمر المفزع.

لم يتذكر أنه تحرك بالضبط، بل تذكر أنه شعر بشىء يشبه دفعة قوية من الهواء، مع أصوات الانفجار المكتوم والصياح وتحطم وتفتت التماثيل والتربة وهى ترتطم بالأشجار والأرض مع

الأحجار والتماثيل الأخرى.

علم أنه رأى أشلاء روى معلقة على شبكة من العتة فوق الأشجار، ورأى رأس تمثال الملاك بعد انفصاله عنه يطير فى الهواء وهو ملطخ بالدماء، وابتسامة التمثال مازالت هادئة وتوحى بالسكينة كما تخيل.

لم يذكر أنه ركض وقفز نحو فيبى ومال عليها بجسده أثناء اندلاع الفوضى العارمة من حولهما. تذكر أنه سمعها تقول: "ما الذى فعلته؟"وكررت السؤال عدة مرات حتى دفعهما أحدهم ربما كان ديف.

كان دانكان متأكدا من أن ديف قال لهما: "هل أنتما بخير؟"وكان وجهه شاحبا كوجه تمثال الملاك الذى يطير فى الهواء.

بعد ذلك فقد وعيه بما حوله، وبالكاد شعر بالكثير من الحركة و الأصوات وصافرة إنذار الشرطة.

لقد طلبت منه فيبى أن يعود لمنزله، طلبت منه أن يعود لمنزله وسط هذا الكابوس، اللعنة على ذلك.

كانت بداخل الحجرة مع الكابتن، هذا ما قيل له، مع الكابتن ماكفى وآخرين، ولذلك سينتظر بحق السماء.

كان يريد أن يتقيأ وأن يحتسى شرابا باردا، وأن يلمسها ويطمئن على سلامتها.

لكن لم يكن بوسعه سوى الانتظار الآن.

"دانك".

استدار دانكان ووجد فين يأتى من المصعد وشعر برعشة قوية فى بطنه، ولسبب ما لم يفهمه جعلته رؤية صديقه يشعر بارتخاء فى قدميه فانحنى على الأريكة الخشبية.

"يا الهى!".

أمسك فين بذراع دانكان بقوة وهو يجلس إلى جواره وقال: "هل أنت بخير؟ هل تنزف؟".

نظر دانكان بشكل مشوش وببطء إلى قميصه الملطخ بالدماء فعلم أنها دماء روى وقال: "ليست دمائي! اللعنة يا فين، لا أستطيع القول إننى بخير تماما".

"ماذا حدث بحق السماء؟".

"لقد انفجر، لقد......ليس الأمر كالأفلام أبدا يا صديقى".

ومرر أصابعه خلال شعره وأردف قائلا: "أين لو والطفلتان؟".

"جميعهم بخير، والطفلتان نائمتان، والشرطة تحرس المنزل، هل كان والد كارلى؟".

"نعم، واسمه روى، قيده المجرم على شاهد قبر بحزام ناسف من المتفجرات. يا له من مسكين! خطفه الجانى من المرآب وضربه وربما خدره. كانت فيبى تتحدث مع الجانى من خلال روى زوجها السابق، من خلال سماعات فى أذنه....". وأشار دانكان إلى أذنه بتراخ.

تفرس فين وجه صديقه وأخرج قنينة شراب وقال: "فهمت الآن، اشرب هذا يا أخي".

"وددت لو قبلتك يا أخى لأشكرك، لكنى لست فى حالة مزاجية عاطفية الآن". شعر بأنه ممتن له واحتسى جرعه كبيرة وأردف قائلا: "كان روى يبكى ويستعطف، والجانى....كوبر. طلب من فيبى أن تدعوه كوبر. ولم يقل ما الذى كان يريده، ثم أمر روى أن يودع فيبى وضغط زر التفجير، لقد تمزقت أشلاؤه وتناثرت فى الهواء يا فين".

"هل أمنت الحراسة على منزلك يا دانكان قبل أن تغادره؟".

تذكر أنه لم يفعل فقال: "ماذا؟ كلا، بل خرجنا فى عجلة".

"حسنا، إليك ما سأفعله، سأجرى بعض المكالمات الهاتفية لإحضار من يفتش المنزل ويحرسه".

ترك دانكان نفسه يميل للوراء برأسه وقال: "هل يعنى قتله زوج فيبى السابق، أنه قد يسعى نحوى؟".

"فعلا، لا داعى للتراخى فى الأمر. يجب أن تأخذ حذرك".

"معك حق".

وفى المكتب، جلست فيبى منتصبة القامة للغاية. كانت أسرتها فى أمان والمنزل تحت حراسة الشرطة، ويمكنها أن تكف عن القلق

بشأنهم. قتل روى ولا يمكنها تغيير ذلك. عليها الآن أن تمنع نفسها من الإحساس بالذنب وتطرد هذا الشعور من عقلها وقلبها ومعدتها.

قال ديف: "يجرى التحقيق الآن بواسطة وحدة مكان الجريمة، ويتم فحص المرآب والمنزل، ويجرى البحث أيضًا عن سيارة الضحية".

قالت فيبى: "لابد أن القبر رمز لشيء ما أو شخص ما".

"يجرى التحقيق الآن عن ذلك".

"أريد حماية عائلتى من جانب الشرطة، وليس لليلة فقط.....".

قال ديف بهدوء: "فيبي، ثقى فى حدوث ذلك".

"حسنا، كان روى قد خطب فتاة تدعى ميزى. لا أعلم باقى اسمها، ولا أعلم هل كانا يعيشان معا أم لا....".

"تحقق من ذلك أيضًا".

شعرت فيبى بأن الأمر سيتم كما يجب وقالت: "الهجوم الشخصى بهذه الطبيعة ينبع من حقد شخصى كبير ودفين، ترى من الذى جرحته أو أغضبته أو هددته؟".

"سنأخذ أقوال آرنى ميكس".

سحبت فيبى نفسا عميقا وقالت: "نعم، يجب التحقيق معه والتأكد من مكانه وقت وقوع الجريمة. لكنى أشعر بأنه ليس المجرم، إنه بلا شك عنيف وشرطى سيئ وأحمق ولعين، لكنه ليس بقاتل. إن كان ما قاله كوبر الليلة صحيحاً، فلقد قتل مرتين على الأقل، بدم بارد، بينما ميكس أرعن ويتصرف بغضب وبحماقة وباندفاع وبلا تخطيط، وبدون النظر إلى العواقب".

"ربما ينفذ أحدهم أوامره، بعلمه أو بدون علمه".

"ربما، ولكنى أظن أن الأمر شخصي. يريد أحدهم إيذائى بشدة كما آذيته بسبب شيء ما فعلته أو لم أفعله، ربما فشلت فى إنقاذ شخص ما".

عندما أغمضت عينيها وضغطت بأصابعها على جفونها، لم تر سوى صورة روى. أسقطت يديها على حجرها وقالت: "أراد لى أن

أفشل مهنيا لينتقم. من الذى لم أتمكن من إنقاذه يا ديف؟ ومتى؟ وكيف؟ يجب أن أراجع جميع ملفات عملى منذ البداية، وأتحرى عن كل الرهائن ومحتجزيهم وأفراد الشرطة وكل من شهد كل واقعة، وكذلك كل من جرح أو قتل فى كل الحوادث التى شاركت فى حلها كمفاوضة".

صمتت لبرهة ثم قالت: "ربما الجانى امرأة".

"لماذا؟".

"لأن الجانى أطلق على نفسه اسم جارى كوبر، ولأن روى كان مقيدا عند قبر امرأة. لن نستثنى أحدا، لكنى أظن أن الجانى امرأة. قد يكون رجلا لأنه تعلم التعامل مع الأسلحة والمتفجرات. وربما تدرب فى الجيش، لأنه خطط لكل شىء، لم يخطف روى بشكل مندفع تحت وطأة اللحظة".

ضربت فخذيها بقبضتى يديها وقالت: "لم أسمع صوته لكى أرد كما يجب وأشعر بأحاسيسه وانفعالاته ونبرة صوته".

"لست مسئولة عن هذا يا فيبي".

"إذن لماذا فجر روى؟ هل طرحت الأسئلة الخطأ؟ لماذا تكبد مشقة ومجازفة إحضار روى إلى هناك ليقتله وينهى الأمر سريعا؟ يجب أن أنصت للشريط لأعرف ما الذى قلته أو لم أقله لأدفعه لإنهاء الأمر".

مال نحوها بمقعده بحيث واجهها ولامست ركبتاه ركبتيها وقال: "بل تعلمين ما هو أفضل من ذلك".

"فى الظروف العادية نحاول معرفة ما هو أفضل من ذلك، لكن الحادث لم يقع فى ظروف عادية، إنما كنتُ الدافع الوحيد للمجرم ليقترف جرائمه".

"ما قلته أو ما لم تقوليه قد لا يكون الإجابة عن أسئلتك".

"كلا، لقد قتل رجلين حتى الآن، بسبب ارتباطهم بي. ويجب أن أعرف السبب وأجد الإجابة يا ديف. قد لا يقتصر على قتل اثنين يا ديف ويحاول أن يؤذى من أحبهم لاحقا، لقد كان يحوم حول منزلى".

"لن يجرؤ على أن يمسهم بسوء".

"بالطبع، لكن بعد أن نتعرف على هويته ونجده ونقبض عليه.....سأحاول الاتصال بخطيبة روى، ويجب أن أخطر كارلى بطريقة مناسبة".

"ما يجب أن تقومى به الآن هو العودة للمنزل للراحة والنوم. تمهلى يا فيبي، يجدر بك التحدث إلى الطبيب النفسي".

"أفضل علاج للشعور بالذنب والمسئولية الخاطئة للمفاوض هو العمل والدراسة والتدريب". ابتسمت بالكاد وتابعت: "لقد علمتنى تلك الحكمة".

"ربما، لكنك فى هذه الحالة تحتاجين للنوم العميق أولا، سنتحدث عن الباقى لاحقا".

عندما غادرت مكتب ديف، سارت مباشرة للحمام وتركت نفسها تتقيأ بعنف.

بعد أن أفرغت معدتها، وشعرت بلزوجة جلدها ودموع عينيها، مالت على باب الحمام لتلتقط أنفاسها. لم تبك، فقد كان الأمر فوق مراحل البكاء المريح البسيط. جلست ببساطة على الأرضية ومالت بظهرها لكى تتأكد من أنها لن تتقيأ مرة أخرى.

وبعد أن قامت، سارت إلى الحوض لكى تغسل وجهها وفمها بالماء البارد. تذكرت كيف كان ينظر لعينيها عندما نظرت لعينيها فى المرآة. كانت نظراته مليئة بالفزع والخوف والتوسل، لقد كان الرجل الذى أحبته فى يوم من الأيام وأنجبت منه.

لقد مات الآن، لمجرد أنها عرفته وأحبته وأنجبت منه، وليس تكفيرا لأخطائه أو لذنب جناه، بل لأنه فى يوم من الأيام قابلها فى حفل وأحبته.

لذلك لن ترتاح إلا عندما تبحث عن إجابات لكل الأسئلة الحائرة.

بعد أن جففت وجهها وأبعدت شعرها المبتل عنه، بدأت تسير نحو مكتبها. قالت إنها ستذهب للمنزل. كان ديف محقاً عندما قال هذا. لكنها ستأخذ الملفات معها للمنزل، فضرصة النوم الفعلى تكاد تكون منعدمة، وبالتالى ستعمل لساعات إضافية فى المنزل لتجد أية إجابات.

لم تر دانكان إلا عندما نهض بسرعة وسار نحوها.

"كان يجب أن تعود للمنزل يا دانكان".

"لا تتفوهى بهذا الهراء معى".

"ماذا؟".

"اللعنة يا فيبي". جذب ذراعها نحوه وأردف قائلا: "حسنا، لا داعى للشجار الآن، لنتحدث الآن".

"أنا آسفة لأننى جعلتك تمر بتجربة كهذه".

"وأنا أيضا، لنتحدث عنك الآن". دفعها برفق للخلف ليفحص وجهها. كانت عيناها حمراوين ومجهدتين. قال لها: "سأوصلك للمنزل الآن".

تذكرت أن سيارتها ليست معها. فقالت: "لكنى سآخذ بعض الأشياء من مكتبى أولا".

"سأنتظرك".

"يا دانكان...."صمتت ولم تكمل عبارتها عندما رأت فين يأتى نحوهما وهو يغلق هاتفه.

"كيف حال كارلى؟".

"إنها بخير". سار فين نحوها واحتضنها وأردف قائلا: "إنها نائمة، وهناك حراسة أمام المنزل، بخلاف شرطيين أمام الباب الخلفي، كما تحرسها زوجتى الشرسة والكلب أيضًا".

ضحكت ضحكة مكتومة وقالت: "شكرا لك، سأمر لاصطحابها للمنزل".

قال فين: "الساعة الآن الرابعة فجرا. لقد نامت الفتاتان منتصف الليل وتحتاجان لمزيد من ساعات النوم، لماذا لا أحضرها مع لو غدا بعد أن تستيقظ؟ سأتصل بك هاتفيا أولا، ما رأيك؟".

"حسنا، لا بأس. لا داعى لإيقاظها الآن....أنا ممتنة لك يا فين ولزوجتك لو، وآسفة حقًا".

"لا داعى للشكر أو الأسف فى هذا الأمر".

"سأحضر بعض أغراضى، لن أتغيب سوى دقائق".

شاهدها فين تذهب وقال: "إنها تحافظ على هدوء أعصابها جيدا".

"إنها قوية الشكيمة، وهذا ما جذبنى إليها من أول وهلة.هل كل شىء على ما يرام فى المنزل؟"

"نعم، وسأتولى كل شىء بنفسى. يجب أن تنال قسطا من النوم، أتفهم؟ سنتحدث لاحقا".

ربت دانكان على كتفه وقال: "شكرا لك".

وعندما جاءت فيبى، تقدم دانكان نحوها ليحمل عنها حقيبتها المكتظة بالأوراق قائلا: "فكرة رائعة، ستعملين من المنزل لفترة".

"كلا، سأعمل لساعات إضافية بجانب عملى هنا".

"هذا كثير جدا يا فيبى على عدد ساعات اليوم".

"لذلك يجب أن أستغل أكبر عدد ممكن من الساعات، فهذا عمل الشرطة يا دانكان".

"كفى عن قول هذا الهراء لى".

ظلت صامتة للحظة وعزمت ألا ترد عليه، لكن قوة إرادتها عندما استقلا المصعد فقالت: "يبدو أننى أزعجتك بالكثير من الهراء الليلة".

"نعم، لا يمكننى إنكار ذلك".

"إذن اتركنى أعود لمنزلى بمفردى وعد لمنزلك".

"إن تماديت فى قول هذا الهراء، سأضربك على رأسك بالفأس، نلت كفايتى من الهراء الليلة يا فيبى، فاحترسى فيما تقولينه الآن".

"لم أقل سوى أن تعود للمنزل، أليس كذلك؟ و....".

لم تقل المزيد لأنها شهقت عندما دفعها بقوة نحو سيارته وأمسك بها بيد من فولاذ. كانت قد رأت غضبه بضع مرات، لكن هذه المرة رأت الانفجار الكامل لغضبه.

كانت عيناه مليئتين بالغضب العارم وكأنه على استعداد لضرب عشرات الرجال.

"اكتشفت بفضلك أننى أحب النساء العنيفات . شكرا لك أنا أحب النساء القويات الذكيات ممن يجدن حسن التصرف، أتفهمين هذا؟".

"أنت تلوى ذراعى وهو يؤلمنى يا دانكان".

قلل من وطأة قبضته عليها قليلا وقال: "ما لا أطيقه هو أن يملى عليَّ أحد ماذا أفعل وكيف أشعر وأفكر، وأن يصرفنى أحدهم عندما....".

"لم أقصد....".

"الزمى الصمت يا فيبي، لم أنته من كلامى بعد. لا أحب أن تصرفنى امرأة ذكية وقوية تعرف كيف تصرف أمورها لمجرد أنها تظن أنها لا تحتاجنى الآن، لن أسمح لأحد أن يقول لى ألا أتدخل لأنى لست من الشرطة. لا تنسى أننى رأيت الرجل المسكين وأشلاؤه تتطاير فى الهواء.هيا يا فيبي، أخبرينى مرة أخرى أن أعود لمنزلي".

اختلجت أنفاسها لكنها تحكمت فيها قبل أن تقول: "ظننت أننى لن أتمكن من مواجهتك الليلة مرة أخرى".

"ماذا؟ لماذا؟".

"لست متأكدة.....ظننت أننى سأنهار، والأسوأ هو أن تغير رأيك فى. لا أعلم. ليس الأمر عقلانيا أو عاطفيا، لدىَّ انفعالات مشوشة الآن و....".

"حسنا يا فيبي، إن تعرضت لانهيار الآن....".

دفعته بقوه ليتركها وقالت: "قلت لك الأمر ليس منطقيا، لا تقف هنا لكى تفسره بالمنطق".

"معك حق". فكر لبرهة وتناول القنينة التى أعطاه إياها فين، وأعطاها لها.

"شكرا لك". تجرعت جرعة صغيرة ثم أخرى كبيرة، وأردفت قائلة: "اللعنة يا دانكان"ومالت بظهرها على السيارة.

استعاد منها القنينة ليتجرع جرعة سريعة وقال: "لم أتخيل يوما ما أننى سأرى مشهدًا مروعًا كهذا".

"يطلق خبراء المفرقعات على الأمر: الضباب الوردي".

أغلق سدادة القنينة وفتح لها باب السيارة قائلا: "هل رأيت حادثًا مماثلاً من قبل؟".

انتظرت حتى ركب خلف عجلة القيادة وقالت: "ليس كما رأيت الليلة، كنت مع فرق الشرطة بضع مرات فى حوادث مماثلة،

أو عندما كنا نصل متأخرين، لكنى لم أر ....مشهدًا كهذا. كنت مستاءة وغاضبة لأنه سيتزوج مرة أخرى وينتقل إلى أوروبا بدون التفكير فى ابنته". فركت عينيها بيديها وأردفت قائلة: "ستزيد حالتى سوءا إن ظللت أفكر فى هذه المشاعر. لم يحاول حتى أن نصبح أصدقاء بعد الطلاق. كانت هذه مشاعرى نحوه".

"لم أر ذلك عند المقابر. لم تكونى تفكرين فى غضبك نحوه، بل فى إنقاذ حياته".

"لم أفكر جيدا، والنتيجة مدمرة". أردفت قبل أن يتكلم: "أعلم أننى أبالغ فى إلقاء اللوم على نفسي. هل ستعتبر ما سأقوله لك هراء إن طلبت منك ألا نتقابل لفترة؟ قد يفكر قاتل روى فى النيل من رفيقى الحالي، من الأفضل لكلينا ألا نتقابل لفترة".

"كان هناك قدر كبير من الجفاء بينك وبين روى".

"نعم، لكن.....".

"لنعتبره هراء، أعرف وأقدر أنك تستطيعين حماية نفسك، لكنى فى المقابل سأظل بجوارك ولن أتركك".

لم تجد جوابا، بل أخرجت شارة الشرطة وقالت: "دعنى أُعرف هويتى لسيارة المراقبة". ثم خرجت من السيارة وسارت نحو سيارة المراقبة.

انتظر بجوار السيارة وهى تتحدث لشرطة الحراسة. خمن أنها لاحظت بالتأكيد أن الأنوار مضاءة بالمنزل، ولم ينم أحد.

قالت فيبى له: "لن أقول لك اذهب لمنزلك حتى لا تغضب، بل سأقول إنك لست مضطرا للبقاء هنا".

أجابها بالإمساك بيدها ببساطة. فتحت إيفا لهما الباب وهما عند المدخل، ثم هرعت حافية القدمين لتحضن فيبى وقالت: "يسرنى أنك حضرت للمنزل! قالوا لنا إنك بخير".

"نعم، ماذا عن أمي؟".

"أنا هنا يا فيبى". كانت إيسى تقف خلف باب المنزل المفتوح بمقدار قدم ووجهها شاحب.

شعرت فيبى بأن أمها فقدت القدرة على الوقوف عند مدخل المنزل، فدلفت للمنزل بسرعة لتحتضن أمها قائلة: "أعدك أننى

سأكون بخير".

"قيل لنا إن ثمة مشكلة ما قد حدثت. أين كارلى؟...".

"إنها بخير يا أمي. إنها عند صديقتها، تعلمين ذلك بالفعل".

"ماذا عن كارتر و....".

"تنفسى بعمق يا أمي، واصلى التنفس. انظرى لى وأنصتى جيدا، الجميع بخير: كارتر وجوزى وكارلى وأنت وإيفا، وأنا أيضا هنا، وكذلك دانكان، لقد أوصلنى للمنزل".

شعرت فيبى وهى تتحدث بأن أمها تتعرض لبوادر نوبة فزع، كان تنفسها يأتى فى شهقات وتدفقات سريعة، وبدأ جسدها يرتعش، وجبهتها تتفصد عرقا.

"ساعدينى يا إيفا".

ساعداها على الجلوس على الأرضية قبل أن تصطدم قدماها معا.

لاحظت أن دانكان سحب غطاء الأريكة ليدثر بها كتفى إيسى المرتعشتين فقالت: "أنا هنا يا أمى. هل تشعرين بيدى؟ هل تشعرين بيدى وهى تربت على ذراعيك يا أمي؟ هل تسمعين صوتي؟ تنفسى بعمق وببطء الآن".

بدأت تعود لحالتها الطبيعية ببطء شديد، ومر الوقت وكأنه الدهر.

قربت فيبى أمها إليها وتحسست شعرها وقالت: "حسنا، زال الخطر الآن. تنفسى بعمق وببطء الآن".

"لم أستطع التحكم فى نفسي، أنا آسفة يا فيبي".

"اهدئى الآن، لقد انتهى الأمر".

قال دانكان: "لماذا لا تشربى بعض الماء يا إيسي؟".

نظرت إيسى إلى دانكان الذى مد لها يده بكوب من الماء، وقالت: "أوه يا دانكان، كم أشعر بالإحراج".

"اشربى بعض الماء، وسأعد لكم جميعا الشاي".

"أوه، لكن....".

"لن تجعلينى أشعر وكأننى غريب عن العائلة، أليس كذلك يا إيسى؟".

انحدرت دمعة على خد إيسى وهى تهز رأسها وتقول: "أنا آسفة جدا يا فيبى، ما كان يجب أن تقلقى بشأنى لدى عودتك للمنزل، يبدو عليك التعب البالغ".

"كلنا نال منه التعب. هيا انهضى معى أنا وإيفا لنجلسك على الأريكة".

"اذهبى لإعداد الشاى يا إيفا. ماذا سيظن الرجل بنا ومنزلنا ليس به سوى النساء؟".

أجلستها إيفا على الأريكة وقالت: "لا تقلقى بشأن دانكان، هل تشعرين بالبرد؟".

مدت يدها على جبهتها التى تتفصد عرقا وقالت: "كلا، أنا بخير الآن. انظروا إليَّ! وكأنى سأذوب من السخونة".

"سأحضر لك فوطة مبللة بالماء البارد".

بعد أن صارت إيسى وفيبى على انفراد قالت إيسي: "لم أتمكن من التحكم فى نفسي".

"لا بأس، أعلم ذلك".

"كنت تتمنين لو أخذت الدواء، لكنى بخير لمعظم الوقت بدونه. كنت قلقه فقط. كلانا كان قلقا. ألا تعلمين أننى أقلق حتى تصلى للمنزل لأعلم أنك بخير، وأصاب بنوبة كهذه".

لمست بيدها وجه فيبى وقالت: "هل ثمة خطب قد حدث؟".

"نعم يا أمي، شيء سيئ للغاية، فلتأخذى حبة الدواء يا أمى حتى تتحسن حالتك".

"أنا بخير الآن، قلت لى إن كارتر وزوجته بخير، ماذا عن ديف؟".

"إنه بخير".

"حسنا، أنا بخير فعليا الآن".

جاءت إيفا بإناء ماء بارد وفوطة مبللة.

"من الأفضل أن تجلسى يا إيفا".

أخبرتهم عن روى. ورغم شحوب وجه إيسى، فإنها لم تصب بنوبة فزع أخرى. جلست إيفا بجوارها وتشابكت أيديهما. لم يقل دانكان أى شيء عندما دخل، بل مرر أقداح الشاى وجلس حتى

تنتهي فيبي من سرد كل ما حدث.

قامت إيسي لتجلس على ذراع مقعد فيبي ووضعت ذراعها على كتفي ابنتها وأمالت رأسها على صدرها ومسحت على شعرها.

"أوه يا أمي".

"أنا آسفة للغاية يا ابنتي. يا له من أمر بشع. مسكين روي، رغم عيوبه لكنه لا يستحق أن يموت هكذا".

"أمي!".

"من يقولون بألا نتحدث عن عيوب الموتى منافقون، فهم يفكرون بسوء نية عنهم بكل تأكيد".

نظرته إيسي إلى دانكان ووجدته يقاوم الابتسام، فقالت لفيبي: "أنت في غاية التعب، أليس كذلك؟ المنزل آمن الآن ومغلق بإحكام ويجب أن ترتاحي الآن".

أمسكت فيبي يد إيسي وقالت: "نعم، نحن جميعا بحاجة إلى الراحة، لن أدع أحدًا يؤذيك".

"سنرتاح جميعًا، اقض ليلتك معنا يا دانكان، المنزل آمن الآن. نم معنا حتى لا تشعر فيبي بالوحدة وتنام جيدا".

عندما رفعت فيبي حاجبيها في دهشة، سحبتها ايسي للردهة وقالت: "وكأني لم أعلم أنك على علاقة به، الشمس أوشكت على الشروق، نحن جميعا بحاجة إلى الراحة، وسنحصل على إفطارنا في وقت متأخر".

أومأت إيفا لـ فيبي من خلف إيسي وقالت: "ألن يكون رائعا لو أعددنا البيض على طريقة بندكت مع التوت البري على الإفطار يا إيسي؟".

تنهدت فيبي عندما سارت إيفا مع إيسي نحو حجرة نومها، ثم قالت لـ دانكان: "لقد تحملت كثيراً. كل ما حدث الآن أكثر من اللازم لاستيعابها".

"يبدو ذلك لي فكرة جيدة".

سارت فيبي نحو حجرة نومها وقالت: "إن ركزت على مكونات إفطار الغد فلن تفزع، لكن في النهاية سيتسلل الذعر إليها".

"فيبي".

جلست على حافة الفراش وأخذت تنظر لأعلى فى تعب وهى تخلع حذاءها، وقال لها:

"أقول إن ما حدث الليلة، والتهديد بما قد يحدث، يستحق جرعة فزع كبرى".

"من الصعب الجدال فى ذلك، أنا متعبة وبحاجة ماسة إلى النوم". ثم استلقت ببساطة على غطاء الفراش على جانبها.

نام دانكان بجوارها من الخلف ليحيط بها ويشعرها بالأمان وقال: "لم أتوقع أن ليلتنا الأولى هنا هكذا".

"أنا ممتنة لك يا دانكان لأنك أوقفتنى عندما تفوهت بالهراء، وظننت نفسى قادرة على تولى زمام الأمور بمفردي".

ابتسم من خلف شعرها وقال: "سأفعل هذا عند الحاجة دوما".

أخذت يده بين يديها وقالت: "تبدو لى هذه فكرة جيدة".

كانت إيسى على حق، ستنعم فيبى بنوم هادئ فى وجود دانكان.

٢٣

عندما جلست كارلى على حجر فيبى، هدهدتها وتحسستها مثلما اعتادت أن تفعل عندما كانت كارلى صغيرة. كانت تعلم معنى أن تفقد أباها وأنه لن يعود أبدا. كان من الصعب على الطفلة أن تتفهم مفاهيم الموت والأبدية.

كان من الصعب أن تعلم معنى أن تفقد أباها بتلك الطريقة العنيفة لأنها لم تشعر بوجوده فى حياتها أساسا.

مهما اختزلت فيبى من التفاصيل فسيظل الأمر مروعا، وهذه التفاصيل سوف تتسرب إليها كتسرب الماء من شقوق الحائط، وتتسع وتزيد بفعل همسات الجيران والأخبار من التلفاز وأسئلة صديقاتها فى المدرسة.

لا جدوى من محاولة صد كل هذا. من الأفضل دوما التحلى

بالأمانة وتحرى الدقة والصدق قدر الإمكان.

سألتها كارلي: "هل كان هذا مؤلمًا؟".

"لا أعلم يا صغيرتي، أتمنى ألا يكون كذلك".

"لماذا مات هنا وهو لا يعيش هنا؟".

"لم نعرف السبب بعد، سأحقق فى الأمر بنفسي".

اقتربت كارلى أكثر من حضنها وقالت: "هل من سوء الخلق أن أقول إننى لم أكن أحبه؟".

احتضنتها فيبى بشدة وقالت: "كلا يا صغيرتي".

"لم أكن أحبه لكنى لم أتمن أن يموت هكذا".

"أعلم ذلك، وأنا أيضا".

"عندما مات جد صديقتى بوبى ذهبت إلى جنازته، حيث وضعوا جثمانه فى تابوت. هل يجب أن أحضر الجنازة أنا أيضا؟".

"كلا، لا أعلم هل سيكون هناك جنازة أم لا.....الأمر ليس متروكًا لنا. إذا عرفت وأردت الذهاب...".

"كلا لا أريد. هل من سوء الخلق ألا أذهب؟".

هدهدتها فيبى مرة أخرى عندما شعرت بالخوف فى صوت ابنتها وقالت: "لا بأس يا حبيبتي. لا تقلقى من هذا يا حبيبتى".

"ماذا إن أراد من قتل روى أن يلحق بك الأذى؟".

"لن أسمح بحدوث هذا يا كارلي".

بدأت كارلى فى البكاء والارتعاش وهى تلمس خدى فيبى وقالت: "لكن هناك رجلاً آخر آذاك وجرح وجهك وذراعك. ماذا لو جاء مرة أخرى لكى يلحق بك الأذى يا أمى أو يقتلك كما قتل روى؟".

"لن يعود ويؤذينى مرة أخرى. إننا الآن فى حماية رجال الشرطة وسيهتمون بالأمر. ألست أنا أيضا شرطية يا كارلي؟ ثقى بى فى حمايتك وحماية إيفا وجدتك وحتى كارتر وزوجته. سنأخذ حذرنا جميعا، لا تبكى الآن وأنصتى إلىَّ. سنأخذ حذرنا جميعا. سيحرس رجال الشرطة منزلنا من الخارج لفترة، وحتى بالداخل إن أردت لتشعرى بالأمان".

"هل سيطلقون عليه النار إن جاء إلى هنا؟".

"يا إلهي! لن يجرؤ على اقتحام المنزل، وإن حدث سنتخذ الإجراءات اللازمة، أليس كذلك؟ تذكرى كل ما قلته لك عن عدم التحدث مع الغرباء أو دخول سياراتهم، أو حتى الاقتراب منها. مهما قالوا لك، فما الذى ستقولينه؟".

"سأصيح بأعلى صوتى: "كلا"وأهرب".

"بالضبط، سنكون جميعا بخير يا حبيبتى لأننى سأعرف من قتل روي، وسأودعه السجن مدى الحياة".

"هلا عرفت القاتل بسرعة؟".

"سأحاول ومعى الكابتن ديف وكل أفراد الشرطة. كلنا سنحاول".

شعرت كارلى بالراحة والرضا ومالت برأسها على صدر فيبي، وقالت: "هل أنت حزينة يا أمى ؟".

"نعم".

"هل أنت خائفة يا أمى ؟".

ذكرت فيبى نفسها بأن الصدق مطلوب فى هذه الحالة لكن مع البساطة أيضا: "نعم، ولكن بالقدر الذى يجعلنى حريصة، وأعمل بكل جهدى لمعرفة لماذا حدث كل هذا! هل تعلمين ما يحدث عندما أعمل بكل جهد؟".

ابتسمت كارلى ابتسامة صغيرة وقالت: "تنجزين مهمتك".

احتضنتها فيبى بشدة وقالت: "بالضبط يا حبيبتي".

هكذا كان عليها تلبية النداء وتحمل المسئولية، وكانت أصعب مما توقعت، والأصعب كان اضطرارها لترك أسرتها. ذكرت نفسها أن الشرطة تحرس المنزل من الخارج، وودت أن تكون معهم. قالت لنفسها إنها ستفكر فى تنظيم الأمر لاحقا. ولكنها الآن تمنت لو أنها تنشطر نصفين: نصفاً للعمل والآخر لحراسة المنزل ومن بداخله.

كرهت اضطرارها لأن تطلب من كارتر وجوزى الإقامة هنا، لكن الحل العملى لحماية الكل هو تجميعهم تحت سقف واحد.

لكن كان سخيفًا أن تطلب ذلك منهم أثناء شهر العسل.

لكنهما سيوافقان؛ قلما رفض لها كارتر طلبا، وسيوافق حتما لضمان حماية زوجته.

وفى يوم من الأيام ستعود حياتهم لسالف عهدها ـ إلى حد ما، ويذهبون إلى كل مكان بحرية ـ للعمل والبنك والسوق. لكن الآن ستجعل كارلى تتغيب عن المدرسة ـ تدليل بسيط لمدة يومين على الأكثر ـ حتى تتأكد من حماية ابنتها خارج المنزل.

والآن، نزلت عبر الدرج لتخبر عائلتها أنها مضطرة للخروج الآن. اندهشت لأنها وجدت دانكان جالسا مع كارتر وجوزى فى الردهة، حيث إنها ظنت أنه قد عاد لمنزله بعد أن اصطحبت كارلى للطابق العلوى لتخبرها بما حدث لوالدها.

توقفوا عن الحديث عندما جاءت وتوجهت عيونهم صوبها.

قالت بلهجة حاولت أن تبدو كالمزاح: "خطط ومؤامرات؟ لم أكن أعلم أنك مازلت هنا يا دانكان".

"فكرت فى البقاء قليلا، كيف حال ابنتك؟".

"إنها تظهر التجلد، لكنها ستكون بخير، وذهبت لكى تتفقد أمى فى المطبخ. أنا آسفة يا كارتر أنت وجوزى على الموقف السخيف..... لا يمكننى القول سوى هذا. سأعطيكما رقما مباشرا لقسم الشرطة، وأرجو أن تسجلاه على هاتفيكما الخلويين من أجل حمايتكما. اتصلوا بالرقم فى حالة الشك فى أى شيء مريب. خذ الرقم يا دانكان من فضلك".

قالت جوزي: "أتظنين أن المجنون المهووس سيحاول إيذاءنا؟".

لاحظت فيبى التوتر فى عينى جوزى المرحة عادة، فالتهديد بالقتل ليس شيئا عاديا لممرضة خاصة فى المنازل متزوجة من معلم. قالت فيبى: "لن أجازف بترك الأمر للمصادفة. هل تتولين حالة مرضية الآن؟".

"نعم لدىَّ دوام من السابعة مساءً إلى الرابعة صباحًا مع مريض بالسرطان، فى منزله الخاص فى شارع بول".

"جيد، بجوار القسم حيث أعمل. ساعدينى بكتابة كل التفاصيل والأسماء ـ الممرضات وأهل المنزل ومواعيد عملك. وأنت يا كارتر، كل

مواعيد عملك وحصصك.....كل شيء. وأنت يا دانكان.....".

"أنا غير متقيد بمواعيد منتظمة".

"ألم تفكر فى تأجير خدمات حراسة خاصة ولو مؤقتا؟".

"لن أحب أن يسير ورائى حارس خاص ضخم الجثة. منزلى تحت حراسة خاصة على نفقتي، ولديك الكثير لتقلقى بشأنه غيرى".

"أخشى أننى أبدو أنانية لو قلت إن كل هذا يحدث بسببي، لكن الأمر خلاف ذلك. سأعرف من يريد النيل منى من خلال عائلتى. هذا سبب خروجى الآن، ضمن أسباب أخرى".

سار كارتر نحوها بسرعة وأمسك ذراعها وقال: "هل ستخرجين؟ يا فيبي، المجرم يحاول الانتقام منك. لقد اجتمعنا هنا حتى لا يؤذينا. إن خرجت سينال منك حتما".

"إن حدث ذلك فى أى زمان ومكان، فأنا مستعدة له. لدىّ ابنة تحتاجنى يا كارتر ولن أتصف بأية حماقة أو غباء. سيأتى ديف ليوصلنى للقسم حيث سيحيط بى رجال الشرطة".

قالت جوزي: "كنت بينهم عندما هاجمك أحدهم، وبسببه دخلت المستشفى".

"كلا، لن أكون هدفًا سهلاً مرة أخرى، سأخرج لأنهم سيحققون مع أرنى ميكس. يجب أن أذهب، وأنت يا كارتر حافظ على الهدوء فى المنزل قدر الإمكان". لمست خد كارتر وتابعت: "لم يكن روى مستعدًا، لكننا مستعدون لمواجهة الخطر. وسنجتازه، أليس كذلك؟".

"لكن أمى مرعوبة للغاية".

"أعلم ذلك. لا علاج لذلك الآن. لكنى أعتمد عليك، ويريحنى وجود ممرضة ماهرة معنا. أقدر مشاركتك يا جوزى فى تحمل المسئولية معنا".

طمأنتها جوزى: "سنكون بخير، كنا نتحدث عن الحفاظ على الهدوء فى المنزل قدر الإمكان عن طريق الطعام والألعاب والموسيقى والعمل". وابتسمت لـ دانكان الذى قال:

"فكرت فى وضع خطة عمل بينى وبين إيسي".

"هذا رائع، لشغلهم عن الرعب. إذا سألوا عنى، فأنا مع ديف، وسأعود بسرعة. هلا أوصلتنى يا دانكان".

"بالتأكيد".

ظلت صامتة حتى وصلا للشرفة عند الباب الأمامى وقالت: "يجب أن أقولها، ستكون آأمن وأعقل وأذكى إن عدت للمنزل وابتعدت عن عائلتى وعنى أنا أيضا".

تأمل الشارع المتخم بالأشجار الجميلة الوارفة الظلال على جانبيه وقال: "لم يستفد روى بالبعد عنك، أليس كذلك؟".

قالت بحدة وبشكل مباشر: "نعم، لكن لديك القدرة لتسافر لأى مكان لأى مدة زمنية. فلتغادر سافانا لفترة. وستضمن لك مواردك وأموالك ألا يعرف أحد مكانك إلا من تريد".

"هل تقصدين أن أهرب؟".

"لن ينتقص من رجولتك لو سافرت إلى تاهيتي، أو أى مكان آخر".

"تقولين ذلك لأنك لست رجلا. لن أسافر إلى أى مكان، سافانا وطنى، ولدى مشاريعى وأعمالى هنا. لا تخافى على عائلتك فلن أضللهم وأسقيهم خمرا، وتعلمين ذلك".

"بل استنتجت ذلك، لكنى كان يجب أن أقول لك ذلك. أعلم أنك ستعتنى بنفسك جيدا، لكن لن يعنى ذلك أننى لن أقلق، وأنت تعلم ذلك. لذلك أريدك أن تتصل بى كل ساعتين أو تبعث لى رسالة نصية، أو أى شيء من هذا القبيل، المهم أن تفعل ذلك".

"سأوافق على هذا إذا كان إجراء متبادلا".

رفعت حاجبيها فى دهشة وقالت: "تريد منى الاتصال بك كل ساعتين؟". ظل حاجباها مرفوعين وهى تظهر له شارة الشرطة على حزام خصرها من تحت السترة.

"نعم، أنا أتصل بك، ثم بعد ساعتين تتصلين بى، ثم يأتى دورى بعد ساعتين، وهكذا يسير الأمر".

طرقت شارة الشرطة بأصابعها وهى تتفرس وجهه، ثم قالت: "أنت تصلح للعمل معنا، موافقة على اقتراحك". أعطته ورقة وتابعت: "ستجد هنا رقم الطوارئ، أعطه لكل من فى المنزل من

فضلك ليسجلوه فى الهواتف العادية والخلوية، أنا ممتنة لك".

استدارت وفحصت الشارع على مرمى البصر والأشجار والسيارات والحديقة العامة وقالت: "ربما يراقبنا المجرم الآن، ويراقب المنزل من أى مكان".

قربها إليه وقال: "إذن لنعطه مشهدا يستحق المشاهدة".

عندما هم بالابتعاد ضمته أكثر وبقوه لصدرها وقالت: "لا تدع أى شيء للمصادفة، ولا تجازف مهما حدث واتصل برقم الطوارئ على الفور فى حالة الشك فى أى شيء".

"أهلا بكم!".

فزعت فيبى وتوترت بشدة لدرجة أنها أمسكت سلاحها على الفور، لكنها استرخت عندما وجدت أن المتحدث هو لورلى ستيفاني، أشارت لها وقالت: "كيف حالك يا سيدة ستيفانى ؟".

"ما أجملكما كصورة العشاق! صديقك وسيم يا فيبي. لو كنت فى سنك لخطفته منك".

ابتسمت ستيفانى لـ دانكان، وكانت ترتدى رداء أصفر بلون زهرة الكاميليا، وكلبها ماكسميليان دوفرى يرتدى طوقًا وحبلاً وأنشوطة من نفس اللون.

قال دانكان: "بل أنا الذى سأخطف امرأة فى جمالك".

ضحكت ستيفانى كالفتيات وقالت: "حافظى على صديقك يا فيبي. سنتمشى أنا وكلبى ماكسميليان دوفرى فى الحديقة. لماذا لا تأتيان معنا؟".

"ليتنا نستطيع".

"لن ألومكما، لن أضيع وقتى فى تمشية الكلب إن كان لدىً رجل وسيم مثله، وداعا".

عندما انصرفت هى وكلبها ماكسميليان دوفرى قالت فيبي: "من الجيد أن ترى أنه مازال هناك أناس يعيشون بشكل طبيعي".

"من الطبيعى فى سافانا أن ترى كلبًا يرتدى أنشوطة صفراء، وكذلك عندما رأيته يتودد إلى كلبة أنثى فى وسط الطريق".

"هذا طبيعى لكلب مثل ماكسميليان دوفرى أيضا، فهو يجذب إناث الكلاب رغم دمامته".

شاهدت فيبى ستيفانى بزيها الأصفر الزاهى وهى تدخل الحديقة العامة وقالت: "أتمنى أن نتمكن فى يوم من الأيام من القيام بشيء عادى وطبيعى مثل السير فى الحديقة لنشاهد الكلاب البلهاء".

تحسس دانكان ذراع فيبى بينما جاءت سيارة ديف ووقفت أمام الباب وقال: "حافظى على سلامتك يا فيبي، قريبا جدا سنحصل على وقتنا الطبيعى معا".

"أنا معتمدة عليك فى هذا الموضوع". ثم ألقت نظرة أخيرة على دانكان والمنزل وسارت نحو سيارة ديف.

سألها ديف: "هل الجميع بخير؟".

"إنهم متماسكون".

"يبدو أن دانكان المحظوظ لا يريد أن يتخلى عن مساعدتك".

نظرت خلفها ورأت دانكان مازال واقفا عند مدخل الباب فقالت: "نعم، فإحدى مهاراته هى ملازمتي، مثلك أيضا. فقد لازمت عائلتى طيلة هذه السنوات، مما يجعلك مستهدفا يا ديف. لقد كنت أقرب لى من روى".

ترك إحدى يديه من عجلة القيادة لكى يربت على يدها: "لقد اتخذت احتياطاتى جيدا".

قالت له وهى تميل نحوه: "تأكد من هذا، فأنا أعتبرك والدى منذ أن كان عمرى اثنى عشر عامًا. كنت لى بمثابة الأب الذى تمنيته وحذوت حذوه واعتمدت عليه وحاولت تقليده بطرق كثيرة. من المؤكد أن المجرم المجهول يعرف ذلك مادام يعرفنى جيدا".

ضغط على يديها وقال: "كنت ومازلت فخورا بك قبل أن أراك وجها لوجه، وأحبك كابنة لي. لن أسمح لأحد بأن يؤذيك".

تنهدت وقالت: "حسنا، لماذا أحضرتم آرنى للقسم بدلا من استجوابه بشكل غير رسمى فى منزله".

"حاولوا فى البداية استجوابه بشكل غير رسمى فى منزله، لكن الأحمق هاجم أحد المخبرين فقبضوا عليه".

"إنه يفقد أعصابه بسرعة، على العكس من قاتل روى، فأعصابه باردة كالثلج. لا أظن أن آرنى قتل روى وتشارلى يا ديف".

"ربما ليس هو، لكنه ربما يكون قد استأجر صديقا أو أحد أفراد أسرته ليفعل ذلك، لنتحقق ولن نخسر شيئا يا فيبي. لنخطو الخطوة الأولى ثم التى تليها".

أثبت عدم طلب آرنى للمحامى الخاص به أنه أحمق، هكذا فكرت فيبى وهى تتأمله من خلال المرآة المزدوجة وشعرت بغبائه الشديد. فرغم أنه كان شرطيًا فى يوم من الأيام، فقد أراد التظاهر بالهدوء وبرود الأعصاب وكأن الأمر هين.

كان يرتدى تى . شيرت وبنطالاً من الجينز، ووجهه عابس وغير حليق الذقن، ونظرته تقول إنه لا يكترث لأحد ألبتة بحق السماء.

لقد انتظرها فى كمين حتى وقعت فى الشرك وهاجمها وضربها ومزق ملابسها وانتهك حرمة جسدها، وهذا ما يجعل ضيق صدرها رد فعل طبيعياً لرؤيته الآن.

لكنها لم تتغلب على الغصة فى حلقها.

ضغط ديف على كتفها وقال: "لست مضطرة لسماع استجوابه".

"بل أريد سماع استجوابه".

"لقد واجهته من قبل و أفحمته يا فيبي، ولا سبيل لإثبات أى شيء آخر".

"لكنى أريد سماع استجوابه، ورؤيته أثناء التحقيق". قالت لنفسها إنها تريد سماع صوته والنظر فى عينيه."إنها الطريقة الوحيدة لأعرف هل هو قاتل روى أو يعرف القاتل أم لا".

"سأقول ما يجب أن يقال: لست مدينه لروى بأى شيء".

"ربما لا، لكنى مدينه لـ كارلي، وأنا بخير الآن".

بالطبع كانت تبالغ عندما قالت إنها بخير، لكنها مرت بما هو صعب وهذا يكفيها. راقبت سايكس وليز وهما يستجوبانه وويفحصان إجاباته التى لا تدلى بأية معلومات مفيدة. كان ثلاثتهم يعرفون اللعبة، لكن المحققين أكبر منه عددا وأكثر خبرة.

قال سايكس: "لكنك لا تنكر أنك هاجمت الملازم ماكنامارا من قبل؟".

"هذا خبر قديم".

"إن هجوم رجل على امرأة بهذه الطريقة لا يمكن أن يصبح خبرًا قديمًا أبدًا". صمت سايكس قليلاً ثم أردف: "وبرأيى، من يقدم على فعلة شنعاء كهذه وضيع بما يكفى ليقوم بما هو أسوأ لاحقًا".

"هذا شأنك وأعتقد أن عليك مراجعة تقديرك للأمور".

دارت ليز لتتحدث من خلفه قائلة: "أتعرف ما الذى يجول بخاطرى يا آرنى؟ أنك جبان ووغد ومزقت الرجل إربا. هل جعلك ذلك تشعر بأهميتك؟".

"قلت لكم لم أر هذا الوغد طيلة حياتي. لو كنت رأيته لدعوته على كأس لأنه انفصل عن اللعينة بالطلاق".

قالت ليز: "لم يكن بالنسبة لك سوى أداة لتروع بها الملازم ماكنامارا".

"لا حاجة لى فى ذلك، هذا خبر قديم كما قلت من قبل".

"ربما استأجرت صديقا أو أحد أفراد أسرتك ليفعل ذلك. حيلة قديمة، لكنها لم تفقد مفعولها".

لاحظت فيبى أن وجهه اسود من الغضب و الإحراج.

"احتجازى هنا مؤقت".

"أحقا؟ أتظن أن والدك سيعيدك لكادر الشرطة؟". ضرب سايكس على بطنه وصفر وقال: "فرصتك فى ذلك معدومة يا آرني، وأنت تعلم ذلك. انتهى أمرك وأخزيت عائلتك التى يعمل أفرادها فى الشرطة. لابد أنك أردت الانتقام من الملازم ماكنامارا لأنك تظنها السبب فى ذلك. لماذا لا تخبرنا أين كنت من الساعة العاشرة مساء وحتى الثالثة صباحا؟".

"قلت لكم من قبل كنت فى منزلى مع زوجتي".

طرق سايكس على صدغه وقال: "من الغباء أن تكذب، أليس كذلك؟ الكذب يظهر دائما، خاصة أن زوجتك غير سعيدة معك وتقول فى أقوالها إنها لا تعرف متى عدت لمنزلك، ولم تكن فى

المنزل عندما نامت هى الساعة الحادية عشرة".

هز آرنى كتفيه بلا اكتراث وقال وهو يحدق فى السقف: "إنها مخطئه، نمت فى حجرة المعيشة أمام التلفاز".

"لكن زوجتك مرت عبر أرجاء المنزل قبيل نومها ولم ترك. لو كنت نائما فى حجرة المعيشة أمام التلفاز، فأين كانت سيارتك؟".

"لم ترها. إنها متضايقة مني، وبسببها أقضى أوقاتاً عصيبة".

قالت فيبى: "إنه يكذب بشأن مبيته بالمنزل، فهو متوتر".

"ولم تعرف مكانك وقت إطلاق النار على جونسون أيضا، حظك سيئ للغاية".

سقط قناع عدم الاكتراث من آرنى وصاح فى غضب: "كان يوم إجازتى بحق الجحيم! كنت أقضى بعض المهام خارج المنزل".

قالت ليز: "أحقا؟ مثل التسلل لشقة وإطلاق النار على مراهق غير مسلح أثناء تسليم نفسه للعدالة؟".

"اللعنة! لن أكون كبش فداء لأخطاء الملازم ماكنامارا اللعينة!لقد سيطرت على عقولكم لتنفذوا كل أوامرها. إن أردت قتل أحد فعليا لكنت قتلتها!".

أشار له سايكس بسبابته وكأنه يتهمه ثم قال: "لكنك فكرت فى أن قتل طليقها وقتل جونسون بعد ساعات من المفاوضات معه سيؤلمها أكثر. لديك مسدس ٢٢ مللى يا آرنى، سنقارن رصاصه بالرصاصة فى جسم الأرنب".

"أى أرنب؟ ما الذى تتحدث عنه؟".

هزت فيبى رأسها وقالت: "أنه لا يكذب الآن، لا يعلم بالفعل ما الذى يتحدثان عنه".

"سنقارن رصاص مسدسك بالرصاصة فى جسم الأرنب. إن حدث تطابق ستواجه تهمة التحرش والتعقب بغرض إلحاق الأذى، مما يجعلك تخرق فترة مراقبتك، حينها لن تهرب من دخول السجن ولن يتمكن والدك من إنقاذك هذه المرة".

"لا تزجا بأبى فى هذا الأمر".

قالت ليز بحدة: "بل أنت من سيطلبه هاتفيا لينقذك. وبعد

مقارنة رصاص الأرنب، يوجد موضوع جثتى الفأر والثعبان، ولا ننسى الدمية المشوهة. لابد أنك أنت من قتل روى".

"لا أعلم شيئا عن أى حيوانات مقتولة".

قالت فيبى بهدوء: "الدمية".

"بالتأكيد تعلم بأمر الدمية. لقد تصببت عرقا عندما ذكرتها".

"ما الذى تتحدث عنه؟".

تابع سايكس: "لقد شوهت الدمية كما خططت لتشويه الملازم ماكنامارا. دققت جرس باب منزلها ذات ليلة وتركت الدمية المشوهة عند الباب، ثم الفأر والثعبان والأرنب، ثم قتلت روى. هذا نمط واضح بالنسبة لي".

"كل هذا هراء، لم أقترب من منزلها إلا عندما وضعت الدمية فقط، ولم اقترب من ماكنارامًا منذ......".

قال سايكس: "منذ أن اعتديت عليها فى بئر السلم، ووضعت الكيس فوق رأسها ومزقت ملابسها. ليس لديك أصدقاء هنا يا آرني، وبالتالى تكذب لأنك لن تحصل على مساعدة أحد. مداومتك على الكذب ستؤدى بك إلى السجن، بل للإعدام أيها الوغد!".

شحب وجه آرنى وتصبب عرقا وقال: "لابد أنك فقدت عقلك، لم أقتل أى إنسان أو أرنب".

"لدينا الدافع والفرصة والطريقة، واصل كذبك يا لعين. تعرف أن رئيس الشرطة يحب أكاذيب وتذمر القتلة الجبناء. لا شك فى أنك ستنال حكما بالإعدام".

"لم أعرف هذا الوغد فى حياتي، لم أذهب لمقر مسكنه الذى ذكرته لى. لا دليل على ذلك".

"أمهلنا بعض الوقت لنجده. لم أحب أنا أو ليز إفلاتك من العقاب عندما تعرضت للملازم ماكنامارا".

قالت ليز: "أردت رؤيته يتلقى العقاب المناسب، وهذه المرة...".

مسح آنى فمه بظهر يده وقال: "لابد أنها تقف وراء كل ذلك وأنتم تعلمون ذلك جيدًا بحق الجحيم. إخالكم تحاولون الإيقاع بى وهذا ما دأبت عليه دائمًا. رأيت تلك الدمية اللعينة فى متجر لبيع

الأغراض القديمة، فاستخدمتها فقط لأرسلها إليها وأجعلها تشعر بالرعب والفزع وتعكف على التفكير فى مغزى منها. ولكنى لم أقتل أحدًا، ولم أذهب إلى شارع هيلتون اللعين أبدًا. إنها تحاول إلصاق التهم بى. فلتذهب إلى الجحيم، لم أذهب إلى القبور أمس".

"أين كنت يا آرني؟ اثبت وجودك فى مكان آخر وسينتهى كل شىء".

"حسنا، كنت مع عشيقتى، كرهتنى زوجتى وطلبت الطلاق، فاتخذت عشيقة، وبالأمس كنت فى منزلها حتى بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل".

دفعت ليز الورق نحوه وقالت: "اكتب الاسم والعنوان، وسنسألها".

"لكنها متزوجة، كان زوجها مسافرًا فى رحلة ترفيهية لبضعة أيام للعب الجولف، ولذلك كنت فى منزلها. يجب أن تدعانى أتحدث إليها لتعرف أن الأمر جاد وخطير وتتكلم وتقول الحقيقة ولا تنكر. إن علم زوجها سيقتلها، أخبراها أنكما لن تزجا باسمها فى القضية".

صاح سايكس فى سخرية: "ندعك تتحدث إليها أولا لكى تحيك الكذبة معها؟ لن يحدث يا آرني. إن كنت تقول الحقيقة فلن نؤذيها، يبدو أنكما تستحقان بعضكما البعض".

"كرهتنى زوجتى وطلبت الطلاق بالفعل بسبب ماكنامارا.....".

"فعلا، ماكنامارا هى التى خدعتك لتهاجمها ثم تطرد من العمل. اكتب الاسم يا آرنى".

"إنها مديرة تنفيذية فى شركة ترنس المتحدة. اذهبا إليها فى مقر عملها وليس فى منزلها وامنحانى ميزة السرية".

قال سايكس بعينين متحجرتين: "لا يحق لك أية مزايا من أى نوع، لقد فقدتها منذ أن هاجمت ماكنامارا فى بئر السلم. تذكر هذا يا لعين، لن يقف أحد بجانبك. إن أردت إنقاذ نفسك، فاكتب الاسم والعنوان، وإلا سنتهمك بتعطيل ضابط عن عمله ليزيد بذلك عدد التهم الموجهة إليك".

وعندما شرع فى كتابة العنوان. قالت فيبى لديف وهى تنظر إليه:

"لم يكن هو الجاني، إنه أحمق وأرعن، وليس قاتل روى وجونسون. ليس لديه الشجاعة الكافية ولا الذكاء". ثم نظرت للزجاج وقالت: "بالتأكيد يتمنى إيذائى والانتقام منى، لكنه لم يكن ليفهم أن قتل روى وجونسون سيؤلمنى ليكون بمثابة انتقام منى. لن يصل عقله لكل هذا. من فعل هذه الجرائم يعرفنى جيدًا".

"سنتحقق من صدق كلامه وأعذاره ونتصل بالمرأة".

"حسنا، سأعود للمنزل وأفحص جميع ملفاتى. سأتعرف على القاتل من خلالها".

عندما همت فيبى بالخروج من حجرة المراقبة، خرجت ليز من حجرة الاستجواب وقالت: "جئت لأتحدث إليك، هل تسمحين بدقيقة من وقتك؟".

"بالتأكيد".

نظرت ليز لحمام السيدات قائلة: "لنتحدث هناك".

عندما دخلا، مالت ليز على الحوض وقالت: "بالتأكيد كان من الصعب عليك رؤيته بعد كل ما حدث، حتى مع وجود الحاجز الزجاجى".

"نعم، كان صعبا، والحاجز لم يمنع أى شيء. لكن، كان يجب أن أراه".

"ليس هو الجانى يا فيبى".

"أدركت ذلك، أديت عملاً ممتازًا مع بول فى التحقيق معه. سيفحصون عذر عدم تواجده فى مكان الجريمة، وبالتالى سيتم استبعاده".

"كيف حالك الآن ومدى تماسكك؟".

مسحت فيبى وجهها وشعرها بيدها وقالت: "أتريدين الحقيقة؟ لا أعلم. أسرتى كلها حبيسة المنزل كالرهائن، ولا خيار سوى هذا. جعلنا قاتل روى كالرهائن، ولا أعلم ما هى شروط التفاوض، ولا ما يريده الجانى، ولا من هو ولماذا. لا يمكننى التفاوض من أجل أمان أسرتى وأنا لا أعرف الشروط".

قالت ليز بعد أن نظرت لساعتها: "لماذا لا تحتسين معنا بعض

القهوة؟ لدى نصف ساعة حتى ينهى بول المحضر".

"هل أبدو سيئة لهذه الدرجة؟".

"بل تبدين بحاجة لكوب قهوة وصديقة".

"أتمنى أن أتمكن من هذا، لكن سأعود للمنزل. عائلتى تحتاج إلى لأننى بمثابة صمام الأمان لهم. هلا أخبرتنى بمجرد أن يتم التحقق من كلامه؟".

"بالتأكيد".

فتحت فيبى الباب، ثم أغلقته وقالت: "أتمنى أن يكون هو الجاني. قتل روى ولا سبيل لتغيير ذلك. أتمنى ذلك حتى ينتهى الكابوس ويعود الأمان لعائلتي. لكن فى قرارة نفسى أتمنى يا ليز أن يكون هو ليعاقب على أفعاله كما يجب. ليس من أجل روى بل لكل دقيقة من حادث بئر السلم. ظننتنى راضية عما لحق به من عقاب وتسوية الأمر، وسكن غضبى، لكنى عندما نظرت إليه اليوم شعرت بأنه لم ينل كفايته من العقاب".

"أتفهم مشاعرك جيدا".

"أحقا؟".

"الأمور لا تتزن إلا إذا شعرت بهذا داخليا. قد تتقبلين عقابه رغم أنه لا يكفي، لكنك لست مجبرة على الرضا عنه".

شعرت بأنها ارتاحت عندما باحت بمكنون صدرها لمن يفهمها فقالت: "إنه لا يرضينى. لا يعجبنى البتة، قد يظل كامنا ومستترا لفترة قصيرة وهو خائف، ثم ربما...". هزت فيبى رأسها وقالت: "سأفكر فى تلك المسألة لاحقا. لدىَّ الكثير لأفكر فيه الآن".

"فكرى فى التحدث للطبيب النفسى؟".

"سأفكر جديا فى هذا، لكنى بحاجة إلى اجتياز هذه الأزمة أولا". ابتسمت بالكاد وأردفت: "كان حوارنا أفضل من القهوة، شكرا لك على استماعك لى يا ليز".

"يسعدنى القيام بذلك فى أى وقت".

٢٤

نجحت فيبى فى تنحية الأمر برمته جانبا، واستطاعت أن تحبس كل المشاعر المضطربة التى انتابتها عندما رأت آرنى ميكس. لا وقت لها الآن وليس المكان مناسبًا لإظهارها. لكنها ستعود للظهور لاحقا وتسبب لها الضيق، لكن عندما يحدث ذلك ستتعامل معها، فى الوقت والمكان المناسبين.

كانت لديها قائمة أولويات تضم عددًا كبيرًا من المهام.

أوقفت سيارتها فى شارع جونز وخرجت منها، وتساءلت لماذا يبدو المنزل أحيانا مخيفا وهو يلوح لها فى الأفق؟ كانت الأسابيع والشهور تمر وهى لا تفكر سوى فى أنه المنزل والملاذ الآمن الجميل الذى يؤوى أمها وصديقة الأسرة إيفا، ومكان مثالى لتربية ابنتها،

ومكان مثالى أيضا لتناول الطعام والنوم والمعيشة واستضافة الضيوف أحيانا.

ما أهمية أنها لم تختر بإرادتها أن تعيش هنا، أو مجرد أن تكون هنا؟ فى النهاية، هذا مجرد منزل، مجرد زجاج وطوب، ولم يعد يخيم عليه شبح العمة بيس.

كان ما يؤرقها فقط هو أنها لا تملك خيارات أخرى، ليس من حقها الاختيار بحرية.

ورغم أنها تعلم أنهم يحتاجون إليها بالداخل، سارت فيبى حول باب الحديقة، مبتعدة عن سيارة الشرطة والمنزل الكئيب ذى الزجاج والطوب.

على الأقل فى الحديقة كانت الخيارات متاحة، حتى وإن تركت أمر تنسيقها برمته تقريباً لـ إيفا. كانت الحديقة مليئة بالطرق الممهدة والأركان وارفة الظلال والموائد الرشيقة والتماثيل الجميلة.

جلست على درجات سلم المدخل ونظرت حولها وتخيلت كأن الحديقة الجميلة فى مكان آخر. ربما ولاية نيو أورليانز أو فى أى شارع آخر فى سافانا، أو حتى فى لاية أطلانطا أو مدينة تشارلوت.

وما الفرق فى كل هذا؟

الفرق كبير جدا.

سمعت صوت الباب ينفتح ولكنها لم تستدر، كانت مستغرقة فى التفكير الحزين وحدها.

جلس كارتر بجوارها وناولها كأسا من الشراب فى يدها ولم ينبس بكلمة.

ارتشفت أول رشفة فى صمت ولم تسمع سوى صوت خرير ماء النافورة المنساب ثم قالت: "أنا أفكر فى حزن الآن".

"وبالتالى احتساء الشراب مناسب الآن. هل تريدين منى أن أتركك بمفردك؟".

"كلا، قررت فتح أحد الجراح القديمة، العمة بيس والمنزل والقيود التى فرضتها علىَّ. لا مفر ولا مناص من ذلك الأمر، وبالتالى هو الأمر المناسب لتفكر فيه بحزن كما تريد دون أن

تضطر للعثور على الحل".

"خاصة أنك تتوصلين للحلول فى كل الأحوال الأخرى".

نظرت نحوه وقالت: "هذا ما أفعله دوما، أليس كذلك؟".

"هذه هى المسئولية التى توليتها منذ نعومة أظافرك. كان أمر روبن العلامة الكبرى الفاصلة، لكن كانت هناك شواهد أخرى تظهر ذلك منذ أيام طفولتنا البعيدة التى لا تسعفنى الذاكرة بها".

مالت برأسها على كتف أخيها وقالت: "تغير كل شيء بموت أبي، هذا هو الوقت الذى لا تسعفنى الذاكرة به. كان بإمكانها مساعدتنا، العمة اللعينة. ربما لم يكن هناك روبن لو كانت فعلت ما ينبغى مع أمى عند وفاة أبي. لكنها لم تمد لنا يد العون، ولا داعى للتكهن بالنتائج فى حالة لو كانت مدت لنا يد المساعدة".

جلست فيبى صامته لبرهة من الوقت، واحتست كأسها وهى تتأمل النافورة، ثم قالت: "كانت أمى تنقذنا من براثن العمة اللعينة كل يوم".

"هذا صحيح".

"لابد أن الأمر كان شاقًا عليها. كلما فكرت فى الأمر، لا يمكننى تخيل مدى صعوبته بالنسبة لها مع كل هذا القلق والعمل والحزن والخوف. لكنها كانت تنقذنا من براثنها دوما. كانت العمة من يعطيها الإحساس بأنها متميزة، معاملة جيدة. ثم لا تلبث قليلا حتى تعذبنا وتعذب أمنا. بالكاد لا أتعجب من إصابة أمنا برهاب الخروج من المنزل وهوس غلق الأبواب".

"لن ألوم أمنا على هذا".

"بالطبع لا، ولكنى أحيانا أتضايق من هذا، وأشعر بالخجل من نفسي. مهما كانت معلوماتي، فأنا أتضايق جدا من كونها لا تغادر المنزل، ولا تذهب للسوق أو السينما، أو أى مكان آخر. لا يهم أننى أعلم أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك، ولكنى أحيانا.....".

صمتت وهزت رأسها بالنفى واحتست جرعة أخرى من الشراب قبل أن تتابع: "عندما أفكر فى الموقف الحالي، أقول إنه لولا حالتها لكنت أرسلتها مع كارلى لمكان آخر بالطائرة، ولن أضطر للقلق طالما أنهما فى مكان آمن حتى انتهاء الأزمة".

"يجب أن نتحدث معها بشأن العلاج مرة أخرى". وقبل أن تهم فيبى بالرد، قال بسرعة: "لكن ليس الآن وهى حبيسة بالفعل، ولكن لاحقا عندما.....كما قلت، بعد أن تنتهى الأزمة. يمكننى أن أنتقل للمعيشة هنا بشكل دائم أنا وزوجتى جوزى".

"لن تكون سعيدا هنا".

"فيبى.....".

"لن تكون سعيدا. أنا سعيدة هنا لمعظم الوقت. لن نستمر فى المقارنة بين أينا مهموم أكثر، يكفينى ما لدىَّ الآن من هموم. ميكس ليس قاتل روى. خمنت ذلك قبل أن أراقبه فى قسم الشرطة. لكن رؤيته اليوم جعلتنى أخاف وأغضب بشدة. لا أمانع فى الشعور بالضيق والغضب، لكنى لا أحب الشعور بالخوف، لذلك أركز هنا فى الخارج على هذا الجزء".

"لكنك تقومين بعمل جيد".

"هذا هو المهم".

رأت فيبى طائر الطنان يمر بالحديقة وهو براق كالجوهرة، ويتنقل بين الأزهار المعلقة على التعريشة المعدنية عند الحائط، وشعرت بحرية الطائر فى الانتقال من زهرة لأخرى.

ليس الناس كالطيور.

"كيف حال أمى؟".

"إنها تمارس تطريز الكروشيه. قبل أن يرحل دانكان، أعطاها أفكاره للبضاعة التى يريدها لمتجره وتكاليفها. ربما ما كانت تحتاج إليه لإلهاء عقلها عن الخوف. إنه ماهر فى إلهاء الناس بالعمل".

رفعت حاجبيها وقالت: "هل هذا مدح أم ذم؟".

"هذا الرجل يعجبني. لقد أدخل كارلى فى المناقشة عن البضاعة وكأنها مستشارة الأزياء، فانجذبت لهذا تماما".

"كأية متسوقة شخصية فى المستقبل".

"إنه موهوب للغاية فى فك أسرار شخصيات من حوله والتعامل معها. متى وكيف وأين تتعامل مع الأشخاص يبرز معدن الرجل وطريقة تفكيره. حقا يا فيبى يروق لى هذا الرجل".

"مشاعرى تجاهه أقوى من ذلك".

قال لها وهو يمعن النظر إليها وقد ضاعت عيناه: "أوه، أحقا؟ وما الذى يقلقك فى هذا؟".

"لم أقل إننى قلقة".

حرك عينيه ووضع إصبعه على خط متعرج على جبهتها وقال: "لكن عقلك يقول إنك قلقة".

هزت كتفيها بلا اكتراث وفركت جبهتها ليزول الخط المتعرج وقالت: "كف يا كارتر عن قول الهراء وذكر الماضي".

"كان روى أحمق، والجميع قد يتعاملون مع الحمقى فى أى وقت ولو لمرة واحدة. أنا آسف على هذا القول، لأنى تذكرت أنه مات الآن، لكن رأيى فيه لن يتغير".

"كان أحمق بالفعل، سواء حيًا أم ميتًا، كف يا كارتر عن تذكر الماضي. من الواضح أن الوظائف التى تتطلب الكثير من الوقت والجهد غالبا ما تربك الخطط الشخصية".

"من يواعد شرطية عليه تخمين ذلك بالفعل. لن أصدق أن هذا مصدر قلق لك، آسف. حاولى مرة أخرى".

"لدىَّ ابنة فى السابعة من عمرها. لا أقول إنها مشكلة أو مصدر قلق، فهى مصدر كل الحب فى حياتي، لكنها فى خطر الآن، وهى من عوامل قلقى، وسعادتها تهمنى للغاية فى المقام الأول. من المؤلم أن يتركنى رجل جاد فى العلاقة لمجرد أنه لا يقبل كونى أمًا لطفلة".

طرقع كارتر أصابعه وقال: "يفعل الناس ذلك كل يوم، ابحثى عبر الإنترنت لتعرفى الإحصائيات المتعلقة بهذا الأمر".

"الناس يفعلون هذا بالفعل، لكن ليس أنا أو كارلى أو دانكان، ولا فى هذا المنزل. دانكان لديه منزله الرائع فى جزيرة ويتفيلد، لقد بناه بنفسه. إن تزوجنى، لن أتمكن من المعيشة معه هناك؛ فلا يمكننى ترك المنزل. سيضطر دانكان لتحمل مسئولية أمى أيضا".

أردفت فيبى قائلة: "والآن قد تكون كل هذه العوامل واهية وليست عقبات كبرى، لكن مجموعها يجعلها تبدو كمعضلة كبرى. لا أعلم هل دانكان يحبنا كأسرة أم كمجرد أصدقاء".

"يمكنك أن تسأليه".

سحبت نفسا عميقا وقالت: "من السهل عليك قول ذلك،

فأنت رجل. عموما لقد نجحت فى كتمان كل هذه العوامل، رغم أنها أخرجتنى من الكآبة قليلا والموقف البشع. حان وقت الرجوع السريع إلى الموقف البشع". قامت وقبلته ثم أردفت: "أحتاج للعمل الآن، شكرا على الشراب والفضفضة".

"كان الشراب من منزلك. أما الفضفضة الخاصة بك، فمرحبا بها فى أى وقت".

قالت فيبى لنفسها إنه كان من الممكن أن يكون الموقف فى المنزل أكثر سوءًا. فعلى الأقل، منحها وجود إيفا وجوزى فى المطبخ، وأمها وابنتها فى حجرة المعيشة وهما مشغولتان بالتصميمات الخاصة بالتطريز وأدواته، وقتًا طويلاً وكافيًا لتعمل بدون إزعاج.

كان المنزل رغم الحصار يسير بالوتيرة المعتادة.

قررت أنها ستتصل فى الصباح بمكتب التحقيقات الفيدرالية لتعرف المزيد من المعلومات عن الموقف وتطلب نسخًا من الملفات الخاصة بالقضايا التى عملت فيها كجزء من فريق الأزمات.

فتحت الملفات التى أحضرتها معها، ورغم مرور زمن طويل على بعضها لكنها لن تجازف بترك أى شىء للمصادفة.

جعلها كل ملف تقرؤه تتذكر كل ملابسات الحادث بكل تفاصيله بوضوح، مما أدهشها. ومهما كان عدد السنوات التى مرت على القضايا، حتى تلك التى وقعت منذ أربع أو خمس سنوات، بمجرد فتح ملف أي منها كانت تتذكر كل شيء على الفور.

شملت الحالات قضايا انتحار وصراعات منزلية وسرقات تحولت لاحتجاز رهائن وصراعات على حضانة الأطفال وموظفين موتورين، وحالات الانتقام والابتزاز المالى والحزن والاضطرابات الانفعالية والذهنية. تقريبا كل شيء يصلح كدافع لحدوث موقف احتجاز رهائن.

أحيانا فى بعض الحالات، كانت كل جهودها تبوء بالفشل وتفشل مفاوضاتها.

كانت الملفات مرتبة بترتيب الأعوام، وبدأت فيبى فى قراءة ملفات أول عام التحقت فيه بالعمل فى شرطة سافانا.

فى نهاية هذا العام، كانت قد فقدت ثلاث حالات، إحداها

حالة انتحار، ثم رهينة، ثم محتجز رهائن. مهما كان عدد عشرات الحالات الناجحة فى التفاوض، أو فى حالات محاولة الانتحار أو مواقف احتجاز رهائن، فلقد فقدت ثلاث حالات، وهى الآن تتذكرها جيدا بوضوح.

بدأت تعيد النظر فى الخطوات التى اتخذتها والكلمات التى قالتها ونبرات صوتها وقتئذ. استغرق ذلك فترة طويلة.

شعرت بخطورة ما تقوم به رغم عدم جدواه.

رغم كل شيء، فقدت فى هذا العام ثلاث أرواح. هل قتل روى بسبب أحدهم؟

بدأت فى قراءة ملف جديد بأسماء الموتى والأعوام والمكان والزمان وطبيعة كل أزمة. ثم بدأت فى تدوين كل معارف الموتى على المستويين الشخصى والعملي، ثم أضافت أسماء أعضاء الفريق الذين عملت معهم.

كانت فى منتصف الملف الخاص بالعام الثانى عندما طرقت إيفا الباب وقالت: "اخرجى قليلا لتهدئى وتتناولى وجبة".

"أعدك أننى سأكون بخير يا إيفا".

"لست بخير الآن، وكلنا كذلك، لكننا بحاجه للتنفس وتناول الطعام والنوم". سارت حتى المكتب وأدرفت: "أمك وابنتك تريدان رؤيتك تفعلين كل هذا حتى ولو لوقت قليل كل فترة".

"حسنا، سأهبط إليهما. أعلم يا إيفا أنك تخططين لقضاء أسبوعين مع ستيفن فى الغرب لاحقا هذا الصيف. لتعجلى بالأمر، اقتربت الإجازة الصيفية ومن الأفضل أن تأخذى إجازتك مبكرا و....".

"لأكون بعيدة عن الخطر، إن كنت فى خطر فعلا؟ لا أعلم إلى متى سنظل هنا حبيسى المنزل لكنك أغضبتنى منذ اليوم الأول".

"لا أحاول إغضابك يا إيفا، بل أقلل عدد من أقلق عليهم، وهذا يعنى أنت وابنك الذى سيأتى إلى هنا بعد الدراسة. أسدى لى معروفا وبادرى بعطلتك مع ستيفن الآن".

مالت إيفا برأسها وقالت: "لن أسدى إليك أى معروف يا فيبي، لن أترك إيسى أو كارلي، لا جدال فى ذلك. لو كنت تعيشين

بمفردك لتركتك لأنك أكثر النساء كفاءة ممن رأيتهن فى حياتي، لدرجة قد تضايقنى فى بعض الأحيان، مثل الآن".

تحركت فيبى فى مقعدها وقالت: "لا تجعلينى أغضب من أول يوم تحت الحصار أنا أيضا".

"لنتجنب ذلك. وللعلم، تحدثت إلى ستيفن وسيقضى العطلة مع عائلة صديقه فى المدرسة الداخلية. لن يأتى إلى هنا قبل يونيو القادم. وإن لم تعد حياتنا هنا إلى طبيعتها حتى ذلك الحين..."، مررت إيفا يدها فى شعرها ثم أردفت قائلة: "سأفكر فى طريقة أخرى لإبعاده عن المنزل".

"وهذا يعنى أنك لم تفهميه سبب موافقتك على الذهاب مع عائلة صديقه".

"إنه طفلى مثلما كارلى ابنتك، مهما كانت سنه، ولن أعرضه للخطر. إيسى بحاجة إليَّ، بينما كارلى لديها قدر من اكتفاءك الذاتي، لكنها مازالت صغيرة وبحاجة لى أيضًا. ومن هذا المنطلق، كفى عن اعتبارى مجرد عبء بلا فائدة أو قيمة".

"لو كنت أعتبرك بلا قيمة لما طلبت منك الابتعاد من هنا. يمكنك أن تأخذى كارلى و...."أسقطت فيبى رأسها لأسفل وقالت: "أعلم أن هذا لن يجدي، لكن لا يمكننى منع نفسى من الرغبة فيه. إن أبعدت كارلى عن المنزل ستغضب وتشعر بالخوف أكثر مما هى عليه الآن، كما أن أمى ستخاف أكثر وتصاب بالذعر. أعلم كل هذا يا إيفا. أعلم أننى لن أتمكن من ترك أمى هنا بمفردها كل يوم. أنا بحاجة إليك هنا، لكنى أحبك وأتمنى لو رحلت لكى أطمئن عليك".

"لم أعد غاضبة منك". دارت إيفا حول المكتب والمقعد واحتضنت فيبى من الخلف حتى تلاصق خداهما وقالت: "جميعنا فى حالة توتر".

قالت فيبى بهدوء: "هذا ما يريده المجرم. وأياً كان الأمر، فهذا ما يريده فى المقام الأول".

"إذن جلوسنا معا على الطعام سيزعجه فى رأيي. لدينا على الغداء دجاج محمر، وقد علَّمت جوزى كيف تطهو شرائح

البطاطس".

"معنى هذا أننى سأضطر لممارسة الرياضة بعنف حتى أتخلص من الوزن الزائد الذى ستسببه البطاطس".

"اكتفى بكمية قليلة لتفسحى مكانا فى معدتك لكعكة الفراولة".

"يا إلهي، لماذا أعددتم كل هذا؟ لتعذيبى بالوزن الزائد؟".

تراجعت إيفا للوراء وقالت: "عندما أتضايق أقوم بالطهى، وكنت متضايقة اليوم جدا".

شعر بمدى روعة تنفيذ خطته فى كل لحظة، منذ أن خطف روى الأحمق فى سيارته حتى فجره ومزقه إربا وأرسله للجحيم.

كان ذلك أفضل من إطلاق الرصاص على فتى العصابات، كان الأمر سريعا وأكثر تأثيرا.

لكنه تمنى لو كان قد استطاع رؤية وجه فيبى عندما فجر روى. كان ذلك سيكون مثيرا للغاية.

تأمل كل الصور الآن، المعلقة على الحائط. كانت جميعها صورًا لـ فيبى وهى تعود للمنزل بعد أن قضت يوم عمل فى التدخل فى حياة الناس؛ وصورًا أخرى وهى تقف وتتحدث مع إحدى الجارات من الحمقى؛ وصورًا أخرى لها وهى تتمشى مع ابنتها المدللة فى شارع ريفر؛ وصورًا أخرى لها مع صديقها فى الشارع.

بما أنه يحتفل بنصره، تجرع جرعة من الشراب ثم ألقى بباقى محتويات الكأس على الصور.

قال: "تتصببين عرقا الآن يا عاهرة؟ قبل أن أنتهى من انتقامى منك ستبكين بالدماء والدموع الغزيرة".

ضحك بصوت عال وهو يتخيلها تفكر فى حيرة لتصل لمن قتل روى المسكين. ترى من قام بهذا العمل الشنيع؟

ولما سمع صوتها يتردد فى أذنيه، أخذ يقهقه لدرجة لم يتمكن معها من الوقوف.

من سوء الحظ، أنها لم تبدأ فى مواعدة الفتى الثرى مبكرا.

كان من الممكن، أن يكون مع الوقت والبحث والتخطيط، هدفا أفضل من زوجها السابق.

سيفكر ويخطط الآن من أجل إيجاد فرصة أخرى. قال لنفسه: "لدى جدول زمنى لك يا فيبي، بضع مناورات ثم الانتقام الرهيب. سأفجرك وستجدين نفسك فى وسط بركة من الدماء والدخان".

تذكر وجهًا آخر فى ذهنه فشعر بالأسى وبكى.

بعد تناول العشاء ووضع ابنتها فى الفراش فى أمان، وتلقى آخر مكالمة هاتفية من كابتن ديف، جلست فيبى لتفحص باقى ملفاتها.

شعرت بالفراغ بداخلها وكأنها جوفاء، وشعرت بأنها أغفلت شيئًا مهمًا لا تعلم ما هو.

أرادت سد هذا الفراغ، وأن تستعيد تركيزها وتتفحص الأسماء والقضايا ودوافعها. لكن الفراغ ظل موجودا ويهددها بأن يبتلعها بداخله.

أمسكت هاتفها واتصلت برقم دانكان دون أن تسأل نفسها لماذا تريد التحدث إليه. ولماذا هو الذى سيسد الفراغ الذى بداخلها.

"أنا....أنا فيبى يا دانكان".

"فيبي! كنت أفكر فيك للتو وهل أتصل بك أم أتركك وشأنك مؤقتا. هل أنت فى المنزل؟".

كانت يدها الممسكة بالهاتف الخلوى ترتعش وهى تقول: "نعم، وأنت؟".

"نعم، هل تطمئنين عليَّ؟".

"نعم لكنى لم أرغب فى.....إزعاجك".

"لن أسألك ما الخطب لأننى أعرفه. هل جد جديد؟".

"تحدثت لـ ديف للتو. كل شيء تحت السيطرة والأمور مستقرة ولا يوجد ما أقوله لك فى هذا الشأن، لكن.....ربما فقط أردت الثرثرة. أنا آسفة كان يجب أن....".

"ما الذى قاله لك ديف ولا تريدين أن تخبريهم به؟".

"كم أنت لماح! أحب هذه الصفة فيك ولو إننى سأكرهها فى

النهاية، لو كانت هناك نهاية. قال لى ديف أننى يجب أن أعرف أن.... لحظة واحدة". أبعدت الهاتف عنها وسحبت نفسا عميقا حتى عاد معدل تنفسها الطبيعى وقالت: "كان هناك ميقاتى فى قنبلة روى. لم يفجر القاتل القنبلة بجهاز التحكم عن بعد الذى كان معه. ربما احتفظ به احتياطيا فقط إن أراد إنهاء الأمر مبكرا. كان الميقاتى مضبوطًا على الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة يا دانكان. لم يكن ليدع روى حيا مهما قلت له فى المفاوضات ومهما فعلت، كانت النهاية ستكون كما هى".

ساد الصمت لبرهة وسمعت دانكان يسحب نفسا عميقا قبل أن يقول: "لقد رتب الأمر والوقت بحيث ترين كل شيء ليخيفك واخالك تعلمين هذا يا فيبي".

"أرادنى أن أساوم وأتحايل وأتفاوض وأستميل، ثم أدرك أننى فشلت وكل ما فعلته بلا أهمية؛ لأن كل شيء معد سلفا وكان الميقاتى يعد العد التنازلي".

"كان مخطئا، فما تفعلينه مهم".

"لكنه أراد إرهابى حتى الموت".

"إن كنت تتوقعين أن أقول لك ألا تخافى فأنت مخطئة. ما الذى ستفعلينه الآن؟".

"ماذا سأفعل إزاء خوفى؟".

"كلا، بل إزاء التوصل للجانى الذى أراد إرهابك، حتى تكفى عن الخوف".

"أقرأ كل ملفات قضاياى وأبحث عن أي.....ألن تحثنى على التحلى بالقوة والشجاعة؟".

"رأيتك كيف تتصرفين وقت الأزمات وأعلم أن القوة والشجاعة صفتان متأصلتان فيك، لكن هناك حدودًا لكل شىء. لماذا لا آتى إليك وأساعدك على قراءة الملفات؟".

شعرت بالخواء الذى بداخلها يتلاشى. دارت بمقعدها لترى الظلام من النافذة وقالت: "هل تعرض المجيء حتى أشعر بأننى أقل قوة وشجاعة؟ ياله من أمر يفى بالغرض فعلا".

"فقط أمهلينى نصف ساعة و......".

"كلا، لا داعى لحضورك. كنت فقط أود سماع عرضك بذلك، كنت فقط أود سماع أن لى الخيار. دعنى أطرح عليك سؤالا، وأنت تعلم أننى مستمعة نشطة وأدرك حينما يكذب أحد على. بعد التفكير فى كل ما حدث، هل أنت نادم على معرفتى؟".

"بعد التفكير فى كل ما حدث، كان هذا أهم قرار أخذته فى حياتى".

ابتسمت وقالت: "ربما ثانى أهم قرار أخذته فى حياتك بعد شراء تذكرة اليانصيب".

"كلا، القراران متساويان فى الأهمية. لما لا تكتفين بهذا القدر من العمل الليلة وتنامين يا فيبي؟".

"حسنا، ربما أفعل ذلك".

"لست مستمعًا نشطًا ولكنى أدرك حينما أسمع كذبة من أحد".

"ربما أفعل ذلك بعد ساعتين. شكرا لك على قول ما أردت سماعه".

"أنا فى خدمتك فى أى وقت ويمكننى الحضور إن أردت سماع أى شيء".

"ليلة سعيدة يا دانكان".

بعد قضاء جزء بسيط من الليل فى النوم المضطرب، قررت فيبى أن العمل من المنزل لن يجدى. وبالتالى ستعود للعمل ولكنها ستجعل كارلى تتغيب عن المدرسة لبضعة أيام.

حتى إن نجحت فى إلهاء كارلى بأى شيء، كانت فيبى ستشعر بالذنب لأنها تعمل فى المنزل فى عزلة عنها وعن أمها.

كان من الأفضل أن تعود للعمل وتشغل نفسها فى شيء مثمر؛ فالمنزل فى حراسة الشرطة ولا داعى للقلق، إلا إذا اخترق القاتل صف أفراد الشرطة. فكرت فيبى فى هذا الاحتمال وهى تحاول إخفاء آثار عدم النوم بالماكياج بكل جهدها. إن غافل الشرطة وتسلل إلى هنا فهناك جهاز الإنذار.

لكن من تمكن من وضع قنبلة بميقاتى وجهاز تحكم عن بعد يمكنه اختراق جهاز الإنذار.

قالت لنفسها إنه لن يتمكن من ذلك أبدا.

لن يحدث ذلك أبدا.

قررت عدم تسريح شعرها، فلملمت خصلاته وعقدتها على شكل ذيل حصان.

ستركز كل جهودها فى التوصل لقاتل روى وإلقاء القبض عليه. وحتى ذلك الحين، ستؤجل كل أعمال الورق وجلسات التدريب.

لم تنم إلا القليل لأنها توصلت لقائمة أسماء محتملة. ستطرق الأبواب وتطرح الأسئلة وتتفقد كل شيء هذا الصباح، سيستغرق الأمر حتى نهاية نوبتها فى العمل، كما فطنت إلى ذلك وهى تلملم ملفاتها. وإن لم يكف هذا الوقت، فلن تكف عن البحث بلا هوادة ولن تتوانى عن العمل من أجل العثور على الحقيقة وينتهى الأمر.

وعندما خرجت من حجرتها، رأت أن الوقت كاف لتذهب للمطبخ وتعد لنفسها القهوة و تترك رسالة لهم بأنها خرجت قبل أن يستيقظوا.

وقفت عند باب حجرة كارلى وألقت نظرة عليها.

كانت ابنتها متمددة ومستلقية على الفراش وقد ركلت الغطاء على الأرض، وكانت ممسكة بأطراف أصابعها بالدب المفضل، الذى تآكلت أذناه لكنها تفضل النوم بجواره.

شعرت فيبى بالرضا وانسحبت فى هدوء. كانت تعلم أنها إن دخلت لتدثرها وتقبلها قبلة سريعة فقد تستيقظ لأن نومها خفيف فى الصباح، وعندئذ ستفتح عينيها الزرقاوين وتمطرها بوابل من الأسئلة.

بدلا من ذلك، نزلت فيبى السلم وقررت تناول القهوة وعلبة زبادى منزوع الدسم الذى تحاول إقناع نفسها دوما بأنها تحبه بالفعل، ثم ستترك رسالة لهم على باب الثلاجة، وتتفقد حرس الشرطة ثم تذهب للعمل.

وما إن دخلت المطبخ حتى وجدت إيسى تستدير من أمام الموقد، شهقت كلتاهما وتراجعتا للخلف.

قالت فيبي: "ظننتك نائمة بالطابق العلوى".

وضعت إيسى يدها على قلبها وقالت: "أنا أيضًا ظننتك نائمة بالطابق العلوى". ثم أشارت ليد فيبى التى اتجهت لسلاحها

وأردفت: "لقد أفزعتنى حقًا. هل كنت ستطلقين النار؟".

تركت السلاح وأخفضت يدها وقالت: "أنا آسفة. الساعة الآن السادسة صباحا يا أمي. لماذا لست نائمة بالطابق العلوى؟". حدقت إيسى لها فى هدوء، فهزت فيبى رأسها وسارت نحوها واحتضنتها قائلة: "يا لها من حالة ذعر يا أمى".

"أرى أنك ارتديت ملابس العمل".

ظلت فيبى تحتضنها وتربت عليها وفتحت عينيها المغلقتين قائلة: "يجب أن أذهب للعمل".

"أتمنى ألا تغادرى المنزل....لا داعى للتربيت والتهدئة". كان صوتها حادًا وهى تحتضن فيبى بقوة ثم أردفت قائله: "مازلت ابنتى الصغيرة، أتمنى أن تبقى فى المنزل معنا فى أمان، كل عائلتى تحت سقف واحد.....أعرف أن قولى هذا يعد أنانية، فأنا مريضة، لكن أريد إبقاءكم جميعا هنا تحت سقف واحد".

تراجعت إيسى وأردفت قائلة: "لكنى أعلم أن هذا مستحيل. سأعد لك القهوة".

همت فيبى بالقول إنها تريد إعدادها بنفسها لكنها لاذت بالصمت. كانت تعلم أن انشغال أمها بالعمل يساعدها على تهدئة قلقها وخوفها."أعلم أنك خائفة يا أمى".

"بالطبع، من الغباء التظاهر بالعكس. انفجر روى الأحمق وتمزق إربا". نظرت لها وهى تخرج كوبا من الرف وأردفت قائلة: "أعلم انه لا يصح ألا أقول ذلك وأننى يجب أن أخجل من نفسي، لكنى لم أخجل. لم تلوميه من قبل بالقدر الكافى من وجهة نظري، لكن لا يهم فلقد لمته أنا بالنيابة عنك وعنى كثيرا، لكنى أخاف عليك يا صغيرتي، وعلينا جميعا".

صبت القهوة ووضعت مقدار السكر ومادة تبييض القهوة بالضبط كما تحب فيبى وقالت: "أعلم انك قلقه بشأن تدهور حالتي".

قالت فيبي: "هذا صحيح، سأظل صغيرتك وأنت أمى للأبد".

"اجلسى يا صغيرتى وسأعد لك الإفطار".

"لا وقت لهذا، سأتناول علبة زبادي".

"لكنك لا تحبينه".

"أعلم هذا لكنى أحاول تنمية تذوقى وتقبلى له". أصرت فيبى وتوجهت للثلاجة واختارت علبة زبادى بشكل عشوائى، وبمجرد أن فتحتها وأحضرت ملعقة مالت نحو المائدة قائلة: "أعلم أنك من باب الحرص وبدافع الخوف لن تقتربى من المدخل الأمامى ولا الحديقة، لكن....".

"عانيت من صعوبة فى ذلك مؤخرا، قبل حدوث الأزمة". تناولت الفوطة وهى شاردة الذهن ومسحت المائدة أمام فيبى رغم أنها كانت نظيفة للغاية بالفعل، ثم تابعت: "وخاصة المدخل الأمامى وشرفة حجرة النوم، وأصبت بخفقان القلب بضربات سريعة، ومعرفة أن هذا مجرد وهم من نسج خيالى لم يهدئني. ما أفهمه حقا هو أننى راضية عن كونى لا أغادر المنزل، لا أحتاج لأى شيء من العالم الخارجى".

تناولت فيبى بعض الزبادى وشعرت بمذاقه الحامض اللاذع فى فمها، كان لاذعا كأفكارها الآن، وقالت: "العالم بأكمله؟".

"فى معظم الأوقات، يكون لدىَّ عالم لطيف داخل منزلى، وإن أردت أى شيء من العالم الخارجى فلدى الحاسب الآلى والانترنت. دعينى أحضر لك الإفطار".

احتست القهوة لكى تمحو مذاق الزبادى وقالت: "بل هذا يكفيني. هل انتابتك نوبات ذعر وفزع أثناء غيابي؟".

"ليست كبيرة بما يدعو للقلق، بل نوبات خفيفة كل فترة، إن تمنيت العلاج والقدرة على مغادرة المنزل فسيكون من أجلك، لأنك تودين الرحيل من هنا، أليس كذلك؟".

"لا وقت للخوض فى هذا الحديث الآن يا أمي".

"لم تصل الساعة إلى السادسة والنصف بعد. إن كنت فى عجلة من أمرك، أجيبى سؤالى بسرعة حتى نحسم الأمر".

ألقت فيبى بباقى علبة زبادى فى سلة القمامة وقالت: "لا أعلم، أحيانا أقول إننى أود الرحيل من هنا لإغاظة العمة بيس. لم يكن من حقها أن تجعلك تعملين عندها كالعبيد ولا تعطيك فى وصيتها أى شيء".

"منحتنى مكانا لى ولأطفالى وقت الشدة".

"ودفعت مقابل هذا فى كل يوم من حياتك هنا".

انفعلت إيسى واحمر لون وجهها، مما زاد من بياض الجرح الغائر فى وجهها وقالت: "هذا لا يهمنى ألبتة".

"كان يجب أن يهمك".

"هذا منطق عقلك أنت يا فيبي، فعقلك صلب ولا يمل من التفكير المعقد".

"أمى....".

"ربما لن نتمكن من تغيير طريقة تفكيرك، لكن ما الذى فعلته لضمان سلامة وأمن كارلي؟ هل تركت روى بإرادتك؟ هل تركت مكتب المباحث الفيدرالية من تلقاء نفسك، أم لأنك وجدت أنه من الأفضل أن تعملى فى قسم الشرطة المحلي؟ بل فعلت ذلك من أجل عائلتك، من أجلى ومن أجل ابنتك. لا تظنى أنى غافلة ولا أعلم هذا. هل حسبت قيمة هذه التضحيات؟".

"الأمر ليس متشابها يا أمي، كانت العمة بيس تعاملك كأقل خادمه هنا، وكذلك كارتر ولكن بدرجه أقل قليلا".

"تمنيت لها أن تذهب إلى الجحيم فى كل مرة كانت تضربه، لكن كنت أقول إن له منزلاً يؤويه، وطعاماً، ولديه أنا وأنت وإيفا الطيبة، وهذا كان يكفيه".

"كان يجب أن يؤول المنزل خالصا لك".

"إنه ملكى بالفعل، صحيح ليس خالصا ولكنه هكذا فعليا. لماذا تكرهين هذا المنزل إلى هذا الحد يا فيبي؟".

تنهدت فيبى قائلة: "لا أكره هذا المنزل، بل أكره تحكم العمة بيس بنا حتى بعد وفاتها. ما يثير استيائى أنها كانت محقة، فلا يمكنننى ترك هذا المنزل. لكنى أعترف أن كارلى تحب المنزل والحى والحديقة، لذلك الأمر ليس تضحية كبرى. ربما أفكر فى الأمر بضيق عندما أكون متضايقة بوجه عام. وبالتالى لا أعلم إن كان باستطاعتك مغادرة المنزل، فهل سأغادره أنا أيضًا أم لا".

احتست باقى القهوة وقالت: "مضطرة للذهاب للعمل الآن".

"أعلم ذلك".

ظلت إيسى فى مكانها تنصت لخطوات فيبى عبر الصالة وسمعت صوت الباب ينفتح ثم ينغلق بعد ذلك. نظرت من النافذة لتتأمل الحديقة بزهورها وشجيراتها الجميلة اليانعة والنافورة الأنيقة وبؤر الظلال الجميلة.

ورأت بعين الخيال هوة سوداء بلا قاع.

٢٥

حضرت فيبى مبكرا بالقدر الكافى لتفحص المزيد من الملفات وتضيف المزيد من الأسماء إلى قائمتها. كان بمقدور ضباط المباحث الفيدرالية إعاقتها بالروتين لولا أنها تعرف الكثير منهم بالقدر الكافى لتجاوز الروتين المعتاد.

مرت أكثر من عشر سنوات بين عملها فى المباحث الفيدرالية وفريق الأزمات فى الشرطة المحلية، أى حوالى ثلث عمرها، أو أكثر إن حسبت سنوات الجامعة وأكاديمية الشرطة.

لقد عملت عقدا من الزمن فى الشرطة.

وخسرت فى عملها كمفاوضة أربعة عشر شخصا.

كانت أمها محقة عندما قالت إنها لا تحب أن تخسر، لقد فقدت

فى عملها كمفاوضة أربعة عشر شخصا فى أقل من أحد عشر عامًا تقريبا.

لم يهم أن ثلاثة منهم ماتوا متأثرين بجراحهم التى وقعت لهم قبل وصولها لمكان الجريمة. وإذا كان هذا لا يهمها، فإنها كانت متأكدة أن هذا لا يهم قاتل روى أيضًا.

لذا يجب إعادة فحص هذه الخسائر فى الأرواح.

تراجعت للخلف فى مقعدها واستعدت للذهاب للبحث والتحقيق الميداني، لكن سايكس طرق الباب قائلا: "أيتها الملازم؟".

"ادخل. أعتقد أنه تم التحقق من أعذار آرنى ميكس، أليس كذلك؟".

"نعم، أعذاره صحيحة". كان تعبير وجه سايكس متجهمًا وكأنه يقول ما ينافى عقلة والحقيقة التى يؤمن بها، ثم أردف قائلا: "الأدهى من ذلك أن عشيقته لها جارة فضولية. شهدت أنه دخل منزلها قبل الساعة العاشرة ليلة وقوع الحادث؛ لأنها رأته عدة مرات. كانت تعرف سيارته، وكانت السيارة قابعة أمام المنزل، ورأتها عندما كانت تتمشى مع كلبها قرب منتصف الليل".

"حسنا".

"ذكرت أيضًا أنها عادت لتتمشى مع كلبها مرة ثانية قبل شروق الشمس. أليس من الغريب أن يترك أصحاب الكلاب الفراش لتمشية كلابهم قبيل الفجر لتعبث بالزهور؟".

"نعم، فى الواقع كنت أفكر كثيرا مؤخرا عن هذه العادة الغريبة".

لمعت عيناه من الاستمتاع بالتخمين وقال: "لابد أن طفلتك تريد اقتناء كلب".

"كم أنت محقق ذكى يا بول، هذا صحيح".

"حسنا، بسبب هذه العادة الغريبة رأت الجارة آرني....". فتح سايكس ملفه وقلب بين صفحاته قائلا: "لقد سارت من منزلها فى ميلين هاثواى مثل الديك الفصيح قبل صياحه فجرا".

"حسنًا، لكن هذا يبرئ ساحته".

"يا لسوء الحظ، لكنه عامة يستحق صداقة عشيقته ذات الحجم الكبير والعقل الصغير والغضب العارم كالثور الجريح الهائج".

ابتسم بصعوبة للحظة ثم قال: "من المؤكد أنها ستحول حياته إلى جحيم لبعض الوقت، علاوة على جحيمه فى منزله على يد زوجته، ولن يحظى بمكان مريح حاليا".

"رغم حالتى المزاجية السيئة فإنى سأكون صريحة معك وأقول إنه يسرنى سماع ذلك".

"سأتحرى الأمر مع فريق الطب الشرعى الذين يفحصون سيارة المجنى عليه روى. لو سقطت ولو شعرة واحدة من القاتل فسيجدونها أيتها الملازم".

"ربما يمكنك القيام بذلك فى طريقنا، فلدىَّ بعض الاحتمالات والأماكن التى يتعين علىَّ فحصها، وأريد مساعدتك. سنستجوب البعض بأنفسنا فى أماكنهم، والبعض الآخر بالمتابعة عبر الهاتف من هنا. سأشرح لك خطة العمل بالتفصيل فى الطريق".

التقطت حقيبتها ثم تركتها عندما لاحظت الرقيب ميكس يدخل بخطى واسعة نحو حجرة فريق الشرطة وقال: "هلا تركتنى لدقيقتين مع الملازم أيها المخبر؟".

استدار سايكس وتجهم وجهه وقال: "لا مشكلة فى أن أقف هنا حتى ترحل".

قال سايكس: "لا داعى لذلك، لن آخذ أكثر من دقيقة".

كانت تعبيرات وجهه تدل على أنه عازم على المرابضة فى المكتب وعدم تركه ينفرد بها ولو للحظة. شعرت فيبى أن سايكس وميكس، عندما وقفا فى مواجهة بعضهما البعض عند الباب مع عدم اختلاف بنيتهما الجسدية ولا العقلية، كانا يشبهان كلاب الشارع التى تستعد للعراك لتحافظ على أرضها ومنطقتها.

لكنهما كانا مختلفين تماما فى أسلوب معالجة الأمور.

تحدث سايكس دون أن يحول نظره عن ميكس قائلا: "سأكون فى مكتبى عندما تكونى جاهزة للرحيل".

"شكرا لك أيها المحقق. مرحبًا سيدى الرقيب".

"مرحبًا سيدتى الملازم"

حافظت على وجهها الخالى من أية تعبيرات عندما أغلق ميكس الباب.

"هل من خدمة كى أؤديها لك هذا الصباح أيها الرقيب؟".

قال لها: "لقد جرحت، وبسبب ذلك فقد ابنى عمله وشارة الشرطة، وزوجته وحفيدى غاضبان منه ويعيشان فى خزى وعار".

قالت ببرود حاد: "يؤسفنى حال زوجة ابنك وحفيدك التى سببها أن ابنك أدخلنى المستشفى، أيها الرقيب ميكس. كانت عائلتى ومازالت مضطربة بسبب ما حدث، وخاصة ابنتى ذات السبعة أعوام".

"بغض النظر عن ظروف وملابسات جراحك، عندما التحقت بالعمل بالشرطة وارتديت الشارة، كنت مستعدة للمجازفة بحياتك فى مجال عمل كهذا. كان يجب أن تفكرى مرتين قبل العمل هنا وأنت امرأة ومعك طفلة صغيرة بحاجة إلى رعايتك".

"فهمت الآن من أين أتى ابنك بأفكاره عن عمل المرأة فى الشرطة. هل لديك ما تقوله بعيدًا عن رأيك فى اختيارى لعملي، فلدىَّ عمل مهم الآن".

كانت متأكدة من أنه يغلى داخليا من الغضب، لكنه لم يظهر ذلك على تعبيرات وجهه، مما يظهر أنه يتمكن من التحكم فى نفسه على العكس من ابنه.

"سترين عواقب ما تقومين به".

"هل هذا تهديد؟".

قال بصوت هادئ: "أنا لا أهدد. لقد جرحت وشفيت كما أرى، لكن ابنى فقد عمله وسمعته".

"لكنه لم يسجن".

"هل هذا هدفك؟ هل هذا سبب أنك أرسلت من يحقق معه فى مقر عمله؟ وأرسلت من قبضوا عليه من منزله أمام عائلته وجيرانه للتحقيق معه، كما حققتم مع زوجته".

"لم يدخل هذا فى نطاق رغبتى فى أن ينال العقاب العادل؛ أفعاله المشينة جعلته المشتبه به الرئيسى، ولم يكن ليقبض عليه من منزله أمام عائلته وجيرانه للتحقيق معه لولا أنه حاول الهجوم على المحقق سايكس، أم أنك لم تقرأ حتى هذا الجزء من المحضر؟". مالت برأسها نحوه وقالت: "هل تريدنى أن أرسل لك نسخه من المحضر؟".

"أعتقد أن أحدًا قد أثار غضبه...".

"أنت أبوه وبالتالى تختلق له الأعذار كما تريد. لكن مجيئك إلى هنا بالزى الرسمى يجعلك تمثل القانون وقسم الشرطة. يجدر بك أن تتذكر هذا، ألاحظ أنك لا تشتكى من إرسالى لمن يحقق مع عشيقة ابنك المتزوجة للتحرى عن مكان تواجده وقت وقوع الجريمة، أم أنك لا تعبأ بها؟".

رأت عينيه تلمعان من الدهشة والإحباط للحظة ثم عادت عيناه كما كانتا وقال: "لقد عقدنا اتفاقا أيتها الملازم ماكنامارا، إن ضايقت ابنى مرة أخرى سأتقدم بشكوى للنائب العام ورئيس الشرطة والعمدة".

شعرت بالغضب الحاد يسرى فى عمودها الفقرى وقالت: "اشكنى لمن تريد أيها الرقيب، لكنى سأقول إن ابنك بدلا من أن يخضع للاستجواب فى منزله أو أى مكان من اختياره، هاجم الضباط وهددهم. وبالتالى خرق شروط فترة مراقبته التى قد تتعرض للإلغاء، وقد يحكم عليه بالحبس فى سجن ولاية جورجيا".

صمتت لبرهة لترى وقع كلماتها عليه، ووضعت يديها على المكتب ومالت للأمام وقالت: "دعنا نتحدث بصراحة أيها الرقيب ميكس، أود فعل المزيد، لكن ماذا عن الآن؟ أقترح بدلا من المجىء إلى هنا بكل ثقلك لمكتبى، ومحاولة تهديدى بأصدقائك الكبار فى الشرطة، ممن تمارس معهم الصيد والجولف، أن تجعل ابنك يخضع للعلاج والتأهيل النفسى. أتعرف لماذا؟ قسم التحكم فى الغضب فى الشرطة هنا لن يجدى معه".

"إذا كنت تتوهمين أن بإمكانك اتهامه بالقتل و....".

"لا أفكر فى هذا، لقد تحققنا من براءته كمشتبه به من ضمن أعدائى الذين يضمرون لى الحقد والكراهية. وبالتالى تم استبعاده، وسيتم فحص أناس آخرين. اعذرنى الآن، فأنا فى طريقى لفعل ذلك الآن".

"لم تكونى فى حاجة لأن تجعليهم يضعوا القيود فى يديه ويجروه من منزله".

لاحظت من نبرة صوته أنه مرهق الآن، مثلها تماما. الغضب عادة يهدر بعض الطاقة، لكنه عندما يزول يحل محله الإرهاق الذى يتحول بدوره بسهولة إلى مرارة.

قالت له: "لم يكونوا ليقبضوا عليه بهذه الصورة لولا أنه أهان المحققة ألبرتا بألفاظ نابية أمام الجميع وحاول الهجوم على المحقق سايكس، وهدده بأنه سيضربه ضربا مبرحا، ثم حاول الاعتداء بالضرب على ألبرتا وأجبر الضباط على إخضاعه.

ابنك عمره سبعة وعشرون عاما، أليس كذلك؟ أتمنى عندما تصل ابنتى لنفس السن أن تصبح امرأة تعتمد على نفسها ولا تحتاج إلىَّ لأدافع عنها".

فتحت الباب بقوة وقالت: "لا تأت لمكتبى مرة أخرى لتشهر سيفك فى وجهي، اشكنى للنائب العام أو رئيس الشرطة أو العمدة، أو حتى حاكم ولاية جورجيا، لكن لا تأت إلى هنا لتناقشنى حول شئون ابنك البائس".

خرجت بسرعة وفى غضب من الحجرة وذهبت لحجرة سايكس وقالت: "هيا أيها المحقق سايكس".

"حسنا يا سيدتى الملازم". نهض سايكس من مكتبه ولم يكترث لإخفاء ابتسامته الواسعة الساخرة وهو ينظر إلى الرقيب ميكس ثم سار مسرعا ليلحق بفيبي.

بدأت فيبى بأقدم القضايا أولا. كانت وقتئذ كعميل خاص للشرطة، حيث كانت لا تزال حديثة التخرج من معهد الشرطة فى كوانتيكو، تذكرت أنها لم تكن قد قابلت روى منذ أسابيع وقتئذ.

كان الجو يومها معتدلا فى أواخر الخريف، والنسيم يلطف الجو.

كان شعرها أطول مما هو عليه الآن، أليس كذلك؟ كان يتجاوز كتفيها فى تلك الأيام، وكانت تعقده فى جديلة أو تعقصه لأنها كانت تظن أنه يبدو هكذا عمليا أكثر كالمحترفين.

وكان من المثير أن تطلق سراح شعرها فى نهاية اليوم من أسر الدبابيس.

كانت إيفا مازالت وقتها تعيش فى الضواحى وكارتر فى المدرسة الثانوية وقد بدأ ينمو كرجل، وتقلص عالم أمها حتى مساحة ست بنايات حول المنزل، ولم يكن أحد يكترث وقتها للأمر.

قالت فيبى للمحقق سايكس: "كانت عملية فاشلة لاختطاف طفلة رضيعة. هربت امرأة من مستشفى فى بيلوكس بطفلة رضيعة حديثة الولادة، وكانت متنكرة فى زى ممرضة وأحضرت الطفلة إلى سافانا وكأنها ابنتها، مما كان بمثابة مفاجأة لزوجها الذى ظن أنها فى زيارة لأختها فى الجنوب لبضعة أيام. قالت له إن الرب جعلها تعثر على الطفلة اللقيطة، واعتبرتها هدية السماء لها لكونها لم تنجب بعد ثمانى سنوات من الزواج رغم إنفاق آلاف الدولارات على علاج العقم".

"هل صدقها زوجها؟".

"كلا، لكنه كان يحبها".

جلست باسترخاء، ومع هدير جهاز التكييف فى السيارة سمعت صوت وقع أقدام أحد أفراد الشرطة الذى كان فى اتجاهه لدخول الحديقة بها.

"رأى الزوج الأخبار فى التلفاز عن طفلة رضيعة مخطوفة واستنتج الأمر. حاول أن يتحدث لزوجته – كان اسمها بريندا آن فولك، وعمرها أربعة وثلاثون عامًا، ولم تنصت لزوجها وسألته كيف أن للطفلة عينين كعينيها. اتصل بأختها التى لم تكن قد رأتها خلال رحلتها إلى الجنوب، ثم اتصل بأبويها اللذين كانا قلقين وخائفين عليها كثيرًا. لم يعرف الزوج ماذا يفعل، فحاول أن ينتزع الرضيعة منها".

أوقفت فيبى السيارة أمام مبنى مكتب أنيق وفخم، وسارت على الرصيف وبجوارها سايكس ثم أردفت قائلة: "أحضرت مسدس زوجها الـ ٢٢ مللى وصوبته نحوه وأمرته بترك ابنتها لأنه حان موعد نومها".

"شيء فى منتهى الغرابة".

دخلا المبنى وضغطت فيبى زر المصعد وقالت: "فعلاً. خشى أن تؤذى زوجته الرضيعة فتركها لها وحاول التفاوض معها فأطلقت عيه الرصاص".

"شيء فى منتهى الغرابة والشذوذ فى التفكير".

"نعم، وللأسف اخترقت الرصاصة عضلة الذراع وخرجت منه. حبست نفسها فى المنزل مع الرضيعة ووضعت المزينة وراء الباب. اتصل الزوج برقم الخط الساخن الذى رآه فى نشرة الأخبار، وحضرت أنا فى الحال كمفاوضة".

"هل نجت الرضيعة؟".

"نعم، كانت تصرخ من الجوع، لكنها اجتازت الأمر". تذكرت فيبى الواقعة بوضوح وكأنها تسمعها الآن وتسمع بكاء الرضيعة ثم استطردت: "لكن بريندا لم تنج من الموقف سالمة. فبعد ساعتين من التفاوض اعتقدت أننى أقنعتها بالاستسلام، وقالت لى إنه حقا وقت الاستسلام، وصوبت فوهة المسدس على صدغها وأطلقت الرصاص".

خرجت من المصعد وأخذت تتحقق من جميع الأسماء على الأبواب عبر الممر. ثم توقفت أمام أحد الأبواب تشير اللوحة المثبتة عليه إلى شركة سياحية اسمها"كومباس ترافل".

كانت شركة صغيرة من حجرة واحدة تحتوى على مكتبين متقابلين بالإضافة إلى مكتب الاستقبال. كانت هناك حوامل لورق دعاية سياحية، فيما كانت الحوائط مزينة بملصقات كبيرة لبعض المواقع السياحية الغريبة.

تعرفت على الزوج فولك على الفور، رغم أنه فقد بعض شعر رأسه وأصبح يضع نظارة على طرف أنفه. كان يكتب على لوحة مفاتيح الكمبيوتر. أومأت فيبى برأسها إلى المرأة التى تجلس على مكتب الاستقبال وتوجهت مباشرة نحو مكتب فولك.

"أرجو المعذرة يا سيد فولك، نريد التحدث معك".

"إن لم تمانعا فى الانتظار قليلا سأكون معكما، وإلا يمكنكما التحدث إلى تشارلوت إن أردتما الاستفسار عن الرحلات".

أظهرت فيبى له شارة الشرطة ليراها ثم قالت: "آسفة يا سيد

فولك، نريد التحدث معك لأمر عاجل".

"حسنا، ماذا.......".

راقبته وهو ينظر إليها فى حيرة ثم يتعرف عليها ويشعر بالصدمة والحزن العميق وقال: "أنا أعرفك....كنت من يتحدث مع بريندا عندما.....".

"نعم، هذا صحيح، كنت أعمل مع المباحث الفيدرالية وقتها. اسمى فيبى ماكنامارا، من شرطة سافانا ـ شاتهام، وهذا هو المحقق سايكس".

"ما الذى تريدينه مني؟".

"آسفة يا سيد فولك، هلا تحدثنا على انفراد؟".

خلع نظارته ووضعها على المكتب وقال: "هلا علقت يا تشارلوت لافتة"مغلق"على الباب وأغلقته؟ إنها خطيبتى ولا أخفى عنها شيئا، وتعلم كل شيء عما حدث لـ بريندا".

أغلقت تشارلوت الباب وجاءت فى الحال لتقف إلى جوار فولك. كانت سيدة جميلة وتبدو قوية وخمنت فيبى أنها فى أوائل الأربعينات من العمر. وضعت تشارلوت يدها المزينة بالخاتم المرصع بالماسة المستديرة الخاص بالخطوبة على كتف فولك لتؤازره.

قالت تشارلوت بحدة: "ما الأمر؟".

"هل ستتزوجان؟".

"بعد أسبوعين من يوم الجمعة".

"تهانينا، أعلم يا سيد فولك أنك مررت بوقت عصيب جدا، ورغم أنك فعلت ما هو صواب، لكنى أخفقت فى مهمتى لإنقاذ زوجتك".

ضغط بيده على يد تشارلوت وقال: "كلا، لم أفعل ما هو صواب وقتها".

قالت تشارلوت: "اهدأ يا بيت....".

كرر جملته قائلا: "كلا، لم أفعل ما هو صواب، لم أحضر النجدة لـ بيرندا. كنت أعلم كم كانت تريد الطفلة... كنت أعتقد أننى أعلم، لكنى لم أساعدها. لم أفهمها كما يجب، كانت حياتنا معا رائعة. ظللت أكرر لها ذلك، و اشتريت لها قطة كبديل عن وجود

طفل".

قالت تشارلوت: "أوه، اهدأ يا بيت، لا داعى...".

هز رأسه بالنفى وقال: "وكنا مخطوبين قبلها بعامين، ولم أدرك ما بداخلها قط. لم أدرك حاجتها الماسة إلى الأطفال، ولم أر ما يدور فى عقلها من آلام. فرحت عندما قالت لى إنها ستذهب لزيارة أختها، لأننى ظننت أنها بذلك ستكف عن الحزن وتواصل حياتها. لم أر ما كسر بها داخليا. كان يجب أن أعرفه، أليس كذلك؟".

"لا أعلم يا سيد فولك".

"تحطم شيء ما بداخلها ولم أحاول إصلاحه ألبتة. لم تتمكن من العيش بهذه الطريقة، مع تحطم هذا الشيء المجهول بداخلها، ومع صدمة أن الشرطة ستأخذ الطفلة منها".

علق سايكس عندما خرجا للهواء الساخن بالخارج: "كان ذلك صعبا. من المؤلم أن نتحدث معه ليعيد معايشة تجربة مؤلمة كهذه. لقد دمر ذلك أعصابه، أرجو المعذرة أيتها الملازم على تعليقاتي".

"لا بأس، ما رأيك فى فولك؟".

"لم يتعرف عليك عندما سرت نحوه. كان الجانى سيعرفك على الفور. ربما كان يلعب دورا ما بإتقان، لكن بالنسبة لى كان صادقا. كما أن لديه امرأة لطيفة وعملاً جيداً وحياة كريمة، لا أظنه يفسد كل هذا من أجل الانتقام".

ارتدت نظارتها الشمسية وقالت: "أوافقك الرأى. التالى فى القائمة، من الناحية الجغرافية، حالة إصابة فى عملية سطو على بنك. فى موجة سرقات متتالية، قام ثلاثة رجال بالسطو على بنكين فى أطلانطا. ثم حاولوا سرقة بنك سافانا، لكنهم تعرضوا لمشكلة أخرى حيث كشفت دورية الشرطة فى الرادار عن أرقام لوحات سيارتهم. حدث إطلاق للنيران فى المرحلة الأولى وجرحت امرأة. وبعد بضع ساعات من المفاوضات نجحت فى إقناعهم بإخراجها لنا لنسعفها، لكن كان الأوان قد فات وتوفيت متأثرة بجراحها قبل الوصول للمستشفى".

"كيف كان تأثير هذا عليك؟".

"ماتت، ويكفى هذا". رن جرس هاتفها المحمول فوضعت يدها فى الحقيبة وعبست بوجهها عندما وجدت رقم الطالب غير ظاهر على الشاشة. "أنا فيبى ماكنامارا، من المتحدث؟".

"أهلا يا فيبي".

أشارت إلى سايكس الذى وضع السماعة الخاصة فى أذنه ليسمع المكالمة التى صارت بذلك ثلاثية. قالت مرة أخرى: "من المتحدث؟".

"المعجب الغامض يا عزيزتي. سررت عندما وجدت رقم هاتفك مسجلاً على هاتف روى، أردت الاطمئنان عليك ومعرفة ما هو شعورك الآن. بدا عليك الحزن عندما غادرت القسم هذا الصباح".

وضعت الهاتف الخلوى بين أذنها وكتفيها وأخرجت المفكرة من حقيبتها وقالت: "يالك من جرىء، لكى تأتى بنفسك حتى قسم الشرطة!".

دونت فى المفكرة: لهجة جورجيا. ونبرة الصوت تنم عن الرضا والسخرية الواضحة.

"هذا لا يقلقني. أتعلمين أن روى قال من قبل إنك مثيرة ؟".

"هل اتصلت بى لتتحدث معى فى كلام قبيح أم لديك ما تود قوله؟".

دونت: عزيزتي، مثيرة، ترويع الأنثى.

"أنا أتسلى فقط لتمضية الوقت. بالمناسبة لا تضيعى وقتك فى محاولة تعقب هذه المكالمة. أليس من المدهش فى العصر الذى نعيش فيه أنه من الممكن أن يتحدث المرء من هاتف به بضع دقائق ثم يتخلص منه؟ لم أر طفلتك تخرج لتذهب للمدرسة، أتمنى ألا تكون مريضة".

اهتزت المفكرة فى يدها ووقعت على الرصيف وقاومت بضراوة الشعور بالغضب العارم ثم قالت: "هل تتجسس على الفتيات الصغيرات؟ هذا شيء مهين لرجل ماهر مثلك".

قاومت بضراوة لتحافظ على هدوء صوتها وجثت على ركبتيها لتلتقط المفكرة وأخذت تدون ملاحظاتها:

يراقب المنزل والعائلة ويريدنى أن أعرف ذلك.

"لماذا لا نتقابل معا، أنا وأنت، ونتحدث كما يجب، بخصوص كل التفاصيل؟".

"أعدك أن ذلك سيحدث، سنتحدث معا لمدة طويلة، ولن تعرفى متى ولا كيف ولا لماذا إلا عندما يحدث ذلك".

"من كانت؟ هل كنت تحبها؟ كيف ماتت؟".

"سنتحدث معا لاحقا عن كل هذا، أتعلمين أنه كان يمكننى أن أقتل صديقك ليلة عشائكم الرومانسى فى القارب الشراعي؟ كان معى سلاحي. ربما سأفعل هذا المرة القادمة، وأعطى لنفسى الضوء الأخضر لهذا. وداعا يا فيبي".

قالت فيبى لسايكس: "لقد أغلق الخط".

"دعى هاتفك مفتوحا، سنحاول تتبع الإشارات".

"إنه هاتف غير مسجل باسم، ومن المؤكد أنه ظل يتحرك أثناء المكالمة؛ لأننى سمعت صوت السيارات، وأكيد سيتخلص من الهاتف الخلوي، فهو ذكى جدا وسيفعل ذلك".

نظرت حولها عبر الشارع والمتاجر الصغيرة المتجاورة. ربما يكون فى أى مكان. ربما كان يقود سيارته بالقرب منها وهى تتحدث معه. من أين لها أن تعرف؟

نهضت ببطء من جلستها على الرصيف وقالت بعد أن فحصت ملاحظاتها: "أعتقد أنه شرطي".

"ماذا؟".

"إنه ذكى، ولكنه متعجرف ومغرور أيضا".

"هل هذا دليل كاف على أنه شرطى؟".

"نعم، خاصة أنه يريد إظهار أنه الأذكى والأفضل". طرقت على المفكرة بالقلم وأردفت قائلة: "قال إنه كان بمقدوره قتل دانكان كما يزعم، عندما تناولنا العشاء على متن قاربه. قال إنه كان يمكنه استخدام سلاحه، وقد يعطى لنفسه الضوء الأخضر المرة القادمة".

قال سايكس: "كيف ....انتظري". مال سايكس برأسه بعيدا عنها وأنصت لهاتفه لبرهة ثم قال لها: "تتبعوا الإشارة، كانت فى

شارع ريفر غربا، ثم اختفت الإشارة فجأة".

"لابد أنه تخلص من الهاتف الخلوى عن طريق إلقائه فى النهر. اشتراه ليرهبنى ثم تخلص منه، استثمار صغير له نتائج كبرى. لكن كلماته ومفرداته وأسلوبه كالشرطة. لم يقل أقتل صديقك فحسب بل قال"كان معى سلاحي"و ذكر كلمة"الضوء الأخضر". هذه مفردات الشرطة أو الجيش".

رفعت يدها نحو سايكس قبل أن يتفوه بأى شيء وسارت بضع خطوات جيئة وذهابا عبر الرصيف وهى تفكر ثم قالت: "بالطبع من يشاهد التلفاز يمكنه التقاط اللهجة، لكنها كانت تصدر منه بسلاسة وبشكل طبيعي. لا أظنه خطط لاستخدامها، بل لأنه قرر ترويعى فتحدث على طبيعته."الضوء الأخضر لإطلاق النار"ليس مصطلحًا عاديًا يستخدمه أى مواطن مدني،بل هو من الشرطة أو الجيش، سواء حاليا أم سابقا".

"تم إثبات عدم تورط آرنى فى الأمر".

"الأمر أقدم من مشكلتى معه، فالجانى ليس مجرد أحمق يكره النساء مثل ميكس، وسأجده من بين ملفاتي، لابد أننى سأجده بها فى مكان ما. سأتصل بدانكان وأتأكد من أنه تحت الحماية، وسأعمل بكل جهدى للتوصل للمجرم اللعين".

راقبها سايكس وهى تعود للسيارة بخطى سريعة وتضغط على الهاتف الخلوى بغضب، وقال لنفسه إنه من الصعب عدم تقدير جمال امرأة حمراء الشعر وهى غاضبة. وقال لها وهو يلحق بها: "حسنا يا سيدتى".

سار دانكان نحو منزل الأم بى ولم يطرق الباب، لم يكن يضطر أبدا إلى أن يطرق الباب عندما يأتى لمنزلها. هتف باسمها، لكن بما أن التلفاز والمذياع كانا مطفأين، قرر أن يواصل طريقه عبر المنزل.

إن كانت بالداخل فستكون برفقة الصحبة المعتادة، فهى لا تحب الهدوء. سار عبر أرجاء المنزل بعفوية وتلقائية وكأنه فى منزله، ثم لمحها من نافذة المطبخ.

كانت جاثية على ركبتيها أمام أحد أحواض الزهور، وعلى رأسها قبعة من القش مزينة بالزهور البرية ذات الألوان البراقة. كما كانت ترتدى قفاز البستنة بلونه الوردى فى يديها الكبيرتين الكريمتين.

كان قلبها يفيض بالحب والدفء الذى يغمر أرجاء منزلها.

كانت بمثابة الأم له بعد أن صار رجلا، ومنحته عائلة كان يحلم بالانتماء إليها، ومنحته أيضًا إحساساً دافئًا بمعنى المنزل لم يجد مثله فى أى مكان آخر.

كان يعلم أن هناك إبريقًا من الشاى المثلج فى الثلاجة، وبسكويت فى البرطمان الذى على شكل البقرة الضاحكة. أخرج كوبين وملأهما بالثلج وأحضر طبقا من البسكويت، وحمل كل شيء إلى المائدة الصغيرة القابعة تحت المظلة الحمراء قبل أن يجتاز الحديقة ليصل إليها.

كانت تدندن بصوتها الخفيض الأجش أغنية"رصيف الخليج"، وعرفها دانكان عندما رأى مشغل الموسيقى المربوط بالدبوس فى قميصها، وخمن أنها تغنيها مع المغنى"أوتيس".

بدأ يقترب منها ولمس كتفها وتمنى ألا يفزعها، لكنه هو الذى فزع منها عندما قالت فجأة:

"لماذا لا تشغل نفسك بأى عمل مفيد يا فتى؟".

"خلتك لم تسمعينى عندما جئت".

"لم أسمعك". أغلقت الموسيقى بينما جلس القرفصاء بجوارها ثم نظرت له بحنان جارف وأردفت قائلة: "لكن لديك ظلاً مميزًا. أليس لديك عمل اليوم يا دانكان؟".

"عقدت اجتماعًا هذا الصباح عن مشروع المخزن، ولدىَّ مهام أخرى لاحقًا. لكن الحياة لا تستحق العيش فيها إن لم يستقطع الرجل جزءًا من وقته ليغازل حب حياته".

ابتسمت له ابتسامة واسعة وضغطت بإصبعها على صدره وقالت: "كلام زائف. على أية حال، واصل مغازلتك وأنت تنتزع بعض الحشائش الضارة اللعينة".

ربما أخفت القبعة جزءًا كبير من وجهها، ومع ذلك تصببت

قطرات العرق من صدغيها. شعر دانكان بأنها يجب أن تكتفى من البستنة الآن فقال: "سأقتلع لك الحشائش الضارة بعد أن نتغازل معًا مع احتساء أكواب الشاى وتناول البسكويت".

زمت شفتيها ونظرت باتجاه المائدة وقالت: "هذا يبدو جذابا، إذن ساعدنى على النهوض".

عندما جلسا على المائدة، وضعت القفاز فى جيب مئزر البستنة واحتست جرعة كبيرة من الشاى المثلج وقالت: "كف عن العمل لباقى اليوم. سيكون الجو حارًا وقائظًا عصرًا، إلا إذا كنت ستباشر بعض الأعمال داخل المباني".

"بعض مهام اليوم داخل المبانى والبعض الآخر خارجها. لماذا لا تجعليننى أرسلك فى رحلة بحرية هذا الصيف؟ أو أى مكان آخر تفضلينه".

"بل يعجبنى قضاء الصيف فى منزلي. قل لى ما يدور فى عقلك الآن. لم تأت لمغازلتى فحسب، هل أنت قلق بشأن صديقتك ذات الشعر الأحمر؟ أخبرنى فينياس بما حدث لطليقها. قال لى إنك حضرت ما حدث".

احتسى دانكان جرعة كبيرة من الشاى المثلج ثم قال: "بالفعل... لا أجد كلمة تكفى لوصف بشاعة ما رأيته".

"الكلمة المناسبة هى الشر. صار الناس يتشدقون بهذه الكلمة كثيرا حتى فقدت قوة إيحاءاتها المخيفة، لكنها الكلمة المناسبة لوصف ما حدث. هل تعانى من اضطرابات النوم؟ يمكننى إعداد مشروب مغلى من الأعشاب ليساعدك على النوم".

"كلا، لا داعى لذلك، فأنا بخير. لكن الأمر برمته أسوأ من هذا. كان هذا القاتل هو من قتل الفتى فى حادث متجر الخمور. أطلق عليه النار بعد أن أقنعته فيبى بالاستسلام. أنا قلق بشأنها جدا، رغم أنها تعرف ما تفعله لكن...".

"عندما تهتم بأحد فمن الطبيعى أن تقلق بشأنه".

"لقد اضطرت لحبس عائلتها داخل منزلهم فى شارع جونز، بينما خرجت لتفعل كل ما يمكن للوصول للقاتل. كما أن أمها تعرضت لصدمات بشعة.....".

وجد نفسه يحكى لها كل ما يعرفه عن آل ماكنامارا، كل ما يعرفه وما استنتجه وما لاحظه.

قالت له: "الفتاة تتحمل عبء الكثير من المسئوليات، علاوة على تربية طفلة فى غياب الأب، هذا فضلاً عن حالة أمها المريضة". نظرت للحديقة وهى تفكر ثم أردفت: "لا أعلم ما الذى قد أفعله إن لم أتمكن من مغادرة المنزل ولا أذهب لأى مكان أريده، كالسوق أو الجيران. الخوف عبء كبير للغاية، وكذلك المسئولية. الأمر معقد يا دانكان، حتى بدون المشاكل البشعة التى زادت مؤخرا".

"فيبى بمثابة الرباط الذى يحمى نظام عائلتها بالطريقة المناسبة لها. إنها مثل صمام الأمان، فهى تعرف ما تقوم به. هذا ما لمحته فيها منذ أول دقيقة عندما دخلت شقة جو الانتحارى لتقنعه بالعدول عن قرار الانتحار. إنها جذابة وأخاذة للغاية".

"لقد وقعت فى غرامها، أليس كذلك؟".

ابتسم قليلا ثم رفع كوبه وقال: "هذا صحيح، لكن اتضح أن التوقيت سيئ، من الصعب أن يعرض المرء حبه على امرأة تحيط بها هذه الظروف". هز كتفيه بلا اكتراث وتابع: "فلتنتظر الرومانسية لبعض الوقت، لكن لا يمكن لمهمة التوصل للقاتل اللعين أن تنتظر".

هزت القبعة كالمروحة أمام وجهها و تفرست وجهه قائلة: "مهمتها هى التوصل إليه، ومن الصعب عليك التراجع وتركها تقوم بذلك بمفردها".

"حسنا، أعترف بذلك، وخاصة فى هذا الموقف على أية حال" ثم استدرك عندما ضاقت عيناها: "اللعنة! آسف، الجانى يريد النيل منها وقتلها، والأدهى أنه يريد تعذيبها أولا، وإن كنت مهتمة بأمر شخص ما، هل من المفترض أن تتراجعى بينما هناك من يحاول إلحاق الأذى به؟".

قسمت قطعة بسكويت إلى نصفين وأعطته نصيبه وقالت: "ألهذا جئت؟ تريدنى أن أسدى لك نصيحة فيما يجب أن تفعله؟".

"كلا ليس بالضبط، فهى تشبهك كثيرا، وتقوم بما يجب القيام

به، وتعتنى بعائلتها. ومن المؤكد أنها لا تحب أن يملى عليها أحد ما يجب أن تفعله، أو ما لا تستطيع القيام به. أريد أن أتوصل لطريقة أساعدها بها دون أن تشعر- بشكل لا يثير غضبها فهى سريعة الغضب- حتى لا تصرفنى بدافع الكبرياء أو الغضب".

"همم، يبدو أنك فكرت فى أننى جلست فى الشمس فترة طويلة ويجب أن أجلس وأحتسى مشروبًا مثلجًا، وبدون اعتراض".

ابتسم ابتسامة واسعة قبل أن يأكل البسكويت وقال: "نعم، شيء من هذا القبيل".

"كم أنت ذكى ولئيم يا دانكان، طوال عمرى معجبة بذكائك. ستجد حلاً لتلك المعضلة بنفسك، والآن اذهب لاقتلاع الحشائش الضارة بينما أحتسى كوبا آخر من الشاى المثلج".

"حسنا يا سيدتي".

رن هاتفه الخلوى عندما نهض من مقعده. قرأ اسم المتصل على الشاشة وقال: "إنها فيبي". ثم فتح الهاتف وقال: "أهلا، كنت على وشك الاتصال بك و....".

راقبت وجه دانكان وهى تصب لنفسها كوبا آخر من الشاى المثلج، ورأت فى عينيه علامات التوتر. كانت تعرف أن دانكان سريع الغضب مثل فيبي.

قال دانكان عبر الهاتف: "لدى موعدا عمل اليوم. كلا فلن أقوم بتأجيلهما.....كفى عن هذا يا فيبي. اصمتى لدقيقة بحق الجحيم، لن أقوم بتأجيل مواعيدى لمجرد أن هناك مجنونا أو مريضا نفسيا سيسعى خلفى فى شوارع سافانا ليقرر هل سيقتلنى أو يلحق بى الأذى أم لا، ولن أحبس نفسى فى منزلى كالفتاة المصابة بحالة هيستريا. لاحظى أننى رجل شجاع!".

أخفضت الأم بى رأسها وهزتها وتنهدت.

صاح دانكان: "اللعنة! لا يهمنى رأيك فى الرجولة! لن تتمكنى من احتجازى فى القسم بهدف حمايتى بالإجبار. حاولى فعل ذلك وستندمين! سنرى أينا أكثر عندا ورجولة! سنتحدث لاحقا إن شئت وجها لوجه. الآن أيتها الملازم ماكنامارا، أنا مشغول، أراك لاحقا".

أغلق الهاتف فى وجهها ودفعه بغضب داخل جيبه قائلا:

"تريدنى أن أجمد كل نشاطاتى اليومية وأختبئ كالجبناء فى منزلي، ثم هددتنى بأن تطلق علىَّ رجال الشرطة لكى يحتجزونى فى القسم بهدف حمايتى بالإجبار، وتقول إن هذا من أجل سلامتي. اللعنة!".

صاحت به عندما أخرج هاتفه الخلوى بعصبية من جيبه: "من الذى ستتصل به الآن؟".

"ابنك فين المحامى الخاص بي، سأريها كيف......".

"أنه هذه المكالمة يا أحمق. والآن اذهب لاقتلاع الحشائش الضارة حتى تهدأ قليلا".

"لن أسمح لها...".

"لن تسمح لها ولن تسمح لك، حسنا، حسنا، تحدث معها لاحقا وجها لوجه كما قلت لها، لا تزد الأمور سوءًا بالاتصال بالمحامين، ولا تتصل بـ فينياس حتى يداهم رجال الشرطة منزلك. والآن، اذهب لاقتلاع الحشائش الضارة من حوض الزهور".

عندما نهض دانكان متذمرا ليطيع أمرها، شعرت كم أن العشاق يشبهون الأطفال بشجارهم الدائم لنصف الوقت.

بالطبع، كانت تفتقد هذا الجزء فى علاقتها بالرجال.

٢٦

في حجرة فريق الشرطة، استخدمت فيبى السبورة البيضاء لإعداد رسم بيانى، وعندما شرعت فى الرسم وإضافة المزيد من الأسماء، حاولت جاهدة أن تمنع عقلها من تذكر الحوار الذى دار بينها وبين دانكان.

يا له من ذكورى أحمق وعنيد يفخر بفحولته وذكورته عندما تتوقع هى منه أن يتخذ احتياطات أمنية مناسبة.

لم تتوقع منه هذا الاتجاه أبدا، هذا يوضح كيفية أن المرء قد يخطئ أحيانا فى حكمه على الناس.

إن أطلق عليه الرصاص فلا يلوم إلا نفسه.

اضطرت للتوقف عن عملها وأن تغلق عينيها وتأمر نفسها بأن تهدأ.

لكن لن يحدث ذلك؛ فإن لم تتوصل هى لمكان دانكان، فكيف قد

يصل إليه قاتل روى؟ ولماذا يهتم بملاحقته عبر المدينة ويهدر وقته وطاقته ويجازف بكشف أمره بأن يأتى بتصرف أحمق؟

إنه أذكى من ذلك بكثير.

لديه خطة، وهى متأكدة من ذلك، ولم يكن ليفشيها لها بأن يقول لها صراحة إن دانكان هو هدفه الأساسى والمباشر. وحتى لو كان الأمر كذلك، فمازال هناك بعض الوقت.

لقد تركت نفسها تفزع وهى تعلم أن هناك أمورًا أفضل فى تلك الحالات.

كانت طريقة التوصل لإجابات عن تساؤلاتها هى التفكير الهادئ العقلاني.

استدعت محققًا آخر وضابطًا محترفًا وطلبت منهما تقديم الاستشارة فى هذه القضية بشكل رسمى.

قالت وهى تكتب على السبورة البيضاء المعلقة على الحائط: "نعتقد أن المجرم مرتبط بإحدى الضحايا من النساء فى موقف سابق كان به رهائن أو حادث انتحار أو أية أزمة أخرى كنت أنا فيها المفاوضة، وأنه استهدف وخطف وقتل روى سكواير بسبب علاقته بي. نعلم أنه على دراية كبيرة بالمتفجرات، وأنه انتقل من منطقة هيلتون هيد إلى سافانا مع روى فى سيارة روى بعد أن قام باختطافه، ووجدنا السيارة متروكة ونظيفة للغاية فى صالة انتظار السيارات على طريق المطار. ونفترض أنه استقل سيارته من هناك أو استقل سيارة أجرة. لا نعلم، على وجه التأكيد، كيف وصل إلى منطقة هيلتون هيد".

استدارت وقالت: "أريدك أيها المحقق بيترز أن تتحقق من السيارات التى تم تأجيرها لمشوار واحد فى سافانا نحو منطقة هيلتون هيد، وكذلك تذاكر الحافلات والقطارات والطائرات لاتجاه واحد بلا عودة، أو أية رحلات متعددة الجهات تم شراؤها ولم تستخدم إلا لاتجاه واحد. ربما استأجر طائرة خاصة، لا نعلم إمكانياته المادية بعد. حاول معرفة أكبر كم ممكن عن المعلومات من الطائرات الخاصة التى اتجهت نحو منطقة هيلتون هيد خلال الأسبوع الماضي".

قال سايكس: "ولماذا لم يستخدم سيارته ذهابا وإيابا؟ إن كان يملك سيارة فالرحلة بها لن تستغرق وقتا طويلا، لماذا استخدم سيارة الضحية لنقله؟".

"لا نعلم سبب ذلك أيضا، ربما لا يملك سيارة".

قال نابلى العضو الجديد فى الفريق: "أو ربما سيارته لا تصلح لنقل رجل كبير مخطوف مقيد ومكمم، لمسافة أربعين أو خمسين ميلاً".

قالت فيبي: "ربما سيارته صغيرة الحجم".

قال نابلى: "ربما كانت سيارة رياضية صغيرة بلا حقيبة خلفية لإخفاء المختطف". عض نابلى على شفته السفلى الغليظة البارزة وقال: "أو ربما أعجبته فكرة أن نحتار فى ذلك ونقضى الوقت فى التوصل لحل اللغز".

قالت فيبي: "هذا احتمال كبير". صمتت لبرهة لتشرب من زجاجة الماء وأردفت قائلة: "من الممكن جدا فى رأيى أن الجانى قد تلقى تدريبا عسكريا فى الجيش أو الشرطة؛ فهو يعلم كيفية عمل الشرطة، وربما فعل كل هذا ليضيف إلى العمل المضنى. الدليل على أنه قد تلقى تدريبا عسكريا هو قدرته على التسلل وسط صفوف الشرطة فى أزمة جونسون وقتله وتسلل للخارج دون أن يجذب إليه أدنى انتباه".

قال سايكس: "ربما كان يرتدى زى الشرطة الرسمى أو كانت معه شارة الشرطة".

"نعم، لقد اخترق مواقع وصفوف الشرطة، ثم البناية السكنية وشقة ريانا كرتس. تم إخلاء المبنى وهرعت خارج المنزل مع أطفالها .ولم تتذكر هل أغلقت الباب أم لا. وبطريقة أو بأخرى، تمكن من اقتحام البناية واختيار هذا المنزل والنافذة تحديدا، لكن لماذا؟".

"ربما كان يعلم أنها ليست زاوية مثالية ولن يستخدمها أفراد فريق العمليات الخاصة أو يقوموا بتغطيتها".

قالت فيبي: "أنا أؤيد هذا الرأي. كما أن الزهور الحمراء عند القبر تشير لارتباط القاتل بامرأة قد ماتت فى الغالب. وهذه قائمة بأسماء القتلى من النساء فى حوادث التفاوض التى اشتركت

فيها مع الشرطة ومكتب المباحث الفيدرالية".

"بريندا فولك كانت حالة انتحار، وزوجها اتضح أنه ليس القاتل، وتم التحقق أيضًا من أن أباها وأخاها كانا فى منطقة الميسيسيبى أثناء اختطاف ومقتل روى. لا يوجد أشخاص آخرون مرتبطون بها ولديهم الدافع أو توافرت لهم الفرصة للقيام بذلك. ستجدون قائمة مرفقة فى ملف هذه القضية بأسماء الضباط المشتركين معى فيها. لا يوجد ارتباط شخصى بينهم وبين بريندا فولك".

قال سايكس: "ربما لا علاقة للقاتل بهم، ربما كان شرطيًا أو فيدراليًا مجنونًا قرر الانتقام من الناجحين فى عملهم بدافع الحقد أيتها الملازم".

قالت فيبي: "هذا يصعب مهمة الوصول إليه. الضحية التالية، وفقا للترتيب الزمني، هى كريستينا فندى. كانت عضوة فى جماعة إرهابية صغيرة ومتطرفة تسمى"صانداون". رغم عدم تنظيمهم وقلة مواردهم المالية، تمكنوا من اقتحام منزل مدير تنفيذى لإحدى المطارات أثناء حفل عشاء واحتجزوا خمس عشرة رهينة".

قال نابلى: "أتذكر هذا الحادث، ولقد تفاوضت فيه أنت".

"هذا صحيح، كانت مطالبهم متطرفة وصعبة المنال، لم يفكروا فيها جيدا. بعد اثنتى عشرة ساعة من التفاوض، ومعرفة أن هناك رهينة واحدة على الأقل جريحًا بشكل خطير، إن لم يكن قد مات بالفعل، قرر فريق العمليات الخاصة اقتحام المكان".

"لكنى أتذكر أنك تمكنت من إقناعهم بإخراج الأطفال بالإضافة إلى سيدة كانت حاملاً".

"وافقوا وقتها على إخراج طفلى المدير التنفيذى وسيدة كانت حاملاً فى شهرها السابع من المدعوين، مما قلص عدد الرهائن إلى اثنتى عشرة رهينة. تمكن فردان من فريق العمليات الخاصة من التسلل للداخل عبر نافذة فى الطابق الثاني، وقبضا على اثنين من محتجزى الرهائن. أطلقت فندى النيران عليهما فأردياها قتيلة، وتم إلقاء القبض على الإرهابى المتبقى، ومازال فى السجن حتى الآن".

تذكرت فيبى كم كان الأمر مروعا، وخاصة الصراخ وصوت الرصاص.

قالت فيبي: "كان والدها يعمل فى الجيش حتى تقاعده مؤخرا. كان قد تبرأ منها ومن أفعالها منذ فترة طويلة قبل مصرعها. لم يكن فى سافانا أو منطقة هيلتون هيد أثناء اختطاف ومقتل روى. ولكن ربما كان أحد معارفها من الأعضاء السابقين لجماعة صانداون المنحلة حاليا فى الجيش، وربما هو من نبحث عنه".

دفعت شعرها بيديها للوراء وتابعت: "طلبت من مكتب المباحث الفيدرالية التحرى من هذه الزاوية". رأت تعبيرات وجهيهما وأردفت قائلة: "أعلم أنها قضية قسم شرطة سافانا، لكن مصادر مكتب المباحث الفيدرالية لهذا النوع من التحرى أوسع وأشمل وأعمق من مصادرنا".

"التالى فى القائمة فيليبا ديلراى، التى قتلت فى حادث اختطاف سيارة. كانت ابنتها البالغة من العمر خمس سنوات معها فى السيارة، ثم صارت رهينة للرجلين اللذين خطفا السيارة. لاحقتهما قوات الشرطة حتى مرآب فى الحى الغربى حيث احتميا به. نجحت المفاوضات وأطلقا سراح الطفلة واستسلما. كان أخو فيليبا ديلراى يخدم فى ألمانيا وقت مقتل أخته. وهو يعيش الآن فى سافانا، وكذلك زوجها. يعمل الأخ الآن فى دوريات الشرطة واسمه ريكاردو سانشيز".

رفع الضابط ذو الزى الرسمى يده وقال: "أعرفه، أعرف ريك سانشيز، إنه رجل مستقيم".

"أتمنى أن تكون على حق، لكننا سنحقق معه على أية حال".

أدركت أنه ليس من الجيد أن يحقق شرطى مع شرطى آخر فاستدركت فى الحال: "سأحقق معه بنفسي. التالى فى القائمة أنجلا برينتاين، التى قتلت أثناء محاولة فاشلة لسرقة بنك. أصيبت فى المرحلة الأولى، ورفض محتجزو الرهائن أن تسعفها الشرطة، وماتت متأثرة بجراحها وهى فى طريقها للمستشفى بعد أربع ساعات من بداية المفاوضات عندما تمكنا من إقناعهم بتركها. زوجها جوشوا برينتاين كان فى رحلة عمل فى نيويورك، وتزوج مرة أخرى بعد تسعة عشر شهرًا من وفاتها، ولم يخدم فى الجيش من قبل وليس لديه خبرة عسكرية. وليس لها أقارب ذكور آخرون

على قيد الحياة".

قال سايكس: "كانت هناك تغطية إعلامية كبيرة لتلك القضية، ليس بسبب موجة سرقة البنوك التى توقفت هنا فحسب، لكن بسبب زوجة برينتاين. فهو قديم فى سافانا وله مركز اجتماعى كبير وثروة طائلة، ودارت الشائعات وقتها كما أذكر عن أن وفاتها أنقذه من قضية طلاق كانت ستكلفه الكثير من المال وفقدان السمعة".

قالت فيبي: "سأستجوب برينتاين بنفسى قريبا جدًا، أريدك أيها الضابط لاندو أن تعيد استجواب ريانا كورتس من الحادث فى شارع هيتش، أريدك أن تعرف منها أية تفاصيل تتذكرها قبل وأثناء وبعد أن تم إخلاؤها من منزلها، وتحدث مع الجيران فى المنازل المجاورة أيضا واصطحب معك ضابطًا آخر من اختيارك، سأحضر لك التصاريح اللازمة. وأنت أيها المحقق سايكس، تحر أعضاء فريق العمليات الخاصة عن نفس الحادث. أعتقد أنهم سيكونون... أكثر راحة الآن معكم أكثر مني. لا أريد أن أسبب لهم المشاكل، أريد فقط أن أسألهم ما إذا كانوا قد لمحوا ضابطًا آخر. سواء كان يرتدى الزى الرسمى أم حتى يحمل شارته فقط. ولم يتعرفوا عليه فى الحال، وإن تردد البعض فى التحدث عن ذلك، فأقترح أن تظهروا لهم بعض الصور من موقع جريمة القبر، بعد انفجار روى سكواير وتمزقه إربا".

"سأعتنى بهذا الأمر أيتها الملازم".

أومأت عندما رأت ديف يدخل وقالت: "شكرا لك، لنبدأ جميعا".

عندما أشار ديف لمكتبها، سارت أمامه نحو المكتب.

قال ديف: "فعلت الكثير فى وقت قصير يا فيبي. هل نلت قسطا وافرا من النوم؟".

"قليلا، لكنى فى الواقع كلما أخذت قسطا يسيرا من النوم، أرى نفس المشهد، أرى روى وهو مقيد بالأغلال، ثم الانفجار. أكون أفضل عندما أظل مستيقظة وأعمل. لا أشعر بالخوف وأنا أعمل، لكن عندما أتوقف عن العمل أشعر بالخوف.".

"كيف حال أسرتك؟".

"لا أعلم. ترى إلى متى سأظل أحبسهم فى المنزل؟ هذا بالطبع لا يزعج أمي". قالت ذلك وهى تخرج ضحكة صغيرة تنم عن التعب والمرارة فى آن واحد، ثم لم تلبث أن أردفت: "لكن ماذا عن الباقين؟ سأخرج واستجوب بعض الشهود وأقارب ومعارف الضحايا الأربع من النساء، سأجد الجانى بهذه الطريقة، أنا متأكدة من ذلك".

"خذى أحد رجال الشرطة معك".

"لا يمكننى ذلك. بالكاد يكفى عددهم للمهام مثل حراسة منزلى واصطحاب جوزى وكارتر للعمل وحراستهما".

جعلها التفكير فى كل هذا تشعر بالغثيان والرغبة فى التقيؤ، وقالت: "كما تعلم، لا يمكن الاستمرار فى هذا لفترة طويلة، ليس لدينا عدد كاف من الرجال، ولا الميزانية الكافية لاستمرار حراسة منزلى وعائلتى لفترة طويلة".

"كل هذا متاح اليوم، فكرى فى اللحظة الراهنة فقط لا فى المستقبل......كيف حال إيفا؟ هل الجميع يتعاملون جيدا مع الوضع الراهن؟".

"يتعامل الجميع بأفضل حال مع الوضع الراهن، وبخاصة إيفا، يمكنك الاتصال بها أو زيارتها فى المنزل، فهذا سيجلب لها الراحة النفسية".

وضع يديه فى جيوبه وقال: "همم، حسنا. سأذهب معك بنفسى فى مهام التحقيقات والتحرى، لكن لدىَّ اجتماع فى مجلس المدينة. إن اخترت مرافقًا معك من الخارج وليس من القوة المتاحة فى القسم الآن،فمن ستختارين؟".

شعرت بأنه أو إيفا يجب أن يتخذ زمام المبادرة قبل أن يتقدما فى السن، لكنها قالت: "سايكس قوى وممتاز فى عمله، لذلك جعلته يستجوب أعضاء فريق العمليات الخاصة. وكذلك ليز ألبرتا، رغم تخصصها فى حالات الاغتصاب، لكنها مستمعة ممتازة وقد تكتشف الكثير. لكن لا أعلم ما عدد القضايا التى تتولاها سوى هذا و......".

"سأعرف أنا ذلك وأنسق الأمور، فلتستريحى لمدة عشر دقائق وتتصلى بالمنزل للاطمئنان. بذلك ستشعرين بتحسن و تفكرين

بهدوء وصفاء ذهن".

"معك حق، استرح أنت لمدة خمس دقائق، واتصل بهم بنفسك لتطمئن أنت كذلك".

قابلت فيبى وليز المدعو سانشيز فى حديقة فورسايث، ووقفتا فى الظل معه ومع حصانه الذى تشع الحكمة من عينيه. الهواء الرطب فى الصباح تحول لحر قائظ فى الظهيرة، لذلك لمع جلد الحصان البنى بسبب العرق.

فكرت فيبى أن المكان قريب جدًا من المنزل بدرجة كبيرة بحيث يمكنه مراقبة منزلها بزيه الرسمى من فوق ظهر حصانه دون أن يلاحظه أحد.

وقف سانشيز بجوارها، وخمنت أن طوله خمسة أقدام وثمانى بوصات وبنية جسمه صلبة كالمحاربين، وكان هناك جرح غائر صغير مثل الخطاف تحت ركن من عينه اليسرى، وفكه صارم ينم عن العناد.

هل كان الرجل ذو غطاء الرأس الجلدى الذى يصفر أطول قليلا؟ ربما بمقدار بوصتين على الأكثر. لكن هل انتبهت له بالقدر الكافى لكى تتأكد؟

قال سانشيز عن أخته: "لم تكن مهتمة بالسيارة، وإنما كانت مهتمة بإخراج ابنتها ماريسا منها وقت الحادث. قاومتهم حتى يتركوا ابنتها فطعنوها بالسكين وتركوها تنزف حتى الموت فى الشارع".

قالت ليز: "هل كنت فى ألمانيا عندما وقع الحادث؟".

أومأ لها قائلا: "سمحوا لى هناك بإجازة الأزمات، حتى أعود للوطن وأحضر الجنازة. تأثرت أمى كثيرا و قررت أن أشد من أزرها بحضوري، كما أن زوج أختى ظلت حالته النفسية سيئة للغاية لعدة أيام".

قالت فيبي: "كان عمرك وقتها ١٩ عامًا وتتلقى تدريبا كإخصائى فى الأسلحة".

"كنت أريد العمل فى الجيش، وأن أسافر حول العالم وأخوض الحروب،.... لكن بعد مقتل فيليبا عدت للوطن".

"والتحقت بسلاح الفرسان بعد حوالى عامين".

ضاقت عيناه وقال: "هذا صحيح، ما الأمر أيتها الملازم ماكنامارا؟ قاتل أختى فى السجن، هل جئت لتقولى لى إنه سيخرج؟".

"كلا، هلا أخبرتنى أين كنت ليلة الأمس أيها الضابط سانشيز؟ بين الساعة الحادية عشرة مساءً والثالثة صباحًا؟".

قال بهدوء: "نعم، لكن لماذا؟ تسألين عن الوقت الذى انفجر فيه الرجل المسكين فى الجبانة، أليس كذلك؟".

"نعم، عن الوقت الذى انفجر فيه الرجل فى الجبانة".

"وما علاقتى بذلك؟".

"دعنى أطرح عليك سؤالا أولا. لم تقل لنا كيف نجت ابنة أختك بعد أن قتلت أختك؟".

"أخبرتك أن المجرمين قتلوها لأنها قاومتهم. ثم لحق بهم رجال الشرطة فى المرآب، بعد أن حبسوا أنفسهم بالداخل مع ماريسا. وأحاط رجال الشرطة بالمكان وأقنعوهم بتسليم الطفلة والاستسلام".

قالت فيبي: "ومن الذى أقنعهم بالاستسلام؟".

قال بانفعال: "الشرطة بالطبع". حرك الحصان رأسه فى نفاد صبر بسبب صوت سانشيز. فتحسس خده ليهدئه وتابع: "أنقذ رجال الشرطة الطفلة، بعد أن قتل الأوغاد أمًا تحاول الدفاع عن ابنتها. أنقذ رجال الشرطة ماريسا، لذلك التحقت بالشرطة".

شعرت فيبى بأن هذا الرجل ليس هو من تبحث عنه. وبعد أن تبادلت النظرات مع ليز وجدت أنها تتفق مع رأيها وقالت له: "كنت أنا المفاوضة التى خلصت ابنة أختك".

شحب وجهه وعاد لونه أكثر عمقا وصمت لبرهة وقال بصوت أجش: "أنت؟ لم أكن أعلم أنه كانت هناك مفاوضات مع المجرمين".

"ألم تطلب معرفة التفاصيل وقتها؟".

"عندما .....عندما عدت.....كان الجميع فى حالة صدمة كبرى، فى حالة حداد. كان كل شيء يبدو ضبابيا، ثم عدت لألمانيا لإنهاء فترة التدريب وبعدها عدت للوطن. لم أرغب فى معرفة أية تفاصيل. أردت نسيان كل شيء. كنت أريد...".

قالت ليز: "أن تصبح من رجال الشرطة ممن ينقذون الأرواح وينجدون الناس وقت الأزمات".

صمت لبرهة وأومأ لها قائلا: "نعم يا سيدتي. سألتما عن مكانى بالأمس؟ كنت البارحة فى منزل صديقتى". أخرج ورقة وقلمًا وقال وهو يكتب: "إليك الاسم ورقم الهاتف والعنوان. هل تريدان معرفة أية تفاصيل أخرى؟".

"بل هذا يكفي، شكرا لك أيها الضابط سانشيز".

عندما أخذت الورقة منه، أخرج حافظته من جيبه وقال: "ماريسا عمرها عشر سنوات الآن، ها هى صورتها".

فتح لها حافظته ونظرت فيبى لصورة الطفلة الصغيرة ذات الشعر الأسود والعينين السوداوين الجميلتين وقالت: "إنها جميلة للغاية".

"إنها تشبه أمها". ثم ضع حافظته فى جيبه ومد يده مصافحا وقال: "شكرا لك، من أختى".

عندما سارا عبر الطريق العريض حتى سيارة فيبى، قالت ليز: "الحياة مليئة بالغرائب، أليس كذلك؟ لقد غير مجرى حياته بسببك رغم أنك لم تقابليه قط قبل اليوم. لكنه التحق بالشرطة جزئيا على الأقل بسبب ما قمت به أنت فى يوم ما منذ خمس سنوات".

قالت فيبي: "ربما، وبسبب سخط شخص ما لما فعلته فى يوم آخر، قتل شخصين حتى الآن".

نظرت ليز فى الاتجاه الذى تنظر نحوه فيبى ووجدتها تحدق نحو منزلها فى شارع جونز. وقالت: "هل تريدين الذهاب للمنزل للاطمئنان عليهم؟".

"كلا، لنذهب للتحقيق مع الزوج لنغلق ملف هذه القضية. ثم

نواصل مع أقارب الضحية برينتاين".

كان ديلراى رجلاً هادئًا ورقيقًا ولم تكن فيبى بحاجة لأكثر من خمس دقائق لتعرف أنه قد يجد صعوبة فى سحق حشرة، فضلاً عن أن يقتل إنسانا بدم بارد.

لكن كان لديها انطباع مختلف تماما عن جوشوا برينتاين.

جعلهما تنتظران عشرين دقيقة فى قاعة الاستقبال فى مكتبه المطل على النهر. لاحظت فيبى بوادر عاصفة قوية وشيكة فى الأفق ناحية الشمال الشرقي.

أشارت لهما مساعدة برينتاين المتبرجة النحيلة بالدخول نحو مكتب برينتاين المطل على النهر، وكان المكتب مؤثثًا بأناقة جعلته يبدو كصالة استقبال فى منزل لا مجرد مكتب فى شركة كبيرة.

شعرت فيبى بأن الرجل المدعو برينتاين يشع مزيجا من الأناقة والقوة، وبدا كأنه مولود بالبدلة. وكان شعره لامعًا ومتموجًا للخلف من جبهته العالية الارستقراطية، وعيناه بنيتى اللون وحادتين كالصقر ولم تعكسا الابتسامة المصطنعة التى ارتسمت على شفتيه.

"أعتذر بشدة على الانتظار". قام من مقعده خلف مكتبه الأثرى وأشار لهما نحو قاعة الجلوس ذات الأريكة المنحوتة، والمقاعد التى كانت ظهورها على شكل أجنحة، وأردف قائلا: "جدول أعمالى مزدحم اليوم".

قالت فيبي: "نقدر أنك سمحت لنا بجزء من وقتك يا سيد برينتاين. أنا الملازم ماكنامارا، وهذه المحققة ألبرتا".

"تفضلا بالجلوس، أعترف أننى لا أعلم سبب هذه الزيارة الرسمية من أجمل شرطيتين فى المدينة".

"استدعى التحقيق فى قضية حالية التحقق من بعض التفاصيل الخاصة بحادث سرقة البنك الذى أسفر عن مقتل زوجتك".

تراجع للوراء فى مقعده وبدت عليه الحيرة بأدب وقال: "أحقا؟ كيف ذلك؟".

"ليس مسموحًا لى بإفشاء تفاصيل القضية الحالية لأن

التحقيق مازال مستمرا. وفقا للمعلومات فى هذا الملف، لم تكن فى سافانا وقت مصرع زوجتك".

"هذا صحيح، كنت فى رحلة عمل فى نيويورك".

نظرت فيبى حول أرجاء المكتب وقالت: "وفقا لطبيعة عملك، فلابد أنك تسافر كثيرا".

"هذا صحيح".

"والبنك الذى قتلت فيه زوجتك، لم تكن تتعامل معه وقتها فى أية أعمال، أليس كذلك؟".

"كلا، لم أكن أتعامل معه. ولا أفهم علاقة ذلك بأى شيء حالي، أيتها الملازم".

"نحن فقط نتأكد من بعض التفاصيل، وأعتذر عن إثارة الحادث المؤلم الحزين لذاكرتك مرة أخرى".

قالت فيبى لنفسها إنه لا يبدو متأثرا مثلما كان حال فولك المسكين عندما تذكر حادث زوجته بريندا.

"تتفق أقوال الشهود بأن السيدة برينتاين كان لها حساب جار فى هذا البنك، وقد جاءت يومها للبنك لسحب كل رصيدها وإغلاقه. أخبرنا بالمزيد عن هذا يا سيد برينتاين؛ فلقد وقع ذلك منذ ثلاثة أعوام، ولم نتوصل بعد لملفات البنك الخاصة بهذا الأمر".

هز كتفيه وقال: "ما الذى تريدين معرفته مني؟ كان لـ أنجيلا حساب شخصى صغير خاص بها، وكان به بضعة آلاف من الدولارات. ومن سوء حظها أنها توجهت للبنك فى ذلك اليوم، فى وقت السرقة بالضبط".

"لم تكن تعرف بوجود هذا الحساب الخاص؟".

"لم أقل ذلك، بل قلت إنه حساب خاص بها ومنفصل عن أموالى".

"آسفة، لكنى أتساءل لماذا يكون لزوجة ثرى مثلك حساب منفصل وخاص بها؟".

"غالبا كانت تستمتع بالاستقلال".

"لكن وفقا للملف، لم تكن زوجتك تعمل أثناء زواجها منك".

"هذا صحيح". رفع يده من مسند المقعد وفهمت فيبى أنها علامة دالة على نفاد صبره وقال لها: "كانت مشغولة برعاية منزلنا

واستضافة الضيوف والعمل مع المؤسسات الخيرية. أخشى أننى لن أتمكن من مساعدتكما بأكثر من هذا. اسمحا لى الآن...".

أصرت فيبى على مواصلة الحوار فقالت: "لكن أن تسحب كل رصيدها فى وقت واحد كان شيئا بارزا فى ملف القضية، وله علاقة بالقضية التى نحقق فيها حاليا، وهو أمر محير".

"لسوء الحظ، لن أتمكن ولن تتمكنى من سؤالها".

"هذا من سوء الحظ فعلا. ربما كانت ستشترى لك هدية، أو تبذر أموالها فى شيء أحمق. فأنا مسرفة عندما يكون فى متناول يدى مبلغ كاف من المال، كشأن كل النساء. ومن المؤكد أنه كانت لديها صديقات تثرثر معهن فى تلك الأمور التافهة التى لا يقولها النساء لأزواجهن".

"لا أفهم سر أهمية هذه التفاصيل فى أى شيء".

"ربما أنت محق. لا داعى للمراوغة، لكن عدم معرفة التفاصيل أمر يضايقنى، ستفيدنا إن أخبرتنا أين كنت البارحة من الساعة الحادية عشرة مساءً، وسنرحل بعدها على الفور".

صمت ببرود لمدة عشر ثوان وقال: "لا يروق لى التلميح وراء هذا السؤال".

"لا توجد أية تلميحات. أعتذر إن بدت أية تلميحات دون قصد منى، لكن سيفيدنا التحقق من مكانك ليلة أمس وإلا.....". توقفت فيبى ثم نظرت نحو ليز.

قالت ليز بابتسامة واسعة: "هذا سيضايقنا جميعا ويضطرنا لإضاعة المزيد من وقتك الثمين بالتحقيق معك فى القسم بشكل رسمى".

"كنت فى المسرح مع صديقة لى حتى ما بعد الساعة الحادية عشرة، واحتسينا بعض الشراب بعد ذلك. ثم عدت لمنزلى فى حوالى الساعة الواحدة صباحا. إن لم يكن هناك شيء آخر.....".

"شيء واحد صغير. اسم صديقتك، حتى نتأكد ولا نزعجك مرة أخرى".

نهض ثم قال: "كاثرين نورديك. سأطلب منكما مغادرة مكتبى فى الحال، وإن كان هناك المزيد من الأسئلة فسأتصل بالمحامى

الخاص بي".

"لا داعى لذلك. أعتذر مرة أخرى عن إثارة الحادث المؤلم الحزين لذاكرتك".

بعد أن خرجا من قاعة الاستقبال، نظرت ليز نحو فيبى قائلة: "هذا الرجل لا يروق لى".

"ولا أنا أيضا! إنه أحمق ويظن نفسه مهمًا. من الغريب أنه لم يتحدث معنا بشأن صديقات زوجته الراحلة وحساب البنك الخاص بها. لو كنت يا ليز متزوجة من رجل ثري، لماذا ستضعين أموالك فى حساب خاص؟".

"من باب الأمان فى حالة أنه هجرنى أو حتى أننى أنا التى تركته".

"وان كانت الزيجة مليئة بالمشاكل؟".

"كنت سأخبر صديقاتي. أشك فى أن بروده كزوج وتحكمه بها جعلها تريد حسابا مستقلا . حتى تتمكن من الإنفاق على حفلاتها ودعواتها والأنشطة الخيرية".

"ماذا لو كان لها عشيق؟"

"لسنا أجمل شرطيتين فحسب، بل متشائمتين أيضا".

عندما هبط بهما المصعد أدارت فيبى الفكرة فى رأسها وقالت: "همم. لا أرى أنه كان يحب زوجته الراحلة. ربما انفصل عنها منذ فترة وشطبها من حياته وكأنه يلغى اجتماع عمل. لكن لو كان لها عشيق....ربما كانت تخطط للهرب معه، وبالتالى أرادت سحب كل أموالها".

"وظهرت فى المكان الخطأ والتوقيت الخطأ. قتلها لص بنوك وعصابته، لكنهم سجنوا مدى الحياة. ربما هذا العشيق محطم القلب لم يكتف بذلك وأراد إلقاء اللوم على أحد".

"خاصة أن الجميع خرج حيا سواها، ولم أتمكن من إحضار الفريق الطبى فى الوقت المناسب".

قالت ليز: "بذلت كل ما فى وسعك دون جدوى. لست مخطئة يا فيبي، فلقد قرأت الملف أنا أيضا".

"إن كان لها عشيق وكان الشعور بالذنب يغمره بسبب أنها ذهبت للبنك من أجله، فلن يهمه أننى بذلت كل ما فى وسعى لإنقاذها.

لنتحر عن أصدقاء أنجيلا برينتاين ومصفف الشعر الخاص بها ومدربها الرياضي؛ فهؤلاء هم الأشخاص المعتادون الذين تشتكى لهم أية امرأة تعيسة. وربما نجد عشيقها من بينهم".

قالت ليز: "يمكننى الوصول لصديقتها المفضلة". أخرجت هاتفها من جيبها وهما تعبران البهو وتخرجان منه إلى الشارع، وأردفت قائلة: "لدىَّ صديق فى الشرطة معه ملف القضية، سأجعله يفحص تقرير زواج أنجيلا برينتاين. ربما تكون صديقتها المفضلة هى وصيفتها ولابد أنها حضرت الزفاف".

"ألست متفرغة لتكملى بقية الجولة معي؟".

"زوجى السابق ظننى متفرغة طوال الوقت فطردته من حياتى".

كانت جلينس كولبى طويلة ونحيلة وشقراء الشعر وترتدى: الجينز وتى - شيرت أبيض. وكانت تمتلك محلاً للتصوير الفوتوغرافى فى الطابق الثالث من بناية معاد ترميمها بالقرب من ميدان "جرين". كانت هناك الكثير من الديكورات والزينة معلقة على الحوائط، مثل كوب شاى ضخم ومجموعة كبيرة من دمى الحيوانات المحشوة.

نادت على مساعدها - كان فتى ضئيل الحجم شعره معقود على شكل ذيل حصان وابتسامته ملائكية- وكان اسمه داب وطلبت منه إحضار المشروبات المثلجة للجميع.

قالت: "مازلت أفتقدها. ورغم مرور أكثر من ثلاثة أعوام، أرى أمورا فى حياتى أود أن أثرثر عنها مع أنجى، وتنتابنى رغبة فى الاتصال بها، ثم أتذكر أنها ماتت".

هنا ظهرت المشاعر التى لم يظهرها جوشوا برينتاين. قالت فيبي: "هل كنتما أصدقاء منذ فترة طويلة؟".

"منذ أن كانت أعمارنا أربع عشرة سنة، كان جلين وأنجى وداب، أفضل أصدقاء العمر، كنا سنشتهر كالفرسان الثلاثة".

قالت ليز: "أعرف طبيعة عملك، لقد التقطت صور حمل ابنة عمي، كانت صورا رائعة. وكذلك صور الرضيع بعد الولادة، تستحقين سمعتك الطيبة فى مجال التصوير".

"عملنا يسير بشكل ممتاز، أليس كذلك يا داب؟".

بعد أن وضع صينية المشروبات على المائدة ضغط على يدها وقال: "كانت أنجي مهجة القلب".

تابعت جلينس: "كنا فريقًا ممتازًا، كانت أنجي متخصصة فى صور الأفراح، وأنا متخصصة فى صور الحمل والولادة والأطفال. وكان تكرار عملنا ممتعا، وكانت هى تحب الأفراح ولديها عين الخبيرة لتصويرها، وكان داب.....".

"أدير المكان والعمل".

قالت فيبي: "اعتقدت أن أنجيلا برينتاين لم تكن تعمل قبل موتها".

تبادلت النظرات مع داب وحركت حاجبيها ثم قالت: "كلا، لم يحب جوشوا ذلك ولم يحبنا. كان يظن أن لنا تأثيرًا سيئًا عليها".

قال داب: "كان يكرهنى أكثر".

وجهت جلينس ضربة خفيفة على ذراعه وقالت: "تحب أن تكون الأول دوما. كان يكرهنى أنا أيضا ويقول إننى حقيرة".

"كنت بالنسبة له الرجل الحقير المتسكع المتشرد، وهذا سبب أكبر لكراهيته لنا. كان قد قابلها فى حفل زفاف كانت تصور فيه. كان حفلاً راقيًا يضم صفوة المجتمع، وقتها كان عملنا يسير بشكل جيد وكنا نحصل على ربح وفير".

"كنا قد بدأنا العمل حينئذ من ثمانية شهور فقط".

"كانت جميلة جدا، شكلا وشخصية".

"كانت ساحرة وجذابة جدا، وهو ما جعل جوشوا يقع فى غرمها بشدة من الوهلة الأولى، ويحاول بكل جهده أن يجعلها تقع فى حبه". حركت جلينس يديها بحركة واسعة وقالت: "أغرقها بمساحة شاسعة من الزهور التى كان يرسلها لها يوميا- وبخاصة الورد الأحمر المفضل لديها، والعشاء الرومانسى الحالم على ضوء الشموع والرحلات الرومانسية. بعد ستة أسابيع تمت خطبتها له، وبعد ثلاثة شهور صارت السيدة جوشوا برينتاين".

قال داب وقد زم شفتيه وهو يقص النصف الآخر من الحكاية: "ثم بدأت المأساة، أجبرها على ترك العمل. كيف ستصور حفلات

زفاف الصفوة وهى مدعوة إليها كزوجة له؟".

قالت جلينس وهى تهز كتفيها بلا اكتراث: "قال لها إن واجبها يحتم عليها البقاء فى المنزل كزوجة، فاعتزلت العمل من أجله. كانت واقعة فى غرامه بجنون. ولم يرض عن اتصالها بنا، وكأننا نتعدى على ممتلكاته، لكنها كانت تختلس بعض الوقت لكى تتناول الغداء أو العشاء معنا أثناء سفره من الوقت لآخر، ولم تكن تخبره".

قال داب: "كان زوجها يعتبر اتصالها بنا أمرًا خطيرًا".

"ومتى بدأت تخون زوجها فى علاقة أخرى".

اتسعت عينا جلينس فى دهشة من سؤال فيبى وقالت: "كيف علمتم بالأمر؟".

"لماذا لا تخبرينا بالمزيد من المعلومات عن تلك العلاقة؟".

"لم تكن علاقة حقيرة ودنيئة؛ لأن أنجيلا ليست كذلك. كان جشوا متسلطًا ويريد أن يسيطر عليها، ولم يدعها فى حالها، مما زاد من تعاستها. وكان يتوقع أن تكون متفرغة لخدمته أربعًا وعشرين ساعة يوميا، بينما يفعل هو ما يحلو له".

وضع داب يده على كتف جلينس وقال: "اهدئى يا عزيزتي".

سحبت نفسا عميقا لتهدأ وقالت: "حسنا، كانت أنجيلا تعيسة، ولم يسعفها ورفض علاجها عند الطبيب النفسى عندما أصابها الاكتئاب. لم تكن تملك أى أموال لأن كل شيء باسم زوجها، أدركت أن الحل هو الطلاق. كانت تعمل معنا يومين كل أسبوع، وأحيانا أكثر إن سمحت لها الظروف. كانت تعمل فى التحميض و الإعداد والرتوش الرقمية وأية تفاصيل فنية أخرى نحتاج إليها، وكنا ندفع لها الحساب نقدا".

ناولها داب منديلا ورقيا لتمسح دموعها وقال: "قابلت رجلا ولم تقل لنا كيف وأين ولماذا، لكنها كانت سعيدة، وعاد لها بهاؤها ورونقها".

"متى تم ذلك؟".

"قبل حوالى ستة أشهر من مصرعها. كانت تطلق عليه اسمًا للتدليل هو لانسلوت".

"كيف كانا يتواصلان معا؟".

"اشترت هاتفًا خلويًا به بعض الدقائق، كانت فكرته، أليس كذلك يا داب؟".

"نعم، كانت تقول إنه يعلم دوما ما يجب فعله. لكن قاتليها الآن فى السجن، ما الهدف من استرجاع هذه الذكريات المؤلمة الآن؟".

"ستفيدنا هذه المعلومات فى قضية أخرى، وخاصة أية معلومات عن العشيق الغامض".

قالت جلينس: "أظنها قالت عنه إنه يسكن غرب المدينة، حيث كانا يلتقيان". نظرت إلى داب الذى أومأ لها، فأردفت قائلة: "رأيتها قبل الحادث بيوم، وعلمت أنها ستسافر بالطائرة لتعيش معه فى مكان آخر، وسترفع قضية طلاق. وبعد أن تحصل علية، ستتزوج من لانسلوت. كانت ستجلب أموالها من البنك وتنتقل للمعيشة فى رينو؛ لأن قضية الطلاق تستلزم المعيشة فى مكان آخر غير منزل الزوج. وأرادت أن يتم الطلاق بسرعة، كانت تحب أن يحدث كل شيء فى حياتها بسرعة دوما".

قالت فيبي: "هل تعلمان المزيد عنه؟ أى شيء قالته عنه مهما كانت التفاصيل تبدو تافهة".

قالت جلينس: "أعتقد أنه كان يمارس الرياضة كثيرا، تحدثت عن بنية جسمه القوى ونصائحه لها كى تمارس الرياضة للحصول على جسم قوى".

قال داب: "أتذكر أنها قالت إن عينيه زرقاوان، فقد ابتاعت له ذات مرة قميصا أزرق وقالت أنه مطابق للون عينيه، وقالت إنه يجيد الطهو".

"هذا صحيح، قالت لى ذات مرة إنها كانت تشعر بالإثارة عندما كانت تراه يطهو طعام العشاء. وأذكر أننى اندهشت جدا لأن الطهو لا يليق بمثل هذا النوع من الرجال".

"لماذا؟".

"من كل ما ذكرته عنه، ومن انطباعاتى، شعرت بأنه الصورة النمطية للذكورة، وقلقت عليها، وكذلك داب. بدا عشيقها مختلفًا تماما عن جوشوا، وتساءلنا هل أحبته كرد فعل لزواجها التعيس؟ كان سريع الغضب وغيورًا وصارمًا وبنية جسده قوية، وكأنه أحد

أصحاب الياقات الزرقاء".

"لماذا تقولين إنه ربما يكون من أصحاب الياقات الزرقاء؟".

"كانت أحيانا تقول إنه فارسها الأزرق. ربما بسبب لون عينيه، لكنى شعرت بأنه كالعمال أو العاملين من أصحاب الياقات الزرقاء".

فكرت فيبى وقالت لنفسها إنه ربما كان له زى رسمى أزرق فى الجيش مثلا.

"كان يحثها على الطلاق من جوشوا ولم يرق له أنها تعيش مع رجل غيره. رغم أن أنجى وجوشوا كانا شبه منفصلين منذ فترة طويلة، فإنها قالت إن لانسلوت كان يجن جنونه عندما يتخيلها مع رجل غيره. وأعجبتها غيرته عليها، لأنها تشعرها بالحب والرغبة، لكنى شعرت بأن هذا نوع من الاستغلال وإساءة المعاملة من جانب العشيق".

قال داب: "كانت بحاجة إلى راحة ومتنفس من حياتها، لتستعيد حياتها وشخصيتها الأصلية من جديد. كان هذا الرجل يعاملها وكأنها ملاك، ولا غنى عنها وأنه لن يمسها سوء طالما هو معها كما وعدها".

قالت جلينس برقة: "لكن أصابها سوء بالفعل، وجدت أسوأ شىء يمكن تخيله يحدث".

"ألم يتصل بكما بعد وفاتها؟".

"كلا".

سألتها فيبي: "أين الكاميرات الخاصة بها؟".

"لا أعلم، كانت تحتفظ بها مع هذا الرجل الغامض. كانت تملك آلتى تصوير، وظللت أفحص كل متاجر رهن الأشياء وبيع الأغراض القديمة فى حالة لو كان قد باعها. من اللطيف أن أستعيد هاتين الكاميرتين".

"هل كنت ستتعرفين عليهما؟".

"بالطبع، سأتعرف عليهما بمجرد وقوعهما فى يدى؛ حيث كانت أنجى ترسم وردة حمراء صغيرة أسفل كل معداتها، كأنها نوع من التوقيع. كانت تلك هى زهورها المفضلة".

قالت فيبى: "كانت هناك زهور حمراء عند القبر الذى كان روى مقيدًا فيه، القاتل الذى نبحث عنه هو لانسلوت". شعرت فيبى بالطاقة تتغلغل بداخلها بقوة لكونها تأكدت من كل هذا.

قالت ليز: "نعم، كل ما علينا الآن هو العثور على صاحب بنية قوية وعينين زرقاوين ويمكنه الطهو ويعيش غرب المدينة".

"لنضيف لذلك احتمال كونه من الشرطة. لكن كيف قابل شرطى من غرب المدينة الأميرة الحزينة من شارع جاستون؟". أغلقت فيبى عينيها وحاولت أن تفكر جيدا ثم قالت: "كانت تحضر الحفلات الخيرية الراقية الفخمة وكل مناسبات صفوة المجتمع، والكثير من أفراد الشرطة يعملون ليلا فى عمل إضافى كحرس أمن خاص. لنرى من اعتزل العمل من الشرطة فى السنوات الثلاث الأخيرة- من أفراد الشرطة الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والأربعين، فلابد أنه شاب وليس لديه الوقت ليستمر فى الشرطة ويخطط للانتقام فى الوقت نفسه".

"إن كنا على الطريق الصحيح، فلابد أن هاتفها الخلوى الثانى كان من بين متعلقاتها التى تسلمها زوجها بعد مقتلها فى البنك".

غفلت فيبى عن هذا الاستنتاج فأومأت نحو ليز مقدرة ذكاءها وقالت: "نعم، أنت محقة، ولابد أنه تحقق من المكالمات الواردة والصادرة، وعلم بخيانتها له. لندعه يقلق من ناحيتنا لبعض الوقت، بينما نغطى زاوية أخرى، ثم نعود إليه".

أخذت فيبى تنظر نحو السماء من جهة الشرق وهى تدخل السيارة. لن تتأخر العاصفة أكثر من هذا وستحدث حتمًا.

٢٧

قالت فيبى: "قد يكون فى أية جهة عسكرية أخرى، فى الجيش أو خارجه، لكن كل الأدلة تشير إلى أنه من الشرطة، مثل شخصية جارى كوبر المأمور فى فيلم "منتصف الظهيرة"، ولا يحب الخسارة، مثل جريس كيلى. هذا هو التصور المفترض للأمر. وبشكل رمزى، ما الذى يمثله موت أنجيلا برينتاين يوم مطالبتها بالاستقلال لكى تتزوج عشيقها، لقد قتلت فى معركة مسلحة. بالطبع قتلت على يد عتاة فى الإجرام لكن ـ فى عقل المجرم ـ لأننى كنت المفاوضة التى فشلت فى اتخاذ اللازم، واهتممت بأناس آخرين، أو على الأقل لم أسمح باتخاذ اللازم لإنقاذها، كان الشعور بالذنب بسبب الجبن من الأفكار الرئيسية للفيلم".

قال ديف: "لم تتصرفى بجبن أو بطريقة تستدعى الشعور بالذنب يا فيبى وقتئذ".

"لكن الأمر كذلك بالنسبة للمجرم، وظلت الفكرة مسيطرة عليه كالوسواس لمدة ثلاث سنوات، أى كان لديه الوقت الكافى ليدبر خطته. لم يكن لانسلوت فى أسطورة الملك آرثر مجرد شخص خدع الملك وخطف قلب زوجته، بل كان بمثابة البطل لعشيقته جوينيفر لأنه أنقذها عندما لم يتمكن أو يرغب فى ذلك الملك آرثر. لذلك، يرى الرجل نفسه بطلا وخاصة لـ أنجيلا، ولا يقبل الفشل أو الاستسلام للقدر. كان يجب إلقاء اللوم على أحد ولذلك اختارنى".

أردفت قائلة: "تأتى بعد ذلك مسألة القبر الذى قتل عنده روي، كان قبر وسلين أمبوسيان، وكانت ستصبح عروسا قبيل وفاتها بأيام من حفل الزواج، حيث غرقت فى النهر أثناء عاصفة. ويقال إنها هربت من عائلتها إلى جزيرة تيبى لتقابل حبيبها وتتزوجه بدلا من الزوج الذى اختاره أبوها. يحب الجانى الرموز مثل الملاك الذى يحرس القبر . أنجيلا . وقبر امرأة ماتت فى سبيلها نحو الحب الحقيقي، وهناك الورد الأحمر. إنه يحب إعطائى الرموز، ويريدنى فى النهاية أن أعرف لماذا يفعل كل هذا، وهذا ما يهمه حاليا".

"سأحضر لك قائمة بأسماء المشتبه بهم".

"لن يعترف جوشوا برينتاين بأن زوجته كانت تخونه؛ فهذا مهين ويقلل من شأنه، وكرامته لديه أهم من شخصين غريبين عنه قتلا أو حتى البقية التى قد تأتى".

مال ديف برأسه للأمام وقال: "الاعتراف ليس كالتأكيد، هذا إذا جعلته يظن أنك تعلمين بالفعل".

ابتسمت له قائلة: "أنت محق، شكرا على تذكيرى. سأجعله يظن أننى أعلم أكثر مما أعلمه بالفعل".

"سأقوم باتصالاتى لأرى كم سيستغرق الوقت لتحصلى على المعلومات اللازمة".

"شكرا لك، سأتصل بالمنزل أثناء ذلك، لأخبرهم أننى قد أتأخر".

خرجت، وبالكاد أخرجت هاتفها الخلوى من جيبها عندما أخرج ديف رأسه من باب مكتبه وهو يقول: "الحاسب الآلى معطل فى قسم الموارد البشرية نظرًا لأعمال التجديد وتحديث النظام، وسيستغرق الأمر بضع ساعات".

"يا إلهي، ألا توجد ملفات ورقية؟".

"بلى، ولكن تصفحها سيأخذ وقتًا أكبر من انتظار عودة التكنولوجيا. اذهبى للمنزل لتنالى قسطا من النوم وتطمئنى على عائلتك وتتناولى العشاء. سيخبروننى عندما ينتهون من الإصلاحات".

"حسنا، لماذا لا تتناول معنا العشاء فى المنزل أيضا؟".

كان الأمر مغريا، ولكنها كانت تبدو منهكة فقال: "فى يوم آخر، أريد قضاء بعض الوقت فى منزلى حتى أشاهد مباراة البيسبول. نحن جميعا بحاجة لفترة راحة قصيرة، اذهبى لشحن طاقتك".

بمجرد أن خرج ديف، لعن نفسه لأنه لم يطلب من فيبى توصيله للمنزل بسيارتها. ورغم أن منزله يبعد عن القسم بثلاث بنايات، لكنه تمنى الوصول لمنزله بسرعة قبل العاصفة.

ندم على رفض دعوة فيبى على العشاء. كان يريد رؤية إيفا معرفة كيف حالها وكيف تتصرف فى وقت الأزمة......

ذكر نفسه أن التوقيت كان سيئا بسبب الأزمة.

كانت إيفا مخطوبة عندما رآها ديف لأول مرة، ولم يكن من حقه أن يقع فى حبها، لكن هذا ما حدث. تذكر وهو يرفع كتفيه ليحمتى بهما من الرياح أنه لم يفعل أى شيء إزاء هذا الأمر. لقد ظل كما هو، صديق العائلة فحسب، فضلاً عن كونه ديف العجوز الطيب.

ظل يقنع نفسه طوال هذه السنوات بأنه لا يحب إيفا، لدرجة أنه تزوج لينساها.

تزوج فى الوقت الذى حصلت فيه إيفا على الطلاق.

كرر مرة أخرى أن مأساته تكمن فى التوقيت الخاطئ، وشعر

بالذنب كثيرا من جانبه رغم أنه كان يقول لنفسه كثيرا إنه بذل كل ما فى وسعه ليستمر زواجه وينجح، لكن حبه لـ إيفا حال دون ذلك.

وعندما لاحت بارقة أمل فى أن يتقدم لخطبتها الآن، ظهرت أزمة منزل آل ماكنامارا.

لم يكن أمامه خيار سوى أن يظل صديق العائلة فحسب، وأن يظل كما هو ديف العجوز الطيب، الذى سيتجه لمنزله الآن ليسخن طعاما جاهزا فى فرن الميكروويف.

دوى صفير الرياح ومالت وانثنت أطراف الأشجار وهو يسير بخطى مسرعة عبر الرصيف، وكان متضايقًا من استغراقه فى الرثاء على حاله. لو كان قد انتبه بالقدر الكافى، لكان غير بدلته وارتدى السترة لكى يمشى بسرعة حتى المنزل وهو ينعى حظه السيئ ويناجى ذكريات الماضى.

قبل مروره بالمربع السكنى الأول، بدأ الرعد والبرق فى السماء بشكل مخيف.

أسرع فى خطواته عندما دوى الرعد والبرق للمرة الثانية، وقرر أن يسرع الخطى نحو المنزل قبل أن يبلله المطر أو يصعقه البرق.

لكن على الأقل كانت الرياح قد سكنت قليلا، كان الجو اليوم حارًا ومفعمًا بالرطوبة.

رأى منزله على مرمى البصر، وتخيل أنه سيخلع بدلته ويحتسى الشراب البارد.

جنح نحو الممر المؤدى لمنزله وسار نحو الباب، ثم سمع صوت نفير سيارة من خلفه. نظر خلفه، وابتسم عندما رأى سيارة حمراء رياضية أنيقة تقترب من الرصيف.

كانت تلك سيارة ماجى جرانت المطلقة مرتين والتى تريد مغازلته. كانت قد أحرجته كثيرا بمداعباتها فى الآونة الأخيرة، ولكنه الآن يريد الدخول لمنزله ويعزل نفسه لمدة ساعة على انفراد ليرتاح.

أشار لها بمرح للتحية وواصل سيره قبل أن تستوقفه وتعطله.

دقت نفير سيارتها بإصرار عدة مرات، فما كان من إلا أن

استدار ليفتح الباب بعد أن لوح لها بيده مرة أخرى ووضع المفتاح فى الباب.

صاحت به: "يا ديفيد! يسرنى رؤيتك الآن. أحتاج لمساعدة رجل قوى مثلك".

شعر بالغيظ لأنه منذ عشر ثوان كان سيدخل المنزل لينعزل عن الجميع.

قال لها: "هاتفى يرن يا ماجي، دعينى....".

فتحت حقيبة سيارتها وابتسمت له لتقنعه ثم قالت: "أحتاج إليك لمدة دقيقتين لا أكثر، لدىَّ حقائب تسوق كثيرة. ما الذى فعلته بنفسى! سيهطل المطر فى أى وقت، هلا ساعدتنى على حمل حقائب التسوق يا بطلى من فضلك؟".

أخذ يسب ويلعن ويوبخ نفسه داخليا، ثم قال: "على الرحب والسعة".

حركت شعرها للخلف وقالت: "ستكون عاصفة شديدة، هذه ليلة يود المرء فيها الجلوس مع رفيق فى دفء المنزل".

فهم أنها تدعوه لقضاء الوقت معها، فقرر أن يتجنبها وسار نحو الرصيف ومعه الحقائب. بدأت أولى قطرات المطر فى الهطول وعصفت الرياح وحركت باب منزله. تردد للحظة هل يعود لإغلاقه أم يكمل عمله الطيب. قرر أن يغلق الباب أولا، لكن عندما استدار ليفعل ذلك، رأى الرجل الذى كان يقف فى الجهة المقابلة من الشارع.

كان يرتدى قبعة زرقاء ونظارة شمسية وسترة واقية من الرياح.

ثم وقع الانفجار الكبير.

لم تعرف فيبى كيف تشعر إزاء وجود سيارة دانكان خارج منزلها. شعرت من ناحية بالاطمئنان بعض الشىء، لأنها علمت أين هو الآن وأنه فى أمان. لكنها من ناحية أخرى كانت متضايقة لأنه لم

يتعاون معها هذا الصباح.

عندما دخلت منزلها واحتمت من غضب العاصفة سمعت ضحكات ابنتها التى تدل على كونها سعيدة. كان من الصعب أن تحتفظ بغضبها بينما سمعت ابنتها تضحك من السعادة.

سارت نحو الصالة ووجدت كارلى وكارتر ودانكان يلعبون"بنك الحظ"وهم جلوس على الأرض، ويبدو أن كارلى هزمت كلا الرجلين.

صاح دانكان متذمرا: "لا يمكن، هبطت فى أرضك مرة أخرى. هذا النرد مغشوش، الل...هراء".

قالت له: "كنت ستقول كلمة بذيئة".

ابتسم لها وقال: "ما هى؟".

"اللعنة!".

"كارلى آن ماكنامارا!".

كتمت كارلى ضحكتها وقالت وهى تنظر نحو أمها ببراءة: "أهلا يا أمى، لقد هزمت الخال كارتر ودانكان هزيمة ساحقة!".

"لاحظت ذلك، أين باقى العائلة؟".

قال لها كارتر وهو يبتسم ابتسامة واسعة أظهرت صفى أسنانه: "النساء فى المطبخ، حيث ينتمين. اذهبى معهن للمطبخ يا امرأة وأعدى لنا وجبة خفيفة".

سارت نحوهم وتركت حقيبتها على أحد المقاعد وقالت: "أخبرنى فقط أى نوع من الوجبات الخفيفة تريد؟"طرقت رأس كارتر بيدها على سبيل المزاح وأردفت: "لنرى هل هذه الضربة تعيد الصواب إلى عقلك أم لا، ولا داعى للوجبات الخفيفة قبيل العشاء. ستبقى معنا يا دانكان على العشاء بالطبع".

"دعيت وقبلت الدعوة، هل ستضربيننى على رأسى أنا أيضا؟".

أخبرها لمعان عينى دانكان أنه مازال غاضبا، فقالت فى نفسها إنه لا بأس فى ذلك أيضا. قالت فيبى: "سنرى كيف ستسير الليلة، أعتقد أنك أنجزت كل مهامك الملحة اليوم".

"بالطبع، وماذا عنك؟".

"فعلت الكثير أنا أيضا".

"لماذا أنت غاضبة من دانكان يا أمي؟".

"قائمة الأسباب طويلة، سأصعد لأبدل ملابسي. بعد أن تنتهي يا كارلي من إلحاق الهزيمة الساحقة بهما، رتبي المائدة، وسيساعدك الرجلان في نقل الأطباق".

قال دانكان لكارلي: "أي نوع من الأشغال الشاقة ستقوم أمك به؟".

رن هاتفها فقالت فيبي: "أنا....سأرد على الهاتف". أخرجته من جيبها وقالت: "أنا فيبي ماكنامارا".

انطفأ نور وجهها في ثانية ونهض دانكان عندما سمع كلماتها التي نطقتها بصوت متهدج.

"ماذا حدث؟ كيف.....". استدارت وسارت خارج الصالة وقالت: "ما مدى جروحه؟ كلا، كلا، أين؟ أنا في الطريق إلى هناك".

لاحظ دانكان أنها ارتدت قناع المرح من جديد على وجهها عندما عادت، لكن الخوف كان واضحًا في عينيها وهي تقول: "مضطرة للانصراف حالا".

"لكنك عدت للمنزل للتو".

"أعلم ذلك، آسفة يا حبيبتي". انحنت للأمام لتحضن ابنتها بعمق وتابعت: "أنا آسفة، هلا ذهبت لجدتك وأخبرتها ألا تنتظرني على العشاء؟ سأعود في أسرع وقت ممكن".

"هل أصيب أحدهم بسوء؟".

"تعرض العم ديف لحادث، يجب أن أطمئن عليه حالا".

اغرورقت عينا كارلي بالدموع وقالت: "هل أصيب بجروح خطيرة؟".

"أتمنى عكس ذلك. الأطباء يعتنون به في المستشفى الآن. لكني مضطرة للذهاب يا حبيبتي، وسأعود بأسرع ما يمكنني. أخبري جدتك أنني سأتصل لأطمئنها في أقرب فرصة. من فضلك يا كارتر......".

"سأعتني بالأمر هنا، لا داعي لأن تقلقي بشأننا. هل وقع له حادث سيارة؟".

أمسكت ذراعيه بكل قوة وقالت: "كلا، من فضلك، ابق داخل المنزل ولا تغادره وتأكد من عدم خروج أي شخص. سأتصل بك لاحقا".

قال دانكان: "سأوصلك".

لم تعارض دانكان، بل هرعت من الباب الأمامى وتبعها هو. قالت له: "إنه فى مستشفى"ميموريال". لقد وضع المجرم اللعين القنبلة عند باب منزله. هذا هو ما توصلوا إليه فقط حتى الآن....".

"سنرى لاحقا".

قالت فيبى: "إنه على قيد الحياة". ثم أغلقت عينيها بينما انطلق دانكان بسيارته عبر الشوارع. وأخذت تهز الهاتف بين يديها وكأنها تخشى أن يرن ويقول لها عكس ذلك وقالت: "لابد أنه اقتحم منزل ديف من الداخل ليزرع القنبلة عند الباب".

"لن يدخل لمنزل آل ماكنامارا يا فيبى".

شعرت بمزيج مؤلم بداخلها من مشاعر الخوف والحزن والذنب ثم قالت: "ليس هذا ما يريده الآن. لن يكون الأمر كذلك، لو أراد دخول منزلى لما حذرنى عن طريق مهاجمة ديف. لابد أن لديه خطة أخرى، لكنه الآن يريد أن يجرحنى نفسيا ثم ينفذ ما يريده للانتقام منى. يا إلهى! أنا فعلا مجروحة بشدة يا دانكان".

هرعت عبر باب حجرة الطوارئ فى المستشفى وشارتها فى يدها فأظهرتها لأول ممرضة صادفتها فى طريقها وقالت: "كيف حال ديفيد ماك فى؟".

"الأفضل أن تسألى.....".

"بل ستفعلين ذلك الآن بنفسك حالا".

"أيتها الملازم".

استدارت ووجدت سايكس فسألته: "أين هو؟ كيف حاله؟".

"إنهم يفحصونه، لم يخبرونا بأى شىء بعد. تحدثت لرجال الإسعاف الذين نقلوه، قالوا لى إنه مصاب بحروق وذراعه مكسورة، بالإضافة إلى جروح أخرى متفرقة، علاوة على جرح كبير فى رأسه. وهذا مصدر قلق كبير لهم الآن لأنهم يشتبهون فى وجود نزيف داخلى فى جسمه. كنت فى منزلى عندما تلقيت مكالمة بالخبر".

"أريد حارسين هنا فى حجرة الطوارئ، وأريد أن يلازماه أينما يذهبوا به".

قال سايكس وهو يرى دانكان وراء فيبى: "فعلت هذا بالفعل،

وهناك شاهدة أيتها الملازم. إنها جارته، لقد أصيبت بإصابات طفيفة ويخيطون لها جرحها الآن".

"أريد أن أراها بمجرد خروجها أيها المحقق... أعنى يا بول. أريد من أثق به لحراسة ديف بينما تتحدث أنت مع فريق خبراء القنابل ورؤساء الشرطة. أعلم أنك لا تريد أن تتركه". أمسكت يده وضغطت عليها وأردفت: "أعدك أن أتصل بك إن جد جديد، لكنى بحاجه لشخص أثق به هناك فى مسرح الحادث".

ربت سايكس بيده على وجهها القلق وقال: "حسنًا، دعيه يعلم عندما يفيق أننى بجواره وأن المكان يعج برجال الشرطة".

"سأفعل، شكرا لك".

قال دانكان بعد انصراف سايكس: "لم لا تجلسين؟".

"لا أظننى أستطيع الجلوس، لا يضايقنى الانتظار لكنى أريد أن أعرف حالته الآن... أو أى شيء، أريد أن أعرف فقط". تشبثت بذراعه عندما رأت فريق الأطباء يقتربون.

اندفعت للأمام ورأت جروح وحروق وجهه وجرحًا غائرًا فى صدغه الأيسر. كانت الملاءة التى تغطيه ملطخة ببقع الدماء.

"كيف حاله؟ إلى أين ستأخذونه؟".

"هل أنت من عائلته؟".

"نعم".

واصل الطبيب الشاب سيره نحو المصعد بسرعة وقال: "سنجرى له عملية جراحية لأنه مصاب بنزيف داخلى، سنخبرك بمجرد خروجه".

أشارت فيبى للضابطين بالزى الرسمى وقالت للطبيب: "سيحرسانه أينما ذهب. قفا أمام حجرة العمليات، سأعود بعد أن أتحدث مع الشاهدة".

تراجعت ورأتهم يدفعون بالرجل الذى تعتبره طوال حياتها والدها نحو المصعد.

وضع دانكان كلتا يديه على كتفيها وقال: "إنه أفضل مركز طبى فى المدينة، بل هو أفضل مركز طبى فى الولاية. لن يتلقى رعاية طبية أفضل فى مكان آخر".

"أعلم هذا، ليتنى أستطيع الانهيار إلى أن يخبرونى أنه بخير.....كان يجب أن تضع منزله فى حماية الشرطة من قبل. من يعرفنى يعرف مكانة ديف عندى، فهو بمثابة أبى".

قال لها دانكان: "اهدئى وتمهلى". ثم أخذها بين ذراعيه وقال: "يمكنك الانهيار الآن ولو لدقيقة واحدة".

تركت نفسها له وتعلقت به، وارتعشت وكان يمسك بها بذراعيه القويتين ويحيطها بهما عندما قالت: "أنا خائفة جدا، وعندما أخاف لا أعرف ماذا أفعل".

"ابقى بين ذراعى حتى تتوصلى لما تريدين عمله".

احتضنته بشدة وقالت: "لا تذهب لأى مكان، اتفقنا؟ هلا بقيت معى طوال الوقت؟".

"بالطبع يا فيبى". رفع ذقنها بيده ليرى عينيها وقال: "بالطبع سأظل معك".

تنهدت ومالت برأسها على كتفيه. أدركت مدى الارتياح الذى تشعر به لوجود شخص قوى يقف بجوارها ليشد من أزرها.

ابتعدت عنه ببطء وقالت: "كنت قد نسيت شعور أن يقف أحد إلى جوارى، ومن حسن حظى أننى استعدت هذا الشعور مع رجل يمكننى الاعتماد عليه".

لمحت ماجى تخرج من حجرة العلاج فتنفست الصعداء وقالت: "هذه جارة ديف. حسنا، لنتوجه إليها". سارت خطوتين للأمام وصاحت: "ماجى؟".

انتفض جسدها عندما سمعت من يناديها باسمها، واستدارت وأجهشت بالبكاء وارتمت فى حضن فيبى التى حاولت أن تهدئ من روعها حين قالت: "حسنًا، اهدئى الآن". وعندما جالت فيبى ببصرها لتبحث عن مكان شبه خال لتتحدث معها، قادها دانكان من كتفها نحو المقاعد.

قال دانكان لـ فيبى: "اجلسا هنا وسأحضر لكما القهوة".

"هذا جيد، كفى عن البكاء يا ماجى". هزتها من كتفيها بحزم وقالت: "كفى عن البكاء حتى نتحدث قليلاً".

"ديفيد. لابد أنه قد مات، يا إلهى!".

"لم يمت، سيجرون له عملية جراحية، ويعتنون به. كفى عن الهيستريا حالا! تنفسى بعمق، شهيق، زفير، هذا جيد. هذا أفضل. أخبرينى الآن بكل ما حدث منذ البداية".

سالت الدموع من عينيها وحركت يديها قائلة: "أقسم أننى لا أعلم شيئا".

"أخبرينى بما تعرفينه، هل كنت أمام منزل ديف؟".

"كلا، نعم، أعنى خرجت مع صديقتى. أعتقد أنك قابلتها من قبل، إنها ديلى التى كانت فى حفل الشواء عند ديفيد فى الصيف الماضي. ذهبنا للغداء فى مطعم وتسوقنا قليلا، ثم عدت للمنزل بالسيارة قبل بداية العاصفة ورأيت ديفيد".

غطت وجهها بيدها وأخذت تبكى، لكن فيبى جذبت يديها من وجهها بلا رحمة وقالت: "أقدر حزنك، لكن لا تكفى عن الكلام، أين كان ديف عندما رأيته؟ أخبرينى".

"كان يسير نحو الممر المؤدى لباب منزله، فدققت على نفير السيارة لأجذب انتباهه وطلبت منه معاونتى فى حمل حقائب التسوق والمشتريات. كان البرق والرعد قد اشتدا، وكان بالفعل قد فتح قفل الباب الأمامى، لكنه استدار ليساعدنى لأنه لطيف".

قاومت فيبى نفاد صبرها وأعطت ماجى عدة مناديل ورقية فى يدها وقالت: "لم يدخل منزله؟".

"كان على وشك الدخول لكنه ترك الباب ليساعدنى، ثم انفجر الباب فجأة. نعم، أتذكر هذا، هبت رياح قوية منه مع دوى الانفجار. وغالبا كان يهم بفتح الباب قبل أن يأتى لمساعدتي، ثم انفجر الباب يا فيبى. يا إلهى!".

بعد أن جففت دموعها بالمنديل الورقى طوته كالحبل وقالت: "أقسم بالله أننى لا أعلم كيف حدث ذلك. لكنى وقعت وكأن أحدهم دفعنى وسقطت على الأرض، وجرحت ركبتاى وذراعى...". مدت ذراعها لتظهر لها الضمادات وأردفت: "مجرد خمس غرز لكن ديفيد... ديفيد".

عاد دانكان بالقهوة قائلا: "ها هى القهوة يا فيبى، وأنت أيضا يا سيدتى أحضرت لك بعض القهوة".

قالت ماجى وهى تنقل شعرها للخلف بشكل تلقائى كعادتها كلما رأت رجلا: "هذا لطف زائد منك، شكرا جزيلا لك، لابد أن شكلى الآن بشع".

وضع السكر والكريمة الخاصة بالتحلية وقال: "بل لا بأس بشكلك الآن، لم أعلم كيف تفضلين قهوتك".

"بكثير من السكر، لقد أحضرت النوع الوردى الذى أفضله أيضا، هل أنت من الشرطة؟".

"كلا يا سيدتى، فأنا مجرد صديق، سأتركك لتتحدثى مع فيبى".

"أوه، كلا، هل يمكنك البقاء؟ لا يمكننى المقاومة، لكنى أشعر بالأمان عندما يكون هناك رجل بجوارى وقت الأزمات".

"اسمه دانكان يا ماجى. هلا جلست يا دانكان؟ والآن يا ماجى، كم مر من الوقت منذ أن دفعت الرياح الباب ووقوع الانفجار؟".

"يا إلهى، لست متأكدة. ربما خمس ثوان على الأكثر، لكن ديفيد توقف ونظر للوراء عندما انفتح الباب فجأة، وهم بالعودة لإغلاقه عندما وقع الانفجار... يا إلهى، لو كان قد اقترب أكثر لصار فى عداد الأموات".

"لم يفعل لأن نداءك له ليساعدك فى حمل حقائبك من سيارتك أنقذ حياته. لا تفكرى سوى فى هذا يا ماجى. لقد ابتعد عن الباب بفضلك، والآن هو فى حجرة العمليات لينقذوه".

تلون وجهها بعدد من الألوان ليعكس بذلك مشاعرها المختلطة بالصدمة والرعب والراحة والفخر، ثم قالت: "يا إلهى! لم أفكر فى هذا، كنت خائفة ومضطربة للغاية".

"قلت إنك خرجت هذه الظهيرة، هل لاحظت أى شىء أو أى شخص قبل انصرافك؟".

"كلا، كنت أنوى الخروج ظهرا، لكنى تأخرت ولم أخرج إلا بعد حوالى ربع ساعة. وأعربت صديقتى ديلى عن غضبها لتأخرى ولذلك كنت فى عجلة من أمرى، لم أكن منتبهة جيدا، لذلك لم ألحظ أى شىء مريب".

"ماذا عن فترة الصباح؟".

"كنت فى المنزل طوال الصباح. تحدثت مع أمى قليلا فى

الهاتف ولذلك تأخرت؛ فالنساء ثرثارات بطبعهن وخاصة أمى. ثم خرجت بسرعة وقدت سيارتى نحو السوق. بالكاد تأخرت عن الموعد، لكن ديلى غضبت منى بسبب التأخير".

تنهدت ماجى بعمق واحتست القهوة.

قالت فيبى: "ربما نظرت من النافذة أثناء المكالمة الهاتفية مع أمك، أو رأيت سيارة غير مألوفة أو شخصًا غير مألوف لم تتعرفى عليه عندما خرجت لتناول الغداء".

"لا أظننى رأيت أى شخص هذا الصباح. كان الجو حارا ورطبا، ولا يحب أحد الخروج فى مثل هذا الجو. لم أر سوى عامل تسليم البريد".

جذبتها فيبى من رسغيها وقالت: "أين رأيته يا ماجى؟".

"عبر الشارع بالطبع".

"هل كان فى سيارته؟".

"كلا، لكن هل يا ترى رأيت سيارته؟ لست متأكدة. كنت فى عجلة من أمرى ولم أكن منتبهة جيدا. بالكاد كانت لدى دقيقة لألوح له وأسأله هل هناك طرد باسمى أم لا".

"لابد أنك ترين عامل تسليم البريد عدة مرات كل أسبوع فى الحى يا ماجى".

"بالطبع، لكنه لم يكن عامل تسليم البريد المعتاد. كان من رأيته اليوم أصغر سنا وأكثر وسامة، وصحت له باسمى وسألته ما إذا كان هناك طرد باسمى أم لا. قال لى: "كلا يا سيدتى ليس اليوم". ثم دخلت سيارتى وانطلقت بها مسرعة".

"كيف كان شكله يا ماجى؟".

"كان شعره أسود وله لحية كثة قصيرة، وأرجله رياضية وقوية. تعلمين بالطبع أننى ألاحظ الشباب الوسيمين دوما". ابتسمت ماجى نحو دانكان.

"كم كان طوله؟".

"همم.....لست متأكدة. ربما خمسة أقدام وعشر بوصات، لكنه ليس بطول دانكان، وله بنية رياضية. عامل تسليم البريد المعتاد طيب ووسيم لكن بطنه بارزة، والآخر الذى رأيته هذا الصباح كان

مفتول العضلات".

"كم سنه على وجه التقريب؟".

فركت شعرها لتساعد نفسها على التفكير وقالت: "لم أقترب منه إلى هذا الحد، لكنه بدا فى الخامسة والثلاثين من العمر، وربما أكثر".

"هل ستتعرفين عليه إن رأيته مرة أخرى؟".

"لست متأكدة، كان يرتدى نظارة شمسية. يا إلهى، أتظنين يا فيبى أنه المسئول عما حدث لـ ديفيد؟". وضعت يدها على قلبها وأردفت قائلة: "كان من الممكن أن يقتلنى فى الشارع! كنت على بعد اثنى عشر قدمًا من باب منزل ديفيد".

"لا أعلم، لكن سأحتاج لرسام الشرطة لرسم الأوصاف التى أدليت بها. سيصطحبك ضابط لقسم الشرطة لتقابلى رسام الشرطة هناك. اجلسى مع دانكان حتى أرتب لهذا الأمر".

حركت ماجى عينيها بسرعة بينما هرعت فيبى من المكان وقالت: "يا إلهى، ليتك أحضرت لى مشروبا آخر يا دانكان".

"المرة القادمة سأحضر قنينة من شراب الكروم معى".

بمجرد ترتيب فيبى للقاء ماجى برسام الشرطة، توجهت لحجرة الانتظار فى قسم الجراحة مع دانكان. قالت له: "لم ترسل هيئة البريد أيًا من رجالها لهذا الشارع اليوم. لم يتم تسليم أية طرود إلا بعد العصر، أى بعد الحادث. لم يقلق القاتل من أن تراه ماجى وتتحدث إليه".

قال دانكان وهو يحك ذقنه: "والرجل قد يغير شكله بإطلاق لحيته أو حلاقتها".

"لدينا رسام شرطة ممتاز، وسيرسم صورتين بلحية وبدونها. لكن المجرم ذكى بدرجه كافيه ليعلم أن بعض الشهود قد يرونه، سواء ماجى أم غيرها. قد يراه أى شخص بسهولة، لكن هذا لم يقلقه ألبتة".

سارت نحو حجرة الممرضات مباشرة عندما خرجت من المصعد وأظهرت شارة الشرطة قائلة: "أريد معرفة أية أخبار عن حالة الكابتن ديفيد ماك فى".

"مازال فى حجرة العمليات".

"أريد من فضلك أن يدخل أحد ليخبرنى بحالته".

"سنحاول ترتيب ذلك. انتظرى فى حجرة الانتظار وسنطلعك على آخر تطورات الموقف".

كان فى قاعة الانتظار نحو ستة ضباط تعرفهم فيبى بالفعل. تفقدت كل أماكن الحرس فى جولة سريعة، ثم جلست فى أحد أركان القاعة بحيث ترى باب حجرة العمليات. قالت لدانكان: "سأذهب لإجراء بعض المكالمات المهمة".

"ألا تريدين احتساء القهوة؟ لم تشربى منها منذ جئنا، ولا أريد أن أعرض عليك الطعام لأنك سترفضينه".

"أريد مشروبا باردا، يجعلنى الخوف أغلى من الداخل. وعندما أهدأ وأعود لتفكيرى السليم، فهناك الكثير من الأمور التى أريد ذكرها لك يا دانكان".

"هل تشمل أية شكاوى أو تعليقات عن عدم طاعتى للأوامر؟".

ابتسمت بصعوبة واتسعت عيناها وقالت: "لا أدرى ما الذى تقصده؟".

مال نحوها وقال: "هذا جيد، إذن سأحب سماعها، سأعود حالا".

تحدثت فى الهاتف مع سايكس أولا لترتب لفحص وتفتيش الحى الذى يقيم فيه ديف ولإعطائه كل المعلومات عن عامل تسليم البريد المزيف. وأرادت بشدة أن تتحدث مع مشرفى موقع الجريمة وفريق خبراء القنابل والمفرقعات، لكنها تذكرت أنها أرسلت سايكس لهذا السبب.

بما أنها لم تستعلم بعد من أى طبيب أو ممرضة عن حالة ديف وهل هى مطمئنه أم لا، استجمعت رباطة جأشها وكل تفاؤلها وأجرت المكالمة التالية.

"إيفا".

"يا إلهى! فيبى! هل...".

"إنه فى حجرة العمليات، وهو بخير حتى الآن".

"عملية جراحية! يا إلهى! ماذا حدث وكيف؟".

"لا يمكننى الخوض فى هذا الآن، لكنى أردت إخبارك أنه بخير

ويتلقى الرعاية الطبية اللازمة".

"كم أريد الذهاب لزيارته، أريد رؤيته بنفسى، وتشاجرت مع كارتر بسبب ذلك. بالتأكيد لا تتوقعى منى أن أظل هنا وديفيد جريح".

"أنا مضطرة لتوقع ذلك أنا آسفة. كما أن ديف كان سيتوقع منك ذلك أيضا ويصر عليه. لكنى أعدك يا إيفا أنك أول من سأتصل به بمجرد خروجه من حجرة العمليات. أريدك أن تعتنى بأمى والباقين؛ فأنا معتمدة عليك فى هذا الأمر".

قالت إيفا بصوت متهدج وهى تبكى: "من المؤسف أن تقولى ذلك لى. تعلمين أننى ليس لدىَّ خيار آخر. لكن... من فضلك، أخبريه عندما يمكنك أننى ـ أعنى كلنا ـ ندعو له".

"سأفعل، سأتصل بك بمجرد معرفة المزيد".

مرت ساعة قبل أن يصل لها تقرير غير مفصل يبين أن العملية الجراحية قد نجحت.

ثم جاء سايكس بتقرير مفصل أكثر: "كانت القنبلة موصلة بسلك عند الباب وموقوتة، بحيث تنفجر بعد خمس ثوان من فتح الباب"

حاولت بلا جدوى تخفيف الضغط من رأسها عن طريق تدليك أنفها ثم قالت: "فعل ذلك للتأكد من أن ديف قد دخل منزله فيقتل لا محالة. ما الذى استخدمه؟".

"نفس نوع القنابل التى استخدمها مع روى، وقد دمرت القنبلة الباب والنوافذ الأمامية وجزءًا من السقف وتحولت غرفة المعيشة إلى جحيم من الفوضى. لو كان قد اقترب ثلاثة أقدام أكثر من منزله لكان فى عداد الأموات".

"إنه مدين لماجى بحياته بالفعل. ماذا عن التفتيش والفحص؟".

"كان معظم ساكنى الحى فى العمل، عدا شاهدًا واحدًا أخذ يومًا إجازة ليقابل السباك فى منزله. وكان يترقب مجيئه، ورأى المشتبه به يمشى فى الشارع. ولكن وصفه له مبهم، حيث لم ير سوى الزى الرسمى لعامل تسليم البريد، لكن التوقيت هو نفسه الذى ذكرته ماجى فى أقوالها".

زفر قبل أن يتابع: "حضرت المطافئ بسرعة وأنقذوا المنزل من الدمار التام، لكنه مازال فى حالة فوضى عارمة أيتها الملازم".

قالت فيبى: "كان يحب هذا المنزل".

قال دانكان: "أعرف رجلا يصلح المنازل وعمله ممتاز، وسأطلب منه إلقاء نظرة ليساعدنا فى ترميم المنزل".

"ياليته يفعل حتى لا يشغل ديف ذهنه بهذا. سيساعده هذا بالتأكيد على الشعور بالارتياح والتركيز فى أمور أكثر أهمية". ثم نظرت نحو الباب وقالت: "هل علمتم كيف تسلل القاتل لداخل المنزل؟".

"يبدو أنه فتح النافذة الخلفية الجانبية عنوة ودخل منها. كان الباب الخلفى غير موصد بإحكام، وغالبا خرج منه دون أن يكترث لإغلاقه بإحكام خلفه و........".

توقف فجأة ولحق بـ فيبى التى هرعت إلى أحد الأشخاص بدا من منظره أنه طبيب.

تقدمت نحوه، وكان الجميع يعلمون أنها ليست قلقه عليه كزميل فى الشرطة فحسب، بل كانت قلقة عليه كأحد أفراد عائلتها. لذلك، كانت أول من اندفع نحو الطبيب ليس بسبب رتبتها وأنها أعلى رتبه من الباقين فى المستشفى من الشرطة.

قالت للطبيب: "أنا فيبى ماكناراما، كيف حال ديف ماك فى؟".

أوقف الأطباء النزيف الداخلى وأنقذوا الطحال من الدمار. وكان مصابًا فى الكلى وكُسر ذراعه وشُرخ ضلعان فى صدره، وأصيب بارتجاج فى المخ، علاوة على الحروق والجروح فى مختلف أنحاء جسده.

لكنه أخبرها أن قلبه قوى، وكانت تعرف ذلك بالفعل.

جلست على المقعد المجاور لفراشه وانتظرت أن يفيق. تذكرت كيف جلس معها من سنوات طويلة بينما كانت تنتظر أمها فى المستشفى وهى طفلة.

ظلت تتحدث معه وهو لم يفق بعد وقالت: "حاولوا منعى من الدخول. لم يعرفوا مع من يتعاملون. لن أخرج من هنا إلا بعد أن تفيق وتقول اسمى، وبالتالى سأعلم أنك بخير. تجمع كل رجال الشرطة ليتبرعوا لك بالدم حتى تكتمل الكمية المطلوبة. كنت طماعًا واحتجت نقل كمية كبيرة من الدم. شاهدت ماجى القاتل، أنت مدين لها بحياتك".

أمسكت بيده وقبلت أصابعه وقالت: "كلنا مدينون لها للغاية. سأجعلهم يرسلون لى الصور المركبة التى رسمها رسام الشرطة، سنتعقب المجرم الأثيم ونقبض عليه. أقسم لك على هذا".

سحبت نفسا عميقا وقالت: "هذا غير قابل للتفاوض، أريدك أن تستيقظ يا ديف".

لمست خده بأصابعها وقالت: "فلتفق وتذكر اسمى".

بعد نصف ساعة، شعرت به يتقلب وتحركت أصابعه فى أصابعها فتقدمت نحو وجهه على الفور وقالت: "ديف، هل يمكنك أن تفتح عينيك؟ أنا فيبى، أفق وافتح عينيك". عندما تحركت جفونه، همت بدق الجرس لاستدعاء الممرضة لكنها أرادت دقيقة واحدة معه فقالت: "أنت بخير يا ديف، أنا فيبى".

قال بصوت واهن ورفيع: "أعلم ذلك، سمعتك، ماذا حدث بحق السماء؟".

حركت شعره وراقبت نظرة عينيه وهو يحاول التركيز ثم قالت: "أنت بخير، لقد جرحت لكنك بخير. أنت فى المستشفى الآن، وتعانى من بعض الجروح والكدمات، ابق مستلقيا. هل أحضر لك الممرضة؟".

"انتظرى، هل هطلت الأمطار؟ هل كانت تعصف بالخارج؟".

"كأنها عاصفة من جهنم".

"ماذا حدث؟".

"وضع لك قنبلة فى باب منزلك بعد أن تمكن من اقتحامه يا ديف، أنا آسفه".

أغلق عينيه وأخذ يركز بألم وتجعدت جبهته قبل أن يقول: "لقد انفجر الباب. أذكر أن الباب قد انفجر".

"كنت مثالاً للرجل الطيب وساعدت ماجى فى حمل حقائبها، وبذلك نجوت من موت محقق، وستكون بخير. يبدو أن عمل الخير له فائدة فى الدنيا أيضا وليس فى الآخرة فقط".

"رأيت القاتل".

"ماذا؟!".

أمسك أصابعها بقوة وقال: "لقد رأيته عبر الشارع عندما استدرت بعد انفجار الباب".

"رأته ماجى قبلك، ولدينا رسم متخيل له و.......".

"لقد تعرفت عليه أيضا. كنت محقة. كنت دوما فتاة ذكيه و...".

صاحت فى حدة حتى يركز معها: "ديف، ديف، هل هو من الشرطة؟ هل هذا ما تقصده؟".

"كان من فريق العمليات الخاصة. غالبا نقل أو استقال، لا أعلم، ولا أتذكر. كان اسمه ووكر، كلا بل ووكين. حضرت حفل تقاعده واحتسينا الشراب وتحدثنا عن كرة القدم". نظر إلى عينيها مباشرة ثم تابع بصوت ضعيف: "أنا متأكد من الاسم، اسمه ووكين، تحرى عنه".

خرجت من الباب بسرعة ونادت الممرضة وقالت: "لقد أفاق وبدأ يتألم". ثم أشارت بإصبعها للحارس على الباب قائلة: "لا تغادر موقعك أبدا، مفهوم؟ مهما حدث لا تترك مكانك إلا عندما يأتى من سيحل محلك فى نوبة الحراسة. ولا تدخل أحدًا للحجرة بدون التحقق من هويته".

"حسنا يا سيدتى".

شعرت بالسعادة الغامرة لأن دانكان لم يرحل وقالت: "دانكان، بالتأكيد سيارتك تنطلق بسرعة مهولة".

"بكل تأكيد".

"لنختبر صدق كلامك، حصلت على اسم القاتل". ثم هرعت نحو المصعد وتبعها دانكان.

٢٨

عرفت فيبى الاسم بالكامل بعد خمس ثوان من مكالمتها مع القائد هاريسون. كان الاسم هو جيرالد دينيس ووكين. كما عرفت آخر عنوان معروف له بعد ثلاث دقائق.

بعد أن أغلقت هاتفها أخرجت العنوان لـ دانكان وقالت له: "لن يكون فى هذا العنوان؛ فهو أذكى من أن يظل به. لكن مع ذلك، سيرسلون فريقا للتحقق من هذا. لابد أنه فى منزل آخر الآن حتى يتوارى عن الأنظار، ثم يعود لينتقم. فلتنطلق بنا إلى هناك على الفور".

"ما الذى سنجده فى هذا العنوان؟".

"إنه عنوان مايكل فينس، صديقه المقرب الذى تدرب معه فى الشرطة كما أخبرنى هاريسون، وأريد استجوابه". عندما انحرف

بسيارته إلى أحد المنعطفات شهقت وقالت: "يا إلهى! أنت تتقن القيادة، أليس كذلك؟".

"وأتقن إعداد مشروب ينعشك أيضا".

"لاحقا، عندما ننتهى من هذه المهمة".

"تحت أمرك يا سيدتى".

ضحكت بشدة ووضعت يديها على وجهها وقالت: "أنت تتحدث عن المشروبات وكأنك تتاجر فيها وتقوم بالدعاية لها. عندما نصل لمنزل مايكل فينس أريدك أن تنتظرنى بالخارج. هلا اتصلت بمنزلى وأخبرتهم أن ديف قد أفاق وأننى تحدثت معه وأنه بخير؟".

"سأفعل وسأنتظرك".

بدأت الدموع تترقرق من عينيها بحرقة وقالت: "أريد أن أقول لك الكثير من الأشياء لاحقًا".

كان مايكل فينس يعيش فى منزل صغير وأنيق على أطراف الضواحى الجنوبية للمدينة. فتح الباب وهو يرتدى منامة زرقاء، وبدا على وجهه الضيق لكنه سرعان ما زال من تعبيرات وجهه التى صارت محايدة عندما أظهرت له شارة الشرطة وذكرت له اسمها.

"ما الخطب أيتها الملازم؟"

"أريد أن أتحدث معك عن جيرالد ووكين".

"جيرى؟ لم أره منذ أعوام، منذ أن انتقل للعيش فى مونتانا، ما الأمر؟".

"هلا سمحت لى بالدخول ومنحتنى دقائق من وقتك؟".

"بالتأكيد، لكن الرضيع نام للتو ولا نريد إيقاظه. لا داعى للتحدث بصوت عال".

"كم عمره؟".

"ستة أشهر، وبدأت أسنانه تنمو، وهو ما يجعلنى أنا وزوجتى بالكاد ننال القسط الوافر من النوم. شهدت معك عدة مواقف وأزمات، ومن بينها جونسون، التى كانت مؤسفة للغاية".

"كانت كذلك بالفعل. ألا تعرف كيفية الاتصال بصديقك ووكين؟".

"كلا، فقدت اتصالى به منذ أن تقاعد مبكرا".

"سمعت أنكما كنتما صديقين".

هز كتفيه بلا اكتراث واستلقى على أحد مقاعد حجرة المعيشة وتثاءب بقوة ثم قال: "هذا صحيح، هذا ما كنت أظنه. معذرة، تفضلي بالجلوس. كان من المفترض أن يكون جيرى فى حفل زواجى، لكنه سافر قبل الحفل بأسبوعين من دون أن يخبرنى بتقاعده إلا بعد أن تقاعد بالفعل. كان آخر ما تلقيته منه رسالة عبر البريد الإلكترونى بعد يومين من تقاعده. قال إنه يبحث عن ذاته وكلام آخر كله هراء. كان هذا قبل أسبوعين من زواجى، وظننته مخمورا عندما أرسل لى هذه الرسالة لولا أننى علمت بعدها بنبأ تقاعده".

أدركت فيبى أن مايكل فينس يعانى من آثار الحرمان من النوم وأن تفكيره مشوش، وتذكرت الشهور الأولى مع الرضيعة كارلى وعدم النوم لليالى طويلة من صراخها. قالت له: "هل كان جيرى مدمن خمور؟".

"كان سكيرًا، وكان يلجأ لمعاقرة الخمر كوسيلة للتنفيس عن نفسه".

"ماذا عن المرأة المتزوجة التى كان يحبها؟".

انتفض مايكل فينس قائما وقال: "ما الأمر بالضبط؟".

"كنت معى فى أزمة جونسون، كان ووكين هو من أطلق النار عليه".

تحولت نظرات النوم فى عينيه إلى نظرات حادة وانتصبت قامته على المقعد وقال: "مستحيل!".

"لابد أنك سمعت عن حادث مقبرة المدينة، كان ووكين هو من قيد روى فى المقبرة وقتله، وهو من جرح وأصاب الكابتن ماكفى بإصابات بالغة اليوم".

"ماك فى؟ كيف؟ ما الذى حدث؟".

"زرع قنبلة فى باب منزله الأمامى. لكن لحسن الحظ، لم يمت بل جرح فقط ورآه وتعرف عليه. كان ووكين. أخبرنى عن أية وسيلة للاتصال به قبل أن يلحق الأذى بشخص آخر".

"لا أعرف بحق السماء. هل يعقل أن يكون ووكين هو القاتل؟".

مال مايكل فينس للخلف وقال: "هل قال الكابتن ماكفى إنه ووكين؟".

"نعم".

"يا إلهى! كان مضطرب الأعصاب فى الشهور الأخيرة من عمله قبل التقاعد. أحيانا يكون هذا مفيدًا ويدفعك للعمل لكن.....".

قالت فيبى: "هل كانت تساورك بعض الشكوك؟".

"نعم، على ما أظن. لكنى كنت مشغولاً فى الإعداد لزواجى. ولم نكن نقضى الوقت معا كثيرا بعد ساعات العمل، لكنه كان شرطيًا ممتازًا فى عمله. كيف تحول لمجرم؟".

"بالطبع كنت تعلم بعلاقته بامرأة أخرى؟".

قال وهو يتنهد: "نعم، تورط معها ولم يفكر فى سواها. كان سيرحل غربا معها، ويعيش فى سعادة للأبد على حد زعمه. كان يخطط للعيش فى مزرعة فى مونتانا، وربما هذا ما فعله بالفعل".

"ماذا كان اسم هذه المرأة؟".

"كان يقول أمامنا إن اسمها جوينيفر أو جوين. أخفى عنا اسمها الحقيقى، وشعرت بالقلق....".

"لماذا؟".

"أشعر بأننى لا يجب أن أقول ذلك، فقد كان شرطيا نزيها وزميلاً وصديقًا".

"لكنه السبب فى أن الكابتن ماكفى خضع لعملية جراحية لمده ثلاث ساعات".

فرك فينس يده فى فكه وقال: "حسنا. عندما كان يسكر ولا يراها، كان يصبح متوترا وعصبيا وحاد المزاج، وأحيانا كان يخرج عن سلوكه الطبيعى".

"كيف ذلك؟ أعطنى أمثلة".

"كان يقول مثلا إنه كان من الأسهل أن يقتل زوجها. لم يكن يعنى ما يقوله وهو مخمور بالطبع، ثم يعود إلى صوابه عندما يفيق. ثم يتحدث عن انتظار ادخار مبلغ مناسب من أجل المزرعة التى يريدان شراءها، وأطلقا عليها اسما بالفعل".

"من المؤكد أن اسمها كان كاميلوت".

"هذا صحيح، لأنه كان يسمي حبيبته جوينيفير، وكان متيما بها، لذلك جن وخف عقله بعد أن هام بها عشقا".

"لا أظن ذلك، هل كان له أصدقاء آخرون أو أقارب؟".

"كلا، لم يكن له فى الوحدة صديق غيرى، لكن كان يتعامل مع الجميع بروح الأخوة وكان يقول عنهم"رفقاء السلاح"".

قالت فيبى لنفسها إنه لم يطلق الرصاص فعلا على أى ضابط شرطة فى واقعة جونسون، بل أطلق وابل الرصاص على جسد الفتى المسكين وجعله كالمصفاة.

قالت: "هل كان له أقارب".

"نعم كان لديه ـ ولا يزال على حد علمى ـ أم وزوجها. لكنه لم يكن على علاقة جيده بهما. قال لى إنهما انتقلا لكاليفورنيا عندما كان فى العشرينات من عمره بينما ظل هو هنا فى المدينة". كرر فينس كلامه وقال: "لكنه كان يعامل الجميع جيدا مع أنه كان بالنسبة لى شخصية تميل للعزلة، وحزن كثيرًا عندما أهملته وخطبتُ ماريجاى، زوجتى الحالية. ثم تورط فى علاقة مع المرأة التى لم أعرف اسمها، بعدها انعزل عنى".

نهضت فيبى من مقعدها وقالت: "إن رأيته أو اتصل بك، فيجدر بك أن تتصل بى فى الحال، مفهوم؟".

"أيتها الملازم، إن اقترف كل هذا الجرائم كما تقولين، فلقد فقد عقله، ولدى زوجة وطفل أرعاهما ولن أعرضهما للخطر. إن اتصل بى فعلا، فسوف أتصل بك على الفور".

سارت خارج المنزل وأمسكت بالهاتف ورأت دانكان يميل على سيارته واضعا يديه فى جيبه وينظر للسماء الملبدة بالغيوم والنجوم الجميلة.

مالت على السيارة معه وهى تتحدث مع قائد الفريق، ثم المستشفى لكى تطمئن على حالة ديف، ثم أخيرا مع سايكس لتطلعه على آخر الأخبار.

بعدما أنهت مكالماتها وضعت الهاتف فى جيبها وظلت فى مكانها بلا حراك للحظة وأخذت تنظر للنجوم مع دانكان.

"كم أنت صبور يا دانكان".

"معظم الأشياء تستحق الانتظار".

"هكذا أيضًا يفكر ووكين القاتل. كان ينتظر وقتا طويلا ليفعل كل هذا. كان فينس صديقه الوحيد وقال لى إنه كان وحيدًا وانطوائيًا وإنه ترك عمله من فرط إحباطه، وقال أيضًا إنه أدمن الخمور ولم يعبأ بحضور حفل زفاف صديقه الوحيد، ولم يتواصل معه طيلة ثلاثة أعوام. إنه بلا أصدقاء حاليا. لقد اختار ذلك بمحض إرادته".

أردفت قائلة: "علينا أن نتعقبه لأنه فى مكان ما بالمدينة، ولا أعلم ماذا أفعل". حركت شعرها بيدها وتابعت: "ينبغى أن أتحلى بالصبر الآن وأنتظر تعقب الشرطة له والقبض عليه".

"كنت أحب لعب البيسبول وأنا طفل".

شعرت بالحيرة وقالت وهى تنظر نحوه: "ماذا؟"

"كنت أحب لعب البيسبول ورمى الكرة بعيدا بالمضرب حتى لا يطولها اللاعب الآخر، وتنطلق مع الرياح. ولكن كان مضربى سيئاً، لكنى كنت أحسن استخدامه للفوز. كلنا نفعل ما يمكننا فعله يا فيبى".

فركت عينيها المتعبتين من كثرة البكاء وقالت: "كنت أحبه أكثر من أبى. بالكاد أتذكر أبى، كان يجعلنى أركب الخيول ويدغدغنى، ومازلت أتذكر الرائحة النفاذة للصابون الذى كان يستخدمه. لا أذكر صوته، وأنظر لصورته كل فترة حتى لا أنسى شكله، لكنى كلما أفكر فى الآباء أتذكر ديف فقط".

تناول دانكان يدها وقال: "هيا نرجع للمنزل يا حبيبتى".

"لا يمكننى القيام بالمزيد من المهام الليلة".

"يجب أن تنامى، ثم تفكرى فى الخطوة التالية غدا".

دخلت السيارة وقالت: "لكنك ستبيت عندنا كما وعدتنى".

"بالطبع سأفى بوعدى".

توقع أن ينام ويقضى ليلته فى حجرة ابن إيفا مثل المرة السابقة،

لكنه اندهش عندما وجدها تطمئن على كارلى فى حجرتها ثم تسحبه من يده نحو حجرة نومها.

وضعت إصبعها على فمها وهى تغلق باب حجرة نومها خلفهما وقالت: "لا تتكلم حتى لا تزعجها".

كانت ستنام بسلاحها لولا أنه نبهها لذلك، فوضعته إلى جوارها ونامت نومًا هادئًا كما لم تفعل من قبل.

أحاطها بذراعيه حتى يشعرها بالدفء والطمأنينة.

كيف عاشت كل تلك المدة الطويلة وهى تحرم نفسها من الحب والعاطفة والدفء؟ كيف حرمت نفسها من كل تلك السعادة والألفة؟ كيف كانت ستعيش من دونه؟ كيف ستستغنى عن أحاديثه الممتعة وروح الدعابة التى يتمتع بها وتفهمه لها؟ أليس من الرائع بالنسبة لها أنها وجدت الشخص المناسب أخيرًا؟

ربما كانت ستعانى الكثير وتهتز ثقتها بنفسها، وتفقد القدرة على التحكم فى الذات. لكنها وجدت الأمان والاستقرار مع دانكان، وأدركت كم من الجميل ألا تحمل العبء وحدها.

عندما استيقظ دانكان قالت له: "تجعلنى أشعر بالقوة يا دانكان".

"هذا جيد فى رأيى".

"هذا جيد بالنسبة لى أيضًا، جيد للغاية. أشعر أننى استمددت منك القوة لمواصلة ما سأقوم به لحل المشكلة، ومواجهة ما هو كائن وما سيكون. سيكون كل شيء على ما يرام".

"أردت إخبارك أننى عينت جو الانتحارى عندما خرج من السجن".

"همم......أحقا؟".

"أعلم أن هذا سيضايق فين، لكنى لم أعينه تعيينًا كاملاً، بضع ساعات فى الأسبوع. إنه ليس مجنونًا، ويتلقى العلاج النفسى الآن. لقد أنقذت حياته يا فيبى كما تنقذين الناس دوما فى عملك، كم واحدًا منا يستطيع القول إن عمله إنقاذ الأرواح. سيكون كل شيء

على ما يرام".

"لا أعلم هل أريد إنقاذ حياة ووكين أم لا. لم أشعر بهذه الحيرة من قبل، وكأنى لأول مرة لن أكترث لموت إنسان. طوال هذه السنوات لم أطلق رصاص سلاحى إلا وقت التدريب فى الشرطة. لكنى الآن مستعدة لاستخدامه بدون تردد إذا تسلل المجرم لمنزلنا، ولن أكترث ولن أشعر بوخز الضمير يا دانكان".

"لماذا يجب أن تشعرى بوخز الضمير؟".

"لأنى لم أفعل هذا من قبل طوال سنوات عملى. لكنى الآن أشعر أنه لو تسلل لمنزلى فسأقتله بالمسدس أو بسكين المطبخ جزاء ما فعله بنا. لقد جعلنا خائفين ونلزم المنزل، أشعر الآن بخوف أمى وكارتر، خوف يشبه ما حدث لنا فى الماضى. لكن الأمر فى الماضى انتهى وسجن الفاعل ومات فى السجن، مما جعلنى أشعر بالارتياح. لم يمت أحد وقتها، ولا أعرف هل ستنتهى الأزمة على خير أم لا".

"منذ شجارى مع جيك وأنا طفل، كما أخبرتك، لم أتشاجر أبدا، أى منذ خمسة عشر عامًا. لكن لو تمكنت من ووكين لضربته حتى الموت. لا يتعلق الأمر بما نفعله يا فيبى، بل بما نفعله وضميرنا مرتاح".

حدقت نحوه بسبب نبرة صوته الهادئة، وعلمت أنه يعنى ما يقوله؛ فهو دائما يعنى ما يقول. قالت له: "يبدو أن كلينا له ميول عدوانيه وعنيفة، أليس كذلك؟".

"ربما، لكننا لسنا كذلك تجاه كل البشر، وهذا هو الفارق. إذا أتيحت لك الفرصة وتمكنت من القبض عليه، فصوبى مسدسك نحوه، وأبقيه على هذه الحال حتى آتى إليه وأوسعه ضربًا. سأضربه ضربًا مبرحًا، ويمكنك ركله أنت أيضًا عندما يسقط من الإعياء".

ضحكت ضحكة عالية ثم سكتت بصعوبة وقالت: "ياله من أمر يدعو للسخرية، ويجعلنى أشعر بتحسن رغمًا عنى. ووفقا لحالتى المزاجية اليوم، سأدع مسدسى فى صندوقه ولن أستخدمه".

نهضت من فراشها وأمسكت بالمسدس من المنضدة بجوار الفراش، وأغمضت عينيها من الضوء المفاجئ عندما أضاء دانكان المصباح قائلا: "منظرك بالمسدس يجعلك امرأة مثيرة".

وضعت المسدس فى الخزانة وقالت: "منذ بضع ساعات، لم أكن لأصدق أننى سأنهى اليوم هكذا. قيل لى إن الحياة رحلة عجيبة، لا أذكر من قال لى هذا التعليق منذ فترة".

"أحب مواقف الحياة المختلفة بسرائها وضرائها، مما يذكرنى بشيء أردت طلبه منك. هل من الممكن، بعد انتهاء المحنة، أن نسافر معا لبضعة أيام فى رحلة قصيرة؟".

شعرت بالتفاؤل والأمل من التخطيط لشيء كهذا، وابتسمت وهى تتخيل باريس وروما وجزر تاهيتى وبيليز وقالت: "يسرنى ذلك، ما المكان الذى تقترحه؟".

"ملاهى مدينه ديزنى". وضعت المسدس فى الصندوق المخصص له، ووقفت كالتمثال وحدقت فى الأفق فى ذهول.

"هل تريد الذهاب إلى ملاهى مدينه ديزنى؟".

"كان من أهم أحلام طفولتى الذهاب إلى هناك. كنت أحلم بهذا وأنا على فراشى وأنا طفل. الكل يبدو سعيدا هناك، إنه عالم ملىء بالمرح والموسيقى والألوان وشخصيات الرسوم المتحركة بالحجم الطبيعى. لم أذهب إلى هناك قط وأنا طفل، لكنى ذهبت وأنا رجل الآن مرتين فحسب".

وضعت صندوق المسدس على رف الخزانة وقالت: "هل استمتعت بهذا؟".

"نعم، على ما أظن. إذا لم تفرحى هناك، فلا شك أنك مصابة باكتئاب ميئوس من شفائه. من المؤكد أن كارلى ستتمتع بوقتها هناك، أليس كذلك؟ أى طفل فى السابعة من العمر سيعتبره أجمل مكان فى العالم. هكذا كان رأيى وأنا فى سنها".

استدارت من أمام الخزانة وشاهدته مستلقيا على الفراش وشعره مبعثر، والابتسامة الحالمة ترتسم على شفتيه وهو لا يفكر فى باريس وروما، بل فى ملاهى مدينه ديزنى.

"هل تريد اصطحاب كارلى إلى ملاهى مدينه ديزنى ؟".

مال برأسه نحوها وهز كتفيه بلا اكتراث وقال: "يمكنك المجىء معنا على أية حال".

رغم الخطر الذى يحدق بها وبأسرتها وبه لكونه على علاقة

بها، فإنه ينسى، أو يتناسى كل هذا ويفكر فى رحلة إلى ملاهى مدينه ديزنى مع ابنتها.

سارت نحو الفراش وجلست بجواره ونظرت لعينيه وأمسكت يديه، وقالت وهى تتنهد من الحب الذى يملأ كيانها نحوه: "دانكان".

ابتسم وظهرت غمازتاه وهو يقول: "فيبى".

صمت لبرهة ثم قال لها: "هل تقبلين الزواج منى؟".

"هل... ماذا قلت؟!".

اهتزت يده فى يدها وظهرت صدمة ترقب الرد فى عينيه. لم تكن تمانع هى أيضًا، فقالت: "أنت أفضل رجل عرفته فى حياتى، وأنت فى مكانة كارتر وديف عندى. كما أنك قادر على إضحاكى، فضلاً عن أنك تتمتع بالذكاء والكرم. وهو مزيج مهم؛ لأن صفة منهما بدون الأخرى تكون مصدر إزعاج. أضف إلى كل هذا أننى أحترم إخلاصك الفطرى وأقدره".

"ماذا عن الحب؟".

"بالطبع هو عامل أساسى فى قبول الخطبة، لكنى مدحتك بما فيه الكفاية. إن حياتى معقدة جدا يا دانكان ومليئة بالمسئوليات، وأنت الوحيد الذى أثق فى أنه سيقبل مشاركتى فى تحمل عبئها. أنا أحبك للغاية يا دانكان".

تحركت عيناه وهم بالكلام لولا أنها قالت: "انتظر! لم أنته من كل كلامى بعد، أحب فيك كل الصفات التى ذكرتها للتو. وكنت أريد أن أحدثك عن كثير من الأمور الليلة، لكن الخطبة لم تكن فى خطتى الحالية. يبدو أننى لم أعد أفكر جيدا منذ أن ذكرت لى ملاهى مدينه ديزنى".

"بالتأكيد كانت ملاهى مدينه ديزنى هى ما حفز مشاعرك".

"نعم، لكننا لم نعرف بعضنا البعض إلا من فترة قصيرة، منذ...".

"منذ العيد".

"هذا صحيح، لذلك فكر مليا قبل أن ترتبط بى. يجب أن تهدأ الأمور وتستقر أولا، ولكن.....".

"أين الخاتم؟".

"أى خاتم؟".

"ألست خطيبك الآن؟ يجب أن تحضرى لى خاتما".

أخذت نفسا عميقًا وقالت بسخرية: "لقد كنت مشغولة قليلاً فى الآونة الأخيرة".

تنهد بشكل مصطنع ليدل على ضيقه وقال: "لا أعلم هل يمكننى الاستغناء جديا عن الخاتم أم لا، لكنى سأقوم بهذا الاستثناء، لكن لآخر مرة". مال نحوها وقال: "كنت سأطلب يدك فى ملاهى مدينه ديزنى".

"أحقا؟".

"كنت سأصيبك بالدوار من ألعاب الملاهى لأضعف من دفاعاتك، وبالطبع كنت سأشترى خاتما".

دفعته بيدها وقالت: "أحب الوضوح فى هذه الأمور، هل هذا يعنى أنك تقبل الزواج بى رغم كل مسئولياتى؟".

"لقد وقعت فى غرامك منذ أن دخلت شقة جو الانتحارى".

"لكنك لم تعلم هل كنت متزوجة وقتها أم لا".

"لو كنت كذلك، لظللت أتمناك طوال عمرى. لكنى رجل محظوظ، وقعت فى حبك دون التأكد من هذه التفاصيل".

رفع شعرها خلف أذنيها وقال: "لا مانع لدىَّ فى تحمل تعقيدات ومسئوليات الحياة، فلا فرار منها. سنتحمل المسئوليات معا، أنا وأنت، وسأقبل الخطبة بدون خاتم".

مالت نحوه وقالت: "لكن، هناك أهم عقبة. أنا مضطرة للعيش فى هذا المنزل، ولا يمكننى تركه و....".

"يعجبنى هذا المنزل، وهذه ليست عقبة على الإطلاق. يعجبنى هذا المنزل العتيق فى شارع جونز".

"لكن أمى......".

"إنها سيدة رائعة. لو لم تقبلينى لخطبتها فهى تحبنى، ككل النساء ممن يقعن فى غرامى".

استدارت ناحيته وقالت: "أتوقع أن تكون... بل أريدك أن تكون بمثابة الأب لـ كارلى".

"بكل تأكيد يا فيبى. استرخى الآن، لن تضطرى للتفاوض من أجل ذلك، فنحن متفقان على ذلك بالفعل".

"أنا سعيدة للغاية. من الغريب أن أشعر بالسعادة رغم كل الظروف الحالية".

"سنصلح كل الأحوال معا، وهذا أمر يجيده كلانا".

همست له وهى تنظر للنافذة: "لقد جاء الصباح، وحان وقت البداية من جديد".

"أغلقى عينيك واشعرى بالسعادة ونامى قليلا".

نامت، واستيقظت عندما شعرت بالشمس تغمر حجرتها بضيائها وتشرق فى عينيها. قرعت ابنتها الباب، ولحسن الحظ أنه كان موصدا بالمفتاح.

هزت فيبى دانكان بقوة حتى يستيقظ وصاح فى ضجر وهو شبه نائم. وقبل أن تقفز من الفراش، صاحت: "دقيقة واحدة يا حبيبتى".

"لماذا الباب موصد يا أمى؟هل أنت بخير؟".

هرعت فيبى نحو الخزانة وأخرجت المئز وارتده بسرعة ثم قالت: "نعم بخير، أنا بخير يا عزيزتى. انزلى وسأوافيك حالا".

"ولكن باب حجرتك موصد يا أمى. سأذهب لأخبر جدتى".

صاحت: "اللعنة! لا، لا تفعلى يا عزيزتى. أمهلينى فقط دقيقة واحدة". ثم ارتدت مئزرها بسرعة البرق بعد أن أخرجته من خزانة الملابس. ثم نهض دانكان وهو يتثاءب وارتدى ملابسه. فتحت الباب قليلاً وأشارت له بالتزام الصمت.

"كنت نائمة يا حبيبتى، جئت للمنزل فى وقت متأخر، وسأنزل بعد بضع دقائق".

"لكن الباب كان موصدا".

"فعلا، لكن.....".

"سيارة دانكان بالخارج، لكنه ليس بالطابق السفلى وليس فى حجرة ستيفن".

"انزلى واطلبى من إيفا أن تعد الشطائر للإفطار".

حاولت كارلى أن ترى ما وراء الباب وحركت رأسها يمينا

ويسارا، فتحركت فيبى لسد مجال الرؤية أمامها، فقالت كارلى: "هل دانكان فى حجرتك؟ هل قضى دانكان ليلته هنا؟".

شعرت فيبى بأن فضول كارلى بدأ يزعجها، وقبل أن تتكلم جاء دانكان من خلفها وقال: "فشلت محاولة إخفائى، أهلا يا كارلى".

"أهلا، كان الباب موصدا ولم أتمكن من الدخول".

قالت فيبى: "وصلنا للمنزل فى وقت متأخر".

قالت كارلى لـ دانكان: "كيف نمت فى حجرة أمى؟".

قالت فيبى: "أنت كثيرة السؤال هذا الصباح، كما أننى لم أحتس قهوة الصباح بعد".

"لكنك تشجعيننى دوما على طرح الأسئلة. هل داهمك كابوس يا دانكان؟ أحيانا أنام فى حضن أمى عندما يداهمنى كابوس".

جذب فيبى من ذراعها، وقال: "فى الواقع، أريد أن أطرح عليك سؤالا: أنا وأمك سنتزوج، ما رأيك؟".

ضاقت عيناها ثم نظرت نحو دانكان ثم إلى أمها ثم له مرة أخرى وقالت: "لأنكما متحابان وتريدان أن تناما على فراش واحد؟".

"هذا صحيح".

"هل ستكون زوج أمى؟".

"هذا صحيح".

"هل ستبتاع لى رداء جديدا أحضر به حفل الزفاف؟".

"هذا على رأس قائمة أولوياتى".

ابتسمت وأدركت فيبى خبثها ودهاءها، ثم قالت كارلى: "صديقتى دى لديها زوج أم وأنجبت أمها طفلا أطلقوا عليه اسم ويليام. أريد أخا مثلها".

"حتى إن كانت بنتا. فسنطلق عليها اسم ويليام".

ضحكت كارلى وهزت رأسها بالنفى وقالت: "هذا الاسم لا يصلح للبنات. لكن إن ابتعت لى كلبا سأطلق عليه اسم ويليام، و.....".

حذرتها فيبى بالقول: "كفى عن المزيد من المطالب حتى لا يضيع منك كل شىء".

قال دانكان: "دعينا نعقد اتفاقنا يا فيبى". ثم جثا على ركبتيه

حتى يقترب من كارلى وقال لها: "إذا فعلت كل هذا، فما الذى سأحصل عليه فى المقابل؟".

احمر وجه كارلى ثم قبلته فى خده بأدب.

قال لها: "قبلة صغيرة مقابل رضيع وكلب؟ نساء ماكنامارا صعبات المراس حقا".

ضحكت مرة أخرى واحمر وجهها واحتضنته وقبلته قبلة ذات صوت عال.

تذكرت فيبى أنها لم تر من قبل روى وكارلى فى مشهد مماثل. لم تر كارلى من قبل تبتسم فى حضن والدها.

قال دانكان: "يكفى هذا. سأذهب لارتداء قميصى الآن. حتى لا يغمى على النساء إن نزلت عارى الصدر". أنزل كارلى من حضنه وأردف قائلاً: "سنعود لكم بعد دقائق".

ابتسمت له وقالت: "حسنا". ثم ركضت أسفل السلم.

"لقد وافقت، لنرى رأى إيسى و.....ما الخطب؟".

ظهر الفزع على وجهه عندما رآها تبكى فقال: "ما الخطب؟ هل وقعت فى خطأ ما؟".

احتضنته ولم تتمكن من الكلام، ثم هزت رأسها بالنفى وقالت بصعوبة فى النهاية: "كانت حياتنا على ما يرام بدونك، لكنها الآن صارت أفضل بكثير معك".

قال وهو يتنفس الصعداء: "إذن هى دموع الفرح، فهمت".

"أنا سعيدة للغاية".

"هذا جيد،..... ماذا الآن عن اقتناء الكلب؟".

٢٩

كان المكان والتوقيت أكثر من رائعين، لابد أنه يتمتع بحظ وافر اليوم أو ربما كان الأمر من تصريف القدر كما يظن. كانت روح أنجى تحوم حوله وترشده للصواب.

سيكون اليوم هو الموعد المناسب.

كم من المؤلم أن ماكفى لم يتمزق إربا ولم تتطاير أشلاؤه فى شارع برنارد. تدخلت العاهرة جارته وأفسدت خطته، لكنه راض عن نفسه لأنه قد جرح على الأقل، لكن تلك اللعينة قامت بدور المنقذ صاحب القدرات الخارقة.

لماذا لم يستجمع شجاعته وإرادته ليخلع ملابسه الواقية من الرياح، ويخرج مسدسه عيار ٩ مللى ويقتل الملعون والعاهرة وهما

ينزفان على الرصيف؟!.

ورغم أن هذا كان سيرضيه، ورغم أنه كان يستحق أن يحدث، فإنه كان سيعرض باقى الخطة للفشل، وخاصة أن المباراة النهائية قد اقتربت.

ليت ماكفى يموت. عموما. هذا الاحتمال قائم بدرجه كبيرة. ويكون من الأفضل لو أتيح له الوقت والفرصة ليقتل صديق فيبى كانتقام بديع، لكن من المؤسف أنه سيتخلى عن هذه الخطة وخطة نسف أخيها التافه بالكثير من المتفجرات فى المنزل الذى نشأوا فيه.

قال ووكين لنفسه: يا لهم من جبناء يختبئون فى المنزل كالنساء. إنهم لا يستحقون وقته وجهده.

بدأ يعد أدواته وأسلحته بحرص شديد.

من المؤكد أن الشرطة تبحث عنه الآن. سيدعهم يبحثون؛ ففى خلال ساعتين سيعرفهم مكانه بنفسه، وسيكون فى المكان الذى خطط له سلفا، يفعل ما خطط له جيدًا.

قبل إنهاء ما يريد أن يفعله، سيعلم الجميع أن فيبى ماكنامارا قتلت ملاكه. بعدها سينتهى كل شىء حتما.

أخذت فيبى تقرأ ملفه وهى جالسة إلى جوار ديف على مقعد مجاور لفراشه فى المستشفى وتقول: "سلم أوراقه وتقاعد مبكرا. وكان عليه إيجار شهرين فى مسكنه فترك شيكا ليغطى هذا الدين. وكان لديه بطاقتا ائتمان وقتها، لم يستخدم أيًا منهما طوال السنوات الثلاث التالية. ولم يتصل بأى شخص ولا حتى صديقه المقرب، ولا برئيسه السابق. حسابه الجاري فى البنك ستة آلاف من الدولارات وصندوق فى أمانات البنك، وكانت لديه سيارة باعها بمبلغ ثمانية آلاف دولار لشركة تسمى ديريك فى نفس البناية التى يسكن بها. مازال البحث عن معلومات أخرى جاريا، ولكنى لا أظن أننا سنعرف المزيد من المعلومات المفيدة. هناك أسلحة مرخصة باسمه هى مسدس ٩ مللى ورشاش ٢٢ طلقة وبندقية قنص وصيد، كان

صديقه الوحيد يقول إنه يملكها، بخلاف مسدس ٣٣ مللى وآخر ٢٢ مللى كان ملكا لوالده".

قال ديف: "إنه يحب الأسلحة".

"هذا صحيح، كما أنه قناص محترف، وقد تدرب على استخدام المتفجرات أثناء مدة خدمته فى الجيش. كان يعمل أيضا فى فريق خبراء المفرقعات فى القسم قبل أن يطلب نقله لقسم العمليات الخاصة. إنه بالتأكيد فى سافانا أو حولها، أنت الوحيد الذى رآه حتى الآن على حد علمى".

رفعت يديها ثم أردفت: "لا أعلم ما الذى يجب أن أقوم به، فعملى التفاوض لا التحرى".

"الأمر كله محير يا فيبى ومعقد مثل اللغز".

"لدىَّ بعض من مفاتيح هذا اللغز، فهو يلقى اللوم علىَّ لموت أنجيلا برينتاين، ربما لعدم وجود شخص آخر يلومه سواى. كان أحد أفراد فريق العمليات الخاصة يوم احتجاز الرهائن فى البنك الذى قتلت فيه أنجيلا برينتاين. كانت مهمته الترقب لصدور الأمر باقتحام البنك. ولم يعرف أسماء الرهائن والجرحى، لم يعلم أن أنجيلا برينتاين كانت من بينهم، وأنها كانت تحتضر، بينما هو فى الخارج ينتظر ساعات طويلة".

قال ديف: "فشل وعجز". ثم أغلق عينيه حيث كانت الحركة البسيطة تؤلم جمجمته وأردف قائلا: "إذن لانسلوت لم يتمكن من إنقاذ جوينيفير".

"لم يتمكن من التعايش مع حقيقة أنه كان بالخارج بينما هى تحتضر بالداخل دون أن يدرى، ويظن أننى السبب فى تعطيل الوقت فى التفاوض لساعات مع القتلة حتى استسلموا. يغيظه ويثير حنقه أنها ماتت بينما هم لا يزالون أحياء، ويرى أن كل ذلك بسبب القرارات التى اتخذتها. هذا ما يظنه، ويؤمن به إيمانا راسخا. لكن ذلك لا يفيدنا فى العثور عليه".

"ولماذا قتل روى؟".

فكرت فيبى مليا وحاولت أن تفكر مثل المجرم وقالت: "بسبب علاقته بى، أنجبت طفلتى منه وكان زوجى. يعتبر الزوج هنا رمزا،

لكن من الصعب مقارنة أنجيلا برينتاين بروى، لكن روى كان زوجى ويريد ووكين تدمير كل ما يتعلق بى، كما دمرت أنا عشيقته".

"لم تدمرى عشيقته فحسب". مد ديف يده نحو كوب الماء فقربته له وشرب بالماصة، ثم تابع: "شكرا لك، لم تدمرى عشيقته فحسب، بل دمرت صورته الذهنية عن نفسه، لأنه لم يصبح البطل المنقذ، بل اتبع الأوامر مثل الباقين بدلا من أن يقتحم الخطر بمفرده ليدخل فى المواجهة الحاسمة وينقذها".

فكرت وقالت: "لكنه هذه المرة سيسعى للمواجهة الحاسمة، وينفذ بدقة خطته التى وضعها سلفا. روى ثم أنت، وكل معارفى وأقاربى. أصبحت مفوضة بسببك، وبالتالى كنت فى البنك بسببك".

عندما تحرك وبدا الألم على وجهه قالت: "هل تريدنى أن استدعى لك الممرضة؟ يجب أن تستريح...".

"كلا، واصلى حديثك، فهذا يلهينى عن الألم. لو استدعيت الممرضة ستأخذ عينة دم منى مرة أخرى، يفعلون هذا كثيرا هنا لدرجة أننى أظنهم من مصاصى الدماء".

تمنت لو أن باستطاعتها القيام بالمزيد، فرتبت له فراشه وهى تقول: "حسنا، أعتقد أنه كان يلقى الحيوانات المقتولة فى منزلى حتى يلوثه ويهددنى ويفقدنى الشعور بالأمان. لقد ألقى فى منزلنا ثعبانًا وأرنبًا وفأراً. من المؤكد أنه يسكن فى ضواحى المدينة، وإلا لاحظه الناس عندما قتل الأرنب بالرصاص. لابد أنه من الذكاء بمكان ليكون فى مكان هادئ ومنعزل على أطراف المدينة، حيث لن يضايقه أو يلاحظه أحد، خاصة إذا ابتعد عن الناس، كما كان يفعل مع زملائه فى العمل. قد يسكن فى منزل من طابق واحد أو كوخ، وسيحتاج لوسيلة مواصلات. مازال البحث جاريًا عن كيفية انتقاله لمنطقة هيلتون هيد".

اتجهت للنافذة وفكرت كيف أن اتساع المدينة جعل الطرق تؤدى للضواحى والضواحى تؤدى للغابات والمستنقعات، والكبارى تربط بين المدينة والجزر.

كانت لديه أماكن كثيرة للاختباء.

قالت: "كل شرطى فى المدينة والجزر معه صورته، ولابد أنه يعرف ذلك. لقد علم بالتأكيد أنك على قيد الحياة وأنك رأيته، وأننا نبحث عنه الآن. لديه خياران الآن: إما الهرب وإما إنهاء ما بدأه. وغالبا لن يهرب".

"يجب أن تستعدى عندما يحاول مهاجمتك".

أومأت له وقالت وهى تستدير: "أحاول، لكنى لم أسألك كيف حالك هذا الصباح".

"سعيد لأننى على قيد الحياة".

"منعت عائلتى بصعوبة من زيارتك هنا. كنت أفكر فى طلب نقلك لمنزلنا طيلة فترة النقاهة حتى تخدمك أمى وإيفا".

"هل هذا يشمل فطيرة الخوخ؟".

"بكل تأكيد، متى ستخرج مع إيفا؟".

"ماذا؟".

"متى سيتوقف كلاكما عن تبادل نظرات الوله المليئة بالحسرة والتمنى؟ كلاكما كبر الآن وتعرض لتجربة الطلاق، ولا أظنها نامت ليلة الأمس".

"لكن....".

"طلبت منى مرارا هذا الصبح أن أسمح لها بزيارتك، وقالت لى عدة مرات أن أخبرك أنها تفكر فيك".

"إنها مجرد صديقة قديمة".

كانت غاضبة ومستاءة منه الآن بشكل ملحوظ لدرجة أنها كورت قبضة يديها على خصرها ثم قالت: "وكذلك أمى بالنسبة لك. هل ستكذب على الفراش، الذى كان من الممكن أن يكون فراش الموت الذى تحتضر فيه، وتقول إن مشاعرك تجاه إيفا كمشاعرك نحو أمى؟".

"لا أظن.....".

اقتربت من الفراش مرة أخرى وقالت: "ما الذى تريده؟ أعرف ما يريده الناس فى المواقف الانفعالية. إن كنت مشوش الفكر ولا يمكنك إخبارى من الرائع رؤية وجهك يحمر خجلا فسأخبرك أنا. تريد الخروج مع إيفا ودعوتها لعشاء رومانسى حالم على ضوء

الشموع عندما تسترد عافيتك".

تقلب فى فراشه مرة أخرى، وشعرت فيبى بأنه لا يتقلب من الألم هذه المرة فقالت: "كنت أفكر فى هذا عندما ذهبت للمنزل ليلة أمس، وفكرت فى إيفا وفكرت فى مدى سوء التوقيت الذى حال دون حدوث ذلك".

حركت شعرها للخلف ثم ابتسمت له وقالت: "التوقيت السيئ سبب معظم المشكلات. طلب دانكان يدى للزواج هذا الصباح ووافقت".

فغر فاه ثم أغلقه ثم قال: "مفاجآتك كثيرة هذا الصباح".

"أنا أيضا أفاجئ نفسى. أحبه وكأنى كنت أسعى إليه طوال عمرى، وكأنى أسعى لقضاء ما تبقى من حياتى مع شخص مثله. ستكون وكيلى فى حفل الزفاف وتسلمنى لزوجى كما فعلت من قبل، وأعدك أن تستمر هذه الزيجة للأبد".

أمسك بيدها وقال: "أنا أراهن على ذلك. أنا سعيد من أجلك".

"أنا أيضا سعيدة للغاية. لقد انتظرت طويلا يا ديف، ادع إيفا لعشاء رومانسى حتى تبدأ حياتك السعيدة".

عندما خرجت فيبى من حجرة ديف، تركت ليز الحائط الذى كانت تستند عليه.

"شكرا لسماحك لى ببعض الوقت معه على انفراد".

"على الرحب والسعة، كيف حاله؟".

"بخير إلى درجة أشعر معها بالاطمئنان عليه، ليهدأ ذهنى من ناحيته. أشكرك مرة أخرى على وقوفك بجوارى اليوم".

"مرة أخرى أقول لك على الرحب والسعة. لقد حاول ووكين قتل واحد منا، ولذلك كل أفراد القسم مهتمون بالقضية، ولن يطول اختباؤه".

"أنا متأكدة من أنه لن يهرب". خرجت إلى الجو الحار الرطب وقالت: "لم تلطف العاصفة الجو بل زادته رطوبة".

"يجب على المرء أن يحب الصيف فى سافانا أو يرحل عنها". رن هاتف فيبى فقالت ليز: "ردى على الهاتف وسأتولى أنا القيادة".

قالت فيبى: "أظنه هو". أظهرت الهاتف الخلوى نحو ليز لترى رقم الطالب. أومأت ليز وابتعدت وأخرجت هاتفها لتسمع المكالمة. قالت فيبى: "أنا فيبى ماكنامارا".

"كيف حال ديف؟".

"بخير، شكرا. لابد أنك أنت من دبر هذا".

"لكنك تعرفين المتغيرات، قد تحدث عوامل متغيرة تفسد الخطط. أعلم أنك تبحثين عنى".

"لا يبدو أن ذلك يزعجك يا جيرى".

"بالفعل لا يزعجنى. لن تجدينى إلا عندما أستعد أنا لذلك. لماذا ترتدين السترة الواقية من الرصاص يا فيبى؟".

دق قلبها من الرعب ودفعت ليز نحو السيارة كساتر وقالت: "الجو حار لمثل هذه الملابس، ماذا عنك يا جيرى؟".

"كان يمكننى أن أطلق الرصاص على رأسك ورأس السمراء التى بجوارك. لكنى لدى خطط أخرى، لنتحدث لاحقا".

قالت فيبى: "لقد كان هنا وشاهدنا أثناء الدخول أو الخروج من المستشفى. لا أظنه قريباً الآن". نظرت لأسفل ووجدت أنها قد أخرجت سلاحها دون أن تشعر. كانت يدها ترتعش لكنها ظلت ممسكة بالسلاح بكل قوة: "لابد أنه اختفى الآن".

عندما رن هاتفها الخلوى للمرة الثانية، دق قلبها من الفزع ثم قالت: "إنه سايكس". قالت له: "ماذا لديك من أخبار؟".

"قام بتأجير سيارة تويوتا من المطار باسم صامويل جرايمز يوم الثلاثاء الماضى، وتركها بجوار منطقة هيلتون هيد عصر يوم السبت. أنا أتحرى الآن لإيجاد صورة لرخصة القيادة. كان ووكين، وكان يرتدى نظارة وشعرًا مستعارًا أسود، لكنه هو. استخدم بطاقة الائتمان وكان العنوان المبين فى الرخصة فى ولاية مونتانا، لكن بطاقة الائتمان من مدينة تيبى".

"إنه هو بالفعل. انقل المعلومات والموقف والعنوان للقائد هاريسون. سأذهب مع ليز لننضم للفريق هناك". قفزت داخل

السيارة وقالت: "ما هو العنوان؟".

ابتسمت الأم بى بثقة وهى تنقل سماعة هاتف المطبخ لأذنها اليمنى وقالت: "هل هذا يعنى أننى أخيرا سأحظى بأحفاد بيض البشرة؟".

"نعم، وعمليا سنبدأ بطفلتها التى فى السابعة. أريد مساعدتك فى انتقاء خاتم للخطوبة".

"أحب الذهب جدا، الجميع يعرفون ذوقى الرفيع فى الحلى. سأسمح لك بالاستفادة منه".

"ماذا عن اليوم؟ لدىَّ بعض الأعمال، سأنجزها ثم أمر لاصطحابك و.....".

"لدينا سيارة يا فتى. سأذهب قبلك ثم تلحق بى. أين المكان الذى تريده؟".

"أنسب مكان هو متاجر مارك دى. إن لم نجد هناك ما نريده، فلن نجده أبدا".

أطلقت صفيرا وقالت: "متاجر مارك دى، إنه مكان مكلف للغاية".

"لا تنسى أننى أملك الكثير من المال. تحدثت هاتفيا مع السيد مارك دى ويسره مقابلتنا ليظهر لنا قطعًا نادرة وأصلية من جواهره الثمينة".

صفرت بصوت أعلى وقالت: "يالك من رجل ماهر".

"أريدك أن تختارى شيئا يناسب كارلى، فهذا يحيرنى للغاية. أريد شيئًا يناسب طفلة، لكن فى نفس الوقت يشعرها أنها فتاه كبيرة، ربما يجب شراء طاقم".

"ستكون أبا حنونا يا دانكان. متى سنتقابل هناك؟".

"سأكون هناك وقت الظهيرة. وبعد أن تؤدى المهمة بنجاح، سأدعوك على الغداء".

"سأكون هناك قبلك. أحضر معك الكثير من المال لأن لدىَّ رغبة عارمة فى إنفاقها نيابة عنك يا فتى".

أغلقت السماعة وفركت يديها معا، ثم نظرت للساعة ووجدت أن أمامها الكثير من الوقت لكى تخبر الجميع بالأمر قبل أن تتأهب للذهاب إلى مارك دى.

كان فريق العمليات الخاصة فى المكان ويتحرك بالفعل ويتأهب لدخوله عندما جاءت فيبى. شعرت وهى تنظر فى أرجاء المكان أنه كان موقعا جيدا. كان يطل على الشاطئ وبدا متهالكًا بعض الشىء.

وللمرة الثانية اليوم أمسكت سلاحها تلقائيا عندما اقتحم الفريق الباب الأمامى بجذع شجرة كبير.

قال هاريسون: "لا أثر لسيارة أو حتى دراجة".

قالت فيبى: "ولا أثر للمجرم ووكين أيضًا، لكنه الآن ليس لديه مكان يؤوى إليه بعد أن كشفنا موقع منزله". نظرت حولها وشعرت بضغط دمها يزداد، لكن كان خاليًا بالفعل.

ركض سايكس نحوها وقال: "أيتها الملازم، جاءت البيانات من إدارة المرور، وعرفنا رقم سيارته ونوعها وجارى البحث عنها بالرادار".

"قمت بعمل ممتاز أيها المحقق".

قال هاريسون: "المكان خال من القنابل والمتفجرات".

فكرت فيبى فى أنه أجر المكان بأثاثه الأصلى؛ حيث كان قديما وباليا، ولكنه مازال صالحاً للاستخدام. لاحظت مدى محافظته على نظام ونظافة المكان. لم تكن هناك أدنى فوضى على الإطلاق. كان الفراش مصنوعًا بقياسات ومواصفات عسكرية دقيقة، وعلى المائدة بجواره صورة فى إطار لـ أنجيلا برينتاين، ووردة حمراء وحيدة.

استمرت فيبى فى تدوين الملاحظات، وقالت لنفسها إنه كان يعتبر نفسه عسكريا ورومانسيًا فى الوقت نفسه.

قال لها هاريسون: "حجرة النوم الثانية مغلقة، والنوافذ مغطاة، وقبل اقتحامها سيتأكدون من أنها خالية من القنابل".

قالت له: "المكان به تقشف عسكرى أليس كذلك؟ يبدو كمقر عسكرى فى ميدان الحرب. يجب التحقيق مع كل الجيران فى المنازل المحيطة". انتقلت لخزانة الملابس وتابعت: "ملابسه مهندمة ومعلقة".

قال هاريسون: "الحمام به كل أدوات الحلاقة والنظافة كاملة. معنى ذلك أنه لا ينوى الهرب".

سمعت فيبى صوت تهشم باب الحجرة المغلقة وقالت: "هذا لا يعنى أيضا أنه سيعود".

قال أحد أعضاء الفريق الواقفين لدى الباب: "يجب أن تشاهدى هذا أيتها الملازم؛ لقد وجدنا مخبأه الخاص".

عندما دخلت الحجرة، سرت قشعريرة فى دمها: كانت كل الحوائط مزينة بالصور؛ كلها وجوه مختلفة لـ فيبى بتعبيرات مختلفة ومتنوعة. صور لها وهى واقفة أمام المنزل، وهى تتحدث للسيدة تيفانى، وهى تسير مع كارلى فى الحديقة، ومع أمها فى الشرفة الأرضية.

صورة لكل العائلة فى يوم العيد، وصورة لها فى أحضان دانكان ليلة العشاء على متن قاربه، وصورة لها على مقعد خشبى فى الحديقة مثل فيلم"فورست جامب"، وصورة فى نفس الوضع مع مارفلا شبيهة جوليا روبرتس، وصور أخرى لها أثناء التسوق وقيادة السيارة وتناول الطعام.

سرت فى جسدها رعشة شديدة قبل أن تحول بصرها عن الصور.

كانت هناك أيضًا فى الحجرة صورة بالحجم الطبيعى لأنجيلا حتى كتفيها، وحولها مائدة عليها الكثير من الشموع ومزهريات بها الكثير من الزهور الحمراء.

فحصت فيبى مائدة الورشة الطويلة والمقعد الخشبى والأرفف. كان عليها، بترتيب دقيق، جهاز كمبيوتر محمول ومواد كيماوية وأسلاك وشاشة فحص ومعدات ميقاتية لصنع القنابل وحبال وشريط لاصق وحقيبة أدوات ومسدس وبندقية القنص والصيد.

قالت فيبى: "لقد أخذ مسدسه الخاص الصغير".

قالت ليز وهى تقترب من فيبى: "لديه شعر مستعار ونظارات ولحى مستعارة وماكياج وصمغ لصنع أقنعة الوجه. ليست لديه مفكرة، ربما كان يدون أفكاره على الكمبيوتر".

"لماذا لم يأخذه رغم أهميته؟". تجنبت فيبى النظر للصور لأنها تصيبها بقشعريرة فأعطت لها ظهرها وقالت: "لماذا حتى لم يغير مكانه على الأقل؟ إنه يعرف أننا عرفنا اسمه وعنوانه وصورته وسنصل إلى منزله حتما".

علقت ليز: "لم يكن يعرف أننا كشفناه إلا عندما ذكرت اسمه فى المكالمة".

قالت فيبى: "بل علم ذلك قبلها؛ فهو يسبقنا دوما بخطوة، فهل هذه المرة سبقناه؟ لماذا ترك هذه المعدات غالية الثمن التى يسهل حملها؟".

التقطت كاميرا وقلبتها رأسا على عقب، فوجدت رسمًا لوردة حمراء وعلمت أنها تخص أنجيلا برينتاين.

قالت ليز: "ربما خطط للعودة من أجل الكاميرا".

وضعت الكاميرا بحرص فى مكانها وقالت: "لا أظن ذلك، ولا أظن أن تلك هى نهاية المطاف، بل خطط أن نحضر إلى هنا ولا نجده. والسؤال الآن: أين هو؟".

نظرت للحائط الآخر فوجدته مليئًا بصور بها لقطات متنوعة لمدينة سافانا، بنوك ومتاجر ومطاعم ومتاحف، وكلها من الداخل والخارج.

قالت فيبى: "إنه لا يفعل أى شيء بلا مبرر، بل كل شيء له هدف مهما بلغ عدم أهميته. فلماذا لم يأخذ معه هذه الصور؟".

قالت ليز: "هناك أماكن فارغة لصور منزوعة منها، فأين هى؟ من المؤكد أنه أخذها معه".

"لابد أنه بحاجة إليها، وهى صور لمكان ما سيستخدمه لأغراضه وأهدافه المحتملة. إنها صور رقمية، أليس كذلك؟".

توجهت نحو الكمبيوتر المحمول وقالت: "يجب أن نفتحه ونجد الملفات ونعرف ما أخذه منها، وبالتالى نعرف هدفه". بدأت معدتها تتقلب وكأنها على وشك التقيؤ، فأمسكت معدتها وقالت: "أعتقد

أنه أعطى لنفسه الضوء الأخضر للقيام بشيء خطير اليوم. ولابد أنه سيقوم به اليوم فى منتصف الظهيرة".

نظرت للساعة وشعرت بقشعريرة تسرى فى جسدها عندما وجدت أن الساعة تشير إلى العاشرة وخمس وخمسين دقيقة، فقالت: "فى منتصف الظهيرة! أمامنا ساعة لنجده".

حرك دانكان يديه فى جيبه وأخذ يعبث بالنقود المعدنية وهو يشاهد مهندسى البناء وجيك يعملون فى مبنى المخزن، وقال لـ فين: "لنؤجل هذا يا فين".

"لكنك حددت كل شيء سلفا بشكل نهائى فى الاجتماع".

"نعم، أعلم ذلك، لكن جدت بعض الأمور".

"إن ظننت أن أمى ستبقى فى انتظارك فى متجر المجوهرات إذا تأخرت عليها، فأنت لا تعرف مع من نتعامل".

أخرج دانكان يده من جيبه ليرى الساعة. وكانت الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق، فقال: "ربما سأتصل بها لأؤجل الموعد حتى الثانية عشر والنصف".

ابتسم فين عندما وجد تعبيرات وجه دانكان تدل على أنه فى حيرة من أمره. قال فين: "لن يجدى ذلك، غالبا انطلقت بالسيارة إلى هناك بالفعل، وخاصة أنها ستقابل لو وتصطحبها إلى هناك". إن لم تخمن أنها نشرت الخبر بعد أن أغلقت السماعة معك، فأنت لا تفكر جيدا يا فتى. لابد أن شراء خاتم الخطوبة جعلك لا تفكر جيدا".

"كنت كذلك قبل زواجك".

ضرب دانكان على ظهره على سبيل المزاح وقال: "نعم، كما أن زواجى ناجح جدا. لنكمل عملنا يا دانك، ستقضى أمى وقتًا لطيفًا مع لو ولن يمانعا فى تأخيرك. قالت لو إنها ستستأذن من عملها لبعض الوقت، لا تقلق".

سارت فيبى جيئة وذهابا خارج معمل الكمبيوتر فى القسم، وشعرت

بأن ووكين يسبقهم بخطوة دوما وقالت: "لابد أن الزمان والمكان متعلقان به وبعشيقته، فالأمر شخصى ولا يتعلق بى فى المقام الأول".

ظلت تذكر نفسها بأن أسرتها بخير داخل المنزل وتحت الحراسة المشددة. ألم تتفقد حالهم هاتفيا منذ عشرين دقيقة؟ ألم تتحدث لـ كارلى وأمها والشرطى الذى يحرسهم؟

قالت ليز: "البنك الذى قتلت فيه أنجيلا برينتاين تحت الحراسة المشددة، إن حاول اقتحامه سنقبض عليه".

نظرت نحو ليز وأومأت لها وقالت: "لكنه يعلم ذلك، ولا أظن، إن كان هذا هو هدفه، أن هناك ما سيحول بينه وبين هذا الهدف. إنه من الذكاء بحيث يسبقنا لهدفه المجهول ويضرب ضربته قبل وصولنا للمكان. أشعر بأن الهدف واضح جدا، مما يقلقنى. ربما مطعم تقابلا فيه أو فندق أو حتى حديقة، لا شك أنه سيكون مكانًا متعلقًا بها ليؤكد فكرة انتقامه ويبعث رسالة محددة يا ليز".

سارت فيبى جيئة وذهابا وحاولت التفكير فى أجزاء اللغز وقالت: "كان تفجير روى فى المقابر رسالة واضحة، وكذلك محاولة تفجير كابتن من الشرطة على بعد بضع مبان من قسم الشرطة رسالة أخرى".

مثل فيبى، بدأت ليز فى التحديق عبر الحائط الزجاجى للمعمل وقالت: "فهمت، شيء كبير ولافت للنظر، هذا هو هدفه".

"ربما يحاول تفجير مجلس بلدية المدينة، أو مبنى المحكمة، أو حتى قسم الشرطة نفسه".

"تم تحذير كل هذه الجهات ووضعها تحت الحراسة المشددة، لكن إن كان الأمر شخصيا، فهذه الأماكن لن يكون لها الرسالة أو التأثير المطلوب".

"أنت محقة، ولن يهتم بالمدعو برينتاين أيضا؛ كانت زوجته ستتركه وهو بلا أهمية بالنسبة للمجرم ووكين".

"ومع ذلك، منزله ومكتبه تحت الحراسة المشددة من جانب الأمن أيضا".

"متى سيستخرجون الملفات؟ يقولون إنهم سيجدونها حتى لو

قام بإلغائها، أو هكذا قالوا لنا. اللعنة، يتبقى عشرون دقيقة على الظهيرة".

فى تمام الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة كانت لو والأم بى تسيران نحو متجر مارك دى للحلى والمجوهرات، وهما تتوقعان قضاء فترة من الظهيرة حتى العصر فى التسوق والغداء احتفالا بخطوبة دانكان وفيبى.

كانت الأم بى قد ارتدت فستانًا أرجوانى اللون زاهيًا وبراقًا بالإضافة إلى الحذاء الذى ترتديه للتسوق فقط، ووضعت أحمر الشفاه الذى تضعه للخروج فى المناسبات الخاصة وتعطرت بعطرها الفرنسى المفضل.

"كان يمكننى أن أتولى هذه المهمة بمفردى".

ضحكت لو وقالت: "أتظنين أننى سأدعك تحظين بكل المتعة وحدك. رغم قيامنا بمهام مشابهة لأبناء العائلة، لكن هذه أول فرصة لى للمشاركة فى شراء خاتم خطوبة. يا له من مكان أنيق، ألا تحبينه؟". ضربتها بخفة على مرفقها عندما توقفتا لتلقيا نظرة وقالت: "مع كل هذه الحلى، الجو صامت ومهيب بسبب بريق الذهب".

"وبالتالى يكون السعر أغلى".

"لكن ماركة متجر مارك دى لها بريقها الخاص. عندما قدم لى فينياس أسورة من هذا المتجر فى الكريسماس الماضى صحت كالأطفال من الفرحة".

"على ذكر الأطفال، متى ستنجبان لى حفيدًا آخر؟".

"نحن نفكر فى الأمر".

"فكرا بسرعة، فأنا عجوز ولن أعيش طويلا". نظرت إلى ثريا فخمة من الكريستال وقالت: "هيا نشاهد نوافذ العرض قبل وصول دانكان".

كان آرنى ميكس يشعر بالملل بدرجة كبيرة. كان يرى أن عمله ليس

حارس أمن بل مجرد بواب تحت مسمى حارس أمن، يظل واقفا طوال النهار فى مكانه بينما يدخل السائحون والأغنياء من أهل سافانا إلى المتجر الكبير. كان السائحون مزعجين جدا ولا يفعلون سوى الحملقة، بينما الأغنياء من أهل سافانا وخاصة النساء يرفعون أنوفهم فى السماء من فرط الغرور.

وكأنهم فوق مستوى البشر العاديين.

أخذ يفكر باستياء فى أنه كان يمكن لأبيه أن يصلح من وضعه الوظيفى الحالى. كان يمكن لوالده أن يقوم بالوساطة لدى الكبار ويدفع الرشاوى ويعيده لعمله كضابط شرطة، بدلا من أن يدعه يعمل كحارس أمن مهمته القبض على من يسرقون البضائع خلسة.

منذ أن بدأ فى هذا العمل المهين، لم يحظ بأية حركة أو إثارة إلا مرتين فقط.

تمنى أن يتعرض المكان لسرقة كبرى لكى يظهر مهارته ويقبض على اللص، كى يصبح بطلا ويظهر فى التلفاز.

ثم يعود لعمله كضابط شرطة حيث ينتمى حقا.

رأى السيدتين السوداوين تدخلان المتجر. وزم شفتيه وتساءل هل العجوز ذات الحذاء سميك النعل تستطيع دفع ثمن أرخص قطعة مجوهرات هنا أم لا. قال لنفسه إن أصغرهما سنا مثيرة مثل الممثلة السمراء هالى بيرى ومظهرها جذاب. ربما معها بطاقة ائتمان باهظة الثمن.

عندما رآهما تتجولان قال لنفسه: ربما كانت كلتاهما ممن يحملقون فى نوافذ العرض ولا يبتاعون أى شىء، من واقع أسابيع عمله هنا، وجد أن أكثر من نصف من يرتادون هذا المتجر من المتفرجين ولا يشترون شيئا.

كان يقوم بفحصه المعتاد للمكان.

تجول نحو اثنى عشر شخصًا فى أرجاء المتجر، وبدا أن المجوهرات فى نوافذ العرض يبهرهم. كان هناك ثلاثة من البائعين عند طاولة البيع يبيعون الحلى ويفتحون ويغلقون الخزائن، كانوا يتقاضون رواتب أعلى منه علاوة على العمولات من بيع الحلى، عن

طريق إقناع الناس بمعسول الكلام ليبتاعوا ما لا يحتاجون إليه.

كان المكان مليئًا بكاميرات المراقبة وأجهزة الإنذار، وكذلك الحجرة الخلفية التى يجلس فيها صاحب المحل، مارك دى، بنفسه انتظارا لقدوم عميل ثرى اليوم. سمع آرنى شائعات وثرثرة حول هذا الأمر.

كان النظام المتبع أن يتم اصطحاب الزبائن الأثرياء للحجرة الخلفية، وللمنضدة الخاصة، وقيل له إن جوليا روبرتس وتوم هانكس قد تسوقا هنا من قبل.

ربما سيحاول إقامة علاقة مع السكرتيرة باتسى كسرا للملل. لقد انهار زواجه وطلبت زوجته الطلاق بفضل الحقيرة ماكنامارا كما أن رفيقته ميلين تركته أيضا بعد معرفة ما فعله واستجواب الشرطة لها بشأنه.

حان وقت فحص المكان وانتقاء رفيقة أخرى من قطيع النساء. كان يظن أن باتسى تغازله بحركاتها، ولذلك سيحاول مرافقتها. ربما يدعوها للخروج معه ليلا بعد انتهاء مواعيد العمل.

نظر نحو الباب الذى دق جرسه وهو يفتح، ورأى عامل الشحن والتفريغ بزيه الرسمى البنى. صاح فى ضجر لأنه يجب أن يتولى مراقبة تسليم أية شحنة جديدة.

سار آرنى نحو الباب.

أخرجت لو هاتفها الخلوى ورأت أن اسم المتصل هو دانكان. غمزت للأم بى وقالت لها إنه دانكان، ثم ردت على الهاتف قائلة: "أهلا يا عزيزى".

"أهلا يا سيدتى الجميلة، هل أنت هناك مع أمى؟".

"نعم ونتأمل مجموعة الخواتم الماسية المعروضة، أين أنت؟".

"أنا فى الطريق إليكما ومعى زوجك المتطفل الذى أصر على اصطحابى".

"لكنه متطفل وسيم وطويل وعيناه بنيتان وجميلتان".

"غالبا أمامنا ربع ساعة حتى نصل إليكم".

"خذا وقتكما. أخبر زوجى أننى يعجبنى قرط من الياقوت ثمنه سيفزعه. إن تأخرتم أكثر من ربع ساعة سأختار شيئاً أغلى ثمنا ويفزعه أكثر".

"إذن سأتأخر كما أريد. لماذا أكون أنا الوحيد الذى ينفق المال اليوم؟".

كان الوقت قد اقترب من الظهيرة عندما تمكنت فيبي أخيرا من رؤية الصور الرقمية التى كانت على الكمبيوتر المحمول. مالت فوق كتف مهندس الكمبيوتر لتراها عن قرب.

هناك صور منها مازالت معلقة على الحائط، والبعض الآخر لا، هذه صورة لفندق صغير.

قال مهندس الكمبيوتر: "إنه بجوار متجر أوجليثورب. وهذه صور من الخارج وبهو الاستقبال، وهذه الحجرة".

"كانت تلك الحجرة مكان لقائهما، عندما لا يكون من المريح اللقاء فى شقته. هذا المطعم أعرفه إنه مطعم إيطالي صغير، وهو بجوار المتجر الكبير. كانا يتقابلان فى أماكن صغيرة فى أطراف المدينة حتى لا يراهما علية القوم من أصدقاء زوجها. لا تبدو أماكن مناسبة للهجوم عليها كهدف له؛ فهى ليست مهمة مثل المقابر ولن تفى بغرضه فى ترك رسالة واضحة.....انتظر".

أمسكت كتف مهندس الكمبيوتر بينما كان يحول من صورة لأخرى. "انتظر، هذا متجر المجوهرات الشهير مارك دى".

"صور من الداخل والخارج والأمام والخلف، لم أكن أعلم أنهم يسمحون بالتصوير من الداخل فى متجر المجوهرات الشهير مارك دى".

قالت فيبى: "لا يسمحون به لدواع أمنية وبسبب التأمين. هناك صور للمدخل الخلفى والأمامى من الداخل والخارج". بدأت معدتها تؤلمها فأردفت بسرعة: "أريد دورية من الشرطة تذهب حالا إلى هناك. اتصلى يا ليز بقسم الأحراز لنعرف جميع البيانات عن ممتلكات أنجيلا برينتاين الشخصية فى الملفات القديمة التى يعود

تاريخها إلى ما قبل مصرعها بثلاثة شهور". توجهت إلى مهندس الكمبيوتر بالقول: "عمل ممتاز". ثم خاطبت ليز: "لنتوجه إلى هناك بحق السماء".

لاحظت أثناء حركتها السريعة نحو الخارج أن الساعة تشير إلى الحادية عشرة وأربع وخمسين دقيقة، أي بقيت ست دقائق على الظهيرة، ربما لم يفت الأوان بعد.

قال آرنى ميكس: "كان من المفترض الاتصال فى الصباح قبل نقل أى بضائع يا فتى حتى يتم التسليم قبل وصول الزبائن".

جر الرجل العربة اليدوية ذات العجلات لنقل البضائع وكان عليها ثلاثة صناديق كبيرة الحجم. استدار نحو آرنى متعمدا وقال: "أنا أطيع الأوامر فقط، وأنت أيضا ستطيع الأوامر، إلا إذا كنت تريدنى أن أطلق عليك الرصاص. أغلق الباب أيها الأحمق!".

سحب سلاح آرنى وقال له: "سلاحى موجه نحو بطنك والرصاصة ستخترق ظهرك أيضا إن لم تطع أوامرى".

"ماذا تفعل بحق الجحيم.....أنا أعرفك".

"نعم، كنت شرطيا أنا أيضا فى يوم من الأيام. فلنبدأ الحفل معك". ضرب آرنى على رأسه بكعب المسدس بقوة فأوقعه أرضًا. وقبل أن يصرخ آرنى لأول مرة، كان الرجل قد استحوذ على سلاحه. استدار وابتسم عندما أطلق أحد الموظفين، حسب الخطة الموضوعة، جرس الإنذار الذى انطلق مدويا مما أغلق أبواب المكان.

صاح الرجل: "انبطحوا أرضا جميعا! الآن!". أطلق الرصاص عدة مرات فى السقف مما حطم الكريستال، وصرخ الناس فى فزع ليحتموا من قطع الكريستال والزجاج المتناثرة، واجتمع بعضهم معا جلوسا على الأرض. قال الرجل لـ باتسى: "عدا أنت أيتها الشقراء الحلوة".

صوب نحوها مسدسه وقال: "تعالى هنا".

"لا تقتلنى من فضلك".

"اقتربى منى وإلا قتلتك. أمامك خمس ثوان للتفكير".

سارت نحوه بخطى متثاقلة والدموع تسيل من عينيها بغزارة. لف ذراعه حول عنقها وصوب مسدسه لصدغها وقال: "هل تريدين أن أتركك لتعيشى؟".

"نعم، من فضلك، بحق السماء!".

"إذن أخبرينى بصدق هل هناك أحد فى الحجرة الخلفية؟ إن كذبت سأعرف وسأقتلك".

قالت وسط البكاء والنحيب: "إنه... السيد دى... فى الحجرة الخلفية".

"لديه شاشات مراقبة بالطبع هناك، أليس كذلك؟ يمكنه رؤيتنا الآن. استدعيه أيتها الجميلة ليخرج بسرعة وإلا سيفقد موظفته الأولى".

خرج مارك من الحجرة الخلفية ويداه مرفوعتان. كان رجلاً ضئيل البنية فى أوائل الستينات من العمر، وله شارب أبيض مهذب وأنيق، وشعره الأبيض فوق رأسه غزير ومتموج. أخذ يردد: "لا داعى لذلك، لا داعى لأن تؤذيها أو تؤذى أى شخص آخر".

"بداية، الأمر متروك لك. تعال وقيد يدى الفتى هنا من خلف ظهره".

"إنه جريح".

"وإن لم تطعنى، فسيصبح ميتًا. أريد من الجميع تفريغ كل ما فى جيوبهم هنا أمامى فردا فردا بداية بك أنت". دفع كتف رجل من السائحين يرتدى بنطالاً زيتياً وقميصًا مشجرًا ثم أردف: "أفرغوا كل ما فى جيوبكم تماما. إذا حاول أحد استخدام هاتفه الخلوى أو أى سلاح معه أو حتى قطعة لبان، سأطلق عليه الرصاص. ما أسمك أيتها الجميلة؟".

"باتسى".

"اسم جميل. من يعصى أوامرى، سأقتله وأقتل باتسى. أفرغوا جيوبكم حالا".

قال مارك وهو ينحنى بجوار آرنى: "أنه يحتاج إلى رعاية طبية، سأفتح لك الخزينة، خذ ما تريد، الشرطة فى الطريق بسبب جرس

الإنذار".

"نعم، أعلم أنها على وشك الوصول". سمع صافرة الشرطة بالفعل تطغى على صوت جرس الإنذار. جاءت الشرطة بأسرع مما يتوقع لكن لا بأس: "أغلق صوت جرس الإنذار يا مارك، لكن لا تفتح الأبواب التى أغلقت أوتوماتيكيا. مفهوم؟ لو خالفت أوامرى سأقتل باتسى ليغرق دمها الأرضية اللامعة هنا". ركل الرجل الأول وقال له: "انهض وضع العربة فى الركن الشمالى الشرقى".

"لكن....لا أعلم أين الشمال الشرقى هنا".

حرك ووكين عينيه فى الاتجاه المطلوب وقال: "من الخلف هنا يا أحمق، تحرك! واحمل أنت الأحمق الجريح هناك أيضا". كان يتحدث ومعه باتسى، لكنه الآن جعلها تجثو على ركبتيها وقال لها: "أحضرى بعضا من حقائب التسوق يا باتسى، وضعى بها كل ما أفرغه هؤلاء الحمقى من جيوبهم، ثم ضعى كل الحقائب فى هذا الركن. فلينبطح باقى الناس أرضا! عدا أنت يا مارك. اسحبه للشمال الشرقى. أنا أراقبك يا باتسى، كونى فتاة طيبة! خذ الهاتف يا مارك". أشار للهاتف على المكتب ثم قال: "اتصل بالشرطة وقل ما سأردده على مسامعك بالحرف الواحد، لا أقل ولا أكثر، مفهوم؟".

"نعم".

وضع ووكين سلاح آرنى فى حزامه وفتح أول صندوق فى العربة وقال: "جيد. هل ترى ما بداخله يا مارك؟".

نظر مارك فى الصندوق وشحب وجهه من الخوف قبل أن يقول: "نعم".

"لدى منها الكثير، اتصل بالشرطة حالا!".

٣٠

كانت فيبى على بعد دقائق من متجر المجوهرات عندما دق جرس الإنذار، وكانت ترى المتجر على مرمى البصر عندما كان رجال فريق الأزمات يضع معداته فى أماكنها، ونقل إليها نص المكالمة.

"أنا مارك دى، توجد حالة طوارئ هنا. يوجد رجل مسلح يحتجزنى مع ١٦ رهينة أخرى داخل متجرى. معه مسدس ومتفجرات. قال إن لم يتلق مكالمة من الملازم فيبى ماكنارAما خلال ٥ دقائق من نهاية هذه المكالمة سيقتل إحدى الرهائن، وكل دقيقة تمر بعد المدة المحددة سيقتل إحدى الرهائن. إن حاول أحد الاتصال به سواها على هذا الهاتف أو غيره سيقتل إحدى الرهائن.

وان حاول أحد اقتحام المبنى سيفجر المتفجرات. أمام الملازم فيبى ماكناراما خمس دقائق من الآن ".

قالت فيبى عبر هاتفها الخلوى: "أعطنى رقم الهاتف داخل المتجر".

قال هاريسون: "أوشكت الاتصالات على أن تكون جاهزة".

"لا أريده أن يعرف أننى كنت هنا بالفعل. كلما قلّ ما يظن أنه يعلمه فإن ذلك سيعطينا الوقت لمحاولة إنقاذ الرهائن". اتصلت بالرقم الذى أعطاه لها وسحبت نفسا عميقا.

"من الأفضل أن تكون فيبى هى المتصلة".

"أنا فيبى يا جيرى، قيل لى إنك تود الحديث معى". كتبت فى ملاحظاتها أنه أجاب الهاتف من أول رنين وأنه متحمس أو قلق ليبدأ.

"أنت دون سواك، لو كان غيرك لقتلت أحدهم، هذا هو شرطى الأول".

"لا أحد سواى يتحدث إليك، مفهوم، هلا أخبرتنى كيف حال الرهائن؟".

"بالتأكيد، خائفون حتى الموت. بعضهم يبكى، وهناك من فقد وعيه وعندما يستيقظ سيشعر بصداع رهيب. أظنك تعرفينه؛ إنه آرنى ميكس، الذى هاجمك فى القسم، أليس كذلك؟".

توقفت يدها التى كانت تكتب الملاحظات بسرعة وقالت: "هل تقول إن آرنى ميكس من ضمن الرهائن وإنه جريح؟".

"بالضبط، وألبسته حزاما ناسفا مثل روى، هل تتذكرين روى؟".

قالت لنفسها إنه هذه المرة لم يؤذ أحدا تحبه، بل من تمقته للغاية. يا لها من طريقة ماهرة وخبيثة ليختبرها ويحرجها أمام الناس. قالت له: "هل تقول إنك وضعت حول جسمه المتفجرات؟".

"نعم، كمية كبيرة، وإذا حاولت الشرطة اقتحام المبنى سأفجره مع الجميع. بالتأكيد لن تهتمى بآرنى، أليس كذلك؟ لقد آذاك، أليس كذلك؟ بطريقة الجبناء، ماذا لو انتقمت لك منه اليوم؟".

"لا تبدو أنك تريد إسداء معروف لى يا جيرى، فلنتحدث عنى وعنك، ما هى مطالبك؟".

"نحن مازلنا فى البداية فقط، لنسرع الإيقاع يا فيبى، اتصلى بى بعد ١٠ دقائق فلدىَّ عمل أقوم به الآن".

صاحت فيبى: "أريد التحدث مع القائد. أيها القائد، أريد أن يأتى مايكل فينس إلى هنا حالا".

"علم". مرر القائد الأمر وقال لها: "لدينا صورة جزئية للمكان، ١٠ رهائن على الأرض ولسنا متأكدين من وجود ٧ آخرين، والمتفجرات بأسلاكها فى الباب الخلفى".

"لا تحاولوا نزع الفتيل، فقد يعرف بذلك، مما قد يعتبره عذرا لقتل الرهائن أو تفجير ميكس. إنه يريد أن يلهو معى لينتقم منى، لندعه يستمر فى اللعبة لوقت أطول حفاظا على سلامة الرهائن".

تذكرت أنه حافظ على تنظيم بيته ووضع الزهور حول صورة أنجيلا.

"أيها القائد، إنه لا يخطط للخروج من هنا على قيد الحياة. إنها مهمة انتحارية له، مجرد تضحية. إنه يريد أن ينتقم منى قبل أن ينتحر ومعه قربان مكون من ١٧ فرداً من الرهائن ورجل آذانى من قبل. أريد بعض الوقت للهروب من هذا المأزق".

قال سايكس عبر الهاتف: "فريق العمليات الخاصة والمراقبة الآن بداخل متجر السيدات المجاور".

"حسنا، اجمعوا كل ما نعرفه عنه وأحضروا مايكل فينس بأسرع ما يمكن، أحتاج إليه معى يا سايكس، ولا يتحدث أحد معه سواى". بينما يدخلون المتجر بسرعة قالت له: "أطلعنى على بالمعلومات إن جنحت للزاوية الخطأ. إنه يريد اللعب معى ولن يتعجل، فلا داعى لأن نتعجله. ساعدنى على التفسير والإنصات، وساعدنى بكل معلومة تصل إليها، فهو يعرف كيفية عملنا وينظر بلهفة أن أقع فى خطأ واحد".

"ليس لديه ما يخسره أيتها الملازم فهو ينوى الانتحار".

"لقد خسر بالفعل كل شيء ويريد قبل أن يموت أن يسبب لى القلق والذعر ثم يفجر كل شيء ـ حتى نفسه ـ ويمزقه إربا. الأمر لا يتعلق بالتفاوض. لكن دعه يعتقد أننا نصدق عكس ذلك حتى

تزيد فرصة إنقاذ كل الرهائن".

"أتظنى أنه كان يعلم أن آرنى يعمل حارساً للأمن هنا؟".

"بالطبع وفرح للغاية لأنه ظن أن هذا علامة دالة على أنه اختار المكان المثالى لمشهد نهاية حياته". خلعت السترة الواقية وقالت بعد أن طرحتها جانبا: "نعرف بالفعل لماذا هو هنا وما يريد، لنسايره ونتحقق من باقى عناصر قائمة التحقق".

جلست على مائدة خالية من البضائع ودلكت عيونها بأصابعها وقالت: "إنه بارد وعقلانى وملتزم بخطة أعدها سلفا وينوى الانتحار. إنه يرغب فى الموت، وفى الوقت نفسه ينتقم منى بأن أفشل فى إنقاذ الرهائن الذين ينوى تفجيرهم. فشلى دافع مهم جدا له، ولكى يحققه يريدنا أن نستمر فى التفاوض، لتستمر اللعبة ثم يفجر كل شيء".

نظرت للساعة وقالت لنفسها إنها يجب أن تتصل بعد ١٠ دقائق بالضبط وليس بعد ذلك أو قبله ولو بدقيقة حتى لا يستغل الأمر كذريعة لقتل إحدى الرهائن.

نظمت أفكارها بهدوء لكى تهدئ من روعها وتنتظر مرور الدقيقتين الأخيرتين. وجاءت ليز قائلة: "دانكان صديقك هنا ويقول إنه يريد التحدث إليك لأمر مهم وعاجل".

"لا أستطيع...".

"يقول يا فيبى إن هناك اثنتين من الرهائن يعرفهما".

لاحظت أنه بقى من المهلة دقيقة وأربعون ثانية فقالت: "أدخليه بسرعة".

دخل فين ودانكان وصاح الأول: "أمى وزوجتى بالداخل مع المجرم!"

صدمت فيبى بشدة وقالت: "هل أنت متأكد؟"

قال دانكان وهو واقف بمحاذاة كتفه بالضبط، وبالكاد يتمالك أعصابه: "كانتا ستتقابلان معى بالداخل. اتصلت بـ"لو" عبر هاتفها الخلوى قبل الساعة الثانية عشرة بدقائق لأقول لهما إننى سأتأخر، وكانتا بالداخل فى انتظارى، يا إلهى، من فضلك يا فيبى.....".

"إنهما بخير، لم يؤذ سوى حارس الأمن". تصبب العرق من يد فيبى وأردفت قائلة: "إنهما عاقلتان وحكيمتان ولن تعرضا

نفسيهما للأذى".

قال دانكان: "لو علم صلتهما....".

"لا يعرف ذلك. لم يكن يعلم أنهما هنا، ولا يشعر بهما من الأساس، فالأمر لا يتعلق بهما. أريد منكما الابتعاد عن المكان ولا تقولا أو تفعلا أى شىء. لا يعرف المجرم صلتهما بى، ومن الضرورى إخفاء ذلك عنه ضمانا لسلامتهما. يجب أن أعاود الاتصال به الآن، ولا يريد سماع صوت أحد غيرى".

أشارت لدخول مايكل فينس وقالت له: "لا تخرج يا فينس، أعلم أنك لا تريد تعطيلى عن عملى، وأثق بك، ولذا ثق بى. يا سايكس، المحامية فى المحكمة لويز هيكتور وأم زوجها بياتريس هيكتور بالداخل ضمن الرهائن. سأتصل بجيرى الآن". ثم توجهت إلى فينس وقالت له: "أنصت معى ولا تتكلم، وإن كان لديك ما تضيفه أو تساعدنى به أو أى سؤال، فاكتبه لى على الورق ولا تتكلم. لا أريده أن يسمع صوتك".

"يا إلهى، هل أنت متأكدة أيتها الملازم أن جيرى يفعل كل هذا؟"

"نعم، صدق ذلك". أعطته رزمة ورق وقلمًا ثم اتصلت برقم الهاتف.

"اتصلت فى الوقت المناسب تماما".

"ما الذى تريده بالضبط الآن يا جيرى؟"

"ماذا عن سيارة وطائرة خاصة فى المطار؟".

"هل هذا ما تريده يا جيرى، سيارة وطائرة؟"

قرأت الورقة التى مررها سايكس: خمس عشرة رهينة مقيدة أياديهم فى دائرة واحدة وسطها المتفجرات.

"وماذا إن نفذت طلبك؟ تعلم أننى سأسعى إلى تنفيذ ما طلبته. قد أتمكن من إحضار السيارة. ما نوع السيارة التى تريدها يا جيرى؟".

"كريسلر كروسفاير، يعجبنى الاسم، وأنا أحب السيارات الأمريكية الصنع".

"إذن تريد كريسلر كروسفاير؟"

"ربما، ومليئة بالبنزين".

"سأحاول يا جيرى، لكن تعلم أن هذا سيكون له مقابل من

جانبك، فأنت تعلم كيف نعمل".

"اللعنة على عملكم. ما الذى تريدينه مقابل السيارة؟".

"إطلاق سراح بعض الرهائن، الأطفال وأى مصابين يحتاجون لرعاية طبية. هل هناك أطفال يا جيرى؟".

"أنا لا أقتل الأطفال، لو كنت أفعل لقتلت ابنتك. كانت لدىَّ فرص كثيرة لذلك طوال عامين".

شعرت بقشعريرة تسرى فى جسدها وقالت: "شكرا لك على عدم إيذاء ابنتي. هل أنت موافق على إطلاق سراح بعض الرهائن مقابل السيارة يا جيرى؟"

ضحك بشدة منها الآن حتى انقطع نفسه، ثم عاد ليقول: "كلا بحق الجحيم".

"إذن ماذا ستمنحنى مقابل إعطائك السيارة يا جيرى؟"

"لا شىء، لا أريد أية سيارة أصلا".

أمسكت بقبضة يدها زجاجة ماء بارد وضعها شخص ما أمامها، لكنها لم تشرب وقالت: "أتعنى أنك لا تريد السيارة الآن، بل لاحقا؟".

"فكرت كثيرا فى وضع قنبلة فى سيارتك يا فيبى".

"ولماذا لم تفعل؟".

"لو فعلتها لما كنا سنتحدث الآن أيتها الغبية!".

كتبت فى ملاحظاتها: تغير فى الحالة المزاجية، نبرة صوت حوارية ثم عدائية، ربما كان قد تعاطى المخدرات؟

"فهمت أنك تريد التحدث معى. ما الذى تريده منى يا جيرى لحل الأزمة؟".

"اضربى نفسك بالرصاص، ما رأيك؟ إن سمعت صوت الرصاصة وهى تخترق رأسك، سأطلق سراح النساء من الرهائن".

"إن فعلت ذلك فلن تتحدث معى بعد الآن، وأنت قلت إنك لا تريد التحدث إلا معى، وإن حاول غيرى التحدث معك فستقتل إحدى الرهائن. هل تريد التحدث معى أم مع غيرى؟".

"أتظنين أننا سنصبح صديقين؟".

"بل أعرف أنك مازلت تريد أن تقول لى المزيد من الأشياء، وأنا

هنا لأسمعك".

"لم تكترثى لى أو لها".

"أفهم أنك تلومنى على ما حدث لـ أنجيلا".

"تركتها تموت، وكأنك قتلتها بالضبط. تركتها تنزف حتى الموت بينما تتحدثين مع قاتليها. لم تعطنى الضوء الأخضر لاقتحام المكان فى الساعة الأولى، وكان معى سلاحى. كنت فى فريق العمليات الخاصة وقتها".

كتبت فيبى: إنه يكذب، ويظن أن معه الضوء الأخضر. يحتاج لأن يعتقد أنه كان بإمكانه إنقاذها.

قالت له: "لم يعرف أحد وقتها أنها كانت جريحة لدرجة خطيرة يا جيرى. لقد كذبوا علينا جميعا من احتجزوا الرهائن وقتها. لم يعرف أحدنا أن أنجيلا جرحت منذ الساعة الأولى".

"كان يجب أن تعرفى!".

كتبت: الغضب والحزن، وقالت: "أنت محق يا جيرى، كان يجب أن أعرف أنهم يكذبون. أفهم أنك كنت تحبها وكانت تحبك". قرأت الورقة القادمة من مايكل فينس: وافقيه ولا تقولى إنك تتفهمين أو تعرفين، فهذا يزيد من غضبه.

قالت: "كيف أفهم مثل هذا الرباط المقدس، حقا؟ أنت محق. يحلم معظم الناس بعلاقة كهذه. كنتما سترتبطان معا يا جيرى. كان يجب أن تهرب معك بعيدا لتنعما بالسعادة والحب".

"وكأنك تهتمين بحق الجحيم".

أومأت لـ فينس لأن صوت ووكين صار أهدأ وقالت: "كنت أحلم بعلاقة رائعة تشبه علاقتك بأنجيلا. كنت تعلم أننى لم أكن على وفاق مع روى، لم يحبنى كما كنت تحب أنت أنجيلا".

"كانت كل حياتى. لو كنت سمحت لى باقتحام المكان لأنقذتها وتزوجنا. لقد أنقذت قاتليها ولم تنقذيها".

"خذلتها وخذلتك. أنت تريد أن تؤذينى وتعاقبنى، وأتفهم السبب. لكن هل ما تفعله الآن يصفى حساباتك معى؟".

"لا يمكن تصفيتها أبدا أيتها اللعينة! ربما أطلق الرصاص على رأس آرنى، هل هذا يصفى حساباتك معه؟".

التقطت زجاجة الماء المثلج ولم تشرب، بل مررتها على جبهتها وقالت: "قتله لن يفيدنى ولن يؤلمنى يا جيرى".

"توسلى من أجل ألا أقتله كما فعلت مع روى". عندما صرخت إحدى الرهائن صاح: "سمعت هذا؟! مسدسى يلمس جبهته الآن. توسلى لى من أجل ألا أضغط على الزناد".

"ولماذا يا جيرى، بعد ما فعله بى؟ لقد تمنيت مرارا أن أقتله بيدى لو استطعت".

"هل تعرفين ماذا سيقولون عنك إن قتلته؟".

"نعم، أننى لم أحاول إنقاذه؛ لأننى فى قرارة نفسى أريده أن يموت. لكن هل تعلم يا جيرى، هذه المرة لن أهتم بما سيقولونه لى. إن قتلته سيتغير الموقف وستزيح بذلك حملاً ثقيلاً عن كاهلى. تعرف بالطبع كيفية عملنا. إن أطلقت الرصاص عليه، سيقتحم فريق العمليات الخاصة المكان. هل تريد قتله الآن؟ لن أخسر أنا أى شىء. هل هذا ما تريده يا جيرى؟".

"انتظرى وسترين".

أغلق السماعة ووضعت فيبى رأسها بين يديها.

قال فينس: "يا إلهى، لقد أعطيته الإذن أيتها الملازم ليقتل إحدى الرهائن".

وقالت وقد تمنت من صميم قلبها ألا تكون مخطئة: "لو توسلت إليه ألا يقتله لقتله وفجر إحدى الرهائن".

قامت على الفور عندما دخل عليها الرقيب ميكس وصاح: "أتظنين أننى لم أسمع ذلك؟ لقد شجعته ليقتل ابنى!".

هجم عليها بكل قوته، وحال بينها وبينه سايكس ودانكان وفينس وأمسكوا به جيدا، ولكنه أخذ يسبها ويلعنها ثم صاح بها: "ابنى هنا بسببك، وإن قتل فسيكون بسببك أيضا".

قالت فيبى بغضب: "ليس هنا بسببى، وإن مات سيكون بسببى. أخرجوه من هنا!".

أمسك فين بذراعها وقال: "متى ستتحدثين إليه بشأن الرهائن؟ أعطيه أى شىء مقابل إطلاق سراح النساء".

"لا يمكننى.....".

"أمى وزوجتى بالداخل، أخرجيهما من هنا بحق السماء".

"لم تستطع تخيلهما: الأم بى بعينيها السوداوين الجميلتين، وابتسامة لو الجذابة الفاتنة. قالت فيبى: "سأخرجهما. سأعاود الاتصال به. سنعمل على إخراج الجميع سالمين. تحل بالهدوء يا فين وإلا ستجبر على مغادرة المكان، أنا آسفة". نظرت نحو دانكان وقالت له: "أنا آسفة".

لامست أطراف أصابعه أطراف أصابعها وقال: "أنا واثق من أنك ستخرجينهما من هنا. ستحضر باقى أسرتك يا فين، لتخرج فى استقبالهم لتطمئنهم".

انهار فين وقال وهو يضع وجهه بين يديه: "يجب أن أبقى لأعرف ما يحدث".

قال دانكان: "سآتى إليك بنفسى لأطمئنك". ثم نظرت إليه فيبى وقالت: "لا بأس، اذهب لأسرتك يا فين لتخبرهم أن لو وأمك بخير. سنمدك بالمعلومات تباعا". أشارت إلى أحد الضباط وقالت له: "اصطحب السيد هيكتور لعائلته، وعندما يريد العودة اصطحبه أيضا إلى هنا، حسنا يا فين". دلكت ذراعه وشعرت أن عضلات ذراعه ترتعش فقالت: "اذهب لمساعدة عائلتك، وسأساعد لو وأمك".

"لن أتحمل فقدانهما يا فيبى".

"لن نفقدهما، اذهب الآن".

بعد أن خرج فين قال دانكان: "كيف من المفترض أن أشعر الآن؟ كانتا بانتظارى هنا".

"ليست مسئوليتك، بل مسئولية المجرم، ومسئوليتى هى إخراجهما من هنا سالمتين".

كانت تعلم أن هذا ما أراده المجرم، وأن كل الظروف تؤدى إلى النتيجة الحتمية التى لا مفر منها.

المواجهة الحاسمة.

قالت فيبى وهى تدلك رقبتها لإزالة التوتر: "هلا أحضر لى أحدهم قهوة والمزيد من الماء؟ لا تخبر فين يا دانكان إلا بما هو مسموح لك أن تقوله له".

"مفهوم، كيف أساعدك الآن؟".

نظرت للورقة التى جلبها سايكس وقالت: "مشاعر المجرم مضطربة ومتناقضة، وهذا طبيعى للمرحلة الأولى. إنه يريد التفاوض وهذا فى صالحنا. لكنه لا يريد الخروج من هنا حيا، وهذا فى صالحه هو. لن أتصل به، لندعه يتصل هو بى؛ فهو يعرف كيف نعمل. كما أنه يحب اتخاذ المبادرة".

"نعم".

"مما يعطيه الإحساس بالسلطة وبالتحكم فى زمام الأمور، وبالتالى لندعه يتصل هو بى، ولننتظر".

دخلت ليز بسرعة وقالت: "حصلت على تقرير بطاقة الائتمان، تم تحويل خمسة آلاف دولار من حساب ووكين إلى مارك دى قبل أسبوعين من سرقة البنك، لشراء خاتم لـ"أنجيلا"قبل أن تسوء الأمور وتقتل".

قالت فيبى: "إذن اشترى لها خاتما". قلبت فى مفكرتها وأردفت: "فى قائمة ممتلكات أنجيلا الشخصية خاتم الزواج من الذهب الأصفر والماس كان فى يدها عندما لقيت حتفها، علاوة على خاتم الزواج من الذهب الأبيض والماس الذى كان فى الحقيبة لا فى يدها. كانت ترتدى خاتم ووكين لا خاتم برينتاين عندما لقيت حتفها، واللعين برينتاين كان يعرف ولم يقل لنا. لقد راوغنا وضللنا حتى لا يفضح نفسه، كان معه كل ممتلكاتها".

كتبت كل الملاحظات وظللت بعض الكلمات ووضعت الدوائر حول البعض الآخر. ربما يفيدها استخدامها لاحقا، لكن كيف؟ ستعرف مع الوقت.

قالت فيبى لـ"فينس": "يظن أنه يعرفنى، لكنه لا يعرفنى جيدا. لكنى أعرفه جيدا وكذلك أنت. وكل الرجال ممن يصوبون أسلحتهم للمبنى يعرفونه. إنه يريد أن يتلاعب بى لكى يتمكن من الإيقاع بى، لكنى سأنال منه. لن يعبأ بأية رهينة من المحتجزين لأنهم مجرد وسيلة ليتلاعب بأعصابى فقط".

قال دانكان: "ما الذى يريده إذن؟".

"يقتلهم وينتحر".

"يا إلهى!".

"من أجل تدميرى شخصيا ومهنيا. لن أعمل كمفاوضة مرة أخرى إن أخفقت فى إنقاذهم، وكيف سأعيش على ذكرى الفشل؟ هذا ما يفكر فيه".

تأملت لوحة تحديد الموقف وسارت جيئة وذهابا، وأخذت تحدق نحو الهاتف وتمنت أن يرن وقالت: "ثم يمزقنى الصحفيون والرأى العام، هذا ما يعرفه ويريده. سيعرف الجميع صلته بى، ويتم فتح ملف حادث البنك مرة أخرى وأتعرض أنا لفضيحة مهنية وأخسر سمعتى وعملى كمفاوضة، وبالتالى أدفع الثمن غاليا كمسئولة عن موت حبيبته. هذا ما يظنه. سينتحر بشكل رمزى ومثير ولافت لأنظار الرأى العام، وكأنه بطل وشهيد الحب. سيقال إننى السبب فى موته مثلما كنت السبب فى موت حبيبته. هذا هو أهم هدف له الآن".

نظرت للساعة وتابعت: "لن نعطيه ما يريده".

قال دانكان: "اعرضى عليه المقايضة؛ فهو يعرف ما بيننا من علاقة. اعرضى عليه أن يأخذنى مقابل لو وأمى. فأنا صيد وافر له و.....".

"لن يقبل ولن يسمح القائد ولا أنا بذلك يا دانكان".

شعرت بأن دانكان جاد فى تنفيذ هذا الاقتراح. سيضحى بنفسه من أجل من يحبهم.

قالت له برقة ليسمع نداء قلبها: "يا دانكان، أعرف قدرهما عندك، وأعرف ما هى مشاعرك الآن بالضبط". كان ذلك الشعور يكاد يقتلها من الألم.

استدارت عندما رن الهاتف وقالت: "حسنا، لنكمل اللعبة. أهلا يا جيرى".

داخل متجر المجوهرات، ربتت الأم بى على يد امرأة كانت جالسة بجوارها وقالت لها: "كفى عن البكاء الآن".

"سيقتلنا.....".

"لن يجدى البكاء".

قال رجل من الرهائن وهو يهتز للأمام وللخلف: "يجب أن نصلى، ونثق فى أن الرب سينقذنا".

قالت الأم بى: "لا بأس". كانت تثق فى رجال الشرطة أيضا، وقالت للسيدة مرة أخرى: "اهدئى الآن. اسمك باتسى، أليس كذلك؟ اهدئى الآن يا باتسى، السيدة التى تتحدث معه الآن ذكية".

"كيف عرفت ذلك؟".

"أنا....".

أمسكت لو بذراع أم زوجها بشدة وهزت رأسها، ثم قالت: "تبدو ذكية. ستعرف ما يريد، وسيكون كل شىء على ما يرام".

تحدثا معا بمراوغة لمدة ساعة قبل أن يقطع الاتصال معها مرة أخرى. قالت فيبى: "إنه يضيع الوقت ويماطل لإطالة الأمر لأطول وقت ممكن. هناك ما يريدنى أن أقوم به فى الوقت الذى يروق له عندما يستعد، أشعر بذلك من صوته".

قال دانكان: "إنه يستمتع بالأمر، وبرفضه لكل ما تقولينه، لا طعام ولا ماء ولا أدوات طبية. إنه يتسلى بنا ويرهب أعصابنا".

"أوافقك الرأى، هذا هو ما يحدث حتى الآن".

قال سايكس وهو يجلس بجوار فيبى: "لن يطلق سراح الرهائن أبدا، ولا يريد شيئا فى المقابل، ويعلم أن إطلاق سراح بعضهم فى صالحنا لمعرفة تفاصيل المكان من الداخل، مما يسهل علينا إغلاق المكان وعزل الكهرباء عنه وإبطال مفعول المتفجرات".

قال فينس وهو ينظر لرسم توضيحى للمكان من الداخل: "لا يمكننا التخلص منه بإطلاق الرصاص عليه الآن، إنه ليس فى المجال أو المدى المناسب. إنه فى الزاوية الشمالية الشرقية، مما يساعده على تجنب نيراننا".

قالت فيبى: "وكان يتحرك أحيانا للجانب الآخر، إنه يتعرف على كل زوايا وتفاصيل المكان من الداخل".

"يجب اقتحام المبنى من الباب الخلفى؛ فهو السبيل الوحيد،

والهجوم من الباب الأمامى سيعطيه وقتا كافيا لتفجير المكان. يجب نزع فتيل المتفجرات فى الباب الخلفى".

"إن أخطأوا سيعرف وقد ينتبه فيفجر المكان".

قال دانكان: "يجب إبعاده عن الركن".

نظرت فيبى نحوه وقالت: "أنت محق".

"لكنه مادام ليس فى مرمى قناصى الشرطة، فهو ليس فى وضع يجعله يصوب على أحد منا".

قالت فيبى وهى تمسك يد دانكان بشدة: "هذا صحيح تماما". أشارت لـ"سايكس"ليكلم عبر هاتفه رئيس فريق العمليات الخاصة وقالت: "لكن يجب أن تخبرونى أولا قبل أن تطلقوا عليه الرصاص. أعرف أن هذا مخالف للوائح، لكن ثقوا فى أننى لن أحذره بكلامى، بل يجب أن أجعله يتحرك من مكانه ليحسنوا التصويب عليه".

قال سايكس: "علم وينفذ". ثم اتصل بالقائد ليبلغه بالرسالة.

أبعدت فيبى شعرها عن رقبتها المبللة بالعرق، وسارت جيئة وذهابا، وتخيلت لو أنها مكانه بالداخل فماذا كنت ستفعل وقالت وعيناها تركزان على الرسم التوضيحى للمكان من الداخل: "بالتأكيد سيدع الرهائن يذهبون للحمام فى وقت ما، وإلا لتبولوا على الأرض، ولن يريد ذلك. هناك حمام واحد للموظفين عن يمين الحجرة الخلفية، فكيف سيفعل ذلك؟ لابد أنه فكر فى هذا سلفا، وأعد له ترتيبًا خاصًا، لذلك وضع الرهائن فى دائرة حتى لا يتعامل أو يتفاعل معهم ليتولى أمرى ويحقق أهدافه قبل الانتحار. ولن يحب أن ينشغل بهذا وهو يتحدث معى، ولذلك لم يتحدث حتى الآن".

أومأت وقالت: "لكننا لن نعطيه ما يريد".

قالت لنفسها إنه حان وقت مواصلة اللعبة مرة أخرى، فاتصلت هى به بدلا من انتظار مكالمته لها.

"من الأفضل أن يكون المتحدث هو أنت يا حقيرة!".

"سيكون المتحدث هو أنا دوما يا جيرى؛ فأنت تعرف طريقة عملنا، لا نكذب على محتجز الرهائن حتى لا نعرضهم للخطر.

وقول لا لمحتجز الرهائن يضايقه ويعرض الرهائن للخطر. من المفترض أن أتعاطف معك ومع مشاعرك وأنصت لشكواك وطلباتك".

"فعلت ذلك بحق الجحيم مع الملعون قاتل أنجى".

"كانت أنجيلا امرأة جميلة وكانت تحبك".

"عليك اللعنة! أنت لا تهتمين بها".

"جعلتنى أهتم يا جيرى؛ فأنا أحب الآن رجلا. ربما تظن أننى لا أستحق ذلك، لكنى واقعة فى غرام أحدهم حاليا. وبالتالى، أشعر بالمشاعر نفسها التى كانت تكنها لك أنجيلا. أنا أتفهم مشاعرك؛ لأنه إن أصاب حبيبى مكروه؛ لا أعرف ماذا سيكون رد فعلى".

"لم تعرفى ما كان بيننا".

"كان شيئا شديد الخصوصية، من النوع الذى لا يحدث إلا مرة فى العمر. كانت ترتدى خاتمك يا جيرى عندما ماتت".

"ماذا؟".

"الخاتم الذى ابتعته لها من المتجر الذى تقف فيه الآن. لابد أنها كانت تقدره كثيرا وترتديه بزهو. أردتك أن تعرف هذا يا جيرى. هذا يثبت للجميع أنها تنتمى إليك وحدك".

"اللعنة على الجميع".

"إن حدث ذلك لى، كنت سأرغب أن يعرف الجميع كيف كانت علاقتى بحبيبى، وكيف كنا نحب بعضنا البعض. أظنك تريد هذا يا جيرى. أردت إخبارك بما أعرفه".

ساد الصمت الثقيل، ولم تسمع سوى صوت تنفسه فقالت له: "لم يحبنى روى أبدا، هل كنت تعلم هذا؟ لم يحبنى روى أبدا ولم يكن يحب ابنته. هل يمكنك تخيل هذا؟ الآن لدىَّ من يحبنى....".

نظرت نحو دانكان فى عينيه مباشرة لتشعر بقوة مشاعرها ويظهر صدقها فى نبرة صوتها وقالت: "كل ما أفعله له مذاق مختلف مع الحب، كل شىء أقوى وأوضح وأجمل. هل كان الأمر هكذا بنفس الصورة لديك؟".

"كانت تنير حياتى وتجعلها جميلة. الحياة الآن سوداء فى

عينى".

كتبت: الحزن، والدموع، احترسى الآن. لقد أحزنته بقدر أكبر من اللازم، وقد يدفعه ذلك لإنهاء كل شىء. قالت له: "لم ترد لك السواد يا جيرى. من تحبك بمثل القدر الذى كانت تحبك أنجيلا به لم تكن لتريد لك كل هذا السواد فى حياتك يا جيرى".

"لقد قتلتها. لقد ماتت بسببك. ولن أدعها طويلا فى عالم الأموات بمفردها، وسألحق بها".

"كانت....".

"اخرسى! لا تتفوهى بكلمة أخرى عنها".

"حسنا يا جيرى. أرى أن هذا أزعجك. أنا آسفة. تعلم بالطبع أن هدفى ليس إزعاجك".

"بل هدفك أن تجعلينى أبكى كالحمقى لأستسلم للشرطة. أتظنين أن بإمكانك خداعى؟ هل سأستسلم بعد أن وصلت لهذه المرحلة؟".

"بل أظنك تستعد للانتحار وقتل الرهائن معك".

لاحظت الرضا عن نفسه فى نبرة صوته وهو يقول: "أهذا ما تظنينه؟".

"هذه رسالة ضخمة تريدها أن تصل للناس يا جيرى. كما تريد أن تحدث علامة سوداء كبرى فى سجلات عملى. تعرف ماذا يسمى هذا؟ إنه قتل جماعى مع انتحار. سبع عشرة رهينة عدد كبير لكى يموت معك يا جيرى. أطلق سراح النساء و....".

"كفى يا فيبى، لن تؤثرى على أعصابى لأوافق على هذا المطلب".

"تعرف أننى لن أكف عن المحاولة، فهذا عملى. أعتقد أنه حان الوقت لأسألك عن حال الرهائن".

دلكت رقبتها بينما استمرت المناورات والطلبات ورفض إدخال الطعام والماء والرعاية الطبية.

دقت الساعة معلنة عن مرور ساعة أخرى من الزمن.

٣١

وقف دانكان فى الخارج مع فين على بعد أقدام من باقى أفراد أسرته وقال: "إنهما بخير، ولم يجرح أحد. إن فيبى تجعله يتكلم حتى ينشغل عن إلحاق الأذى بهم، إنها تقوم بمعجزة حقا".

"مر نحو أربع ساعات حتى الآن".

قال دانكان: "أعلم ذلك". كان يرى القناصين حيث يقفون على الأسطح المجاورة والنوافذ والبوابات القريبة. ماذا لو أطلقوا النيران ووقفت لو والأم بى فى طريق وابل من الرصاص؟

جعله التفكير فى هذا ينحنى ويجلس القرفصاء لأنه شعر بالارتخاء فى عضلات رجليه، ثم قال: "لو كان الأمر يتعلق بمجرد فدية مالية لكنت......".

مال فين نحوه وقال: "أعلم هذا يا دانك".

"فيبى مازالت......تحاول أن تقنعه بإطلاق سراح الرهائن من النساء وتسأل عن أحوالهن. وطلبت أن يدلى بأسمائهن، لكنه لا يعرف ولا يهتم. لا أعلم هل هذا جيد أم سيئ، فقط لا أعرف".

"استغرق الأمر طويلا".

وضع دانكان يده على يد فين وتشابكت أصابعهما وقال: "لا أعلم هذا أيضا، اعتن بأسرتك وسأعود أنا لـ"فيبى"لأستطلع ما يحدث وأرى ما يمكن أن أقوم به".

رغم وجود مكيف الهواء، كان الجو فى متجر الملابس حيث تجلس فيبى حارًا ورطبًا. كان الباب يفتح ويغلق مرات لا حصر لها مع دخول رجال الشرطة وخروجهم، مما أدخل الحرارة للمكان وحبسها به. لمعت قطرات العرق على جلد فيبى وهى تتفحص عن قرب لوحة الموقف وتراجع ملاحظاتها وتدون المزيد. وفى محاولة يائسة منها لترطيب جسمها بعض الشىء، أمسكت بمشبك شعر من نافذة العرض على شكل صدفة السلحفاة لتربط شعرها.

تجرعت جرعات كبيرة من الماء وأخذت تحدق فى علامات X الحمراء التى تتواجد فى الرسم التخطيطى لمتجر المجوهرات من الداخل. قالت لنفسها إنها علامات الموت والقتل؛ المطلوب الآن تحريك ووكين لإحدى هذه العلامات، ثم إعطاء الضوء الأخضر للقناصة ليطلقوا عليه النيران.

قال لها هاريسون: "انتقل الخبراء للباب الخلفى لفحص المتفجرات المزروعة هناك ونزع فتيلها مع تجنب جهاز الإنذار".

"قد لا يتمكنون من هذا وينتبه لهم".

"لكنهم يثقون فى قدرتهم على النجاح فى ذلك".

"لأن صبرهم أوشك على النفاد، تعرف مثلى أنهم يريدون القيام بأى شيء لإنهاء الأمر. هذا من مخاطر التفاوض الذى يستمر لساعات طويلة. أنا بحاجة لمزيد من الوقت. سرعان ما سيضطر لتحريك الرهائن بسبب الحاجة لاستخدام الحمام والتبول، وأفضل خيار لنا هو انتظار تلك اللحظة".

"يريد الرقيب ميكس الاطمئنان على ابنه، لا يمكننى إلقاء اللوم عليه".

قالت فيبى وهى تمسح العرق من وجهها بالفوطة المبللة بالعطر التى أحضرتها لها ليز: "لن يخبرنى. إننى سأحاول معرفة هذا فى المكالمة التالية".

"إن لم تتمكنى من نقله أثناء الحوار لإحدى العلامات خلال ساعة، سأدع فريق خبراء المتفجرات يحاول نزع فتيل المتفجرات. تعلمين أنه لا ينوى أن يخرج من هنا حيا، قتله هو الحل الوحيد لتقليل عدد الخسائر فى الأرواح".

"اللعنة، سأحاول تحريكه، رغم أن الأمر قد يستغرق وقتا طويلا لكنى سأفعل".

"لا تضيعى الكثير من الوقت فتقعين فى خطأ يا فيبى، لا تنسى أننا نعمل فى فريق. لو استمر الحال بينك وبينه فقط، سيرهقك فتقعين فى خطأ".

"إنه متلهف لذلك ليفجر كل شيء. مشكلته أنه لم يصل لذلك معى حتى الآن، وبالتالى ليس مستعدا لإنهاء اللعبة بعد؛ لأنه يريد ذلك منى أولا. وحتى ذلك الحين، الرهائن بخير. عندما يستعد لإنهاء كل شىء، سأعرف".

سار هاريسون للخارج بينما دخل دانكان. ورفعت حاجبيها فى دهشة عندما دخل عليها بأكياس الطعام الجاهز قائلا: "فكرت فى إحضار بعض الطعام لك".

رغم أن فكرة تناول الطعام أصابتها بالغثيان، لكنها كانت تعلم أن تناوله ضرورى للحيلولة دون الوقوع فى أى خطأ نتيجة الإجهاد والجوع وعدم التركيز. قالت لـ"دانكان": "أنت بطلى".

وضع أكياس الطعام على المائدة ليهجم عليها رجال الشرطة، ثم قال لها: "دور من منكما فى الاتصال؟".

"تركت له هذه الخطوة ليتصل هو".

دلك كتفيها وقال: "حسنا. اتصلت بوالدتك. الجميع بخير هناك. إنهم قلقون عليك فقط، ونشرة الأخبار تنقل أخبار الحصار حاليا".

قالت: "هذا من الأمور التى يعلم أننى لن أتمكن من منعها". سندت رأسها على كتفه لتستريح وأردفت قائلة: "منذ فترة طويلة لم يعتن أحد بى، قد أعتاد على هذا التدليل يا دانكان".

"بل أريدك أن تعتاديه".

"كيف حال فين والجميع؟".

"إنهم خائفون، أما أنا فلا". كان كلاهما يعرف أنها كذبة، لكنها كانت مريحة. تابع دانكان: "لأننى أثق فى أنك ستخرجينهم بخير".

"ماذا تسمع عندما يتحدث؟".

"إنه يسير جيئة وذهابا فى توتر لكن....".

"لكن ماذا؟".

"أظنه فى قرارة نفسه راضيًا عن إدارتك للموقف حتى الآن".

"نعم، أنت تنصت جيدا يا دانكان".

كان ظهر الأم بى يؤلمها ورأسها يطن من الألم، بينما كفت الشقراء الجميلة باتسى عن البكاء وتقوقعت حول نفسها على الأرضية وسندت رأسها على حجر الأم بى. كانت الهمسات تدور بين الرهائن وهو شيء لا يمانع فيه المجرم، ربما درب أذنه على عدم سماعه.

نام بعض الرهائن وكأنهم يمنون أنفسهم بأنهم فى كابوس بشع سينتهى عندما يستيقظون.

قالت لو بصوت هادئ: "لابد أن فين مرعوب جدا الآن هو وابنتى ليفى، أتمنى ألا يكون قد أخبرها حتى لا تخاف. أنا خائفة على ابنتى يا أمى".

"تعلمين أنها بخير".

"لماذا لا يفعل أى شيء بحق السماء؟"

"لا أعلم يا حبيبتى، لكنى بحاجة للتبول الآن".

همس البعض بأنهم لديهم نفس الرغبة، وضحك البعض الآخر ضحكات ضعيفة.

قالت لو: "سأطلب منه ذلك".

"كلا، دعى الأمر لى؛ فحوار الأمهات قد يجدى أكثر فى تلك الحالات". همت لو بالاعتراض لكن الأم بى سبقتها وقالت: "يا سيد! بعضنا يريد استخدام الحمام".

كانوا قد تحدثوا إليه عدة مرات من قبل ولم يعرهم أى اهتمام، لكنه هذه المرة استدار والهاتف فى يده وتظر للأم بى بعيون باردة وميتة.

قالت له: "نحن هنا منذ ساعات، يجب أن تدعنا نستخدم الحمام وإلا تبولنا جميعا على الأرضية".

"تحملى لبعض الوقت".

"لكن....".

رفع مسدسه وصوبه نحوها وقال: "إن قتلتك، فلن تقلقى بعد الآن بشأن التبول. اخرسى الآن!".

شعر بأن الجدول الزمنى الذى وضعه سلفا قد اختل. كان سيدخل الرهائن الحمام فردا تلو الآخر الساعة الثالثة سواء أرادوا التبول أم لا، لكنه نسى وحان وقت المكالمة التالية. فليتماسكوا حتى وقت الراحة التالى، وإلا فليغرقوا الأرضية.

اللعنة عليهم.

قال لـ"فيبى": "ماذا لو طلبت فدية عشرة ملايين دولار؟".

"هل تريد فدية عشرة ملايين دولار يا جيرى؟".

وجدها لم ترتكب الخطأ الذى يريده فقال: "نعم، حتى ننتهى من هذا الأمر".

"حسنا، وماذا ستعطينى مقابل فدية عشرة ملايين دولار؟".

"لن أطلق الرصاص على أحد من الرهائن".

"هذا رد سلبى يا جيرى، لن أتمكن من هذا. حتى أقنع رؤسائى بدفع فدية عشرة ملايين دولار، يجب أن يكون المقابل أكثر إيجابية".

"ما رأيك فى إطلاق سراح الرهائن من النساء مقابل فدية عشرة ملايين دولار؟".

"هل تفكر فى إطلاق سراح الرهائن من النساء مقابل فدية عشرة ملايين دولار؟هذا يستحق الكلام عنه مع رؤسائى".

"أراهن على هذا".

"لكنْ لديك رجلا مصابًا يا جيرى أيضا. قلت لى إن آرنى ميكس قد جرح".

نظر لـ"آرنى"ووجهه الملطخ بالدم الجاف والشريط اللاصق على فمه والمتفجرات الملتفة حول جسده وقال: "لكنه لم يمت بعد".

"لكن قبل أن أخبر رؤسائى بفدية عشرة ملايين دولار، يجب أن أتأكد من أنه على قيد الحياة، وأن جروحه لا تشكل خطرا على حياته. تعرف من هو والده يا جيرى، والضغوط علىَّ كثيرة فى هذا الموضوع".

"هذا الوغد مازال على قيد الحياة".

"أقدر لك أنك طمأنتنى عليه، لكن يزيد تأكيدى إن سمعت صوته ليخبرنى بنفسه أنه بخير. إن نقلت لرؤسائى أننى سمعت صوته، فسيكفون عن الضغط علىَّ بشأنه وأركز على مسألة الفدية".

"حسنا".

وضع سماعة الهاتف وسار نحو آرنى ومال نحوه وانتزع الشريط اللاصق من فمه، نظر له آرنى بعينيه الحمراوين وحولهما الهالات السوداء من أثر اللكمة. جذب ووكين سماعة الهاتف ووضعها على أذن آرنى، ووضع المسدس أسفل فكه وقال: "كلم فيبى أيها الحقير، قل لها هذه الكلمات بالضبط: أهلا يا فيبى، أنا الجبان الحقير الذى ضربك ضربا مبرحا فى بئر السلم".

ثبت آرنى عينيه المليئتين بالغضب والرعب على عينى ووكين وأخذ يكرر العبارة التى لقنها له.

قالت فيبى بسرعة: "ما هى جروحك بالضبط؟ ما مدى سوئها؟"

بلل آرنى شفتيه بلسانه وقال: "تريد معرفة جروحى".

"أخبرها يا أحمق".

"ضربنى بالمسدس على وجهى، وغالبا شرخ عظم الخد. أنا مقيد بالقيود وهناك حزام ناسف حول جسدى".

"هل هناك ميقاتى للقنبلة؟ هل.....".

قال ووكين: "هذا يكفى، ماذا عن فدية عشرة ملايين دولار؟".

"ستحصل عليها مقابل إطلاق سراح الرهائن".

"بل النساء منهم فقط".

"حسنا، فدية عشرة ملايين دولار مقابل إطلاق سراح الرهائن من النساء. كم عددهن يا جيرى؟".

"إحدى عشرة امرأة، أى الرهينة بأقل من مليون دولار، يا له من اتفاق ممتاز بالنسبة لكم".

"الفدية عشرة ملايين دولار مقابل إطلاق سراح الرهائن من النساء".

"كفى عن تكرار كلامى بحق الجحيم، أعلم أن هذا جزءا من التفاوض فى عملك".

"إذن تعلم أننى سأحظى بفرصة أكبر فى تحقيق ما تطلبه إن أظهرت حسن النوايا. إن أطلقت سراح بعض الرهائن من النساء، وخاصة من الجرحى وذوى الحالات الطبية الحرجة، سأحاول تنفيذ طلبك".

"غيرت رأيى، اجعلى المبلغ عشرين مليونًا".

"لا تحاول الضغط لتحصل على المزيد يا جيرى".

ضحك بصوت عال وقال: "فكرت آلاف المرات فى قتلك يا فيبى".

"إن كان هذا صحيحًا، فلماذا لم تفعل؟".

"فكرت آلاف المرات فى إطلاق رصاصة على رأسك، لكن هذا أسرع من اللازم. تفجيرك مثل روى، لا أحب أن أكرر نفسى؛ أم أضربك حتى الموت، أم الإبقاء عليك حية لأيام وجرحك كل فترة لتموتى ببطء، مثل أنجى، لكنك لا تستحقين ذلك مثلها. لدىَّ فكرة أفضل: سأطلق سراح كل الرهائن مقابل دخولك هنا معى".

"تعلم أنهم لن يسمحوا لى بهذا".

"لكنك إن دخلت هنا سيعيش سبعة عشر شخصًا".

"هل ستبادل كل الرهائن بى؟ هل هذا عرض حقيقى يا جيرى

أم أنك تسخر منى مرة أخرى؟".

"لن تُقدمى على الموافقة؛ فلست سوى فم كبير يحسن الكلام".

"وماذا لو وافقت؟".

"لن يسمحوا لك، أتظنين أننى غبى؟ أتظنين أننى نسيت كيفية عمل الشرطة؟".

"كلا، لكنك نسيت أن ابن الرقيب ميكس بالداخل وجريح. هل هذا عرض حقيقى يا جيرى؟ أنا مقابل سبع عشرة رهينة؟".

"سأفكر بالأمر، لكن هناك شيئاً آخر أود أن تقومى به الآن".

"ما هو؟".

"ستتحدثين أمام كل كاميرات التلفاز وتدلين ببيان صحفى عن كيفية أنك كنت السبب فى موت أنجيلا، وكيف كنت المسئولة عن موتها، بسبب التفاوض مع المجرمين قاتليها دون إنقاذ حياتها".

"تريدنى أن أدلى للصحافة يا جيرى ببيان صحفى عن مصرع أنجيلا برينتاين؟".

"وأن تقولى بالضبط ما سأقوله لك، ثم نناقش أمر الرهائن والفدية".

ثم أغلق السماعة.

قبل أن تقوم من مقعدها، حملها دانكان من المقعد وقال: "إن فكرت فى مبادلة نفسك بالرهائن، سأضربك حتى يغمي عليك وأحبسك حتى تستعيدى رجاحة عقلك".

"لكنك فكرت فى مبادلة نفسك بهم".

"لأن أمى هناك، الأم الوحيدة التى حظيت بها. هذه فكرة غير مطروحة للنقاش ألبتة، لن تقتربى حتى من المبنى".

قال سايكس وهو ينظر إلى فيبى بصرامة: "اهدأ، فلن تقايض بنفسها، فنحن لا نعمل بتلك الطريقة، فلسنا فى هوليوود".

أشارت لـ"دانكان"بإصبعها ثم إلى سايكس وقالت: "لقد انطلت عليك الحيلة وصدقتنى. لم يكن ليتوقع أن أقبل تلك المقايضة. كان يلهو معى فقط لكنى أزعجته بابتلاع الطعم وتصديقه. الآن هو يفكر فى هذا. ما كان يتوقعه ويريده هو المؤتمر الصحفى، وسواء

قبلت أم رفضت كان سيفجر المكان وينتهى كل شيء. هذا ما ينتظره؛ اعتراف إعلامى على الملأ. لكنه الآن يفكر فى إمكانية دخولى إليه. كيف سنستغل الموقف؟".

قال سايكس: "ندعه يثبت حسن نيته".

"هذا أولا، سنجعله يطلق صراح بعض الرهائن قبل رفض أو قبول المؤتمر الصحفى. وكأننى أؤيد ذلك لكن رؤسائى يماطلون، بينما أنا أحاول تنفيذ مطلبه وأشعر بالإحباط من المماطلة. إنه معتاد على اتباع خطة محددة".

نظرت فيبى إلى فينس الذى علق بالقول: "نعم، أظنه تعلم ذلك من التدريب العسكرى؛ يجب التكيف مع أى شيء جديد لتفكر جيدا، لكن لابد أن يكون كل شيء فى إطار خطة ما ولابد أن تعمل حساب المتغيرات. لكنه يعشق.....النظام؟ بالضبط هذه هى الكلمة المناسبة. فهو ليس مندفعا ولا أرعن، بل يحب التفكير بتمعن".

"إنه يفعل ذلك الآن، وربما يفكر فى العودة لخطته الأصلية ليفجر المكان بأكمله بالرهائن وبنفسه بينما أعيش أنا بالعار لإخفاقى. أو لو سنحت له الفرصة، يختار المواجهة الحاسمة بينى وبينه على انفراد. إنه لا يهتم بالرهائن لكنهم كل شيء بالنسبة لى. هذه هى الفكرة. لكن من المغرى بالنسبة له أن يفجر المكان لينتحر ويقتلنى فى نفس الوقت".

قال دانكان: "إنه متعب، وهذا واضح من صوته. وأنت كذلك متعبه يا فيبى. ربما سمع من صوتك أنك متعبه. إنه يقترب من إنهاء الأمر".

"نعم، أعلم ذلك، سيجلب المؤتمر الصحفى المرحلة الأخيرة له. على الأقل أعطيته شيئاً آخر ليفكر فيه مليا".

قال سايكس وهو ينصت للسماعة: "هناك حركة بالداخل". ورفع يده ليأمرهم بالصمت وأردف: "لا نرى المجرم، لكن صاحب المتجر يفك قيد امرأتين. الرؤية تتضح الآن. تسير امرأة من الرهائن سوداء فى منتصف العمر نحو الجهة الخلفية".

همس دانكان فى رعب تملك بشدة من قلبه: "لابد أنها الأم بى".

سارت الأم بى نحو الجهة الخلفية إلى الحمام كما قيل لها. كانت تتحرك ببطء أقل من اللازم وربما ترنحت قليلا من كبريائها الذى جرح.

أمرها أن يظل الباب مفتوحا، مما جرح كبرياءها وإحساسها بما هو من الآداب العامة. لكنها لم تتخل عن كبريائها رغم كل شيء، وبحثت حولها عن أى سلاح من أى نوع أثناء ذلك.

لم تكن حمقاء، لكنها شعرت بأنه سيقتلهم جميعا آجلا أو عاجلا، وتمنت أن تجرحه ولو قليلا حتى تشعر بالرضا قبل موتها وانتقالها للسماء.

لم تجد ما تتخذه سلاحاً. كانت هناك زجاجة صابون سائل وطبق من بتلات الزهور لتعطير الحمام، ولن يؤذيه إلقاؤها على رأسه. كما أنه يهدد حارس الأمن بالمسدس ويصوبه على رأسه مباشرة.

سارت بخطى متثاقلة خارج الحمام ونظرت لأسفل وأخفضت ناظريها فى استسلام وقالت: "اسمى بياتريس وينادوننى الأم بى".

"اصمتى وعودى للدائرة".

"أردت فقط أن أشكرك على السماح لى بالذهاب للحمام قبل الجميع، قبل أن أتبول على الأرض وأحرج نفسى".

"إن لم تصمتى وتعودى إلى مكانك فستكونين آخر من يقتل".

أطاعته ولاحظت أن معه مسدسًا آخر، وأن بحوزته المزيد من الذخيرة فى أحد الصناديق التى أحضرها معه. والأهم من ذلك، أنها رأت ما اعتقدت أنها متفجرات وجهاز تفجير.

قال سايكس لـ"فيبى": "لابد أن هذه فترة راحة لهم لاستخدام الحمام؛ هذا واضح من حركتهم واحدا تلو الآخر، وكل منهم يذهب على حدة نحو الجهة الخلفية. عادت أولى الرهائن. إنها....يقول رئيس فرقة العمليات الخاصة إنها تستخدم لغة الإشارة لتقول لنا إن معه ثلاثة مسدسات وبندقية وذخيرة وجهاز تفجير فى الجهة الخلفية، وإن هناك حارس أمن جريحًا".

همس دانكان: "يمكنكم الاعتماد على صحة ما تقوله".

قال سايكس مبتسما: "تقول لنا أيضا أخرجونا من هنا بحق السماء".

قالت فيبى: "سأتصل به أثناء ذلك لتشتيت انتباهه، لندفعه لمناقشة الاتفاق".

رن جرس الهاتف أربع مرات، وعندما قلقت من عدم رده قال هو فى حدة: "لا أريد التحدث معك الآن".

"لكن يا جيرى أردت إخبارك عن اتفاقنا. لا يمكننى أن أعدك بتنفيذه الآن لكن......إن لم ترغب فى الحديث معى الآن، سأنتظر وأقول لك لاحقا".

"ماذا؟ لن تخدعينى وتقولى إنك ستقومين بالمؤتمر الصحفى وتنفذين المقايضة بكل سهولة".

"أنا لا أحاول خداعك، بل أطلعك على آخر تطورات الأمر. لا أريدك أن تؤذى الرهائن. لا تروق فكرة المؤتمر الصحفى لرئيسى فأنت تعرف أضرار مثل هذا المؤتمر على السياسة العليا، لكنى أحاول معه".

"يفضل الساسة كبش الفداء من أمثالك. أخبرى رئيسك إن لم يأمر بالمؤتمر الصحفى فى خلال ساعة، فسأقتل إحدى الرهائن".

"سأخبره يا جيرى، وسأقول له إن الهدف من المؤتمر الصحفى هو إعلان مسئوليتى عن مصرع أنجيلا برينتاين، وبعدها ستطلق سراح جميع الرهائن. هل هذا يروق لك يا جيرى؟"

"لقد غيرت خطتى. ادخلى مقابل إطلاق سراح جميع الرهائن. سنستخدم إحدى تلك الكاميرات والمكبر الصوتى من أجل الإدلاء ببيانك الصحفى وبثه على الهواء مباشرة. هذا ما أريده".

"هل تعنى أنك ستبادل الرهائن بى؟".

"نعم، ادخلى للمتجر عندى".

قالت لنفسها إنه مازال لا يريد إطلاق سراحهم. وقالت له: "والد آرنى مازال يصر على الاطمئنان على ابنه، ولقد توقعت ذلك. إنه رجل مزعج ولقد نسيت أمره، لكنه يضغط علينا الآن".

"إنه أحمق، فليذهب للجحيم، ابنه فى غاية الغباء".

"لكنه مهم له كونه ابنه. أنا فقط أريد التحدث معك يا جيرى،

لنجد مخرجا من هذا الأمر. ربما يجدى معك الحديث وجها لوجه..... لكنهم بالطبع يريدون شيئاً مقابل هذا. كم من الرهائن ستطلق سراحهم؟".

تردد لبرهة فأدركت فيبى أنه يكذب.

"بمجرد دخولك سأطلق سراحهم جميعا، هذا هو الاتفاق إن قررت الموافقة عليه. أخفض عينيك للأرض كما قلت لك".

"ماذا؟".

"لم أكن أتحدث لك".

"كنت على وشك.... لحظة واحدة! ابق على الخط، لقد جاءونى بشىء ما". ضغطت على الزر الخاص بغلق الصوت، وتمنت داخليا أن تكون قد قامت بالحركة الصحيحة.

قال سايكس: "لن يطلق سراحهم حتى لو دخلتِ إليه. أنتِ متعبه، ربما لم تسمعى..."

"بل سمعت. أخبرهم أن يتحركوا من الجهة الخلفية، لكن لا يدخلوا إلا بعد أن أعطيهم الإشارة للتحرك من الأمام والخلف. كنت محقًا، لن يطلق سراح أى منهم. لكنى إن أبعدته عن جهاز التفجير يمكن للقناصة قتله أو ربما يتمكن رجال العمليات الخاصة من إلقاء القبض عليه حيا. اجعلهم يتخذوا مواقعهم فى الأمام والخلف، لكن لا يطلقوا النار عليه أو يقتحموا المكان إلا بإشارة منى".

صاح دانكان: "ما الذى تفعلينه؟".

"أجرب فرصة لإنهاء الأزمة". قالت للمجرم عبر الهاتف: "جيرى؟ أنا آسفة على العطلة، لكنك تعرف الإجراءات. لدىَّ الآن دفتر مذكرات أنجيلا".

"أيتها الكاذبة اللعينة! لم تكن تدون مذكراتها".

"لا أكذب يا جيرى، تعرف أننى يجب أن أثبت كلامى. كانت تحبك، ومن المفترض ألا تبوح باسمك لأحد، ولا بما بينكما من حب. لذلك كانت تكتب خواطرها ومذكراتها. لم يخبرنا برينتاين الأحمق بهذا، كما كذب علينا بشأن ارتدائها لخاتمك عندما ماتت. اضطر للحفاظ على كرامته وسمعته. حصلوا على إذن النيابة

وأخـذوا المفكرة التى كانت تـدون بها مذكراتها. كانت تسميك لانسلوت".

سمعت صوت حشرجة فى صوت تنفسه وقال: "اقرئى لى منها حتى أعلم أنك لا تكذبين".

قلبت فيبى صفحات مفكرتها وكأنها تقلب فى الصفحات، وقالت من ذاكرتها ما تعرفه عن أنجيلا: "كنت تعطيها الورد الأحمر المفضل لديها. وضعت بعضًا منه فى صفحات مفكرتها. كانت تحب أن تطهو لها، وكانت تحب أن تراك وأنت تقوم بالطهو".

"قلت لكى اقرئى لى بكلماتها".

"سأفعل وأقرأ لك بكلماتها لكن مقابل ماذا يا جيرى؟".

"اقرئى صفحة، وان عرفت كلماتها سأطلق سراح إحدى الرهائن".

شعرت بالصدق فى كلامه فقالت: "أطلق سراح خمس رهائن وسأقرأ لك صفحة. كانت تريد بناء كاميلوت معك. أطلق سراح خمس رهائن وسأقرأ لك تلك الصفحة. إن أطلقت سراح جميع الرهائن، فسأجد طريقة كى أحضرها كلها معى عندما أدخل لتقرأها بنفسك".

"بل أظهرى المفكرة لكى أراها، ولن يخرج أحد إلا عندما أعرف وأتيقن من أنها معك".

"تريدنى أن أظهـر المفكرة لكى تـراها؟ سأحاول، لكن ما المقابل؟"

"إطلاق سراح ثلاث رهائن، هيا نفذى".

"إطلاق سراح ثلاث رهائن إن أظهرت المفكرة لتراها؟ هل هذا ما تعنيه؟"

"نعم، الآن!".

"دعنى أرتب للأمر. لكنى سأغلق الخط وأتحدث معك لاحقا عبر هاتفى الخلوى، ما رأيك؟".

"افعلى هذا الآن".

"أنا فى طريقى لفعل ذلك".

أغلقت السماعة وأمسكت بهاتفها الخلوى وقالت: "ليحضر

لى أحدكم مفكرة، لكن ليست كبيرة الحجم". قالت لـ"سايكس": "انصت لحوارى جيدا، عندما أقول"هذا كل ما فى وسعى أن أفعله يا جيرى"، فتلك إشارة البدء. لا تتحرك حتى أقول هذه الكلمات بالضبط يا بول. لن أقولها لو سنحت الفرصة لإلقاء القبض عليه حيا".

أظهر دانكان لها مفكرة جميلة ذات غلاف خارجى من الجلد الأحمر البارز كان قد أحضرها من نافذة عرض المتجر، وقال لها: "أيفى ذلك بالغرض؟".

"ممتاز إلا إن كانت لا تحب اللون الأحمر".

سألها دانكان: "كيف عرفت أنه سيرضخ بتلك الطريقة؟".

"لأنه أمر شخصى وحميم، وكان ملكا لها، لم يكن متوقعا بالنسبة له. هناك فرصة كبيرة أنه سيقايض مقابله بأى شىء. ويجب تنسيق الأمر مع القائد".

قال دانكان: "سأذهب معك لأقصى نقطة يسمح لى بها. ما الذى سيمنعه من إطلاق الرصاص عليك عندما تقتربين منه؟".

"إنه يريد المذكرات. لو أشهر سلاحه، سيهاجمونه وينتهى كل شيء، وهو يعلم ذلك، وسيريد قبل موته أن يقرأ المفكرة. كما أنه مشتت الذهن ولم ينته بعد من إدخال الرهائن الحمام. لقد خرج عن نطاق التحكم فى نفسه الآن بسبب العواطف. يجب أن نستغل الفرصة. أيها القائد، يمكننى إبعاده عن جهاز التفجير".

شرحت له خطتها، وارتدت السترة الواقية من الرصاص التى أعطاها لها أحد الضباط ثم قالت: "بمجرد ابتعاده، سأجعله يبقى مكانه، وإن حالفنى الحظ سأجعله يقترب من نافذة العرض، وحتى يصبح الباب الخلفى متاحا لنا....".

قال القائد: "حسنا، لكن لا تقتربى أكثر من اللازم وإلا سنسحبك عنوة".

قالت: "مفهوم". ثم استدارت باتجاه دانكان وأردفت: "لن يمكنك المجىء معى".

أمسك يديها بقوة وقال: "لكن يجب أن تعودى لى سالمة، وهذا شيء غير قابل للتفاوض".

أمسكت أصابعه بقوة، ورأت فى عينيه الخوف عليها والثقة فيها فى آن. قالت له: "اتفقنا. أحبك". ثم خرجت.

قالت لنفسها إنه قد يرديها قتيلة لو كان بالذكاء الكافى والسرعة الكافية. كان هذا احتمالاً ضئيلاً، لكنها كذبت عليه. أمرت نفسها ألا تنظر للوراء؛ لأن دانكان قد يرى الكذب والخوف فى عينيها.

ستحدد الثوانى القادمة مصير أمه وأخته وحبيبته، وهل سيعدن إليه سالمات أم لا.

أخرجت هاتفها الخلوى واتصلت بـ"جيرى".

"أنا فى الطريق يا جيرى، جهز ثلاث رهائن كما اتفقنا".

"أعرف بنود الاتفاق اللعين، أريد رؤيتك ورؤية المفكرة قبل خروج أحدهم".

"ستراني، لكن لن ترى مفكرة أنجيلا إلا بعد خروج ثلاث رهائن. ساعدنى يا جيرى. سيكون معك أربع عشرة رهينة أخرى. لم تعرف كم رهينة ستكون معك قبل أن تبدأ. ربما لم يكونوا ليبلغوا أكثر من أربع عشرة رهينة، لن تخسر شيئا. سأقرأ لك صفحة أخرى مقابل ثلاث رهائن آخرين، ثم نتحدث عن التبادل. هذا اتفاق عادل يا جيرى".

قالت لنفسها إنها تكذب، لكن ترى هل سمع أكاذيبها؟

وإن أخفقت، هل ستعيش مع ذكرى كهذه هى أو دانكان؟

سمعت صوت تشويش فى السماعة التى كانت فى أذنها، فعلمت أن خبراء المفرقعات يحاولون نزع فتيل المتفجرات دون إثارة جهاز الإنذار المرتبط بها. لم تعرف هل سينجحون فى ذلك دون إثارة جهاز الإنذار أم لا.

قالت لنفسها إنها يجب أن تعمل بما لديها من إمكانيات متاحة.

"يريد فريق العمليات أن يرى الرهائن الثلاث يا جيرى، وإلا سيمنعوننى من الاقتراب والمرور".

حركة: ثلاث سيدات.... من الباب الأمامى.

أومأ القائد لها، فابتعدت عن الساتر وتصبب العرق منها فى

الجو الحار، وسرت قشعريرة فى جلدها الذى ظهرت به حبيبات الخوف، قالت له: "أنا هنا يا جيرى، هذا أول جزء من الاتفاق. حان دورك، دعهم الآن".

"أنا لا أراك".

"إن اقتربت أكثر سيجذبوننى عنوة ليعيدونى، أنا فى الجنوب الغربى من المبنى. أرى نافذة العرض وحولها شخصان من اليمين".

"من الغباء أن ترتدى سترة واقية من الرصاص يا فيبى بينما أستطيع إطلاق الرصاص على رأسك".

جعلتها نبرة صوته، التى تدل على استمتاعه الرهيب، تشعر بالجفاف الحارق فى حلقها. قالت له: "أعرف ذلك، لكن يجب اتباع القواعد. أخرجهم يا جيرى".

"أريد رؤية المفكرة".

أخفت يدها خلف ظهرها وقالت: "وعدتك ونفذت، حان الوقت لتنفيذ دورك ثم يأتى دورى".

انفتح قفل الباب ثم الباب نفسه. خرجت بخطوات متعثرة ثلاث سيدات وهن يبكين ويصرخن. صاحت إحداهن: "لا تطلقوا النيران!"هرع نحوهن رجال الشرطة ليحملوهن للأمان.

لاحظت فيبى بطرف عينيها أن الأم بى من بينهن فحمدت الله.

والدة دانكان فى أمان.

صرخت الأم بى قائلة: "ابنتى بالداخل! إنه يختبئ وراءها مع الآخرين! لديه جهازا تفجيرا!".

رأت فيبى امرأة تنظر لهم بنظرة يملؤها الذعر جاءت بأمر المجرم لغلق الباب مرة أخرى.

"لقد أخرجت لك ثلاث رهائن، أظهرى لى المفكرة".

"حسنا يا جيرى، يجب أن يخلى فريق العمليات الخاصة المكان من المدنيين أولا. حسنا تم هذا". أظهرت له من وراء ظهرها المفكرة وقالت: "ها هى مفكرة أنجيلا".

"افتحيها واقرئى لى منها. قد تخدعيننى بمفكرة فارغة".

"أحتاج لثلاث رهائن آخرين". وعلى الرغم من الكراهية فى قلبها لـ"ميكس"قالت: "من بينهم الرجل الجريح يا جيرى".

"عليه اللعنة، بل سيظل معى مثل الباقين. هل تريدين رؤيته يا فيبى؟".

رأت حركة وجاء آرنى الذى دُفع دفعا للأمام، وكان وجهه رماديًا وجف الدم على وجهه وتحول إلى لون أحمر داكن. كان محاطًا بحزام ناسف مثل روى من عند وسطه.

تلاقت عيناه بعينى فيبى من خلال الزجاج الحائل بينهما.

"اقرئى وإلا سأفجره وأقتل الآخرين، أو أفجر المكان كله لينتهى الأمر برمته. اقرئى الآن ولا مزيد من المفاوضات".

فتحت المفكرة وحدقت فى الصفحات الفارغة. قالت لنفسها إن النساء اللاتى فى حالة حب يتحدثن بنفس اللغة، فلتتحدث من قلبها عن حبها لـ"دانكان".

"أعرف الآن ما هو الحب، لم أكن أعرف ما هو الحب قبل أن أعرفه وألقاه. كل شىء فى حياتى قبله كان باهتا وبلا معنى. الآن عرفت ما هو الحب. يبدو العالم كله ساطعا وقويا وحقيقيا. هو من يجعلنى أشعر بكيانى كامرأة". أغلقت المفكرة وقالت: "أرسل ثلاث رهائن آخرين يا جيرى وسأقرأ لك المزيد".

"لا مزيد من الرهائن! اقرئى المزيد والكاميرا مصوبة عليك".

"جيرى....".

"عليك اللعنة!". شعرت بأن صرخته نقلت كل غضبه العارم فى أذنيها."ستقرئين ما كتبته ثم تدلين بما أريد فى البيان الصحفى. ابدئى الآن وإلا قتلت أحد الرهائن".

اقتربت فيبى قليلا، وجاءها الأمر الصارم من السماعة بألا تقترب أكثر وتتراجع على الفور. نظرت لما وراء آرنى ورأت طابور الرهائن ومن بينهم لو. شعرت كم هى طويلة وشعرها جميل وتصلح كدرع بشرى جيد للمجرم فعلا.

"سأقرأ يا جيرى".

كان يبكى وهو يقول: "أريد أن أرى الوردة التى وضعتها فى

المفكرة". كان يقترب من نهايته بعد أن خسر المعركة."لو طلبت منى رهينة أخرى، سأقتل واحدًا منهم، مفهوم؟ سأطلق الرصاص على رأسه، أتفهمين؟ أظهرى الوردة واقرئى وأخبرى العالم كله أنك قتلت ملاكى الجميل. وعندما ينتهى ذلك سينتهى كل شىء".

كان الموت الذى يتمناه مثل حبيبته ليلحق بها يرن فى صوته، وكانت تعلم أنه سيقتل معه أربع عشرة رهينة.

نظرت بثبات وأدارت له المفكرة وقلبت صفحاتها وهى تقول: "لقد حفظت الوردة التى أعطيتها إياها".

"لا يمكننى رؤيتها".

"أنا أرفع المفكرة لأعلى كما تريد. لا يمكننى الاقتراب، إنهم يمنعوننى".

"فليتقدم الجميع خطوتين. خطوتين للأمام! يكفى هذا! اللعنة".

تحركت فيبى فى مكانها، وقلبت صفحات المفكرة لجزء من الثانية. رأت ذهنيا علامة X فى الرسم التخطيطى للمبنى، ووجدته يبعد لو بدفعها لليسار ليحصل على مجال أوسع للرؤية، نظرت فى عينيه للحظة وقالت: "هذا كل ما فى وسعى أن أفعله يا جيرى".

انطلقوا!

أصابها الصوت المدوى للرصاصة برجفة سرت فى كل جسدها، وبالكاد سمعت الصراخ والصياح وركض الأقدام.

رأت لو تجرى نحوها مباشرة، وقالت وهى تحتضنها بقوة لدرجة أن فيبى تراجعت خطوتين للخلف: "يا إلهى! ظننتنى سأموت! ظننته سيقتلنا! لقد أنقذت حياتنا!".

"يجب أن تبتعدى من هنا يا لو، يجب الابتعاد لفحص القنابل والمتفجرات".

تراجعت وأمسكت بوجه فيبى بيديها وقالت: "لقد أنقذت حياتى".

"الأم بى هناك، الحقى بها".

كررت لو جملتها بينما يسحبها الضابط بعيدا: "لقد أنقذت حياتنا جميعا".

أوقعت فيبى المفكرة على الأرض واستدارت ووجدت دانكان يركض نحوها عبر الزحام. وقالت له: "كيف دخلت إلى هنا؟".

أظهر لها شارة شرطة لامعة مطلية بالمينا وقال: "لقد سرقتها لأتمكن من التسلل إلى هنا". احتضنها دانكان بقوة وقال: "أنا أحبك، لنبتعد من هنا طالما أن المكان به قنبلة. لنعد للمنزل. لنذهب فى رحلة إلى أكابولكو".

"لا بأس لكن لنبتعد الآن عن المبنى والمتفجرات".

"يداك ترتعشان".

"وأنت أيضا".

"ليست يدى فقط".

"أريد الجلوس فى مكان هادئ يا دانكان".

سارت معه عبر الجماهير المحتشدة وهى تومئ لمن يهنئها قائلا: "عمل ممتاز"،"عمل رائع". وقفت عندما اعترض الرقيب ميكس طريقها.

لم يقل لها أى شىء، بل نظر إليها ثم مال برأسه وسار مبتعدا بخطى واسعة.

همس دانكان: "كان يجب أن يجثو على ركبتيه ويشكرك".

"ليس هذا أسلوبه، لكنى لست مهتمة بأن يشكرنى على أية حال".

قادها دانكان للمتجر المجاور وأشار لها لتجلس على المقعد .

تنفست الصعداء وقالت لرجال الشرطة فى المكان: "هلا تركتمونى بمفردى لمدة خمس دقائق لأستعيد صفائى الذهنى، وبعد ذلك ننهى الإجراءات معا".

قال سايكس: "على الرحب والسعة أيتها الملازم". أشار للباقين بالانصراف من الباب وتابع: "يا له من عمل مضن وشاق".

تنفست ببطء، بينما جلس دانكان القرفصاء أمامها. ثم قالت: "أجل".

قال لها: "يبدو أنك تحتاجين لمشروب يا حبيبتى".

"بل لعدة مشروبات".

"أعرف حانة رائعة بالقرب من هنا". أمسك يديها وقبلهما ثم

أخفى وجهه بينهما قبل أن يقول: "فيبى!".

"لم أكن فى خطر حقيقى".

"قولى ذلك لقلبى".

شعرت بأن الجو بارد هنا، كيف تحولت الحرارة إلى برودة؟ يداها فقط كانتا دافئتين بعد أن قبلهما دانكان. قالت له: "قلت لك يا دانكان إننى لم أستخدم سلاحى من قبل. لكنى اليوم قتلت رجلا".

"هذا هراء".

"بل صحيح، أطلقت لهم الضوء الأخضر ليقتلوه. لم أقتله بيدى بمعنى الكلمة، لكن الجميع يعلمون أننى تلاعبت به وناورته حتى جاء للوضع المناسب لمجال القناصة. لم يكن لدىَّ خيار آخر. كان سيقتل ......".

أمسك يديها بحزم وقال: "أعرف ذلك".

"لم أجد حلا آخر، لذلك سأقبل الأمر. لكن سأظل أحمل الذكرى المؤلمة، أننى استغللت حبه لـ"أنجيلا"ليلقى حتفه".

قال لها: "لم يكن حبا بل قمة الأنانية وحب التملك، وأنت تعلمين ذلك. كنت أذكى منه فى هذا الموقف، وهذا يكفى. كان يختبئ بالداخل ويحتمى بالأبرياء".

قبلها فى جبهتها وقال: "لا تشعرى بالأسف تجاهه أو تجاه نفسك أيضا".

"حسنا".

دلك ذراعيها من البرد وقال: "عندما يعود متجر مارك دى للعمل، سنذهب معا لاختيار خاتم الخطوبة".

"الآن فهمت لماذا كانت الأم بى ولو هنا. أوه يا دانكان، كنت ستقابلهما هنا لاختيار خاتم لى. لو كنت سبقتهما لكنت.......".

"لا تفكرى فى هذا. الجميع بخير الآن وفى أمان. أليس لهذا الأولوية فى عملك؟".

"بالفعل، يجب أن أقوم بباقى عملى الآن".

"سأنتظرك بعد العمل، لكن أخبريهم أنك فى إجازة بعدها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام".

"لماذا؟".

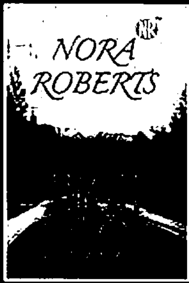
"أنقذت حبيبتى أرواح سبع عشرة رهينة، سنذهب للاحتفال فى مدينة ملاهى ديزنى!".

لم تبتسم فيبى، بل ضحكت بشدة وقالت: "حمدا لله أننى وجدت رجلا مثلك".

قال لها: "بل أنا المحظوظ لأننى وجدتك".

احتضنته ووضعت رأسها على كتفه وشعرت بالأمان والاستقرار والدفء.

كانت هى الأخرى محظوظة جدا.



ـ «لقد خلبت روبرتس ألبابنا بروايتها الساحرة». ـ ليبراري جورنال

تعود المؤلفة، التي تتصدر رواياتها قائمة مبيعات جريدة نيويورك تايمز. وفي جعبتها رواية مثيرة ومشوّقة عن امرأة تسير بإقدام وشجاعة وبلا خوف نحو المخاطر. لكنها تحاول أن تستجمع شجاعتها لكي تدخل الحب إلى حياتها.

لقد اهتدت ملازم الشرطة «فيبي ماكنامارا» إلى مصيرها المحتوم منذ أن تعرضت في صغرها هي وعائلتها إلى هجوم عنيف من قبل شخص مختل ظل يحتجزهم ويرهبهم لساعات. صارت «فيبي» الآن أهم مفاوضة للرهائن والمحتجزين في مدينة «سافانا». وصارت تعرّض حياتها للخطر يوميا بينما تنزع فتيل الأزمات والمواقف المتفجرة. تعرف «فيبي» متى تتقدم ومتى تتراجع، ومتى تتحرك وتتخذ أي إجراء، حتى وإن كان ذلك يعني أن تخاطر وتجازف بكل شيء. إنه عمل يمنحها قدرا كبيرا من الرضا الداخلي، وأحيانا تسعفها هذه المهارات في المنزل عندما تتعامل مع والدتها المصابة برهاب الزحام والأماكن العامة - بسبب أنها مازالت تعاني من آثار صدمة اقتحام منزلها بعد مرور كل هذه السنوات - وعندما تتعامل أيضا مع «كارلي» ابنتها ذات الأعوام السبعة والتي يسبق عقلها سنها بكثير في مستوى نضجه.

إن أول ما جذب «دانكان سويفت» إلى «فيبي» هو ذلك المزيج المثير الساحر في شخصيتها، الذي يجمع بين الشجاعة الصارمة والحس المرهف، بعد أن شاهدها تفاوض أحد العاملين لديه وتقنعه بالتخلي عن فكرة الانتحار قفزا من حافة السطح. وقرر أن يدخل هذه المرأة المثيرة الغامضة التي تتحمل المسئولية إلى حياته العاطفية. كانت «فيبي» معتادة على العمل بمفردها، لكنها وجدت أن كل مفاوضاتها لإبعاد «دانكان» عن عملها وعنها باءت بالفشل.

عندما تتعرض «فيبي» للهجوم من قبل رجل يضع غطاء على رأسها ويحاول الاعتداء عليها بعنف ـ في مقر عملها ـ لا تستطيع أن تمنع شعورها بالصدمة. وعندما تجد رسائل تهديد ملقاة على عتبة باب منزلها، لا ينتابها شعور بالفزع فقط بل بالتعاسة أيضا. كيف ستواجه عدوا يرفض الإفصاح عن هويته ويرفض مواجهتها بنفسه؟ والآن مع دعم «دانكان» لها في كل خطوة على طريقها، يجب أن تحاول مواجهة ذلك المجرم المجهول الذي يرهبها ويعتزم أن يجعلها ضحية وأسيرة للخوف، قبل أن تقع المواجهة الحاسمة الفاصلة والأخيرة.

نورا روبرتس مؤلفة الروايات الأكثر مبيعا وفقا لجريدة نيويورك تايمز ولها أكثر من ١٥٠ رواية منها: Northern Lights، Blue Smoke، Chesapeake Blue. إضافة إلى رواية «سقوط الأقنعة»، وهي أيضا مؤلفة سلسلة من الروايات المثيرة في مجال الخيال العلمي، وهي من أكثر سلاسل الروايات مبيعا، وقد كتبتها باسم مستعار وهو «جيه. دي. روب». ولقد طبعت من روايات هذه المؤلفة أكثر من مائتين وثمانين مليون نسخة.

تفضلوا بزيارة موقع المؤلفة عبر الإنترنت www.noraroberts.com

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
6 281072 060619
282204488